

**بوزيانج الطراجج**

# **القبائل الأمازيغية**

**أدوارها - مواطنها - أعيانها**

**الجزء الأول**



**مدار الكتاب العربي**

**دار الكتاب العربي  
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة**

**حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر  
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51  
الجوال: 070 91.77.73**

**تأليف: بوزياني الدراجي  
تصميم الغلاف: لويضة الحسين  
الإخراج الفني: فراس الجهماني**

**الإيداع القانوني: 2007-152  
رسمك: 978-9947-833-98-4**

**بوزياني الدراجي  
القبائل الأمازيغية ج1، تصميم الغلاف لويضة الحسين،  
الإخراج الفني فراس الجهماني -. الجزائر: دار الكتاب  
العربي، 2007. - 292ص.، 23سم**

## إهداء

إلى الذين سهروا الليالي في سبيل نحت سبطور لا  
تتمحي...

إلى الذين جدوا وكدوا في سبيل التعليم والتعلم...  
إلى الذين اختاروا سلاح القرطاس والقلم، لمواجهة  
جيوش الجهل والظلام...

إلى الذين آمنوا بأن الفقر... كل الفقر يكمن في فراغ  
الأدمغة، وضحالة العقول...

إليكم جميعا أهدي هذه الباقة المزخرفة من تراث  
بلادي، وهذه العينات من فرسان العلوم بهذه الربوع.

**بوزيانج الدراجي**

## مقدمة

يدخل هذا الكتاب ضمن سلسلة من الأعمال التي تعالج موضوع العصية القبلية في المغرب الإسلامي. فبعد كتاب القبائل الأمازيغية؛ سوف تتبعه كتب أخرى؛ من بينها كتاب يدرس موضوع القبائل العربية في هذه الديار، وكتاب دول المغرب ودور العصية في قيامها وسقوطها، وكتاب العصية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية، وكتاب أثر العصية القبلية في النظم: السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية.

بدأت في الاشتغال بموضوع العصية خلال السبعينيات؛ عندما وجدت نفسي في خضم إعداد أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي. وفي تلك الأثناء؛ وجدت عوناً كبيراً من أستاذي الفاضل الدكتور لقبال موسى؛ فعملت بتوجيهاته المفيدة؛ فكان لي خير عون وسند؛ وبالمناسبة أشكره شكراً جزيلاً على كرمه العلمي، ومعاناته، وسهره في قراءة ما كنت أعرضه عليه من فصول بحثي؛ فلا يخل بالنصيحة والتوجيه.

ويعتبر موضوع القبائل الأمازيغية من المتطلبات الملحة، والهامة التي كان من الواجب العمل على معالجته في وقت سابق؛ غير أن ذلك لم يتحقق لأسباب عديدة؛ نتركها للمهتمين بها. لذا لم يحدث أن ظهر في سوق الكتب - في العصر الحديث - أي كتاب، أو دراسة شاملة - باللغة العربية - عن القبائل الأمازيغية بالمغرب الإسلامي؛ مع أننا شاهدنا مراجع أخرى ظهرت؛ وكانت تدرس موضوع القبائل العربية في بلاد المغرب. ولما أحسست بهذا الفراغ العجيب..!! أردت تدارك الأمر؛ والبدء بموضع القبائل الأمازيغية في بلاد المغرب الإسلامي. لعلني أكون قد قمت بسد ثغرة في تاريخ بلادنا؛ لم يقم أحد بسدها - بشكل شامل - منذ عصر ابن خلدون؛ الذي انفرد - حتى يومنا - بهذا العمل الهام.

وليس معنى هذا أن المؤرخين في البلدان المغربية تجاهلوا - تماما - موضوعا كهذا. بل قام بعضهم؛ مثل: مبارك الميلي، وعبد الوهاب ابن منصور بالحديث عن القبائل الأمازيغية؛ ولكن بشكل مقتضب؛ أو ضمن دراسة تاريخية عامة لا تخصهم وحدهم. كما قام أساتذة آخرون؛ مثل: لقبال موسى، ومحمد بن عميرة

بإعداد دراسات تخص قبيلة معينة؛ مثل كتاب دور كتامة للدكتور لقبال؛ وإن كان قد أشار لبعض القبائل الأخرى باختصار؛ ثم كتاب دور زناتة لابن عميرة. أما المراجع الأجنبية المتوفرة؛ فقد أشار بعضها إلى عينات من القبائل الأمازيغية؛ التي أثارت اهتمامهم؛ ولكن ضمن مواضيع تاريخية عامة؛ لا تخص القبائل الأمازيغية كلها تقريبا؛ وبشكل مقتضب كذلك.

ومن جهتي فقد بذلت جهدي كي يشمل عملي هذا أقطار المغرب كافة؛ دون استثناء. كما تناولت فيه القبائل الأمازيغية التي عرفت في العصور الوسطى كلها. مرتكزا بصفة خاصة على ما كان ابن حزم قد ذكره باقتضاب، وما انتشر في مصادر عربية كثيرة؛ أهمها العمل العظيم الذي أنجزه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون. كما استعنت — أيضا — بما كتبه بعض المستشرقين؛ مثل: غوتيه Emile-Félix. Gautier، وليفي بروفنسال E. Lévi-Provençal، وجورج مارسى Georges Marçais وغيرهم..

ولم يقتصر عملي هذا على التعريف بأسماء القبائل الأمازيغية، وذكر أماكن سكنهم فحسب؛ كما حدث في كثير من المصادر والمراجع؛ بل توسعت في الحديث عن الأدوار التي قامت بها تلك القبائل: سياسية منها، وعسكرية، وثقافية. كما حرصت على إبراز أعيانهم؛ بشكل استوفي نشاطاتهم العلمية، والثقافية، والسياسية. وبهذا أكون قد عملت على إزالة طبقات الغبار التي حجبته، وأنست الناس في أصولهم الأولى. ومن جهة أخرى وضعت منجزات أولئك العباقر، والعظماء بين أيدي أبناء هذا الجيل الحائر؛ لكي يتعرف على نهج أسلافه، وماتم إنجازهم بواسطتهم من كنوز أثرت التراث العربي الإسلامي؛ دون تعصب، ولا تحزب، ولا انكماش، أو تنكر.

وهكذا سيجد القارئ بين يديه عينات أدبية في منتهى الروعة؛ من إبداع أبناء هذه الأرض الخصبة؛ التي أنجبت عبقریات؛ تسابقت في دروب النماء؛ لبناء، وتشيد صرح الحضارة العربية الإسلامية؛ شرقاً وغرباً. وكانت إسهاماتهم عظيمة الشأن، كريمة، المنبت، دائمة الفائدة.

ولابد هنا من تقديم عرض ولو بإيجاز  
عن المنابع التي يمكن أن ينهل منها كل دارس  
لتاريخ البلاد المغربية وسكانها؛ منذ العهود  
الأولى. ففي البدء - ولمنع المغالطات، وكبح  
جماح الذين يخلقون في الخيال، أو الذين يصرون  
على إبراز شيء وإخفاء أشياء - يستحسن  
الإشارة إلى المصادر التي يستقي منها الباحثون -  
بمختلف معتقداتهم وتنوع اتجاهاتهم - مع  
الإجابة على مدى أهميتها، ودرجة الصدق  
فيها.

وعليه فما تقدمه المادة التاريخية - حتى  
الآن - لا يخرج عن نطاق المصادر: اليونانية،  
والرومانية، والعربية، والعينات الأثرية التي  
كشفت منذ عهد الاحتلال الفرنسي. والعيب  
كله ليس في المصادر المذكورة؛ بقدر ما يتمثل  
في مستعملي تلك المصادر.. إذ أن مبعث الالتباس  
- هنا - هو تلك التأويلات التي سلطت  
على المادة التاريخية المطروحة للبحث من جهة،  
وإصرار بعض الدارسين على الاكتفاء بنوع  
معين من أنواع المصادر المعروضة؛ دون الأنواع  
الأخرى من جهة ثانية. وهذا هو ما يفسر  
انطلاق العناق للأهواء والميول المشبوهة..



ولمنع الأنزلاق في الاتجاه الخاطئ يستحسن تناول الموضوع بحذر وجدية وشمولية.. وقبل الخوض في أعماقه لا بد من الإشارة باختصار إلى تلك المصادر واحدة فواحدة.. فأولى المصادر المكتوبة زمنيا - فيما يخص تاريخ سكان بلاد المغرب - هي المصادر اليونانية؛ غير أنها لا تفي بالحاجة المطلوبة؛ نظرا لمحدوديتها، واقتصرها على حيز ضيق لا يتجاوز برقة؛ وإن كان هيرودوتس قد تعرض - باقتضاب - لما سمعه عن منطقة التاسيلي؛ إلا أنه لم يزر تلك الجهات؛ كما حدث بالنسبة لبرقة، ومصر، وغيرهما من الأقاليم؛ وإنما نقل أخبار تاسيلي مشافهة. وعليه يمكن القول أن معلوماته لم تكن واسعة ولا دقيقة في هذا المجال. وكل ما ذكره هي بعض أسماء القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ مثل قبائل: الناسامونين، والماكاي، والقارامونت، والأوليميدين، والجيتول. وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بلاد ما كان يعرف قديما بلوييا أو لبييا. كما قال باقتضاب شديد: أن بعض تلك القبائل كانت تشتغل بالصيد؛ إذ يركب أفرادها عربات؛ تسحبها أربعة خيول؛ يطاردون بها طرائدهم..

وبعد المصادر اليونانية تأتي المصادر الرومانية؛ وهذه المصادر محدودة العطاء؛ ولا تقيم إلا بعض الجوانب؛ التي يكون الرومان فيها يمثلون المادة الأولى؛ كما أنها محتكرة من طرف بعض المؤرخين الأوروبيين، والفرنسيين على الخصوص؛ نظرا لقصر باع الدراسات المغاربية عامة، والجزائرية خاصة، واكتفائها بالمراجع الفرنسية؛ على الرغم مما تحمله من شحنات سياسية تخدم احتلالهم لبلاد المغرب. ومن هذه الكتابات الفرنسية - المعتمدة حاليا من طرف كثير من الباحثين - ما يتصف بالنزاهة، ومنها ما يميل إلى التحيز والمغالطة.. ولا يتسع المجال هنا لإحصائها، والتعليق عليها؛ ولكن يمكن ذكر عيتين منها على سبيل التوضيح. فمثلا اتفق كثير من المحللين على أن المؤرخ الفرنسي شارل أنديه جوليان Ch. André Julien، يتحلى بالنزاهة والموضوعية؛ حتى وإن صرح ببعض الآراء التي لا يقره عليها كثير من المؤرخين. وفي الجانب المقابل يقف إميل فيليكس غوتيه E. F. Gautier موقفا متحيزا، وتغلب عليه المغالطات والارتجالية في غالب الأحيان؛ وهذا باعتراف زميله شارل أندريه جوليان الذي يتهمه بالمغامرة، والمخاطرة في الأحكام كما

يقول.. ومن يراجع كتبه سيكتشف بسهولة مغالطاته..

أما أوسع المصادر شمولاً وأهمية وعناية بأبناء البلاد المغربية فهي المصادر العربية التي كتبها وتناقلها المؤرخون، والنسابة العرب، والأمازيغ - على السواء - باللغة العربية. وهذه المخطوطات فيها - بالطبع - الغث والسمين.. كتبت جلها بأسلوب كان سائداً في تلك العصور؛ وقد نقده ابن خلدون؛ ولا داعي لشرحه هنا.. ويمكن مراجعة ذلك في مقدمته الفذة. وإلى جانب كثافة المصادر العربية السطحية توجد مصادر أخرى في منتهى الدقة والموضوعية؛ وهي قليلة؛ أمام زخم وكثافة الكتب ذات الطابع الإخباري الروائي. منها - على سبيل المثال - جبهة أنساب العرب لابن حزم، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون؛ وكتب أخرى عديدة سيشار إليها عند الحاجة. وقد احتلت المصادر العربية مكانة أولى بين المصادر الأخرى؛ لأنها تنفرد بمعالجة تاريخ المغرب بكافة سكانه: أمازيغاً كانوا أو عرباً. ومن هنا تأتي أهميتها؛ حيث يفهم لماذا كان الباحثون والمؤرخون

الفرنسيون والأوروبيون يتسابقون على اقتنائها،  
ودراستها ونقدها.؟ كما تعتبر هذه المصادر  
العربية بمثابة معين رئيس للدارسين المحدثين؛  
من البلدان المغربية، ومن غيرها.

بقي الآن جانب آخر؛ يمكن تفسير التاريخ  
بواسطته؛ هذا الجانب يتمثل في العينات الأثرية  
التي اكتشفت في بلاد المغرب ومصر وجهات  
أخرى. وهذه العينات الأثرية استغلت من  
أجل تعزيز ودعم بعض النظريات المطروحة  
للبحث والدراسة الآن.. منها ما يتعلق بمواضيع  
أنثروبولوجية، وتفسير النشاطات الحضارية  
والتاريخية؛ ومنها ما أخضع للأبحاث المخبرية  
وتتبع السلالات البشرية. وقد احتكر هذا  
الميدان العلمي — في السابق — بعض العلماء  
الفرنسيين والأوروبيين؛ إلا أن أبناء البلدان المغربية  
شرعوا مؤخراً في الاعتناء بهذا الميدان؛ وإن كان  
ذلك بجهد محتشم... وما يعيب تلك  
الدراسات هي أنها تستند إلى نظريات جنسية  
وانثروبولوجية لم ترق إلى الحقائق الثابتة. ومع  
هذا تبقى تلك النظريات محل بحث وعناية؛  
لأنها أقرب إلى الحقيقة، وأكثر صدقاً من  
روايات الإخباريين الخيالية.

وكما سبق قوله فكل ما قيل عن بلاد  
المغرب - قديما - لا يخرج عن نطاق أصناف  
المصادر المذكورة آنفا. لذا فقد كان لزاما  
علينا مراعاة المنهج الصحيح؛ الذي يتم العودة  
إلى قدر ما من تلك الأصناف. على أننا  
أعطينا الأولوية إلى المصادر ذات المصداقية؛ وإن لم  
نهمل الإطلاع على المصادر الضعيفة السند،  
والاستفادة ما أمكن منها.

É É É

## القبائل الأمازيغية

### 1- البحث عن الجذور:

فعلى الرغم مما تم إعداده من كتب ودراسات متباينة، وبلغات مختلفة، وفي عهود شتى؛ فإنها بكاملها لم تفصل - قطعيا - في حقيقة الأصول الأولى للمجتمعات المغربية. غير أن الفرضيات التي وضعت لا سبيل إلى نكرانها - تماما - أيضا. وهكذا تبقى الحقيقة معلقة حتى يظهر ما يسند لها علميا، أو ينفيها نهائيا. وعليه فلا بد من الإشارة إلى مختلف الفرضيات؛ وذلك بتلمس المؤشرات التي تقترب من الحقيقة.

إذن يمكن إجمال المناهج المتبعة في تتبع الأصول الأولى لسكان بلدان المغرب ضمن أسلوبين: الأول هو المنهج الذي يستند إلى المخطوطات والروايات، والثاني هو القائل بالمعطيات الأنثروبولوجية، والأعمال المخبرية. فأما الأسلوب الأول فيمكن تطبيقه من خلال المصادر العربية القديمة؛ التي تعتبر أهم المصادر المكتوبة عن بلدان المغرب وشعوبها. ذلك لأن المصادر اليونانية والرومانية شحيتان في المادة التاريخية التي تدرس أصول سكان بلاد المغرب. أما

المصادر العربية القديمة — كما سبق ذكره —  
ففيها ما يتصف بالموضوعية، وفيها ما تخللته  
الأساطير والخرافات.

#### أ — تسميات وتعريف:

محاولة معرفة التسمية الحقيقية لسكان  
المغرب قديماً تتطلب عرض الآراء كلها؛ أوجها  
على الأقل؛ لأن المصادر التاريخية مازالت — حتى  
الآن — عاجزة عن إقناع القراء بالأصول الأولى  
لسكان هذه الديار، وبالمسميات التي عرفوا بها  
إلى وقت قريب. فتسميات: **لوبي، وإفري،**  
**وبربر** كلها أطلقت على أبناء هذه البلاد؛  
منذ القدم حسب ترتيبها زمنياً. فالأولى  
شاعت لدى اليونانيين، والثانية قد تكون من  
مبتكرات الفينيقيين، والثالثة سماهم بها الرومان  
بتأثير من اليونان. مع أنها كلها لا تعبر عن  
الحقيقة كلها؛ نظراً لكونها مسميات صدرت  
عن أطراف خارجية، ولم تحض باعتراف  
شامل من قبل المعنيين بالأمر. فكلمة **بربر**  
مثلاً سماهم بها الرومان؛ بعد أن ورثوا معناها  
عن اليونانيين. ويقال أن مصدرها الأول هي  
الكلمة اليونانية **فارفاروس** Varvaros وهي تعني

اللفظ، وتداخل الأصوات في الكلام؛ بذلك فهم  
ينعتون بها كل الذين لا يتكلمون لغتهم؛ ومن  
هنا سموا إيطاليا برباريا<sup>1</sup>.

ولما انتقلت سيادة العالم إلى الرومان حذوا  
حذو اليونان؛ فسموا - بدورهم - كل  
الشعوب التي لا تنتمي إليهم، أو قاومت نفوذهم  
بربرا؛ تحقيرا واستخفافا. من ذلك عبارة  
بارباريسي أو باربارجيا؛ التي كانوا ينعتون بها  
القبائل الخارجة عن نفوذهم؛ مثل القبيلة المسماة  
بهذه التسمية في جزيرة سردينيا. كما كانوا  
يسمون المحيط الهندي البحر البربري، وخليج  
عدن بالخليج البربري؛ وسموا أيضا ثلثة من  
نهر السند بارباريكوم. وفي مصر العليا مدينة  
سميت بارباري. وفي معبد الكرنك بمصر عثر  
على كتابة تعود إلى زمن رمسيس الثاني؛ ذكر  
فيها أن ذلك الفرعون قد أخضع شعبا في  
الجنوب سموه بيرابيرتا؛ وهذا يبعث شكوكا في  
المصدر الأول للكلمة؛ فهذا النص يدل أن الكلمة  
مصدرها الأول ليس اليونان؛ إذ يجوز أن يكون  
اليونانيون قد أخذوها عن المصريين.. وفي  
الصومال توجد بربرة؛ كما سميت الشعوب

---

<sup>1</sup> قبائل المغرب، ج: 1، ص: 262.



الجرمانية ((باربار)) بمعنى القساة والهمج الجهلة. وقد اجمع الباحثون على أن كلمتي بربر وبربار تعنيان: إما اللغط والرطانة والضوضاء؛ أو الهمجية والقسوة. ولم تكن هذه التسمية — في يوم ما — تسمية صحيحة؛ لأي جنس من الأجناس؛ وإنما كانت بمثابة النبز والشتيمة. ولما حاول بوسكي G. H. Bousquet تفسير كلمة بربر قال: أنها مشتقة من كلمة برباروس BARBARUS وهي كلمة لاتينية تنعت بها فئات مختلفة؛ ليست خاضعة لسلطان الرومان؛ والقصد منها هو وصف تلك الفئات بالتخلف<sup>2</sup>.

وإذا كانت هذه التسمية لا يختص بها سكان البلاد المغربية وحدهم؛ فما هو الاسم الذي أقره هذا الشعب العريق، وأطلقه على نفسه؟ وهنا يستحسن التذكير بأن شعوب المغرب كانت — في الحقيقة — تعيش ضمن قبائل، وأحلاف قبلية كبرى عديدة؛ لا يجمعها اسم موحد؛ معترف به من طرف القبائل كافة؛ بل تسمى كل قبيلة باسمها، أو كل حلف باسم غالب عليه. وهذا شبيه بما عرفه العرب القدماء؛ الذين كانوا يتكتلون — بدورهم

---

<sup>2</sup> Les Berbères, (Que sais-je ?) p: 8.

— ضمن قبائل مختلفة ومتناحرة؛ حتى جاء الإسلام فجمع شتاتهم، ووعاهم بوحدة الهوية. ومع ذلك لم ينسوا انقسامهم الرئيس إلى يمينين وعدنانيين..

وعند تتبع مسألة المجتمعات المغربية تاريخيا سيتضح من خلال خبر مفاده: أن جماعة من قبيلة لواتة أرسلهم عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب بالمدينة المنورة؛ فسألهم — كما جرت عادة العرب — عن نسبهم؛ فأجابوا: أن جدهم هو مازيغ<sup>1</sup>. وإن صحت هذه الرواية؛ ستكون هي المرة الأولى في — العهد الإسلامي — التي وردت كلمة مازيغ كاسم لجد هذا الشعب؛ ربما تكون اسما لجد فئة منه؛ كما يعتقد بعض الباحثين<sup>2</sup>.. وثمة من يرى أن كلمة أمازيغ قديمة جدا؛ ربما عادت إلى العهود الفرعونية<sup>3</sup>، أو عصور السيادة الإغريقية.. ودلت بعض الأبحاث على استعمال كلمة قريية من عبارة مازيغ؛ حيث وردت هذه الكلمة من طرف المؤرخ اليوناني هيكتايوس Hekatoios (الذي عاش في القرن السادس قبل

<sup>1</sup> طبقات مشائخ المغرب، ج: 1، ص: 16 — 17.

<sup>2</sup> Les Berbères, (Que sais-je ?) p p:10-11.

<sup>3</sup> عروبة البربر، ص: 178.

الميلاد)؛ فسمى فئات منهم بـ (مازييس) Mazyes؛ وهذه الكلمة قريية من عبارة مازيغ. أما هيرودوتس Herodotos — في القرن الخامس قبل الميلاد — فقد ذكر اسمها هو (ماكسييس) Maxyes؛ وهي الكلمة التي نقلها عنهم اللاتين بشكل محرف؛ فسمو الشعب النوميدي: (مازاس) أو (مازكيس) أو (مازيكس) -- Mazaces -- Mazikes -- Mazax. وهكذا ترى أن الكلمة المسطرة قريية جدا من العبارة المتداولة الآن.

ويبدو أن كلمة أمازيغ لم تنتشر بشكل واسع في الزمن الأول للفتح؛ إذ تغلبت عليها كلمة بربر؛ التي وجدها المسلمون متداولة بين الناس عندما فتحوا البلاد؛ فبادروا إلى منح هذه الكلمة مدلولاً أكثر طهارة ونقاء مما كانت عليه قبل مجيئهم؛ وذلك تبعاً لما نصت عليه التعاليم الإسلامية السمحة؛ التي تنهى عن التنازع بالألقاب؛ كما جاء في التنزيل الحكيم: ((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب

بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ  
يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>1</sup>.

### ب - الأساطير نصف الحقيقة:

وعليه فقد اختاروا المدلول الذي ينسجم  
مع فلسفة الأسماء عندهم؛ لذا فقد وجدوا أن  
أقرب دلالة إلى ذهنهم ومنطقهم؛ هي التي تجعل  
من كلمة بربر عبارة مشتقة من اسم  
إنسان؛ افترضوا أنه جد هذا الشعب؛ أو  
يكون فعلا جدا لهم. غير أن بعضهم الآخر  
رأى في كلمة بربر ما يدل على اللغط  
والرطانة أثناء الكلام؛ وربما قال بهذا الرأي  
الذين كانوا مطلعين على التراث اليوناني؛ لأن  
اليونان - حسبما ورد - منحوا المفهوم نفسه  
لكلمة بربر. ولكن الإخباريين - كما هي  
عادتهم - نسجوا قصصا وأخبارا؛ حاولوا من  
خلالها تفسير أسباب تلك المسميات.. وقد  
ملئت صفحات كثيرة بتلك الروايات والأساطير  
العجيبة؛ التي تتحدث عن الشعب الذي سمو  
أعضائه بربرا.. فقال بعضهم أنهم أبناء بر  
ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار؛ واضعين

---

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية: 11.

في ذلك بعض الأساطير والأشعار؛ الهدف منها هو دعم مزاعمهم وافترضاقتهم<sup>2</sup>.. ومع هذا فهي تدل على النزعة الإنسانية في انتحال الأشياء، والمواقف؛ بغرض دعم مزاعم، وافتراضات معينة؛ على الرغم من أنها ليست منطقية؛ نظرا لغياب الدليل العلمي من جهة، وبعدها عن المعقول من جهة أخرى. من ذلك؛ أنهم زعموا أن جد البربر المدعو برا؛ قدم إلى بلاد المغرب هاربا من أخيه عمرو ابن قيس؛ ولما طال غيابه بكّته شقيقته تماضر بقولها:

لِتَبْكِي كُلُّ بَاكِيَةٍ أَخَاهَا  
كَمَا أَبْكِي عَلَى بَرِّ بْنِ قَيْسٍ  
تَحْمَلُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَأُضْحَى  
وَدُونَ لِقَائِهِ أَنْضَاءُ عَيْسٍ

ومما نسب إلى تماضر أيضا:  
وَشَطَّتْ بَرًّا دَارُهُ عَنْ بِلَادِنَا  
وَطَوَّحَ بَرٌّ نَفْسَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

---

<sup>2</sup> أنظر هذه الأخبار والأشعار في العبر، مج: 6، ص ص: 176 — 192.

وَأَزْرَتْ بَبْرٌ لَكُنَّةً أَعْجَمِيَّةً  
وَمَا كَانَ بَبْرٌ فِي الْحِجَازِ بِأَعْجَمًا  
كَأَنَّا وَبَرًّا لَمْ نُغَرِّ بِجِيَادِنَا  
بِنَجْدٍ وَلَمْ نُقَسِّمْ نَهَابًا وَمَغْنَمًا

وهكذا ترى المسحة الأسطورية في هذه الأقوال.. فبر يهرب منفردا؛ من أخيه إلى بلاد بعيدة كالمغرب..! أي من قارة إلى أخرى؛ بكل بساطة ودون عناء..! ولما أصبح في تلك البلاد النائية؛ علمت أخته أن كلام أخيها شوهته لَكُنَّةٌ أَعْجَمِيَّةٌ..! ومع هذا لم يسأل المتحمسون لهذا الخبر أنفسهم: كيف علمت تماضر بذلك رغم البعد، وانعدام وسائل الاتصال..؟! هذه واحدة من الحكايات؛ أما الأخرى فيزعم رواتها: أن من أسموه الملك النعمان بن حمير بن سبأ فاجأ أبناءه - في أحد الأيام - فقال لهم: إني عزمتم على إرسالكم إلى بلاد المغرب لتعمروها..؟! فلبوا أمره على الفور؛ وتوجهوا إلى حيث اختار لهم المقام الأبدي..!! وهؤلاء الأبناء هم: لمت (أبو لمتونة)، ومسفو (أبو مسوفة)، ومرطا (أبو هسكورة)، وأصناك (أبو صنهاجة)، ولط (أبو

لمطة)، وإيلان (أبو هيلانة)، ومصمود (أبو مصمودة)، وكزول (أبو كزولة)، وأجانا (أبو زناتة)..ألخ. فنزل هؤلاء الاخوة في بلاد المغرب متفرقين: منهم من سكن جبل درن، ومنهم من اختار سكنى السوس وطنجة، ومنهم من استقر في درعة، ومنهم من توقفت رحلته في إفريقية والمغرب الأوسط. والحكاية كما يقول ابن خلدون طويلة. وهكذا ترى كيف يضيق أبٌ بأولاده..؟ فيتخلص منهم؛ بنفيهم — دون حماية كافية — إلى مغرب الشمس، وبحر الظلمات.. حيث نهاية العالم القديم آنذاك؛ ولا هدف له من ذلك؛ سوى أنه يرغب في الأعمال الخيرية..!! ويجب تعمير بلاد المغرب الشاغرة..!! تلك البلاد التي بدت له — فجأة — بأنها فارغة من السكان، ومحتاجة إلى من يعمرها.. فعمرها النعمان بفلذات كبده..؟!!

وثمة حكاية أخرى يقول أصحابها: أن ملكا من التبابعة يسمى إفريقش بن قيس بن صيفي؛ غزا بلاد المغرب؛ فسميت باسمه إفريقية؛ بعد أن قتل بها من أسموه بالملك جرجيس، وتقول الرواية أيضا أن إفريقش هذا

اختط الأمصار، وشيد المدن بتلك الجهات  
النائية قبل أن يعود إلى بلاده في المشرق...!  
وتقول الرواية كذلك: أنه لما لاحظ رطانة  
سكان تلك البلاد، واختلاط الأصوات في  
لهجاتهم؛ قال متعجبا: "ما أكثر بربرتكم"...!  
فسموهم — منذئذ — بربرا.. غير أن رواية  
أخرى تقول أنه حشد قبائل شتى؛ عبأهم في  
الشام؛ لغزو بلاد المغرب؛ من هذه القبائل:  
حمير، ومضر، والقبط، والعمالقة، وكنعان،  
وقريش؛ فلما سمع لغطهم؛ سماهم البربر؛ ثم  
أنشد:

بَرَبَرْتُ كَنَعَانَ لَمَّا سُقْتُهَا  
مِنْ بِلَادِ الضَّنْكِ لِلْخِصْبِ الْعَجِيبِ  
أَيُّ أَرْضٍ سَكَنُوهَا وَلَقَدْ  
فَازَتِ الْبَرَبَرُ بِالْعَيْشِ الْخَصِيبِ

وثمة حكاية أخرى تقول أن أبرهة ذا  
المنار — ملك اليمن — هو الذي تركهم ببلاد  
المغرب بعد أن فتحها وليس إفريقش...! وهكذا  
تلاحظ اختلاف الروايتين.. ثم يمكن التساؤل:  
ما هي الطريق التي سلكها إفريقش هذا...؟!  
وهل تركه الفراعنة يمر بسلام؛ كما مرت  
قبائل بني هلال بعده بقرون؟! وإن صح



ذلك..! أكون مرور هذه الجيوش بمصر  
حدث هذه المرة بدون ضجة تذكر..؟! وهل  
من سبيل آخر يكون قد سلكه..؟! ثم ما  
هي المدة الزمنية التي بقي فيها إفريقش هذا  
ببلاد المغرب؛ التي يقال أنه منحها اسمه..؟!  
وكما هو معلوم فإن تخطيط المدن، وتشيد  
الأمصار يحتاج إلى سنوات وسنوات؛ فما هي  
وسائله السحرية التي استعملها في إنجاز مشاريعه  
الخارقة..؟! أما الذي قالوه عن تعبته لعدد  
من القبائل المختلفة في بلاد الشام؛ بغرض غزو  
المغرب؛ فإنه - على ما يبدو - تمكن من  
تعبئة أمم، وشعوب مختلفة؛ وليست قبائل  
فحسب كما قيل..! ومن الزاوية التاريخية  
للأدب العربي؛ يبدو أن إفريقش بن قيس بن  
صيفي، وتماضر بنت قيس - في هذه الحال -  
يكونان قد سبقا من عرف حتى الآن من  
شعراء الجاهلية الأوائل؛ كالمهلهل بن ربيعة،  
وامروء القيس بن حجر..! وعليه.. يكون  
تاريخ أول نص شعري جاهلي؛ هو تاريخ  
أبيات تماضر أو إفريقش..!

ولم تنته الحكايات عند هذا الحد؛ إذ  
وردت روايات أخرى كثيرة ومتناقضة؛ منها: أن

البربر من أبناء يقشان بن إبراهيم الخليل..! أو أنهم جماعات متفرقة من أهل اليمن..! أو أنهم من قبائل اليمن الذين تفرقوا — مع الغساسنة — بعد نكبة سيل العرم.. أو أنهم من لحم وجذام؛ الذين أخرجهم أحد ملوك الفرس من فلسطين؛ فنزحوا إلى مصر أولاً؛ ثم واصلوا هجرتهم نحو المغرب؛ بعد أن منعهم الفراعنة من الاستقرار بمصر.. وأشهر الروايات هي التي تقول: أنهم من أصحاب جالوت؛ وهم أخلاط من: الكنعانيين، والعمالقة؛ نزحوا جميعاً إلى المغرب بعد مقتل جالوت؛ حيث تم ذلك بواسطة إفريقتش.. كما يزعم آخرون أن الذي طردهم من فلسطين هو داود عليه السلام بالوحي؛ ونقل ابن خلدون عن أولئك الإخباريين نصاً جاء فيه ((قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض))<sup>1</sup>..! أما آخرون فيقولون أنهم هربوا إلى مصر؛ بعد مقتل جالوت؛ فأخرجهم القبط منها؛ فنزحوا إلى برقة، ثم إفريقية، ومنها إلى المغريين: الأوسط والأقصى. وثمة أخبار أخرى تنسبهم إلى حام ابن نوح؛ بينما قال آخرون أنهم أبناء سام

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6 ص: 185.

ابن نوح.. وقد وردت في هذا الأمر حكايات عجيبة يضيق المجال بذكرها كلها.. على أن بعض الإخباريين لم يعمموا كغيرهم؛ واكتفوا بضم فئة من البربر إلى أهل اليمن؛ هي: القبائل الكتامية؛ والقبائل الصنهاجية؛ كتامة وصنهاجة.. وقد ظلت هذه القائمة مفتوحة للأهواء؛ إذ تسابق الناس لإضافة أنفسهم أو من يحبون..

### جـ - نقد واعتراض:

تولى ابن خلدون الرد على تلك المزاعم؛ مفندا إياها واحدة فواحدة.. فبدأ بالادعاء القائل: أن البربر من أبناء يقشان بن إبراهيم عليه السلام؛ فذكر أن بين داود (وهو قاتل جالوت) وإسحاق (وهو أخو يقشان) حوالي عشرة آباء؛ لا غير؛ ثم يتساءل: فهل يعقل أن يتشعب أبناءهم، وأن يتناسلوا بهذه الكثافة العظيمة التي عليها شعوب البربر؟! بعد ذلك ينتقل إلى الادعاء الثاني؛ فيقول ما نصه: ((وأما القول بأنهم من ولد جالوت، أو العماليق؛ وأنهم نقلوا من ديار الشام، وانتقلوا؛ فقول ساقط؛ يكاد يكون من أحاديث خرافة؛ إذ مثل هذه الأمة؛ المشتملة

على أمم، وعوالم ملأت جوانب الأرض؛ لا تكون منتقلة من جانب آخر، وقطر محصور؛ والبربر معروفون في بلادهم، وأقاليمهم؛ متحيزون بشعارهم من الأمم؛ منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. فما الذي يوجنا إلى التعلق بهذه الترهات؛ في شأن أوليتهم... وإفريقش الذي يزعمون أنه نقلهم؛ قد ذكروا أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثرتهم، وعجمتهم؛ وقال: ما أكثر بربرتكم؛ فكيف يكون هو الذي نقلهم؛ وليس بينه وبين أبرهة ذي المنار من يتشعبون فيه إلى مثل ذلك؛ إن قالوا أنه الذي نقلهم؟<sup>1</sup>. أما المزعم القائل بانتمائهم إلى النعمان بن حمير، أو إلى قيس بن عيلان بن مضر؛ فيرفضه ابن خلدون تماما؛ بدعوى أنه منكر من القول؛ محتجا برأي محمد بن حزم؛ عندما نفى — بدوره — هذه المزاعم؛ حيث قال: ((قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام؛ وادعت طوائف منهم إلى اليمن؛ إلى حمير؛ وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، ولا شك فيه. وما علم

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 190.

النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا؛ ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر؛ إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن<sup>2</sup>. ويبدو أن الاعتراض على هذه المزاعم لم يقتصر على ابن حزم وابن خلدون فحسب؛ بل صدر عن علماء آخرين؛ منهم: البلاذري الذي نقل في كتابه فتوح البلدان رواية جاء فيها: ((وحدثني بكر ابن الهيثم قال: "سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس؛ وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر؛ وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام. وكان منازلهم على أيادي الدهر فلسطين؛ وهم أهل عمود؛ فأتوا المغرب؛ فتنازلوا به"<sup>3</sup>). وهذه الرواية سبقت زمن ابن خلدون وابن حزم على السواء؛ ذلك أن البلاذري عاش في عهد المأمون العباسي، ونقلها عن سبقوه.

وواصل ابن خلدون نقده؛ فتصدي لمزعم ابن قتيبة القائل: بأن البربر من أولاد جالوت؛ الذي نسبته إلى قيس بن عيلان. فاستبعد ابن

---

<sup>2</sup> الجمهرة، ص: 495.

<sup>3</sup> فتوح البلدان، ج: 1، ص: 265.

خلدون هذا الادعاء؛ محتجا بكون قيس بن عيلان من ولد معد؛ المعاصر لبختنصر. وهذا الأخير - كما هو معلوم - طارد العرب، واضطهدهم؛ الأمر الذي حدا بالنبي أرميا إلى تهريب معد نحو الشام؛ خوفا عليه من سخط بختنصر؛ ذلك الملك الغشوم؛ مدمر المعالم الدينية التي شيدها بيت المقدس داود وسليمان؛ قبل ذلك بأربعمائة وخمسين سنة تقريبا. إذن فمعد جاء بعد داود؛ بنسبة زمنية تتوافق مع تلك القرون الأربعة على الأرجح؛ ثم يتساءل ابن خلدون: كيف يكون قيس عيلان بن معد أبا لجالوت المعاصر لداود؟! وبهذا التحليل المنطقي؛ نسف ابن خلدون أوهام ابن قتيبة. ومع هذا لم يكتف بالتفنيد، والرفض لآراء الأسلاف؛ بل أرسل دلوه هو الآخر؛ لتفسير الأصول التاريخية للأمازيغ؛ فانتهى إلى القول: ((والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح؛ كما تقدم في أنساب الخليفة. وأن اسم أبيهم مازيغ،

واخوتهم أركيش، وفلسطين إخوانهم بنو  
كسلوحيم بن مصرايم بن حام)<sup>1</sup>.

لم يشذ ابن خلدون برأيه هذا — كما  
قد يبدو لبعضهم — فقد سبقه إليه علماء  
آخرون؛ مثل القديس أوغسطين SAINT AUGUSTIN  
الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين  
أيضا؛ حيث كتب في إحدى رسائله: ((إذا  
سألتهم فلاحينا عن أصلهم؛ سيجيبون: نحن  
كنعانيون)) (Si vous demandez à nos paysans ce qu'ils sont, ils

répondent, nous sommes CANANEENS)<sup>2</sup>.  
كتبه فيلسوف من هذه الديار؛ قبل الفتح  
الإسلامي بقرون. ويتفق فيه مع أقوال ابن  
خلدون، وبعض مؤرخي المغرب الإسلامي. وهم  
جميعا يستندون إلى معلومات تناقلها النسابة  
الأمازيغ؛ أبا عن جد. وإن اتفقوا على  
انتمائهم إلى كنعان؛ فإن الخلاف ظل ماثلا  
بخصوص انتماء كنعان نفسه إلى حام. وهذا  
الرأي قال به بعض العلماء المحدثين ممن  
اشتهروا بالتحقيق والضبط؛ مثل العلامة الألماني  
بروكلمان؛ في كتابه تاريخ اللغات السامية.  
ويرى هذا الباحث الكبير أن اليهود هم الذين

<sup>1</sup> العبر، مج: 6 ص: 191.

<sup>2</sup> E. F. GAUTIR, Le Passé de L'Afrique du Nord, p:139.

أقصوا كنعان من سلسلة النسب السامية؛  
لأنهم كانوا من أعدائهم التقليديين. على أن  
يحيى بن خلدون - وهو أخو عبد الرحمن -  
أورد بعض الأقوال منها: أن بعض المؤرخين  
القدماء نسبوا البربر إلى جد يدعى بربر بن  
تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام، وآخرون  
إلى عملاق بن لاود بن أرم بن سام؛ وهذا  
طبعاً رأي من ينسبهم إلى العمالقة..

ويتبين مما سبق؛ أن دلالة كلمة بربر - في  
مفهوم المسلمين - كانت إما نسبة لأحد  
الأجداد يسمى بربر، وإما نعتاً لطريقة  
كلامهم، ولغظهم، وبربرتهم التي لا يفهمها  
العرب. فالتسمية - في هذه الحال - جاءت من  
خارج ذلك المجتمع المعني بالأمر؛ ولم تصدر  
عن قناعة منه. وعليه فمن حق أبنائه أن  
يعترضوا على تلك المسميات التعسفية؛ كما  
أنهم أهلاً لكي يطلقوا على أنفسهم الاسم  
المناسب؛ وبما أن جلهم يجذبوا اسم أمازيغ؛  
فاليكن لهم ذلك.. إذ الراجح أن تكون هذه هي  
تسميتهم الحقيقية؛ خاصة عندما نعود إلى ما  
جاء في الرواية التي تقول بأنهم انتسبوا - أمام  
عمر بن الخطاب - إلى جد يدعى مازيغ.



على اعتبار أنه اسم لجدهم؛ وهذه إحدى وجهات النظر. أما الرأي الآخر المفسر لمعنى أمازيغ فيقول بأنها تعني صفة من صفاتهم؛ وهي: ((الأحرار النبلاء)). وهذا يقود إلى تصور الاعتقاد الذي اعتمده بوسكي؛ حين قال باحتمال أن تكون كلمة أمازيغ نسبة رفيعة لشخص أو لفئة أرسوقراطية قديمة<sup>1</sup>. وربما تكون هذه الكلمة كما وردت في النصوص اليونانية واللاتينية – السابقة الذكر – بهذا المعنى؛ الذي نعت هذا الشعب به نفسه..

ومن جهة أخرى يستحسن الإشارة إلى المعلومات التي ذكرها الباحث محمد على مادون في كتابه عروبة البربر؛ حيث أورد بعض الدلائل التي تنص على استعمال كلمة (بر) في العهد الجاهلي؛ بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام؛ إذ أتت الكلمة في كثير من المرات بعدة معاني؛ منها: كاسم لشخص يدعى بر، ومرات تأتي بمعنى (ابن). ومما قدمه هذا الباحث بعض النصوص المنحوتة في عينات أثرية؛ مثل: الوثيقة التي أعطاها رقم 4؛ وهي عبارة عن نقش مدون بالأبجدية الصفائية؛ المتفرعة

---

<sup>1</sup> Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 10 - 11.

عن الخط المعروف بالمسند؛ عثر عليه في موقع  
عرعر بشمال الجزيرة العربية؛ جاء فيه ما  
نصه<sup>1</sup>: (2) (ل: سعد بن أسد ذ آل بر)  
ومعناه: دُونَ هذا النقش من أجل سعد بن  
أسد من قبيلة بر. وهذا يدل على تواجد  
قبيلة — في تلك الجهات — كانت تدعى آل  
بر. كما أورد الباحث اسم فخذ من قبيلة  
لخم وهم: بنو بر بن كعب بن غنم بن  
كليب. وفي النقش المسجل تحت رقم: (1206)  
ضمن مدونة النقوش العربية القديمة للباحث  
نفسه؛ الذي عثر عليه بمنطقة الصفا؛ جنوب  
سورية؛ جاء فيه اسم قبيلة أخرى تدعى:  
الحج بن بر. كما أورد الباحث — أيضا —  
عينات أخرى تفيد وقوعها بمعنى (ابن) وهذا  
يرجح الرأي الذي قصده؛ وهو احتمال أن  
تكون كلمة بربر هي: (بر — بر) أي: (بر —  
ابن). أنظر ما جاء في كتاب عروبة البربر؛  
هذا الكتاب القيم الذي نشرته المنظمة العربية  
للتربية والثقافة والعلوم.

والآن ما هي حقيقة هذا المجتمع الأمازيغي؛  
الذي تسبب في هذا الجدل الزمن..؟ فالتأمل في

---

<sup>1</sup> عروبة البربر، ص ص: 18 — 19.

المصادر التاريخية التي تهتم بالمغرب الإسلامي؛ سيندهش — لا محالة — عندما يلاحظ ظاهرة؛ قد تكون فريدة من نوعها بين الشعوب؛ تلك الظاهرة هي سعي شعب — بمختلف قبائله — إلى إثبات انتمائه، وأنتسابه إلى شعب آخر؛ قدم إلى بلاده بقوة الاحتلال..! والأمر الذي يزيد المتأمل دهشة..! هو ما عرف عن هذا الشعب من ميل للتمرد، وعدم الخضوع؛ والانقياد للمحتلين.. وكراهيته للغزاة الأجانب، واستنكافه عن الانتماء إليهم.. فما هو السر هنا إذن..؟ فحينما نتتبع حركة الفتح الإسلامي في كامل الديار المفتوحة؛ شرقا، وغربا؛ سيتضح أن شعوبها لم تحاول الانتساب إلى قحطان، أو إلى مضر؛ فما هو السبب يا ترى..؟ قد تكون الإجابة — هنا — كامنة في النزعة، والغريزة الإنسانية التي لا تقبل بغير طبيعتها.. فلا يمكن لها أن تتنصل عن ذاتها.. كيفما تكون تلك الذات.. كما أنها لا تزج بنفسها في محيط غريب عنها؛ إلا في حالات تحالف، وتزاوج؛ على أن لا يتم خلاهما نفي لكيانهما.. وبهذا يمكن تفسير ظاهرة التسابق نحو إثبات الذات؛ التي عرفت بها قبائل المغرب الإسلامي؛ بعد أن مرت الصدمة الأولى؛ التي أحدثتها الفتح المسلح.

وهكذا وقفوا جميعا موقفًا واحدًا — تقريبًا —  
يتفقون فيه على أنهم من أصول عربية، أو  
بالأحرى مشرقية. وهذا الادعاء وافقهم فيه  
الفاتحون أيضًا.. فلم يرفضوه؛ مع أنهم أشد  
الخلق تعصبا لجنسهم. كيف سلّموا بذلك..  
وهم السادة الأقوياء..؟ الذين احتلوا تلك  
البلاد عسكريًا..؟ يبدو أنهم لو لم تكن  
لديهم قناعة بذلك الطرح لما قبلوا به.  
ومع هذا لا بد من التذكير بأن الخلاف  
— في وجهات النظر بينهم — لم ينحصر إلا في  
تحديد مصدر الهجرة لا غير.. هل كانت من  
اليمن أم من الشام..؟ ويبدو أن أسباب هذا  
الخلاف تكمن خلفه التأثيرات المنبعثة عن  
العصية القبلية؛ التي تجلت في قطبيها: اليمني  
والمضري. وقد استطاع ابن حزم تلمسها؛  
حين أشار إلى ما وصفه بـ "تكاذيب أهل  
اليمن". وبهذا يمكن أن يكون للصراع بين  
العصبيتين: المضرية (القيسية)، واليمينية (الكلبية) في  
بلاد المغرب دور رئيسي؛ في انتشار هذه الأخبار  
المتضاربة في قحطانية الأمازيغ، أو قيسيتهم. كما  
أن الصراعات الدامية بين الأمازيغ والعرب؛ في  
بلاد المغرب والأندلس — وهم جميعًا إخوة في  
الدين — دفع بأهل الخير والإصلاح؛ من

الطرفين - بغرض شريف طبعاً - إلى تأكيد  
الأخوة الجنسية، والدينية. وهذا ما حدا بشاعر  
من أهل الأندلس؛ وهو عبدة بن قيس  
العقيلي كي يقول:

أَلَا أَيُّهَا السَّاعِي لِفُرْقَةٍ بَيْنَنَا  
تَوَقَّفْ هَذَاكَ اللَّهُ سُبُلَ الْأَطَايِبِ  
فَأَقْسِمُ أَنَّا وَالْبَرَابِرُ إِخْوَةٌ  
نَمَانَا وَهُمْ جَدُّ كَرِيمِ الْمَنَاصِبِ  
أَبُونَا أَبُوهُمْ قَيْسُ عَيْلَانَ فِي الذَّرَى  
لَهُمْ حُرْمَةٌ تَشْفِي غَلِيلَ الْمُحَارِبِ  
فَنَحْنُ وَهُمْ رُكْنٌ مَنِيعٌ وَإِخْوَةٌ  
عَلَى رَغَمِ أَعْدَاءِ لِيَامِ الْمَنَاقِبِ  
فَإِنَّا لِبَرٍّ مَا بَقِيَ النَّاسُ نَاصِرٌ  
وَبَرٌّ لَنَا رُكْنٌ رَفِيعُ الْمَنَاقِبِ  
نُعِدُّ لِمَنْ عَادَى سَوَاقِ ضُمًّا  
وَبَيْضًا تَقُطُّ الْهَامَ يَوْمَ التَّضَارُبِ  
وَبَرٌّ بَن قَيْسٍ عُصْبَةٌ مُضَرِّيَّةٌ  
وَفِي الْفَرْعِ مِنْ أَحْسَابِهَا وَالذَّوَائِبِ

وَقَيْسُ قَوَامُ الدِّينِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ  
وَحَيْرٌ مَعَدٌّ عِنْدَ حِفْظِ الْمُنَاسِبِ  
وَقَيْسٌ لَهَا الْمَجْدُ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ  
وَقَيْسٌ لَهَا سَيْفٌ حَدِيدٌ الْمَضَارِبِ

ويقول الطرماح بن ساعدة القيسي أيضا:  
يَا آلَ بَرٍّ بَنُ قَيْسٍ مَرْحَبًا بِكُمْ  
قَيْسٌ أَبِي وَأَبُوكُمْ حَيْثُ نَتَسَبُّ  
مَا قُلْتُ إِلَّا الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُهُ  
وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى وَقْتٍ لَهُ سَبَبُ  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا كَذَبْتُكُمْ  
وَالْقَوْلُ أَقْبَحُهُ الْبُهْتَانُ وَالْكَذِبُ  
بَرٌّ بَنُ قَيْسٍ وَعِيْلَانٌ لَهُ شَرَفُ  
عَالٍ إِلَيْهِ انْتَهَى الْإِفْضَالُ وَالْحَسَبُ  
نَفْسِي فِدَاءُ بَنِي بَرٍّ وَإِنْ غَضِبْتَ  
يَوْمًا فِدَامَ لَهَا الْإِرْغَامُ وَالْعَضَبُ

تلك هي وجهة نظر بعض العرب فيما يخص الأمازيغ؛ أولئك العرب الذين يجاهرون بالانتماء الواحد للأصل العربي. والآن فما هي وجهة نظر الطرف الآخر؟ فهذه قصيدة لشاعر أمازيغي؛ وهو يزيد بن خالد الزناقي الأندلسي يمدح فيها قومه:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ أَحْسَابِنَا  
قَيْسُ عِيْلَانَ بَنُو الْعِزِّ الْأَوَّلُ  
وَبَنُو بَرِّ بْنِ قَيْسٍ مَنْ بِهِ  
تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي كُلِّ أَهْلٍ  
نَحْنُ مَا نَحْنُ بَنُو بَرِّ النَّدَى  
عَرَفَ الْمَجْدَ وَفِي الْمَجْدِ دَخَلَ  
إِنْ نُسِبْنَا فَبَنُو بَرِّ النَّدَى  
طَارِدُ الْأُزْمَةِ نَحَارُ الْأَبْلُ  
وَابْتَنَى الْمَجْدَ فَأُورَى زَنْدُهُ  
وَكَفَانَا كُلَّ خَطْبٍ ذِي جَلَلٍ  
إِنَّ قَيْسًا يَعْتَزِي بِرِّ لَهُ  
وَلَبَرٌّ يَعْتَزِي كُلُّ بَطَلٍ  
حَسْبُكَ الْبَرِّ بَرِّ قَوْمِي إِنَّهُمْ  
مَلَكُوا الْأَرْضَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ  
وَبَيِّضٍ تُضْرَبُ الْهَامُ بِهِهَا  
هَامٌ مَنْ كَانَ عَنِ الْحَقِّ نَكَلُ  
أُبْلِغُوا الْبَرِّ بَرِّ عَنِّي مَدْحًا  
حَيْكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْرِ مُتَّحِلٍ

هذه اعتقادات بعض الشعراء من الطرفين:  
العربي والأمازيغي. أما ما تراه القبائل، ويؤمن  
به الملوك والأمراء؛ فقد كاد جلهم يجمعون  
على انتسابهم؛ إما لحمير، وإما لمضر، وإما

للعالمقة، أو لبني كنعان. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((وأما نسبة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب؛ مثل: لواتة؛ يزعمون أنهم من حمير، ومثل هواره؛ يزعمون أنهم من كندة؛ من السكاسك، ومثل زناتة؛ تزعم نسبتهم أنهم من العالمقة؛ فروا أمام بني إسرائيل؛ وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل غمارة أيضا، وزواوة، ومكلاتة؛ يزعم في هؤلاء كلهم نسبتهم أنهم من حمير... والحق الذي شهد به المواطن، والعجمة أنهم بمعزل عن العرب؛ إلا ما تزعمه نسبة العرب؛ في صنهاجة، وكتامة. وعندي أنهم من إخوانهم؛ والله أعلم))<sup>1</sup>.

وهكذا ترى الخلط، والتناقض الذي وقع فيهما ابن خلدون. ففي نص سابق؛ يجزم بأنهم من أبناء كنعان بن حام. بينما يسلم - في قوله هذا - ببعض الاستثناءات المتعلقة بكتامة وصنهاجة؛ مع أنه في مواضع أخرى من كتابه العبر يميل إلى اعتبار زواوة من كتامة؛ بينما يستثنيهم - هنا - من الانتماء العربي؛ معللا ذلك بالمواطن، والعجمة؛ مع أن

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6 ص: 192.



هذا التعليل ينطبق على صنهاجة، وكتامة.  
ومن جهة ثانية أئد رأي ابن حزم؛ حين  
قال: ((ولا كان حمير طريق إلى بلاد البربر؛  
إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن))؛ ولكنه غير  
موقفه هذه المرة؛ مع صنهاجة، وكتامة؛ علما  
بأن هاتين القبيلتين تشكّان كتلة ضخمة بين  
قبائل الأمازيغ؛ ربما قدرت بنصفهم. وعند  
العودة إلى ما قاله عنهم في المجلد السادس من  
كتاب العبر؛ سيظهر مدى تناقضه وتذبذبه..  
والغريب أنه لا يصدق — هذه المرة — ما قاله  
نسابة الأمازيغ؛ بينما يتحيز لأقوال النسابين  
العرب؛ دون أن يقدم مبررا معقولا.. فما هو  
السبب يا ترى..؟ هل هي الثقة المطلقة فيما  
يقوله نسابة وإخباريون مثل: ابن الكلبي، وابن  
إسحاق..؟! ومن علامات تناقض ابن خلدون  
وبلبلته أنه — من جهة — يجزم بانتساب  
(البربر) إلى كنعان بن حام، أو إلى العمالقة؛ ومن  
جهة أخرى يصرح — في موضع آخر —  
بانكاره لهذا الطرح؛ وذلك حسب ما جاء في  
قوله السابق الذكر: ((والبربر معروفون في  
بلادهم وأقاليمهم؛ متحيزون بشعارهم من  
الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام.

فما الذي يوجنا إلى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم)). وعليه فما هو السبب في اضطرابه إذن..؟ قد يكون ذلك بسبب حيرته وعدم قدرته على تكوين فكرة واضحة حول الموضوع؛ نظرا لتشعبه وكثرة الآراء فيه؛ وبالمقابل اصطدم بالفراغ المهول في المادة التاريخية المغربية؛ حيث لم ينجز من قبل ما يمكن أن يستند إليه؛ سوى تلك الفرضيات المتزاحمة، والمتناقضة؛ المقدمة من طرف النسابين والإخباريين الأمازيغ والعرب على السواء..

#### د - حديث الحفريات:

وبعد هذا.. ماذا يمكن أن نقول نحن عن الأصول الأولى للأمازيغ..؟ قبل الإجابة؛ علينا - أولا - التسليم بأن هذه البلاد لم تكن فارغة من الجنس البشري؛ طوال فترة زمنية تمتد إلى عشرات الآلاف من السنين. وحتى ابن خلدون نفسه يعترف بهذا عندما يصرح بأن (البربر) كانوا في ديارهم منذ حقبة زمنية بعيدة.. وهذا القول لا يمنع - طبعاً - من قدوم هجرات عديدة إلى بلاد المغرب من جهات مختلفة.. ولترسيخ الفكرة، والتعمق في عرض المعطيات الداعمة للرأي السابق؛ لا بد من

الحديث عن هذا الموضوع في جانبه العلمي المعزز بالمكتشفات الأثرية. ومن هذا المنطلق نبدأ بالحديث عما تم إنجازه في الحفريات المختلفة.

والجدير بالذكر - هنا - هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه **إنسان الأطلس** ATLANTHROPES ؛ الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها - بهذه الربوع - إلى 400.000 سنة ق.م؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين؛ الذي سموه Sinanthrope؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى Pithecanthrope. وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة؛ التي كان يستعملها هذا المخلوق. وقدّر العلماء الفترة التي عاش خلالها **بالعصر الحجري السفلي** Le Paléolithique inférieur. وتأتي بعد هذا - زمنيا - البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل **أرحود** بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من: الجزائر، وتونس. وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء **بإنسان نياندرتال** Homme de Néanderthal نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق. وقد حدد

العلماء زمن وجوده بفترة تنحصر بين 40.000 و 25.000 سنة ق.م. بمعنى أنه عاش خلال **العصر الحجري الأوسط** Le Paléolithique moyen؛ وقد تردد العلماء في الإقرار بإنسانية هذين المخلوقين؛ نظرا للصفات البهيمية التي يتميزان بها؛ غير أن استعمالهما لبعض الأدوات الحجرية؛ جعل بعضهم يعتقدون أنهما يمكن أن ينسبا للإنسان العاقل.

وما هو مؤكد — حتى الآن — أن البقايا الإنسانية التي لا شك فيها؛ يعود تاريخها إلى **العصر الحجري المتأخر** L'Epipaléolithique؛ المحدد زمنه بفترة تمتد من 12.320 إلى 6.500 ق.م؛ وهذه البقايا الإنسانية تم اكتشاف العينات الأولى منها في **مشقي العربي** بالجزائر. ثم اكتشفت عينات أخرى في منطقة **قفصة بتونس**؛ سمي صاحبها **إنسان ما قبل المتوسطي** Protoméditerranéen؛ وهو يختلف في تقاطيع جمجمته عن إنسان مشقي العربي. ولا يعرف — حتى الآن — كيف ظهر هذا الإنسان في شمال إفريقيا.. وهكذا بقيت التساؤلات حوله قائمة إلى الآن.. هل قدم إلى هذه الديار مهاجرا..؟ أم انحدر عن الإنسان ذي الصفات البهيمية السابق الذكر..؟ فأما الاحتمال الأخير فقد استبعده العلماء؛ نظرا لكونه

يختلف كثيرا عن النياندرتالي. وعليه فقد رجحوا فرضية أن يكون قدم من الشرق؛ عبر الجنوب التونسي. ويبدو أن هذا ممكن - حينها - لأن إمكانية الاتصال متوفرة عبر الجنوب الشرقي؛ حيث تتواجد منطقة التاسيلي في الجنوب الجزائري؛ تلك المنطقة التي كانت تزخر بالحياة، وبالتجمعات البشرية. ومما يعزز هذا الاحتمال؛ هو اتضاح ما للإنسان القفصي من ميل فنية للتعبير عن مشاعره؛ وهذا بالطبع من السمات البارزة في التجمعات الإنسانية بالتاسيلي. بالإضافة إلى ذلك لاحظ المختصون تشابها واضحا بين إنسان مشق العربي، والإنسان المسمى أيبيرو مغربي L'Ibéromaurusien؛ وعليه فقد رجحوا انتمائهما إلى فرع واحد؛ انتقل من شمال إفريقيا إلى أوروبا عبر جبل طارق. وهذه الأصناف وُجِدَ أشباهها في الساحل الشرقي من البحر المتوسط. لذا رجحوا فكرة أن يكون هذا الإنسان قدم مهاجرا من تلك الجهات المشرقية؛ وعليه تكون هجرة هذا الإنسان من الشرق إلى الغرب احتمالا وارداً..

أما العصر الحجري الحديث Le Néolithique؛ الذي حدد بحوالي 4.000 سنة ق.م؛ فقد ظل

سائدا ببلاد المغرب؛ حتى ظهور المراكز التجارية الفينيقية الأولى. وقد اكتشفت بقايا هذا العصر في شمال البلاد وجنوبها؛ حيث تميزت بقايا الإنسان المكتشفة بالجنوب (في الهقار، والتاسيلي) باختلاطها بأصول سودانية<sup>1</sup>. وفي هذا العصر بالذات بدأت الصحراء تكشف عن وجهها الشاحب؛ بعد الجفاف الذي أخذ يحل بالبلاد تدريجيا. وعليه يمكن - في هذه الحال - للهجرات أن تحدث؛ هروبا من الجفاف؛ من الجنوب نحو الشمال، ومن الشرق نحو الغرب؛ سعيًا وراء المناطق الخصبة أين يسهل العثور على الغذاء. أما الافتراض القائل بحدوث هجرات من الشمال إلى الجنوب؛ في تلك الحقبة التاريخية القديمة؛ فقد استبعده العلماء؛ نظرا للظروف الطبيعية القاسية؛ التي كانت تكتنف قارة أوروبا؛ بعصورها الجليدية. وعليه فقد رجحوا حدوث هجرات بشرية من شمال إفريقيا؛ نحو أوروبا بعد نزوح الجليد عنها.

---

<sup>1</sup> للاستزادة بمعلومات أوسع في هذا الموضوع يستحسن الإطلاع على ما جاء في: L'Homme Avant L'Ecriture, sous la direction de André Varagnac. et L'Homme par Gustav Schenk. et Initiation a la Prehistoire de L'ALGERIE. وتاريخ إفريقيا الشمالية. لشارل أندري جوليان.

## هـ - القول الفصل:

والسؤال الذي يبقى يبحث عن جواب مقنع هو: لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب الحاليين..؟ بالطبع فالجواب الشافي لا يمكن انتظاره حالياً؛ لكن من السهل تكوين صورة تتميز بشيء من الوضوح في هذا المجال؛ لو أن الدارسين اختاروا الموضوعية، وابتعدوا عن الأحكام المتأثرة بالأهواء والميول الخاطئة. من هنا لا بد من الاعتراف بوجود سكان قدماء جداً في هذه الديار؛ ولكنهم امتزجوا بأجناس عديدة؛ أتت إلى البلاد في موجات بشرية مختلفة منذ حقبة مغللة في القدم. وبهذا لا يمكن تكذيب - بشكل قطعي - الأقوال التي مفادها أن هجرات بشرية أتت من الشام أو من اليمن؛ لأن الحروب والجفاف والكوارث الطبيعية كانت - عبر الأحقاب التاريخية - أهم العوامل المتسببة في انتقال الموجات البشرية من منطقة إلى أخرى. وهذا ما كان يحدث في المعمورة كلها؛ ولا سيبل إلى نكرانه.. ومع هذا لا يمكن قبول الأساطير كما جاءت؛ دون تمعن فيها أو نقدها. مع أنها وإن لم تكن هي الحقيقة كلها؛ فقد تكون نصفها أو جزءاً منها على الأقل..

لذا؛ فالقول الفصل هو أن سكان البلاد المغربية مشكلين من مزيج بشري؛ تكون — عبر قرون وقرون — من سلالات مختلفة، وأجناس متباينة؛ انتقل أسلافهم إلى هذه الديار ضمن موجات بشرية عديدة، وهجرات إنسانية كثيرة؛ في فترات تاريخية يتعذر حصرها بالكامل. وكثير من الدلائل العلمية تثبت أن سكان هذه البلاد لا يجمعهم جنس واحد. وقد جمع شارل أندريه جوليان الأعمال المخبرية التي قام بها علماء مثل: برتولون Bertholon وشانتر Chantre ولوبلان Leblanc. ثم خلاص إلى القول: ((وهذا البحث في الأصناف الغالبة ما زال في بدايته؛ وسيكون ثمرة المستقبل؛ إذ أن مقارنة هذه الأصناف من حيث الشكل الظاهري هي وحدها التي ستسمح بإقامة تصنيف علمي. وفي الوقت الحاضر يكون من الصلف أن نقوم بعمل آخر غير تضمين النتائج الحاصلة التي تدل على تجزؤ بلاد البربر من حيث أجناسها. إلا أنه — ما إن يتيسر لنا معرفة البربري الذي يمكن تسميته بحق: المغربي — حتى يبدو صنفا اجتماعيا له خصائصه الواضحة. وبقدر حرصنا على طرافة البربري؛



نتمكن من إبراز ضرب من الوحدة لتاريخ  
بلاد البربر)<sup>1</sup>.

ونظرا لكون شبه الجزيرة العربية منطقة  
معروفة بتصدير الجماعات البشرية المهاجرة منذ  
قديم الزمان؛ فمن الجائز — إذن — حدوث  
بعض الهجرات؛ انطلاقا منها نحو مصر أولا،  
ثم ينتقل أصحابها بعد ذلك؛ كمرحلة تالية إلى  
بلاد المغرب؛ التي كانت تعرف — آنئذ —  
باسم لوبيا أو ليبيا La Libye. وكما هو معروف  
لدى المهتمين عما يمكن أن تحدثه الحروب  
من: خلخلة واضطراب يشجعان على النزوح،  
ويتسببان في تشريد الجماعات المهزومة؛ هربا من  
القتل والاضطهاد والعبودية. لذا فاحتمال هروب  
فئات من أنصار جالوت المقتول نحو مصر،  
ثم بلاد المغرب أمر وارد، ولا يستدعي الرفض  
والنكران.. وعليه فلا غرابة من حدوث تلك  
الهجرات؛ وإنما الغرابة تكمن في عرضها بتلك  
الصورة الأسطورية الساذجة؛ المعتمدة من قبل  
الإخباريين؛ الذين حصروا الهجرات في شخص  
واحد، أو بعض الأشخاص المحدودين.. وبذلك  
فلا حرج في الاعتراف باحتمال وجود فئات —

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 70.

بلاد المغرب — تنسب نفسها إلى كنعان أو  
العمالقة أو الأقباط أو حمير أو مضر.. فمزاعمهم  
تستحق التقدير ما لم يثبت عكسها..

وجملة القول؛ ففيما اتضح من معطيات  
تاريخية صحيحة؛ ثبت أن سكان البلاد المغاربية  
الحاليين هم نتاج مزيج بشري تشكل من:  
إنسان مشق العربي، والإنسان القفصي، وعناصر  
سودانية نزحت من الجنوب؛ وكلما مرت  
السنوات ازدادت هذه التركيبة البشرية مزجا  
وتعقيدا؛ بفضل استيعابها واحتوائها لفئات بشرية  
جديدة؛ قدمت مهاجرة من الشرق، والجنوب  
والشمال. ومع مرور الزمن تفاعلت تلك  
الموجات البشرية المهاجرة واندجحت مع غيرها  
من الجماعات المستقرة من قبل، أو الآتية  
بعدها؛ فأضحى جميعهم يمثلون مجتمعا واحدا؛  
انصهر في بوتقة التاريخ الواحدة؛ التي شكلت  
عبقريّة هذا الشعب المتميزة، والمطعمة بالتجارب  
الإنسانية المختلفة. فعرف هذا المجتمع — عندئذ  
— لدى بعضهم باسم البربر، وعند الآخرين  
باسم الأمازيغ. ومن هنا يمكن قبول الأقوال  
التي تنص على مجيء الجماعات العريية،  
واليهودية، والحامية من بلاد العرب.. ولكن لا  
يعني هذا أن جميع من في بلاد المغرب قدموا

ضمن تلك الهجرات.. وهكذا ليس هناك ما يدعو إلى الحرج أو الاستنكار؛ عندما يعتقد بعضهم أنهم ينتسبون إلى قحطان أو كنعان أو غيره.. فكل ذلك محتمل وجائز ما لم يثبت عكسه، أو يظهر ما ينفيه.. وهذه الظاهرة — كما هو معلوم — لا تختص بها بلاد المغرب فحسب؛ بل عرفت بها جل شعوب المعمورة؛ في العالم القديم بقاراته: الآسيوية، والأوروبية، والإفريقية. ومن خلال ما سبق؛ يبدو أن البحث عن حقيقة شعب الأمازيغ لا يكفي القيام بها في بلاد المغرب فحسب؛ بل يستحسن الشروع في أبحاث معمقة في بلاد المشرق؛ كـ: مصر وإثيوبيا واليمن ووسط الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب. فالحقيقة كما يظهر مدفونة في تلك المناطق..

## 2- لغة الأمازيغ وآدابهم:

لا سبيل إلى نكران أنه كانت للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية تيفيناغ، أو تفنغ؛ التي انحدرت عن أبجدية لوبية قديمة؛ وهي ما زالت مستعملة — في هذه الأيام — ضمن الأوساط التارقية؛ وتتميز بكونها لغة صامتة consonnastique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن.. وكانت هذه الكتابة (المعروفة بالليبية أو اللوبية) منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم. بل تعتبر من أقدم الكتابات في لغات القارة الإفريقية؛ إلى جانب الكتابة الإثيوبية المعروفة بالمرؤية<sup>1</sup>. كما أنها مصنفة ضمن أقدم لغات العالم. وقد اختلف المختصون في أصولها الأولى: فمن قائل أنها تنتمي إلى العائلة السامية، إلى قائل بانتمائها إلى العائلة اللغوية الحامية؛ بينما اشتط آخرون في حكمهم بكونها يافشية الأصل..

والحقيقة التي أجمع عليها الثقا والمحققون هي أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيرا

<sup>1</sup> عروبة البربر، الوثيقة رقم: 42، ص: 28. ثم ص ص: 158 — 160.

كبيراً..(هذا - بالطبع - إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسر: سامية وحامية وياثية) وما يعزز هذا الرأي هو قربها الشديد من اللغة المصرية القديمة. كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند؛ بفروعها: الشمودية، والحيانية، والصفائية<sup>1</sup>. وتعتبر الفينيقية أهم اللغات المؤثرة في اللغة الأمازيغية؛ وهذا ما يمكن استشفافه من أبجدية تيفيناغ أو تفنغ؛ فاسمها يدل على هذا.. ويبدو أن هذه الأبجدية كانت تجد عناية من طرف أبنائها، أو من قبل فئة منهم في العهد الفينيقي؛ وهذا ما يفسره وجودها بين قبائل التوارق. ومع هذا لم يتم العثور على مؤلفات كتبت بهذه الأبجدية؛ ما عدى بعض مشاهد القبور.. وفي العهد الفينيقي أضحت كتابة تفنغ تكتب من اليمين إلى الشمال؛ مثلها مثل الخط الفينيقي. ومن جهة أخرى يعتقد بعضهم أن شيئاً من الشبه يجمع بين الأمازيغية (الليبية) وما

---

<sup>1</sup> للمزيد من المعلومات حول تقارب الأبجديتين أرجع إلى كتاب عروبة البربر لمحمد علي مادون؛ فهو يحتوي على مادة غزيرة ومستوفية الشروط؛ يمكنها تعزيز هذا الرأي.

اكتشف من كتابة في جنوب أسبانيا L' Ibérique؛ بالإضافة إلى التشابه بينها وبين خط الاتروسك L'Erusque وخطوط يونانية فرعية أخرى.. وربما حدث هذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة. ولكن الراجح فيما ذكر هو الارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية بالدرجة الأولى، ثم اللغات السامية في درجة ثانية Chamito-Sémitique<sup>2</sup>..

#### أ - البديل الأجنبي:

أما في العهد الروماني؛ فما يهم هو أن بعض الأمازيغ كتبوا مجلدات عديدة؛ مثل: أبوليوس الماضوري (آبولي) Apulée؛ ذلك الأديب والخطيب ابن بلدة (مداوروش)؛ الذي تربع - في وقته - على عرش الآداب والفلسفة؛ وكتب مجموعة من المؤلفات؛ في شتى العلوم، والفنون؛ ولكنها باللغة اللاتينية؛ منها: مجموعة أشعار ضمها كتاب الأزاهير، وقصة الحمار الذهبي التي شاع ذكرها؛ وكان يقول: ((أعترف بأي أوتر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة

---

<sup>2</sup> Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 21 - 22. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 288.

لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة،  
أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء،  
ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات،  
والخطب يشني عليها البلغاء؛ والحوارات  
يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني  
أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية، أم  
باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس  
الأسلوب<sup>1</sup>. ثم يوبا الثاني Juba 2؛ الملك  
الأمازيغي الذي اغترب وذاب في اللاتينية  
والإغريقية؛ فكتب مجموعة من الكتب في ميادين  
كثيرة؛ منها: التاريخ، والجغرافية، واللغوية،  
والطبيعية، والشعر، والفنون كـ: الموسيقى  
والتمثيل، والرسم؛ ولكنها ضاعت بكاملها.  
وربما يكون أحد كتبه المعنون بـ ليبكا Libyca  
Les — في أجزائه الثلاثة — مفيدا في الجوانب التي  
تخص المجتمع الأمازيغي بعاداته، ولغته وتقاليده؛  
ولكنه — مع الأسف — يبقى بين ما فقد  
من مؤلفاته<sup>2</sup>. كما أنه كتب كتابا آخر  
يبحث في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية؛ سماه:  
آرابيكا Les Arabica؛ واعتناؤه ببلاد العرب يبعث

<sup>1</sup> تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 252.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 172 — 173.

على التساؤل.. ثم القديس أوغسطينوس (أوغسطين) Saint Augustin (ابن تاجسته أو سوق أهراس) الذي تجاوز صيته حدود بلاد المغرب؛ بل اعتبر من أبرز فلاسفة عصره.. كتب هو الآخر مؤلفاته باللاتينية؛ ومن كتبه: الاعترافات، ومدينة الله؛ وهو الذي قال: ((إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب؛ لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب؛ بل لغتها أيضا))<sup>3</sup>. هذا وكانت مدن إفريقية ونوميديا الرومانية تزخر نشاطا وحيوية بحلقات التعليم والخطابة والمحاورات؛ كل ذلك باللغة اللاتينية التي كان الأمازيغ الأثرياء يتعلمونها في مدارس الرومان الخاصة. أما سكان الأرياف فقد ظلوا يجهلون تلك اللغة؛ ويتعاملون فيما بينهم باللغة الأمازيغية غير المكتوبة..

وبالإضافة إلى الذين ذكرناهم من علماء الأمازيغ؛ ثمة - أيضا - أدباء ومحامون آخرون؛ كانوا يكتبون ويعبرون باللاتينية كذلك؛ منهم: القانوني الشهير سالفوس جوليانوس Salvius Sulianus؛ والشاعر منيلوس، والخطيب الفيلسوف

---

<sup>3</sup> تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 248.



الرواقي كرنيتوس، والخطيب سبتيموس سواريسوس الذي أصبح حفيده إمبراطورا على روما نفسها، ثم الشاعر والخطيب والمؤرخ فلوروس، ثم فرونتيوس وهو من مدينة سيرتا؛ وكان أستاذا لأبناء الإمبراطور، وخطيبا، ثم أصبح قنصلا<sup>1</sup>. غير أن شارل أندريه جوليان ييدي بملاحظة خاصة إذ يقول: ((إن هذا التكوين تبدو آثاره في المؤلفين الأفارقة: المسيحيين منهم، والمشركون. ففي قرطاج تعلموا كيف يستسيغون الأفلاطونية الحديثة، والتصوف الفلسفي، وتأملات مدرسة الإسكندرية؛ وفيها تحمسوا لسلسطيوس، وفيها كذلك هذبوا ميلهم الطبيعي إلى الخطابة العنيفة اللاذعة المتحدية. إنهم لم يكونوا بارعين في الكتابة بقدر ما كانوا بارعين في الجدل المرتجل. ولقد نشأ عن طبعهم الذي كان يحملهم إلى الاهتمام بمادة فكرية غير متنوعة ضرب طريف من التفكير والتعبير يزخران حيوية<sup>2</sup>). إذن فحتى أندريه جوليان يميل إلى الاعتقاد بأن الأمازيغي يبدع في ميادين الخطابة والارتجال؛

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 250.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 250.

أكثر منه في الأعمال الكتابية.. وما يمكن إضافته - هنا - إنه إذا لم يكن ما قاله جوليان صحيحا؛ فعلى الأقل فهم يتحملون - عبر التاريخ - مسئوليتهم في عدم العناية بلغتهم، والتراخي في العمل على تطوير أبجديتها الخاصة (التيфинаغ). وهكذا يصبح أصحاب هذه اللغة هم الذين تسببوا في ضياعها وتخلفها؛ وليس الدول التي حكمتهم..

#### ب - كتابة سكونية:

هذا عن العهود القديمة جدا؛ أما في العهد الإسلامي فقد كان أكثر وضوحا؛ نظرا لما سمحت به الحفريات الضئيلة؛ التي مكنت من رسم تلك الصورة الباهتة في موضوع اللغة الأمازيغية وأبجديتها قديما، وما قدمته المؤلفات باللغة الأمازيغية. وإذا ما راجع الباحثون - موضوع اللغة المستعملة ضمن الكتل الضخمة من القبائل الأمازيغية؛ ومن خلال ما تقدمه المصادر المتوفرة - يجد أن بعض المختصين قد حصروا اللهجات الأمازيغية الكبرى ضمن مجموعات ثلاث؛ تعتبر بمثابة لهجات أساسية؛ يتفرع عنها عدد كبير من اللهجات المحرفة والمعدلة؛ حسب المناطق الجغرافية.. وهذه

اللهجات الرئيسية هي: اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية<sup>1</sup>. وتنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في المغربين: الأوسط والأدنى؛ (ويشتملان الآن على: الجزائر وتونس وليبيا)؛ كما توجد بشكل أضعف في المغرب الأقصى. أما اللهجات المصمودية فتتمركز تقريبا في المغرب الأقصى؛ وهي التي كان يسميها أبو بكر بن علي الصنهاجي (البليذق) **باللسان الغربي**؛ ربما كان قوله هذا إشارة منه إلى اختلاف هذا اللسان عن لهجته الصنهاجية<sup>2</sup>. أما اللهجات الصنهاجية فهي منتشرة - هنا وهناك - في مناطق محددة من المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية التي تتأخم حدودهما الصحراوية..

وقد اكتفى ابن خلدون بالإشارة في اقتضاب إلى اللهجات الزناتية؛ التي قال أنها تختلف عن بقية اللهجات الأمازيغية. وفي هذا السياق يقول في تمييزه لزناتة: ((وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر))<sup>3</sup>. ثم يدخل في

<sup>1</sup> Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 19- 21.

<sup>2</sup> أخبار المهدي بن تومرت، ص: 112.

<sup>3</sup> العبر، مج: 7، ص: 3.

بعض الجزئيات؛ حين يتطرق لمعنى كلمة زناة؛ فيقول: ((فاعلم أن أصل هذه اللفظة؛ التي هي زناة؛ من صيغة جانا؛ التي هي اسم أبي الجيل كله... وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم بالمفرد تاء؛ فقالوا: جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا لكثرة دورانه على اللسان))<sup>1</sup>.

ومع أن ابن خلدون لم يتطرق إلى موضوع الخط الأمازيغي القديم؛ فإن سلفه الرقيق القيرواني افترض وجوب وجود خط لهذه اللغة؛ وإن كان — في حقيقة الأمر لم يعرف عنه شيئا — ولكنه رأى أنه من غير المعقول ألا تكون لهذه اللغة حروف كانت تكتب بها في

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 13 — 14.

القديم<sup>2</sup>. وقد خصص الحسن الوزان (ليون الأفريقي) في كتابه وصف إفريقيا بعض الفقرات أشار فيها إلى كتابة الأفارقة [أي الأمازيغ] ولغتهم بلهجاتها.

فبخصوص اللغة يقول: ((إن هذه الشعوب الخمسة [قسم الأمازيغ إلى خمسة أقسام] المنقسمة إلى مئات السلالات وآلاف المساكن [الأسر] تستعمل لغة واحدة تطلق عليها اسم ((أوال أمزيغ)) أي الكلام النبل؛ بينما يسميها العرب البربرية. وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات. ولما كانت مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين؛ وهم سكان اليمن كما أسلفنا. ولكن أنصار الرأي المخالف يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقية وفتحوها. وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة بحيث لم تترك أي كتاب يؤيد إحدى النظريتين؛ على أن هناك

---

<sup>2</sup> وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 71.

اختلافا في اللهجات؛ لا في النطق فحسب؛ ولكن أيضا في معنى كثير من الألفاظ))<sup>3</sup>.

وهذا القول يفيد أن المؤرخين — في تلك العصور — لم يطلعوا على الكتابة التي كانت نساء التوارق تكتب بها.. والسر على ما يبدو يكمن هنا؛ إذ كان الرجال التوارق لا يهتمون كثيرا بتعلم خط التيفيناغ؛ بينما اعتنت به المرأة وحافظت عليه ضد الضياع طوال قرون كثيرة.. وما ذكره الحسن الوزان بخصوص الحالة المزرية التي كان عليها الأمازيغ؛ تلك الحالة التي منعتهم من تقديم أدلة مكتوبة عن أصولهم أو أصول لغتهم لا يمكن تعميمه بهذا الشكل؛ لأن الحقيقة التاريخية تنص على وجود عدد من الأمازيغ كانوا — قبل الفتح الإسلامي — في مستوى علمي يؤهلهم لإعطاء رأي مكتوب في ذلك؛ ولكنهم لم يفعلوا..!! أو ربما تكون أعمالهم تعرضت للضياع أو التلف.. وفي العهد الروماني أيضا كان كثير من الأمازيغ مولعين بالتأليف والمحاورات الفكرية؛ وإذا لم يصل إلينا حتى الآن ما يفيد أنهم كتبوا عن أوضاعهم وأوضاع

---

<sup>3</sup> وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 39.

شعبهم فلا يعني ذلك أنهم لم يكتبوا تماماً؛  
خاصة إذا علمنا أن كثيراً من إنتاجهم يكون  
قد ضاع..

ومع هذا فما ذكرناه — من قبل — لا  
يجعل الأمازيغ بكاملهم — كما قال الوزان —  
تغلبت عليهم البداوة، واستحكم فيهم الجهل؛  
فلم يكتبوا كتباً يشرحوا فيها حالهم  
وأصولهم.. فأما تعميم الجهالة عليهم؛ فغير  
صحيح، وأما كتابة الكتب فقد كتبوا عشرات  
المجلدات في العهد الروماني؛ وربما في العهد  
الفينيقي. ولكن ما عثر عليه حتى الآن —  
حقيقة — لا يفي بالحاجة المطلوبة.. كما تميز  
الأمازيغ في العهد الإسلامي بالثراء الفكري،  
وغزارة الإنتاج العلمي المكتوب في ميادين عديدة  
ك: العلوم الدينية، والفلسفة واللغة والآداب،  
والتاريخ والجغرافية، والرياضيات، والفلك؛ وغيره  
من العلوم الدينية والدنيوية. ولم يصلوا — في أي  
عصر كان — إلى ما وصلوا إليه في العصر  
الإسلامي؛ من رقي وسمو في العطاء الأدبي  
والفلسفي والفني، وفي العلوم كافة؛ بحيث ملئوا  
الأندلس بإبداعاتهم، وأضاءوا المشرق بأدبهم،  
وفنونهم، ومبتكراتهم.. وسيأتي الكلام عن هذا  
بالتفصيل لاحقاً..

أما رأي الحسن الوزان بخصوص الأمازيغية المستعملة في كتابة اللغة الأمازيغية؛ فهو يقول أن المؤرخين العرب كانوا يعتقدون بعدم وجود كتابة خاصة بالأمازيغية؛ وهم يرون أنها كانت تكتب بالحروف الفينيقية واللاتينية؛ لأن العرب عندما فتحوا إفريقيا لم يجدوا سوى اللاتينية. ثم يقول: ((هم [أي العرب] يعترفون بأن للأفارقة لغتهم الخاصة؛ ولكنهم يلاحظون أنهم يستعملون عادة في كتابتها الحروف اللاتينية... وفي الوقت الذي كان حكم إفريقيا بيد المبتدعة [يقصد الفاطميين] الفارين من خلفاء بغداد؛ أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة بالتاريخ والعلوم... ويذهب فريق آخر من مؤرخينا إلى أنه كانت للأفارقة لغة مكتوبة خاصة بهم؛ لكنهم افتقدوا هذه الكتابة؛ من جراء احتلال الرومان لبلاد البربر... ذلك أن بلاد البربر كلها؛ سواء منها مدن الساحل أو مدن الداخل - أعني المدن المشيدة قديما - لا تحتوي على أية كتابة في الأضرحة أو في جدران أي بناء إلا وهي بالحروف اللاتينية دون استثناء. ولا أظن أن الأفارقة استعملوا هذه الحروف، واتخذوها



لكتابة لغتهم الخاصة؛ إذ لا شك أن الرومان لما انتزعوا هذه الأماكن من أيدي أعدائهم؛ محوا - حسب عادة المنتصرين - جميع النقوش الحاملة لآثار المغلوبين بخطهم الأصلي قصد إزلالهم؛ وجعلوا عوضها كتابتهم الرومانية<sup>1</sup>.

### ج - التسامح المطلق:

أما موقف الفاتحين العرب فكان متسامحا في هذا الجانب؛ ولم تكن اللغة الأمازيغية في العصور التي سبقت العهد العثماني مضطهدة، أو مكبوحة؛ لأن الحكومات والدول التي تعاقبت في حكم ديار المغرب كلها؛ كانت جميعها أمازيغية الأصل.. فمنذ سقوط الدولة الأغلبية لم تقم في بلاد المغرب سوى دول من قبائل أمازيغية؛ وحتى قبل سقوط الأغلبية؛ فقد كانت في بلاد المغرب دول أمازيغية قائمة مثل: الدولة الرستمية بتيهارة، والدولة المدراية بسجلماسة؛ وحتى الدولتين: الإدريسية بفاس، والفاطمية بإفريقية؛ فقد كانتا - في حقيقتهما - أمازيغية التكوين والمنبت.. وفي هذه الدول كانت الأمازيغية مستعملة في حدود قدراتها

---

<sup>1</sup> وصف إفريقيا، ج: 1، ص ص: 69 — 70.

التعبيرية.. وخلال وجود الدولة الرستمية سجلت بها بعض الكتب الدينية؛ أضيف إلى ذلك ما أنجزه ابن تومرت من رسائل في الدين؛ منها: ((التوحيد)) و ((المرشدة)) و((العقيدة))؛ إذ كان ابن تومرت يعمل على تسهيل وصول توجيهاته الدينية إلى عامة السكان؛ لذا فقد حرص على كتابة بعض كتبه الدينية باللغة الأمازيغية؛ التي كتبت بالحروف العربية. ولكنه تجنب ترجمة أصول الدين الإسلامي إلى الأمازيغية (القرآن والحديث). ولم يحدث - في يوم ما قبل الغزو الفرنسي - أن قمعت الأمازيغية أو حصل اعتراض عليها من طرف أي كان من الناس؛ وإنما كان قصورها، ومحدوديتها التعبيرية هي أساس مشكلتها، والسبب في اجتناب العمل بها في الميادين العلمية والإدارية.. وفي العصر الحديث عرفت اللغة الأمازيغية أيضا اهتماما كبيرا من طرف الدارسين الفرنسيين مثل: رينيه باسيت René Basset وستيفان قزيل Gsell (Steph.) وغوتيه Emile-Félix Gautier وويليم مارسى William Marçais؛ وآخرون.. وكانت دوافعهم في هذه الأبحاث مختلفة: منها ما هو في سبيل العلم والمعرفة، ومنها ما كان لأغراض مشبوهة؛ تخدم

استعمارهم.. ومع هذا فلم تخرج أبحاثهم عن التعرف على هذه اللغة كعينة أنثروبولوجية؛ لذا فقد بقيت اللغة الأمازيغية محصورة ضمن مناطق معينة، ولم تحض بعناية جادة لترقيتها، ولا لتدريسها في المدارس أيام الاحتلال؛ مثلها في ذلك مثل اللغة العربية. ولما استقلت الجزائر أصبح الأمر مختلفا بالنسبة للفرنسيين؛ حيث سارعوا إلى تشجيع بعض الموجات المشبوهة؛ مما سمح لبعض المندسين والمغرضين من انتهاز الفرصة الموازية لهم؛ لكي يملئوا ذلك الميدان المهمل؛ بغرض ضرب استقرار البلاد؛ منطلقين من خلف البحار طبعاً؛ موهمين الناس بأن ثمة مشكلة لغوية بالجزائر.. والغريب أنهم يصرون على معادات اللغة العربية؛ وتحميلها ما لحق باللغة الأمازيغية من تخلف؛ في الوقت الذي تقف فيه العربية في خندق دفاعي واحد مع الأمازيغية ضد هيمنة الفرنسية.. وبالمقابل يمجّد هؤلاء المغرر بهم اللغة الفرنسية؛ ويدافعون عنها دفاعاً مستميتاً؛ يفوق دفاعهم عن الأمازيغية نفسها.. أو حتى دفاع الفرنسيين عن لغتهم.. وعليه يستبعد أن يخدم هذا السلوك مصلحة الجزائر..

### 3- الفن الأمازيغي:

يمكن حصر أقدم النماذج الفنية للإنسان المغربي القديم فيما كان ينجزه من نقوش ورسومات على الصخور، وفي بعض الأدوات الضرورية التي يصنعها ك: الحلي والأواني. وقد يكون ذلك الإنسان ينجز نقوشه ورسوماته بغرض مصلحي؛ وليس لغرض المتعة، أو لدوافع فنية بحتة. كما أن اكتشاف مجموعة من المقابر؛ ذات الشكل الهرمي، والمخروطي يفضي إلى تشكيل تصور متقدم؛ لما وصل إليه ذلك الإنسان القديم من تطور في فن العمران. هذا بالإضافة إلى نشاطات فنية أخرى كالموسيقى والغناء والرقص والتمثيل..

### أ - لغة النقوش والرسوم:

تعتبر النقوش المنحوتة على الصخور في بلاد المغرب بمثابة السجل المفتوح؛ يسمح للمهتمين بقراءة تاريخ هذه البلاد - منذ حقبة زمنية قديمة جدا - لم يكن الإنسان فيها قد توصل إلى اكتشاف الكتابة بعد.. لذا فقد حاول الإنسان المغربي أن يسجل تاريخه ومعتقداته بوسيلة تعبيرية مبتكرة؛ وتتمثل في لغة الخطوط الهندسية، وألوان الطبيعة المحيطة به؛

فتفنن وأبدع أيما إبداع.. وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطويا ومهملا؛ حتى سخر الله له أفواجا من العلماء والباحثين الأوروبيين؛ فنفضوا عنه غبار الزمن المتراكم عبر العصور الطويلة.. إذ انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ بمبادرة من جورج بارتليمي فلامون J. B. Flamand؛ الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة؛ عبر مناطق عديدة من شمال إفريقيا. ويبدو أن إنجازات هذا الجيولوجي العلمية اختلطت بالأعمال العسكرية الاستعمارية؛ إذ شارك في احتلال عين صالح ضمن الحملة الفرنسية عليها سنة 1899م.. وقد صدر كتابه ((الحجارة المكتوبة)) Les pierres écrites؛ بعد عامين من وفاته؛ أي في سنة 1921م؛ ومنذ هذا التاريخ أخذت أعداد الباحثين تتضاعف؛ جريا وراء ما تقوله النقوش، وما تخفيه من أسرار ضمن سطورها وأشكالها.. وقد تضاعفت قائمة الباحثين الأوروبيين في هذا الميدان؛ بحيث لا يتسع المجال لشرح إنجازاتهم كلها. فمن أولئك الباحثين من اعتنى بما في الصحراء، وتخومها الشمالية مثل: إيميل فليكس غوتيه E. F. Gautier،

وهـ. بروي H. Breuil، وم. ريغاس M. Reygasse، وت. مونورد. Th. Monod. ثم الذين ركزوا أعمالهم على ليبيا مثل: ب. قرازيوزي، P. Graziosi، ول. فروبنوس L. Frobenius. ثم من المهتمين بالمناطق المعروفة ببلاد البربر الشرقية وتونس: م. سولينياك M. Soligniac، وآرمبورغ Arambourg، والدكتور غويير Dr. Gobert. أما النواحي الوهرانية، وشمالها وجنوبها ف: ر. فوفري R. Vaufrey، وبالاري<sup>1</sup> Pallary. وأخيرا هنري لوت Henri Lhote في أعماله القيمة بـ: التاسيلي والحقار والجنوب الوهراني<sup>2</sup>.

وقد لوحظ تقارب شديد بين ما عثر عليه في المناطق الصحراوية المختلفة وما تم اكتشافه في المناطق الجنوبية من وهران.. الأمر الذي يدل على سيادة حضارة واحدة في تلك الربوع كلها؛ وأغلب الباحثين يعودون بأقدم النقوش المنحوتة على الصخور - في بلاد المغرب كلها - إلى الحضارة التي ميزت العصر الحجري المتأخر Epipaléolithique، والعصر الحجري الحديث Néolithique. وثمة من صنف وحدد النقوش

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 58. مدنية المغرب العربي في التاريخ، ص ص:

38 — 41.

<sup>2</sup> أنظر كتابيه: A La découverte des fresques du Tassili, et Vers D'Autres Tassilis.

المنتشرة في هضبة التاسيلي — زمينا بشكل نسبي  
— حسب النشاطات المعيشية التي كان يجاها  
أولئك السكان القدماء؛ مثل<sup>1</sup>:

— عصر الصيادين الذي ساد من 5000 ق.م. إلى  
3500 ق.م.

— وعصر الرعاة الذي ساد من 3500 ق.م. إلى  
1000 ق.م.

— وعصر الحصان الذي ساد في الألف الأخيرة  
قبل الميلاد.

— وعصر الجمال الذي ظهرت بوادره خلال  
المائة سنة التي سبقت التاريخ الميلادي؛  
وبالتحديد في سنة 46 ق.م. خلال معركة تابسوس  
(رأس الديماس)؛ التي دارت بين يوليوس (قيصر  
روما) والملك الأمازيغي يوبا الأول؛ الذي تحالف  
مع خصم سيزار اللدود بومبي (بمبايوس). على  
أن باحثين آخرين صنفوا تلك الفترات الزمنية إلى  
أقسام أخرى؛ منها ما وصل إلى خمسة  
أصناف؛ ودلالتهم على ذلك ما كان يغلب  
على الصور والنقوش من حيوانات..

---

<sup>1</sup> الصحراء الكبرى، ص ص: 41 — 65.

## — عصر الصيادين:

يسميه باحثون آخرون: فترة الرؤوس المستديرة؛ لأن صور رؤوس الإنسان فيها تظهر في شكل مستدير. وعصر الصيادين هذا تميزه رسوم ونقوش حيوانات مثل: الفيل، والزرافة، ووحيد القرن، والنعامة، والوعل، وجاموس النهر، والتمساح، والسمك؛ والأروية خاصة. ومما يميز هذه الفترة ويمنحها وضوحاً أكثر؛ أن الحيوانات المذكورة كانت ترسم منفردة؛ وليست في شكل قطعان. كما كانت تلك الحيوانات في الغالب ترسم بحجمها الطبيعي. وأسلوب التصوير يميل إلى الطبيعية. وفي حال النحت تكون الخطوط عميقة وتأخذ الشكل اللاتيني (V)؛ مع ميل إلى الدكنة والقتامة. وقد تخيل بعضهم التقنية التي كان يتبعها ذلك الفنان القديم في إنجاز نقوشه؛ وذلك أنه كان يبدأ برسم الموضوع المراد نقشه؛ أولاً بواسطة مادة تظهر ما يريد رسمه؛ ثم يشرع في حفر نقاط متتالية فوق الخطوط المرسومة؛ بواسطة منقاش من عظام الحيوانات، أو من الصوان المدبب؛ وبعد ذلك يكمل عمله بوصل النقاط، حتى تصبح خطاً متصل؛ ثم يجتهد في صقل تلك الخطوط وتعميقها بأداة حجرية صلبة



وحادة.. ومما يلفت النظر — في هذه الفترة — أن صور الإنسان كانت قليلة جداً؛ وما اكتشف منها حتى الآن تظهر ذلك الإنسان مُلثَّماً بقناع من جلد الحيوانات؛ بينما تكون أسلحتهم عبارة عن هراوات، وعصي معقوفة. كما يبدو الكلب كرفيق دائم لأولئك الصيادين؛ وعليه فقد يكون هو الحيوان الأليف الوحيد الذي تظهره تلك الفترة.

### — عصر الرعاة:

أما عصر الرعاة فيسميه آخرون: فترة الجاموس؛ بسبب انتشار صورها بشكل واسع. وعصر الرعاة هذا تضحى فيه الصور أصغر حجماً؛ وتبرز التزعة الإطلاقية المظهرية. وهنا تغدو الرسوم متضمنة لعينات جماعية أكثر فساحة؛ وبذلك يتضح التطور الذي ساد؛ بتجاوز الصور الفردية. وفي هذه الفترة ظهرت الخطوط في شكل (U) اللاتينية؛ بعمق أقل حدة وأضعف سواداً. ومن الحيوانات المرسومة في هذه الفترة: وحيد القرن، والنعامة، والغنم البري، والغزال، والخنزير البري، والأسد، وحمار الوحش، وبقرة الوحش، والسمك. وهنا بدأت صور جاموس النهر تميل نحو الاختفاء؛ بينما

تصبح صورة الثور هي الصورة السائدة والمنتشرة بين رسوم هذا العصر؛ حيث تظهر في شكل قطعان كاملة؛ وإلى جانبها الأغنام والمعز؛ في رعاية الرعاة وحراسة الكلاب. ورسمت جلود تلك الثيران وحوافرهما وأذناهما بدقة متناهية تبعث على الإعجاب. ومن جهة أخرى تظهر الرسوم تلك الثيران بقرون متنوعة؛ منها: المعقوفة نحو الأمام، أو الأسفل؛ بحيث تشبه أنياب الفيل؛ كما تتميز تلك الثيران بالحنافة؛ الأمر الذي يبعث على الاعتقاد بأنها كانت تستعمل لحمل المتاع والأشخاص؛ لما كان عليه رعاؤها من ميل إلى الرحلة وانتجاع الكأ. وكانت أئداء البقر ممتدة إلى الخلف؛ مما يفيد أنها كانت تحلب من خلفها؛ وليس من الجوانب. أما الرعاة فكانت صورهم تظهرهم عراة؛ وأحياناً يكونون مستورين بمآزر؛ وكانوا يظهرهم في الرسوم منشغلين بحيواناتهم، أو منهمكين في الأعمال البيتية، أو منهمكين في أداء بعض الطقوس أو منشغلين بالاحتفالات، أو بعض الأعمال الزراعية. أما أسلحتهم فقد أصبحت هي السهام والأقواس. كما تظهرهم بعض الرسوم وهم في وضع القتال؛ وقد اكتشف هنري لوت صوراً لبعض المحاربين من النساء؛

كن فيها يظهرن بشدي واحد؛ ولا يعرف إن كان ذلك سببه اختلاط الأمر على الرسام؛ بحيث لم يتمكن من التمييز بين الصورة الجانية والصورة الكاملة؛ أو أنه كان صادقاً في تصويره لنساء تعمدن بتر أحد ثدييهن؛ بهدف إزالة العائق الذي يمنعهن عن استعمال القوس بشكل جيد عند اللزوم. وثمة من يقسم هذا العصر إلى فترة مستقلة تأتي قبل عصر الحصان وتسمى عصر الماعز والغنم؛ لأنهما أحدا يظهران في منتصف هذا عصر الرعاة.

### - عصر الحصان:

أما العصر الذي نسب إلى الحصان؛ فسمي بذلك نتيجة لكثرة صور هذا الحيوان في الرسوم المنحوتة على الصخور في تلك الفترة الزمنية. وسماه بعض الباحثين أيضاً عصر الدبابة (العربة). وبالإضافة إلى الحصان تشتمل رسوم ذلك العصر على صور: الماعز، والغزلان، والنعام، والزرافات، والأسود الصغيرة، والريم؛ على أن صورة الحصان كانت تهيمن على تلك الرسوم. وكان الإنسان يظهر فيها بأسلحة جديدة مثل: الدروع، والرماح. كما

أخذت صور الرجال والحيوانات تبدو في شكل هندسي. وكان الحصان يبرز من خلال العربات التي يجرها. فلتلك العربات عجلتان أو أربع؛ ويجرها جوادان أو أربعة جواد وكانت تظهر باستمرار وهي في حال طراد. وتعلو تلك العربات مظلات تغطي السائق الواقف على منصتها ويده زمام الخيل.

### - عصر الجمل:

أما عصر الجمل - الجمل ذي السنام الواحد طبعاً - فيظهر فيها هذا الحيوان من خلال رسوم أقل جودة وإتقان فني؛ مما عرف في الفترات السابقة كـ: عصر الصيادين، وعصر الرعاة. ويسمى هذا العصر أيضاً بفترة التيفيناغ؛ بسبب وجود هذه الكتابة منقوشة على الصخور؛ إلى جانب الصور المنقوشة والمرسومة. ويبدو أن هذا العصر استمر طويلاً؛ بحيث يمكن دمج الفترة الإسلامية ضمنه؛ لأن بعض النقوش أخذت تظهر الحروف العربية إلى جانب حروف التيفيناغ.

## — متحف الشمس والهواء:

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة تاسيلي كثيرا من العلماء والفنانين؛ واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق؛ أضخم وأعظم متحف في العالم. وهذا ما جعل الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر يقول: ((تذكرت معرض لوت [هنري] في باريس؛ فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني. وقد اكتشف ميدان جديد؛ يدهش عشاق الفن، ويدور برؤوسهم؛ وهو مع ذلك ليس بالميدان الجاهول كلية. ووافقني موسو [رينيه] على رأيي وقال: "طالما أن عشاق الفن هؤلاء لا يهتمون إلا بالشكل واللون. أما الأخصائي فيستثيره هذا الاكتشاف بالطبع؛ ولكنه لا يشعر بالسعادة الفكرية. فهو يواجه عددا من المشاكل الجديدة التي لا يستطيع حلها والأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها. فهو أشبه ما يكون بمحاسب يريد أن يصفى حساباته وأن يستخلص نتائجها؛ ولكنه يواجه كل لحظة بندا جديدا من الحساب؛ لم يكن لاحظته في البداية... فقد أضاف لوت

[هنري] نفسه مادة جديدة؛ عندما قام بأول جرد منظم للصور الصخرية في وادي جرات [جراد] في عام 1959م. وقد نقل فريقه أربعة آلاف صورة من مجموع هذه الصور؛ مستخدمين طريقة جديدة استعملوا فيها المطاط السائل. وكان بين هذه الصور؛ أعظم النقوش التي سبقت التاريخ، والتي عرفت حتى الآن؛ تصور زرافات ارتفاعها أكثر من عشرين قدما، وحيوانات وحيد القرن التي يبلغ طولها 25 قدما، والفيلة التي ترتفع خمسة عشر قدما عن الأرض. ولكن بالإضافة إلى اكتشافات لوت؛ فلا يكاد يمضي شهر واحد على الصحراء؛ منذ أن استيقظت من نومها الطويل؛ إلا وتظهر اكتشافات جديدة يزاح فيها الستار عن صور صخرية جديدة. وقد تم اكتشاف نحو من عشرين ألف صورة في السنوات القليلة على الجدران الصخرية في الصحراء. وأعتقد أن هذا الرقم هو - على كل حال - أقل من الحقيقة"... ويسرد متحف صور الصحراء قصة الحركة، والحضارات المتعاقبة، والأجناس، والشعوب، والقبائل، والعشائر التي أتت معها إلى الصحراء

بفنها؛ أو ورثت عن أسلافها تقاليد فنية كانت قائمة ثم حملت رسالتها. ولكن ماذا تمثل هذه الأساليب الفنية المختلفة؟ وهل يكون كل أسلوب منها تعبيراً عن فنان فرد، أو عن مدرسة، أو عشيرة؟ وهل تطورت هذه الأساليب في وقت متزامن وبصورة مستقلة أو في تسلسل تاريخي؟ وهل في الإمكان تتبع آثار أي نظام متسلسل تاريخياً؛ سواء بصورة نسبية أو مطلقة؟ وأية حضارات أو أجناس أو شعوب أو قبائل أو عشائر لها علاقة بهذه الأساليب؟ وهل كان سكان الصحراء من السود أو السمر أو الحمر أو البيض؟ كانت هذه الأسئلة التي نوجهها إلى بعض البعض. أما القائمة الحقيقية فأطول من هذه بكثير<sup>1</sup>.

## ب - الآثار والحلي:

النموذج الثاني - من الإنجازات الفنية - هي الحلي التي كان يتحلى بها ذلك الإنسان المغربي القديم، ثم المتاع والآثار الذي كان يستعمله في أداء أغراضه الحياتية. والسبب في

---

<sup>1</sup> الصحراء الكبرى، ص ص: 42 - 44.

تصنيف ما ذكر بين النماذج الفنية هو تلك العناية التي كان يخص بها حليه ومتاعه؛ بحيث يتفنن في تصميم أشكالها، ثم يحرص على تزيينها ببعض الزخارف؛ قصد إضفاء شيء من الجمالية عليها. هذا وقد كان ذلك الإنسان المغربي القديم - في الحقيقة - ينظر إلى ما ينجزه من فنون؛ على أنه عمل عادي تقتضيه الحياة؛ وليس ترفيها، ولا متعة تخص نخبة معينة. أما الحلي - فكما هو معروف لدى المختصين - فهي مستمدة من أصول قديمة؛ لها علاقة وطيدة بالسحر.

والأدوات التي يستعملها ذلك الإنسان المغربي في النحت والزخرفة هي: أظافره، أو بعض الآلات الحادة المصنوعة من الصوان، والعظام؛ بالإضافة إلى المغرة التي يلون بها رسوماته، ويضيف عليها - بواسطتها - جمالا ورونقا. أما الإنجازات الفنية فينجزها على: بيض النعام المزخرف، والأقراط، والقلائد، والأساور المعدنية، والخلاخل، والأواني الفخارية، والجلود، بالإضافة إلى بعض المتاع المصنوع من الألواح الخشبية، وبعض التحف والأسلحة المصنوعة بالمعادن الحديدية والنحاسية، والفضية التي أخذ يتفنن فيها في العصور المتأخرة..



وكان المغربي القديم يستمد مواضيعه الفنية من الطبيعة المحيطة به؛ وتغلب على أعماله الأشكال الهندسية؛ تلك الأشكال المميزة للفن الأمازيغي حتى الآن. ويبدو أنه كان يتجنب رسم الخطوط المنحنية بقدر الإمكان؛ وإن اضطر إليها فقد لا يبدع فيها. وقد أظهرت الأبحاث بأن المرأة لها اهتمامات فنية أكثر مما هو عليه الرجل؛ إذ كانت - في معظم الأحيان - هي التي تقوم بزخرفة الأواني الخزفية، وما لديها من متاع كالأفرشة مثلاً. وجملة القول فالفن الأمازيغي حافظت عليه المرأة؛ وظل هذا التقليد قائماً إلى يومنا هذا.. وهو ما تظهره الشواهد بالأوراس، وبلاد القبائل، والحقار، والتاسيلي.. وغيره من المناطق الجزائرية، والمغربية المتعددة..

هذا؛ ولابد - هنا - من الإشارة إلى أن الفن الأمازيغي - بنماذجه كلها - قد تطورت أغراضه، ومواضيعه، وتقنياته؛ عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق؛ إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى؛ جلبها معهم المحتلون لبلاد المغرب؛ من إغريق، وفينيقيين، ورومان، ف عرب، وأسبان، وإفرنج إلخ.. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة

لاختلاط أبنائه بشعوب أخرى كذلك عن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية؛ مثل الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها؛ وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. وهكذا أضحى الفن الأمازيغي مطعما بالتراث الإنساني؛ الذي أبدعته ثقافات متنوعة؛ كانت معروفة منذ حقبة قديمة جدا..

### جـ - الفن المعماري:

ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم؛ هي تلك المصاطب أو القبور الرابضة في بعض المناطق من بلاد المغرب؛ منها - على سبيل المثال - القبور التي عثر عليها في منطقة الهقار؛ وهي التي أدهشت الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر؛ حيث وصفها بقوله<sup>1</sup>: ((وينتشر فوق مناجم البلاتين عدد كبير من القبور الحجرية ذات أشكال غريبة؛ فبعضها لا يرتفع أكثر من شبر فوق سطح الأرض، وبعضها على شكل اسطوانة قطرها ثلاث ياردات، وبعضها على شكل "حز" برتقالة [شقها]، كما أن بعضها

---

<sup>1</sup> الصحراء الكبرى، ص: 189.

على شكل زوج من "البوصلات" لكل منها  
قدمان؛ طول الواحدة منهما عشرون ياردة،  
ويمتد بينهما حجر مسطح على طول ثلاثين  
ياردة من الشمال إلى الجنوب، وفي وسطه  
"نقرة" غير مفتوحة مثل "حرم" الإبرة.  
ويعزو الطوارق هذه القبور وما شابهها من  
القبور المماثلة في الصحراء الوسطى إلى مرده  
[عتاة] أسطوريين؛ يعتقدون أنهم عاشوا في  
الصحراء قبلهم. وعلى الرغم من الحفريات  
التي قام بها غوتيه ومولود؛ إلا أن الخبراء ما  
زالوا حائرين أمام هذه التماثيل؛ فالقبور تمثل  
أضرحة تعود إلى ما قبل الإسلام، وتشير إلى  
نظام متطور في اللحد والدفن. والأكثر من  
هذا أننا لا نعرف شيئاً عن هؤلاء الناس.  
فقد حافظت القبور على سرها)).

وحسبما يظهر فقد طرأ تطور تدريجي  
على تلك القبور البدائية؛ بحيث أضحت تشيد  
في أشكال هندسية ملفتة للنظر. وهذا ما يمكن  
ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي  
تجلى في شكل مخروطي، أو على صورة أهرام  
صغيرة. وقد تطور حجمها، وتصميمها من  
البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر

كليوباترة سيلينه (ومعناها القمر) بولاية تيارازة هو الشكل الأكثر تطوراً بين مجموعة الأهرام المخروطية المنتشرة في بلاد المغرب كلها؛ هذا بالإضافة إلى مدراسن القريب من باتنة، وجدار الرابض غرب تيارت. وثمة من يرى من الباحثين أن أهرامات مصر مستمدة في أصولها من بعض هذه النماذج اللويية..

ولابد هنا من إثبات ما قاله — أيضاً — الباحث السويسري جورج غيرستر عن هياكل أخرى شيدت قديماً في منطقة الهقار؛ حيث قال: ((وتقف ثلاثة أبنية كاكواخ الأسكيمو "أغلو" فوق التل في المنطقة. إنها مبنية من الحجارة المنحوتة، وقد وثقت بعضها بالطين؛ وتشبه إلى حد كبير — عند الفحص — خلايا النحل. وأحد هذه الأبنية خال، أما الآخران فمغلقتان. إنها تبدو كمخازن الذرة؛ التي بنتها — في الظاهر — إحدى القوافل المسافرة من السودان نحو الشمال))<sup>1</sup>.

أما بخصوص الفنيات التي تميزت بها مساكن المغاربة القدماء؛ فيمكن استنتاج ذلك من خلال تتبع التطور الذي عرفته تلك

---

<sup>1</sup> الصحراء الكبرى، ص: 189.

الدور؛ من العصور القديمة إلى العصر الإسلامي. فمن الكهوف والأكواخ (مقاليا) أخذ ذلك الإنسان القديم يتطلع إلى التفنن في مسكنه. غير أن الرحل من أولئك السكان ظلوا متمسكين بمساكنهم المتنقلة؛ إذ كانت سهلة للتفكيك والنقل.. أما الذين اختاروا الاستقرار منهم فقد تفننوا في مساكنهم؛ التي كانت في البداية عبارة عن كهوف زينت ببعض النقوش؛ ثم أضحت أكوخا مبنية بالطين والحجر. وغالبا ما يتم اختيار الأماكن المرتفعة لبناء القلاع والأبراج؛ التي تخصص لحفظ الذخائر ضد السلب والنهب. ومع مرور الوقت أصبحت بيوتهم تظهر في شكل مربع؛ حيث كانت الغرف تشيد على الجوانب الأربعة؛ ويترك وسط الدار معرضا للهواء الطلق. وقد غدت دور الأمازيغ بعد مدة تميل إلى الجمال، وتوفير الراحة لسكانها؛ وذلك نتيجة لاحتكاكهم بعناصر طارئة من حضارات عديدة؛ جاورتهم واختلطت بهم؛ فكان التأثير واضحا جليا؛ وهو ما يمكن تتبعه في هذه الأيام؛ من إنجازات الكيانات، والدول الأمازيغية المختلفة..

وكما استفاد أبناء هذه البلاد من فنون أمم وحضارات عديدة؛ فقد استفادت أمم

أخرى — أيضا — من الفن المغربي؛ منذ حقب ضاربة في أعماق التاريخ. ويعزز هذا الرأي النص الذي ورد في المختصر الكبير لموسوعة لاروس؛ وترجمته هي: ((مهما بلغ نمو الرجل النياندرتالي [الموجود بأوروبا] فهو لم يعد يظهر في آخر الطور المستيري إلا في شكل إنسان متأخر؛ وإن هجوم رجال جدد؛ قادمين من إفريقية؛ عن طريق إيطاليا وأسبانيا؛ هو الذي سيث عقلية مغيرة؛ تبني عليها وتنجر عنها نشأة الفنون))<sup>1</sup>.

#### د — الموسيقى والغناء والتمثيل:

تملكتني حيرة؛ مبعثها ما جاء في كتاب ورقات لحسن حسني عبد الوهاب؛ فيما يتعلق بالفنون الجميلة والموسيقى — على الخصوص — لدى الأمازيغ؛ إذ ينفي هذا الباحث وجود فنون جميلة أو موسيقى لديهم.. وهذا هو قوله بالضبط: ((مهما تتبع الباحث رسوم الحضارة، والمجتمع البربري؛ الذي يقطن شمال إفريقية — من قديم الزمان — فإنه لا يجد للفنون

---

<sup>1</sup> Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159، ومدنية المغرب العربي، ص

الجميلة - ومنها الموسيقى - أدنى أثر يذكر؛  
وغاية ما يقال أن الأهالي الأصليين كانوا  
يتغنون ببعض ألحان ساذجة بسيطة؛ ربما  
قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم من  
ناحية الجنوب - الصحراء الكبرى والسودان -  
فالقبايل المحافظة على بربريتها الأولى مازالت  
تصوت بالحن أقرب ما تكون إلى إيقاع  
السودانيين... ويمكن الاستدلال على بساطة  
الموسيقى - لأي شعب كان - بآلات الطرب  
التي يستعملها لهذا الغرض. فالأمم البربرية  
ليس لها من الأدوات إلا مزمار؛ وهي (الشبابة)  
يتخذ في الغالب من القصب؛ ينفخ فيه، أو  
نوع من الرباب ذي وترين لا غير (القمبري)؛  
وهو عين ما يوجد عند الزنوج البدائيين.  
وهذا من أكبر الشواهد على تأخر التلحين  
عندهم. وكذلك الشأن في الأصوات نفسها،  
التي تتغنى بها القبائل البربرية مثل: جبل  
(زواوة) - كتامة قديما - وبلاد (الريف) وأهل  
جبال المغرب من (السوس) الأدنى والأقصى؛  
فإن الإيقاع فيها بسيط جدا؛ ولا يتجاوز  
بعض مقامات السلم؛ شبيه ما يشاهد عند  
السودانيين. وهذه هي الألحان الساذجة التي

وجدها العرب عند عشائر البربر لما فتحوا  
البلاد عليهم؛ وبقي استعمالها شائعاً بين  
السكان الأصليين إلى أن امتد التعريب في البلاد،  
ورسخ في البلاد اللوبية؛ فتحولت أوضاعهم  
بالتدريج إلى أوضاع عربية؛ وانتشرت على مر  
الزمان من الحواضر العربية أو المتعربة حتى  
بلغت قرارات البربر<sup>1</sup>.

لقد اندهشت — حقاً — من أقوال هذا  
الباحث المعروف بالتدقيق والتحقيق. ومما زاد  
اندهاشي؛ ذلك المزج والخلط بين حقب  
مختلفة؛ فهو يخلط بين فترة ما قبل التاريخ  
وبعده. وكان من الأفضل أن يخصص فقرة  
للحديث عن الموسيقى في ذلك الزمن — إن  
وجدت طبعاً من خلال النقوش المكتشفة —  
ثم ينتقل إلى زمن القرطاجيين، ثم العصر  
الروماني؛ وبعد ذلك يدخل في موضوع الموسيقى  
في العهد العربي الإسلامي. ولكنه أشار بشكل  
خاطف لخلو النقوش من أي إشارة للموسيقى؛  
ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن العهد العربي.  
مع أن العصر الروماني لا يخلو من عينات،

---

<sup>1</sup> ورقات، ق: 2، ص ص: 171 — 172.



ونماذج تؤكد اهتمام فئة من الأمازيغ بالموسيقى؛ في شكلها المتطور..

والجميع يعلم الجهود الجبارة التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون — بشتى أنواعها — في بلاده؛ مثل الموسيقى التي أنشأ — لتدريسها ونشرها — معهدا خاصا بشرشال؛ كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة. أما التمثيل فقد أسس يوبا أيضا معهدا لتدريسه في شرشال كذلك. هذا بالإضافة إلى معهد النحت الذي أسسه في عاصمته شرشال. ولم يكن يوبا هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معيناً بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم فقد يهتم بعضهم.. وهذا ما حدث في شعوب أخرى؛ فليس أفراد تلك الشعوب بكاملهم فنانيين.. وعليه فمجرد وجود تيار فني معين — حتى وإن كان خفيفا — فذلك يعني حصول النشاط وتوفره. ولكي يتسنى دراسة هذا الميدان بشكل معمق ودقيق؛ يستحسن دراسة، وتمحص الفترتين: الفينيقية والرومانية؛ فلعلهما يمنحاننا معلومات أوسع

وأشمل.. وقد مرّ معنا ما قاله المحامي والأديب الفيلسوف الأمازيغي أبوليسوس: ((أعترف بأني أؤثر من بين الآلات شق القصب البسيط أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة))<sup>1</sup>. إذن فالشبابة التي استهان بها حسن حسني عبد الوهاب كانت من الآلات المحببة لذلك الأديب الفيلسوف؛ الذي جال في مصر، وبلاد الإغريق، وبلاد الرومان؛ وسمع ما فيها من آلات متطورة، كما سمع وتعرف على نماذج عديدة من الفنون الموسيقية؛ ولكنه مع ذلك ظل محبا لآلة الشبابة؛ لأنها من تراثه، وقادرة على أداء ما تفيض به نفسه من أغراض..

أما القول بالتأثيرات الزنجية؛ فلا يعني ذلك خلو البلاد من الفنون الموسيقية بالتمام؛ خاصة إذا علمنا أن التأثيرات الزنجية قد تعود بداياتها إلى آلاف السنين.. وهذه التأثيرات هي إحدى سنن الكون؛ فالشعوب كلها تتأثر وتقتبس من غيرها؛ وبذلك تتبادل الإنسانية الخبرات والتجارب، وهكذا تمتزج الثقافات،

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 252.

وتلقح الحضارات بعضها بعضا؛ ومن هنا يأتي التنوع والثراء.. وقد مر أيضا ما جاء في موسوعة لاروس التي تنص على التأثيرات الفنية لبلاد المغرب على أوروبا في الحقب الحجرية: ((وإن هجوم رجال جدد؛ قادمين من إفريقيا؛ عن طريق إيطاليا وأسبانيا؛ هو الذي سيث عقلية مغايرة؛ تبني عليها وتنجر عنها نشأة الفن)). (une invasion d'hommes nouveaux venant d'Afrique, par L'Italie et L'Espagne, répandra une mentalité différente, provoquant la naissance de l'art.)<sup>1</sup>. إذن فالتأثير متبادل، والتأثير قديم — أيضا — قدم الإنسانية نفسها.. فما العيب في ذلك..؟

#### 4- النظام القبلي:

تدرج المجتمع المغربي القديم — منذ عصور قديمة جدا — في تنظيم حياة أبنائه، وتطويرها بالانتقال من شكل الأسرة الأغنية (العائلة)؛ إلى صورة أوسع؛ وذلك عندما تكاثر أفراد النموذج المذكور من الأسرة. وبمرور الزمن أصبحت تلك الأسر تشكل ما صار يعرف الآن بالعشيرة، أو القبيلة.. وكغيرهم من المجتمعات

<sup>1</sup> Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159، ومدنية المغرب العربي، ص

القديمة اضطرتهم الحياة القاسية للانسياق وراء هذا النهج الاجتماعي؛ الذي فرضته الطبيعة والمعروف بالقبليّة أو القبليّة.. فالمشهور عن المجتمع الأمازيغي أنه كان مؤلفاً من قبائل لا تخصّص؛ مقسمة بدورها إلى أجزاء أصغر؛ يمكن أن تكون بمثابة بطون وأفخاذ وعشائر؛ كما كان عليه التقسيم القبلي عند العرب.. وقد تشكلت تلك القبائل من الأسر (العائلات) المتطورة، ومن مجموعات أخرى؛ تكون قد انضمت إليها بواسطة الحلف والجوار. ومن جهة أخرى يمكن أن تكون الحروب قد اضطرتهم إلى التكتل ضمن أحلاف أوسع من مستوى القبيلة؛ فتضحى في شكل جمهرات كبرى؛ ينتج عنها كيانات قد تقوم مقام الدول؛ مثل الأحلاف التي شكلت كيانات في المناطق الشمالية من بلاد المغرب؛ وهي: مورطانيا، ومازيسولة، وماسولة.. وللاستدلال على هذا - من خلال النصوص القديمة التي وردت عن الإغريقين والرومانيين - يمكن تلخيص ما تمت معرفته عن القبائل المغربية قديماً بسرد أسماء بعض منها مثل: ماسايسيلي Masaseli، وباينوراي Banivrae، وأوتولولي Autoles، وكاناريي Canarii، والجيتول Gaetulia، والقارمونت

(كارماني) Garamantes، وأيشوبيا Aethiopia،  
وماسيلي Massili، وفزاني Phazonii، وماكاي Macae،  
وناساموني Nasamones، ومارمايادي Marmaridae،  
وماريوتاي Mareotae، ولواته<sup>1</sup> Louatah.

وطبعاً ليست هذه كل ما في ديار المغرب  
من قبائل.. فقد كتب هيرودوتس واصفاً بلاد  
المغرب الجنوبية بقوله: ((فهنالك في الداخل؛  
صحراء ليبيا؛ وعلى أرض هذه القفار؛ تقوم  
مساحات واسعة من الرمال تمتد من طيبة في  
مصر إلى أعمدة هرقل... ويعيش العمونيون  
على بعد عشرة أيام من طيبة؛ وعلى بعد  
عشرة أيام أخرى منها إلى الغرب؛ تقع  
العقيلة؛ وهي واحة يزرع فيها أهل نسامون  
أشجار النخيل... وعلى بعد عشرة أيام  
أخرى من العقيلة؛ جبل رملي آخر؛ فوقه  
ينبوع وواحة من أشجار النخيل كغيرها من  
الواحات. وفي هذه المنطقة يعيش شعب قوي  
وعظيم يدعى القارمونت. وهذا الشعب يغطي  
الأرض بالملح ثم يزرع القمح..؟؟! وهنا تعيش  
أيضاً الثيران التي ترعى الكلاً وهي تسير إلى  
الوراء للسبب التالي: فقرونها ملوثة إلى الأمام؛

<sup>1</sup> عروبة البربر، ص ص: 178 — 179.

ولذا فهي تضطر إلى المسير إلى الخلف عندما  
ترعى الكلاً... ويطارد هؤلاء القرامونت  
الأحباش — الذين يعيشون في الكهوف —  
بعربات تجرها جياد أربع. ويعتبر هؤلاء  
الأحباش الذين يعيشون في الكهوف أسرع  
الناس عدواً. لكن ساكني الكهوف يأكلون  
الأفاعي والسحالي وغيرها من الحيوانات  
الزاحفة. ولا تشبه اللغة التي يتحدثون بها  
لغة أي شعب آخر؛ فهم يهذرون مثل  
الوطواط<sup>2</sup>.

فإذا ما دقق الباحث فيما ورد ضمن  
المصادر الإغريقية والرومانية سيتضح له أن  
أولئك الأحباش أو الإثيوبيين؛ كما تسميهم تلك  
المصادر (ومعنى الكلمة بالإغريقية: الرجال الذين  
أحرقتهم الشمس)؛ ليسوا من الزوج؛ فهم  
بلون بني؛ وتقاطيع وجوههم تختلف عن  
التقاطيع الزنجية.. وربما كانوا منتشرين في كامل  
الصحراء؛ ومنهم حسبما يبدو الشعوب التي  
عرفت بـ: البافور، والتبيوس<sup>1</sup>. أما شعب  
القرامونت فهو من الجنس الأبيض؛ وقد كان

---

<sup>2</sup> الصحراء الكبرى، ص ص: 49 — 50.

<sup>1</sup> نفسه، ص ص: 52 — 54.

محط اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين؛ بدءاً بهيرودوتس.. غير أن غموضاً كثيفاً بقي يكتنف أصوله؛ إذ لا يعرف المختصون — حتى الآن — من أين أتت الأفواج الأولى منه إلى هذه الديار. وإلى أي جهة نزحوا واختفوا فيما بعد.. وثمة من يرى أن لهم علاقة ما مع الشعوب البحرية القادمة من البحر الأسود؛ بينما يرى آخرون أن لهم علاقة — وإن مازالت غير واضحة المعالم — مع شعب الهكسوس؛ الذي احتل مصر في عام 1700 ق.م.

أما نزوحهم فيرى بعضهم أن الفتح الإسلامي أجبرهم على النزوح جنوباً؛ حيث تركزوا في التاسيلي والحقار؛ وبذلك قد يكون أحفاد القارمونت هم الطوارق. وهذا الرأي ربما حظي بقدر من الصحة<sup>2</sup>. ويبدو أن هذا الشعب انضم إلى صف القرطاجيين في حروبهم ضد روما؛ إذ كانوا ضمن جيش حنبعل في تلك الحروب؛ وقد كانوا معه في حصاره لروما أيضاً. ولما تغلبت روما على قرطاجة؛ بقي القارمونت مصدر إزعاج لها. بمناوشاتهم، وغزواتهم المفاجئة.. وعندما تطاردتهم جيوش

---

<sup>2</sup> الصحراء الكبرى، ص ص: 51 — 55.

روما؛ ينسحبون إلى أعماق الصحراء؛ ويغلقون  
آبار المياه خلفهم. وبمرور الوقت استطاعت  
روما ترويضهم وكسبهم إلى صفها؛ إذ غدوا —  
في القرن الأول الميلادي — ضمن جيشها المسلط  
على الصحراء. والراجح أن النواحي التي  
سيطرت عليها قبائل القارمونت هي مناطق:  
فزان والتاسيلي والحقار. ويقال أن نفوذهم امتد  
غربا حتى شواطئ المحيط الأطلنطي، وجنوبا إلى  
النيجر.

وكما نسبت الفترة الفنية — التي تصنف  
نقوش وصور الصخور — إلى الحصان والعربة؛  
فإنها كانت تسمى أيضا بفترة القارمونت. مع  
أن لا شيء يثبت أنهم هم الذين زخرفوا  
ونقشوا تلك الصخور بصور الجياد وعرباتها؛  
ذلك أنه ثبت أن جماعات أخرى — غير  
القارمونت — كانت تجوب الصحراء المغربية؛  
بواسطة عربات تجرها الخيول. ويحاول الباحث  
جورج غيرستر أن يضع معالم تكشف له  
الطريق الغامض فيقول<sup>1</sup>: ((ولكن الدليل قد  
قام على أن الليبين الذين كانوا دائمي  
الإغارة على حدود مصر الغربية كانوا

---

<sup>1</sup> الصحراء الكبرى، ص ص: 54 — 55.



يستخدمون الخيول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر أسطورة عن دولة الفراعنة الحديثة أن جنود الفرعون وضعوا أيديهم في معركة دارت عام 1229 ق.م. على أربع عشرة عربية فردية العجلات؛ غنموها من زعيم ليبي وأولاده. ويظهر هذا الدليل؛ أن الحصان والعربة قد وصلا إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من مصر لا من وادي النيل؛ بل من الشمال. ففي القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد جاءت موجة من الشعوب التي تسمى بالبحرية مقتحمة حوض البحر الأبيض المتوسط؛ وقادمة من البحر الأسود. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأقوام قد هبطوا في برقة، وكانوا مسئولين عن دفع الليبيين شرقا ضد مصر. ومن المحتمل أن يكون القارمونت قد شكلوا جزءا من هذا الغزو. ويوضح هذا الافتراض الملامح البحر - متوسطة في الصخور الصحراوية القارمونتية كـ : ملابس الرجال والنساء، وأفخاذ سائقي العربات الضيقة وأكتافهم العريضة، وكذلك الجياد وهي في حالة غارة)).

وقبل الانتقال إلى فترة ما بعد الرومان؛  
لابد من الإشارة - ولو بشيء من الإيجاز؛  
بسبب ضحالة المعلومات - إلى بعض القبائل  
التي تردد ذكرها - دون أن تتعمق المصادر في  
الكلام عن أوضاعها الاجتماعية والسياسية -  
منها: قبيلة جدالة، وقبيلة المزالمية. فقبيلة  
جدالة كانت تحتل السهوب الجنوبية لنوميديا؛  
وقد شغلت جيوش الرومان، وأقضت مضاجعهم  
في ديار المغرب زمنا طويلا. أما قبيلة المزالمية  
فكانت تجاور المقاطعة القرطاجية الرومانية؛  
وبالتحديد بمحاذاة ضفاف وادي ملاق؛ وكانت  
قد انتفضت ثائرة ضد الحكم الروماني عدة  
مرات.. هذا بالإضافة إلى عدد من القبائل التي  
كانت محاطة بغموض كثيف؛ وكل ما يعرف  
عنها؛ أنها قامت بثورات ضد الرومان  
والوندال مثل القبائل التي ثارت في جبال  
البابور Bavares؛ بين سكيكدة وقسنطينة، ثم  
التكتل القبلي الذي عرف بالحلف الخماسي Les  
Quinquégentiens؛ وهو عبارة عن خمس قبائل  
تحالفت في المنطقة المحصورة بين دلس وبجاية؛  
بالإضافة إلى قبيلة أخرى بزعامة فاركسن؛  
انضمت إليهم؛ قادمة من مرتفعات بلعباس  
غربا. ثم القبائل الأوراسية التي ثارت في عهد

الوندال بزعامة **يوضاس**؛ الذي تمكن من الاستيلاء على منطقة واسعة غربي الأوراس بمحاذاة سهل الحضنة. هذا إلى جانب الممالك القبلية التي تشكلت في: بلاد النمامشة، والحضنة بإمرة **أرثاياس**، وآلطاوة Altava؛ المعرفة الآن بحجر الروم؛ شرق تلمسان، وصافار جنوب وهران؛ بقيادة **الإغليد مازونة**، ثم المملكة التي نشأت جنوب شرشال بزعامة **ماستيناس**.

هذا ما أمكن ذكره فيما يخص العصور التي سبقت الفتح الإسلامي. أما الفترة الزمنية التي تدخل ضمنها الأحداث التي حصلت بعد الفتوحات الإسلامية؛ فهي أكثر وضوحا من الفترات الماضية؛ لأن المصادر العربية كانت أكثر عناية بالسكان الأصليين، وأوسع حديثا عن القبائل الأمازيغية. وكان الكتاب العرب يعتمدون في أخبارهم على روايات أمازيغية؛ مصدرها النسابة الأمازيغ أنفسهم.

وإذا اعتمدنا على ما ذكره النسابون عن الأمازيغ، وما نقله المؤرخون العرب عنهم؛ نجد أن القبائل الأمازيغية تنتشر عبر بلاد المغرب كلها؛ بما فيها جزر الكناري (الجزر الخالدات)؛ بالإضافة إلى مساحات واسعة من الأجزاء الشمالية لبلاد السودان؛ المعروفة الآن:

بالسينيغال ومالي والنيجر والتشاد؛ ثم الجزء الغربي من الصحراء المصرية. وكانوا مهيكليين ضمن قبائل كثيرة؛ لا يمكن معرفة عددها بالتحديد. غير أن النسابة والمؤرخين حصروها ضمن فئتين عظيمتين. قد تصل في كثافتها، وتشعبها إلى مرتبة شعب، أو جذم؛ حسب البناء القبلي المتبع لدى النسابة العرب. وعند مراجعة ما كتبه ابن خلدون يتضح أنه صنف القبائل الأمازيغية إلى صنفين؛ وجعل كل فئة منهما في مرتبة **جذم**؛ وهما:

— **جذم البتر**؛ نسبة إلى مادغيس الأبتـر.

— **جذم البرانس**؛ نسبة إلى برنس.

وقد اختلف النسابة في أمرهما. فمن قائل: بأنهما ينتميان إلى أب واحد، وقائل بخلاف ذلك. وكل الذي يستحق الذكر — هنا — هو أن علي بن حزم — الذي كان محل تقدير واحترام من طرف ابن خلدون — قد سرد آباء، وأجداد مادغيس الأبتـر؛ وصمت عن ذكر آباء برنس. غير أنه أشار — في موضع آخر — إلى احتمال عودتهما إلى أب واحد؛ هو بر؛ إذ قال: ((فولد بر: مادغس،

وبرنس...))<sup>1</sup>. أما ابن خلدون نفسه فينسبهما جميعاً إلى أب هو مازيغ بن كنعان. وربما تساءل بعضهم؛ ما هو العائق الذي منع المجتمع الأمازيغي من تطوير نظمته الاجتماعية؛ على الرغم من احتكاكه بمجتمعات أخرى متطورة؛ كالفراعنة، والإغريقين، والفينيقيين، والرومانيين؟ ومبعث هذا التساؤل — حسبما يبدو — هو أنه لوحظ على الأمازيغ تمسكهم بالنظم القبلية؛ في الوقت الذي تربض إلى جوارهم الإمبراطورية القرطاجية الكبرى؛ التي كانت تتفاخر بمؤسساتها المدنية، والعسكرية، والعمرانية. وبعد سقوط الإمبراطورية القرطاجية؛ خلفتها إمبراطورية أخرى؛ قامت بزرع مستعمرات رومانية عديدة بين الأمازيغ، وفي عمق مواطنهم؛ تستند إلى نظم مدنية متطورة؛ ولا تعرف القبلية لها طريقاً. ومع هذا بقي الأمازيغ على حالهم؛ الذي يهيمن عليه النظام القبلي المتحجر.

وعلى الرغم من الاجتهادات المحدودة التي قام بها ماسينيوس؛ العاهل الأمازيغي الشهير كتشجيع القبائل على الاستقرار، والعمل بالفلاحة،

---

<sup>1</sup> جمهرة أنساب العرب، ص: 495.

وتشييد دولة بمؤسسات جديدة؛ لا تعمل بمنطق القبليّة؛ فإنّه فشل في تغيير التركيبة الاجتماعية؛ أو حتى بعث حركة قوية تستطيع الاستمرار في النهج الذي شرع فيه<sup>1</sup>. والعلة في ذلك تتمثل — كما يبدو — في عاملين اثنين: أحدهما خارجي، والآخر داخلي. فأما الخارجي فهو الوجود الفينيقي، والروماني؛ ذلك الوجود الأناني، القمعي، المستبد؛ وإن اختلف وجهيهما، وتباينت مواقفهما.

فالوجود الفينيقي بدأ في شكل محطات تجارية شيدت على طول الساحل؛ بدءاً بسنة 1101 ق.م؛ وهي السنة التي تم فيها تأسيس مركز أوتيكة؛ في خليج تونس. ثم تطور — فيما بعد — حتى أضحي كيانا قريباً من الدولة. ثم دولة لها اعتبارها؛ فإمبراطورية عظمى؛ سيطرت على البحر الأبيض المتوسط بكامله. مع العلم أنهم ظلوا يقدمون الضرائب السنوية للأمازيغ أو الليبيين؛ طيلة ثلاثة قرون ونصف. وعندما استفحل أمرهم؛ وجد الأمازيغ

---

<sup>1</sup> ش. جوليان؛ تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 134. والجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام، ج: 1، ص: 62. M. Kaddache, L'Algerie dans L'Antiquite, pp: 68-72. F. Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, p: 132-139.

أنفسهم تحت سلطان من كانوا تحت حمايتهم. ولما كان الفينيقيون في قرطاجة يعيشون في ظل مؤسسات الدولة المنظمة؛ فقد تفوقوا على الأعداد الهائلة من الأمازيغ، واستخدموهم، وسخروهم لمصالحهم، ومصالح دولتهم؛ كمقاتلين؛ وكعمال، وكمستهلكين لبضائعهم. وعلى الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي استوطنوا خلالها بلاد الليبيين؛ فإنهم ظلوا متفوقين على أنفسهم، وحريصين على ضمان عدم اختراق الأمازيغ لمجتمعهم المحصن بالنظم الأرستقراطية المنيعة.

أما الرومان فكانوا ينظرون — منذ مجيئهم — إلى الأمازيغ نظرة متعالية؛ وبالمقابل كانوا يرصدون بلادهم بعيون مشحونة بالأطماع في ثرواتها. وعندما سنحت الفرصة المواتية؛ انقضوا على فريستهم. ولم يشذ سلوك الرومان عما عرف في تاريخ الإنسانية؛ عن سلوكيات الغزاة المحتلين؛ إذ اهتموا بما تدره البلاد عليهم من خيرات؛ دون الالتفات إلى ما ينفع سكانها. ثم انهم توغلوا في عمق البلاد؛ أكثر مما ذهب إليه الفينيقيون. فبينما اكتفى هؤلاء بالشريط الساحلي، وبعض المناطق الداخلية؛ فيما يعرف — الآن — بتونس؛ نرى الرومان قد زرعوا

معسكراتهم في داخل البلاد؛ حتى وصلوا بها إلى  
مشارف الصحراء. وعلى الرغم من تواجدهم  
بين السكان الأصليين للبلاد؛ فإنهم حرصوا  
على عدم الاختلاط بهم، وتجاهلوا مساعدتهم  
على تطوير نظمهم، أو ترقيتهم: **ثقافيا،  
واقتصاديا.** وبذلك حالوا بين السكان، وبين  
ما يمكن أن ينفعهم حضاريا.

هذا عن العامل الخارجي؛ أما العامل  
الداخلي فيتمثل في **علل نفسية، وثقافية؛** عجز  
أبناء هذه البلاد عن التخلص منها أو تهذيبها.  
ويمكن حصر هذه العلل فيما عرف **بالعصية  
القبلية.** ونظرا لضيق المجال هنا؛ أحيل القارئ  
الكريم إلى كتابي الذي سيصدر ضمن هذه  
السلسلة؛ بعنوان: **العصية القبلية ظاهرة  
اجتماعية وتاريخية؛** ففيه ما يفي بالحاجة عن  
نظرية العصية. وما يمكن الإشارة إليه في هذا  
المجال؛ هو ما تمت ملاحظته على المجتمع  
الأمازيغي؛ من عدم اكتراث بما كان يتحرك  
حوله من نظم، ومظاهر حضارية يتميز بها  
المحتلون، أو المجاورون لهم. والأغرب من ذلك  
كله أنهم احتكوا — قبل معرفتهم للفينيقيين،  
والرومان — بحضارة **مصر الفرعونية؛** التي



توصل بعض الأمازيغ (الليبين) إلى التربع على عرشها؛ لفترة معينة من التاريخ<sup>1</sup>. ومع هذا لم يجلبوا معهم إلى بلادهم شيئا هاما من حضارتها، أو نظمها؛ التي تجاوزت مرحلة العصبية القبلية. ما عدا بعض المظاهر الجنائزية، والدينية المحدودة.

ولما قدم العرب — خلال الفتح الإسلامي — إلى هذه الديار؛ وجدوا في المجتمع الأمازيغي تشابها كبيرا بالمجتمع العربي. من ذلك: التقسيمات القبلية، والإفرازات النفسية للعصبية، وأسلوب العيش، وحب الغزو.. وغير ذلك. وبالمقابل لم يجد الأمازيغ لدى العرب — ما يمكن أن يأخذوه منهم — سوى الدين الإسلامي الخفيف؛ لما وجدوا فيه من تعاليم سمحة، وعادلة، وصادقة؛ لذا فقد سارعوا إليه، وعضوا عليه بالنواجذ؛ حتى أضحوا أكثر تمسكا به من بعض العرب الوافدين إلى بلاد المغرب أنفسهم.

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71 — 72. Mhamed Fantar, F. Decret et L'Afrique du Nord, p p: 42- 46

## 5) - الهجرات:

قبل البدء بالحديث عن أنساب القبائل البترية؛ أو البرنسية يستحسن التوقف عند ظاهرة مهمة؛ وهي ظاهرة هجرة بعض الأحياء الأمازيغية، وانتقالها من مكان إلى آخر؛ في داخل بلاد المغرب، أو خارج إطار مواطنهم الأصلية؛ وذلك بانتقالهم إلى الأندلس، أو بلاد المشرق مثلاً. فباستقراء مصادر تاريخية مختلفة يتضح أن الأمازيغ كانوا - منذ فترات تاريخية قديمة - على اتصال مع غيرهم؛ من شعوب البلاد المحيطة بهم؛ في الشرق، والشمال، والجنوب.

### أ - الهجرة من وإلى الشرق:

ففي الجانب الشرقي تبرز مصر؛ التي تكون قد احتكت بالأمازيغ (الليبيين) حوالي 3300 سنة قبل الميلاد؛ حيث عرفوا - آنئذ - باسم **التهينو** Tehenou. فمنذ هذا التاريخ بدأت تتكلم عنهم نقوش الفراعنة، ولوحاتهم الأثرية؛ **كلوحة نارمير، والأنشودتين: الرابعة، والخامسة** للآلهة الفرعونية **نايت** Neit ، والآثار الأخرى التي تشخص المقاتلين الليبيين؛ ممتشقين أسلحتهم. كما استعان **رمسيس الثاني** بمقاتلين

من الأمازيغ؛ في بداية القرن الثالث عشر؛  
لصد هجمات الحثيين. واضطر رمسيس الثالث  
أيضا إلى مهادنتهم حوالي سنة 1189 ق.م؛ حيث  
أسكن ((عشرات الآلاف)) منهم بالدلتا.

وفي هذا الباب يقول شارل أندري  
جوليان: ((واستغل أحد القواد الليبيين المرتزقة  
الفوضى التي تبعت ذلك؛ فبسط نفوذه على  
هرقلية Hierakléopolis في مصر الوسطى. وغزا  
خليفته السابع شيشنق الأول Sheshonq1 الدلتا،  
وقسم الأرض بين الليبيين، وأسس الأسرة  
الثانية والعشرين 950 ق - م. ويصور لنا الفن  
الشعبي لأول مرة؛ مجتمعاً شغوفاً بالمعارك؛  
مخالفاً تمام المخالفة للمجتمع المصري. وخلافاً  
لما اعتقد المؤرخون طويلاً؛ فإن أحفاد رسل  
الإله آمون القدامى ليسوا هم الذين أسسوا  
مملكة نباطة Napata التي اتسعت رقعتها في  
أواخر القرن الثامن من الشلال الأول إلى  
الحبشة. وأثبتت حفريات ريسنار Reisner أن  
الليبيين هم الذين بسطوا نفوذهم على أرض  
الكوش؛ كما فعل لبيو الشمال بالنسبة  
للدلتا. لقد كانوا فرساناً متحمسين لجيادهم؛  
لا سائقي عربات كالفراعنة. ولم يوجد أطوع

لتعاليم آمون، وكهنته من هؤلاء الأجانب  
المستوطنين بمصر. ولا شك أن المدينة المصرية  
أشعت بواسطتهم على الليبيين الغربيين؛ وربما  
بلغت أنوارها المترامية أقصى غرب إفريقيا<sup>1</sup>.

هذا ما سمح به المجال؛ بخصوص هجرة  
بعض الفئات الأمازيغية إلى مصر؛ واستقرارها في  
تلك الديار في العصور الفرعونية. وبالطبع لم  
تكن تلك الهجرة هي الأخيرة؛ بل حدثت  
هجرات أخرى في عصور تلتها؛ منها: انتقال  
القبائل التي كانت تشكل الجيوش الفاطمية إلى  
مصر؛ في مراحل عديدة. ومن بين تلك  
القبائل: كتامة، وصنهاجة، وزواوة. كما انتقلت  
أحياء من قبائل أخرى؛ إلى مصر تلقائياً؛ بحكم  
الجوار طلباً للمنفعة، وتحسين العيش؛ ومن  
بينهم: جماعات من قبيلة لواتة، وجماعات من  
قبيلة هواره<sup>2</sup>. هذا بالإضافة إلى بعض الأفراد  
الذين اختاروا الاستقرار في الديار المصرية؛ في  
فترات متفاوتة؛ بعد أداء فريضة الحج. وتغلب  
على هؤلاء الناس صفة العلم، والمعرفة؛ فهم في  
الغالب علماء. ولم تقتصر إقامتهم في الديار

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 72.

<sup>2</sup> للتوسع أنظر موسى لقبال؛ دور كتامة.

المصرية فحسب؛ بل استقروا - أيضا - في بلاد الشام، وفلسطين.

وكما حصلت هجرات من الغرب إلى الشرق؛ حدثت - أيضا - هجرات أخرى من الشرق إلى الغرب؛ حيث كانت مصر هي المعبّر الرئيسي؛ نحو بلاد الأمازيغ. فوجود جالية من الأمازيغ ببلاد النيل؛ منذ عدة قرون قبل الميلاد؛ يدعم الافتراض القائل بوجود اتصالات بين المصريين القدماء، والأمازيغ. وهذا الاتصال لا بد أن يتأثر، ويؤثر. كما أنه لا يتوقف في حدود معينة. وعليه يمكن أن يمتد التأثير - بواسطة الاتصال بين هذين الشعبين - إلى شعوب أخرى؛ من الجهة الأخرى؛ التي يفترض أنها ليست على اتصال مباشر مع الطرف الأول. وبذلك أصبحت مصر مركز الوسط؛ وبواسطته اتصل الأمازيغ بشعوب أخرى في المشرق. مثل: الكنعانيين، والعبرانيين، والعرب. ومن هنا.. عرفت هذه البلاد هجرات في الاتجاه المعاكس؛ من الشرق إلى الغرب؛ حيث قدم الفينيقيون في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد؛ في وقت كان الفينيقيون متأثرين، ومتصلين بالحضارة المصرية؛ التي كانت تضم بين أحضانها فئات من بلاد الأمازيغ.

وكتجار نشطين؛ لابد للفينيقيين من الاستطلاع؛ بواسطة الاستفسارات الشفهية أولا؛ وهو ما يوفره الأمازيغ المتواجدون معهم في المشرق. وعليه يمكن أن تكون مصر واسطة — بدون قصد — في الهجرة الفينيقية.

أما الهجرات العبرانية، والكنعانية الأخرى؛ التي ربما تكون حدثت؛ انطلاقا من فلسطين، والشام؛ فلم يظهر لها سند تاريخي قوي حتى الآن؛ وإن كانت كتب المؤرخين العرب تتكلم عنها؛ نقلا عن نسبة البربر، أو نسبة العرب؛ ولكن دون تقديم أدلة فاصلة. ومع هذا تواجدت في بلاد المغرب فئات تتحلل الديانة اليهودية؛ ويزعم أعضاؤها بأنهم من العبرانيين. مع أن وجود جماعات متدينة بالديانة اليهودية؛ لا يعني — بالضرورة — وجود جنس من اليهود العبرانيين. فكما دخلت المسيحية إلى هذه البلاد كدين؛ يمكن لليهودية أن تأتي كدين هي الأخرى. خاصة وأن المصادر التاريخية تتحدث عن قبائل من أصل أمازيغي دانت باليهودية؛ وهذا ابن خلدون يقول: ((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية؛ أخذوه عن بني إسرائيل عند

استفحال ملكهم؛ لقرب الشام وسلطانه منهم؛  
كما كان جراوة؛ أهل جبل أوراس؛ قبيلة  
الكاهنة؛ مقتولة العرب لأول الفتح، وكما  
كانت نفوسة؛ من برابر إفريقية، وقندلاوة،  
ومديونة، وبهلولة، وغيثة، وبنو فازان؛ من  
برابرة المغرب الأقصى؛ حتى محّا إدريس  
الأكبر الناجم بالمغرب؛ من بني حسن بن  
الحسن؛ جميع ما كان في نواحيه من بقايا  
الأديان والملل<sup>1</sup>). ولكن هذه الأقوال لا تمنع  
حدوث هجرات — بالفعل — وإن غابت الأدلة  
القاطعة.

والهجرات العربية — بدورها — غزتها  
مجموعة من الأساطير؛ التي شوهت الحقيقة،  
ووضعتها في مسار يسوقنا إلى متاهات؛ لا تخدم  
التاريخ الصحيح لهذه البلاد. فإن كنا نشك  
في صحة كثير مما جاء في المصادر العربية؛ عن  
علاقة الأمازيغ بـ: إفريقش بن صيفي، وتبع،  
ويقشان ابن إبراهيم الخليل، والغساسنة، ولخم،  
وجذام، وحمير بن سبأ، وجالوت، والعماليق،  
وقيس ابن عيلان؛ فليس معنى هذا النفي  
القاطع لوجود آثار ما؛ تتعلق بحجرة بعض

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 214.

الجماعات من الشرق؛ إلى بلاد الأمازيغ، واختلاطهم بسكانها، واندماجهم بهم. فكما هاجر الفينيقيون؛ يمكن لغيرهم أن يهاجروا كذلك. وعليه.. ستبقى هذه النظريات قابلة للنقاش؛ حتى يظهر ما يعزز إحداها، أو ينفيها جميعا. والحقيقة الثابتة - حتى الآن - بخصوص الهجرات العربية؛ هي: هجرة العرب الفاتحين في العهد الإسلامي، وهجرة الجيوش التي بعث بها الأمويون، والعباسيون لإخماد ثورات الأمازيغ المتتالية، وهجرة قبائل هلال وسليم في العهد الفاطمي. وقد استقر كثير من هؤلاء الجند، والمهاجرين في بلاد المغرب، والأندلس. وكما سبق ذكره.. فهذه الهجرات كلها؛ جاءت عن طريق مصر؛ سواء القادمة من جزيرة العرب، أو من الشام، أو من العراق، وفارس.

#### ب - الهجرة من وإلى الجنوب:

هذا ما سمح به المجال بخصوص الهجرات الآتية من الشرق، والذهاب إليه. أما الهجرات الجنوبية؛ فعرفت - هي الأخرى - أخذا، وعطاء؛ من الشمال إلى الجنوب، ثم العكس؛ وإن تم في



الحال الأخيرة بشكل أقل حدة، وأكثر غموضاً. فالزاحفون من الأمازيغ نحو الجنوب؛ ربما وصلوا حتى بلاد السنغال؛ التي يقال أن اسمها اشتق من كلمة صناكة أي (صنهاجة). لأن الاسم المعروف - سابقاً لتلك الديار - هو غانة أو (غانية). ثم إلى الشرق منها صُوصو، ومالي، وكوكو أو (كاغو)، ثم التكرور، وزغاي أو (زغاوة). وتقع هذه البلاد كلها جنوب مَواطن الأمازيغ. وتعرضت لزعهم؛ في فترات متفاوتة من التاريخ. ويبدو أن القبائل الأمازيغية التي نزلت إلى الجنوب هي: صنهاجة، ولطة، ومسوفة، وهوارة. ويقول ابن خلدون: ((ثم إن أهل غانية [غانة] ضعف ملكهم، وتلاشى أمرهم، واستفحل أمر المثلثين؛ المجاورين لهم من جانب الشمال؛ مما يلي البربر كما ذكرناه؛ وعبروا على السودان، واستباحوا حماتهم، وبلادهم؛ واقتصوا منهم الإتاوات، والجزى، وحملوا كثيراً منهم على الإسلام؛ فدانوا به))<sup>1</sup>. وبالمقابل يبدو أنه حدث الشيء نفسه؛ بانتقال فئات من السودان إلى شمال موطنهم. وإخضاعهم للأمازيغ

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 413.

المتواجدين في عمق الصحراء. وهذا ما يشير إليه ابن خلدون؛ حين تكلم عن منسا موسى سلطان مالي: ((لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْسا موسى؛ من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا؛ وقوة سلطانه))<sup>2</sup>. ووجود عناصر سوداء البشرة بمواطن الأمازيغ؛ خير دليل على انتقالهم إلى هذه البلاد؛ منذ حقبة مغلّة في القدم.

### ج - الهجرة من وإلى الشمال:

بقي علينا - الآن - التعرف على الهجرات التي تمت من المناطق الشمالية؛ نحو بلاد الأمازيغ. ويبدو أن كل ما توصل إليه الباحثون - في هذا الباب - هو أن البوادر الأولى لهذا الاتصال؛ ربما كانت بواسطة الإغريقين؛ وإن كان هذا الافتراض يحتاج إلى بحث أوسع؛ لإزالة الغموض الذي خلفته الأساطير اليونانية القديمة. والثابت - حتى الآن - هو تمكن بعض الإغريقين - خلال القرن السابع قبل الميلاد - من إقامة عدد من المستعمرات الساحلية في المنطقة المحصورة بين مصر، وطرابلس؛ تلك

---

<sup>2</sup> العبر، مج: 6، ص: 415.

المنطقة المعروفة في القديم باسم بلاد القريني Cyrénaique. وعن هذا يقول شارل .أ. جوليان: ((ولم يستقر الدوريطانيون على نجد بلاد القريني Cyrénaique إلا حوالي سنة 631 ق.م. وكانت لهم مع الليبيين معارك عنيفة متكررة. ولكنهم اختلطوا بهم اختلاطا وثيقا، وتبنوا تقاليدهم الجنائزية، وعقائدهم، وسعوا إلى التزوج بالجميلات من نسائهم. ولئن هم أسسوا مدينة برقة في أوائل القرن السادس؛ فقد اصطدموا بقرطاج عندما كرروا محاولاتهم (التوسعية))<sup>1</sup>. ونتيجة لأنانية التاجر؛ التي يتميز بها القرطاجيون؛ فإنهم حرصوا على منع الاتصالات المباشرة بين الأمازيغ، والإغريقين. ولم يتم ذلك بوضوح إلا بعد سقوط قرطاجة.

هذا عن اتصالات الأمازيغ بالإغريق. أما احتكاكهم بالرومان؛ الذين قدموا — دون قصد — إلى إفريقية بواسطة القرطاجيين؛ الذين مكنوهم — بعد هزائمهم الحربية أمامهم — من احتلال قرطاجة، والتعرف — عن قرب — على ثروات بلاد الأمازيغ الطبيعية. ومن هنا بدأت

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 73—74.

الفصول الأولى؛ للاحتلال الروماني، ثم الوندالي، ثم البيزنطي؛ ودام هذا من سنة 204 ق.م؛ السنة التي وطئت فيها أقدام القائد الروماني شيبون أرض إفريقية؛ وحتى سنة 429 ميلادية؛ السنة التي نزلت فيها جيوش الوندال أرض الأمازيغ؛ حيث بقوا في هذه الديار حتى سنة 534م؛ سنة زحف البيزنطيين؛ الذين دام حكمهم لبلاد الأمازيغ؛ حتى قدوم الفاتحين العرب؛ بدءا بفتح برقة التي سقطت في أيديهم لأول مرة في سنة 642م. وخلال هذه الفترة الطويلة من الزمن؛ عرفت البلاد — التي أصبحت تسمى فيما بعد المغرب؛ نظرا لموقعها من بلاد العرب — تعرضت لملاحم، وأحداث في منتهى الأهمية؛ قامت القبائل الأمازيغية فيها بالأدوار الرئيسة. ولكن الحديث عنها بإسهاب يخرجنا عن مجال هذه الدراسة؛ لذا نتركها لمن شاء البحث فيها.

أما هجرات الأمازيغ؛ انطلاقا من بلادهم؛ في اتجاه الشمال؛ فيبدو أنهم عرفوا — منذ آلاف السنين؛ قبل الميلاد — شعوبا عديدة؛ تسكن شمال وطنهم. مثل: الإغريق، والرومان، والوندال، والإفرنج، والجرمان، والقوط،

والصقالبة.. وغيرهم. وهذا ما تشير إليه بعض النصوص التاريخية؛ التي تسجل وجود فئات أمازيغية ضمن الجيوش المشكلة من شعوب البحر؛ منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وفي هذا يقول ش. أ. جوليان أنهم كانوا: ((ضمن اتحاد شعوب البحر العظيم. وهو رد فعل ضد التوسع الهندي الأوربي. وقد تحالف اللوبيون أو الليبيين مع قراصنة الشمال الليسيين، وسردان سارده أهل سغلوس Sagalos، وترسين أهل لمنوس، والآخين؛ فكانوا أغلبية الجيش الذي هاجم الدلتا؛ بدون نتيجة 1227. وقد يكون أصل هؤلاء اللوبيين من الأطلس. فقد لوحظ أن أسماء قوادهم تذكر بالضبط أسماء النوميديين الوارد ذكرهم في التاريخ المؤلف A. Moret. ومهما يكن من أمر فهم الذين أطلق اسمهم على ليبيا، ولعبوا في تاريخ مصر فيما بعد دورا رئيسيا؛ متزعمين كتلة غير منسجمة من التهانو Tehenou، والهندو الأوروبين))<sup>1</sup>. من هنا يحق لنا التساؤل: كيف وجدوا ضمن هذا الحلف؛ إن

---

<sup>1</sup> تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71 — 72.

لم تكن لهم اتصالات مسبقة مع أعضاء ذلك الحلف..؟

والهجرات الأمازيغية المنطلقة نحو الشمال؛ والتي ثبتت - حتى الآن - هي الهجرات التي حدثت خلال حروب قرطاجة ضد شعوب أوربا؛ إذ كان الفرسان النوميديون يشكلون جزءا كبيرا من جيشها؛ منهم من كان بقيادة ماسينيسا قبل اعتلائه عرش نوميديا. وقد كان - أيضا - إلى جانب الرومان في تلك الديار الشمالية؛ لما تغلبوا على قرطاجة. أما في العصر الإسلامي؛ فكانت شبه الجزيرة الأيبيرية مسرحا مفتوحا للقبائل الأمازيغية؛ إذ كانوا أول من دخلها في العهد الإسلامي. وتمت هذه الهجرات على مراحل عديدة؛ بدءا بالحملة العسكرية الأولى التي قادها القائد الأمازيغي طارق بن زياد؛ في سنة 92هـ؛ حيث بقي أعضاؤها في تلك الديار المفتوحة. وإذا علمنا أن تلك الحملة؛ كانت تتألف بالكامل - تقريبا - من عناصر أمازيغية؛ سيتضح عندئذ أن أول المقيمين - من المسلمين - في ديار الأندلس؛ كانوا من الأمازيغ. وقد أجمعت المصادر التاريخية على هذا؛ وإن اختلفت في تحديد عددهم بالضبط. ولكن أكثر الأقوال تقدر

عددهم باثني عشر ألفا من الأمازيغ؛ ما عدا بعض الأفراد؛ الذين لا يتجاوز عددهم العشرين. وفي هذا يقول حسين مؤنس: ((إن الجيش الذي أرسله موسى كان بربريا صرفا؛ أو يكاد)). ((ففاض سيل البربر على الأندلس، وأخذوا يستقرون في النواحي المفتوحة)). ((لأن البربر انتشروا، واستقروا من أول الأمر في كل ناحية؛ وكانت غالبية هذه الأفواج الأولى؛ من البربر المهاجرين؛ من زناتة؛ لأن الزناتيين كانوا أول البربر إسلاما، وانضماما للعرب؛ وكان طارق بن زياد منهم)). ((من الواضح أن أعداد من اشترك من البربر في فتح الأندلس، وفي فتوح غالة كانت تزيد عن أعداد العرب أضعافا؛ وأن هذه الأعداد لم تقتصر على من اشترك في الجيوش الغازية؛ إذ أن تيارا من الهجرة البربرية اتصل، واستمر عقب الفتح مباشرة؛ وأن شبه الجزيرة لم يلبث أن امتلأ بهؤلاء المهاجرين))<sup>1</sup>. ولم تتوقف هجرات الأمازيغ عند سنوات الفتح فحسب؛ بل استمر نزوحهم إلى ديار الأندلس حتى سقوطها نهائيا في أيدي النصاري عام 897هـ.

---

<sup>1</sup> فجر الأندلس، ص ص: 68 . 75 . 128 . 378.

بـخلاف العرب؛ الذين توقفت هجراتهم  
الجماعية إلى الأندلس بانتهاء عصر الولاة؛  
وبقيت تجرى بشكل فردي؛ لا غير.  
وقد توفرت فرص عديدة للهجرة  
الأمازيغية؛ ضمن مجموعات كبيرة؛ بفضل زحف  
الجوش الضخمة؛ التي انتقلت إلى تلك البلاد؛  
للجهاد، أو لنجدة بعض الحكام، أو للاستيلاء  
عليها؛ مثل: القبائل الأمازيغية التي استنجد بها  
ابن أبي عامر؛ في أواخر العهد الأموي، وجوش  
المراطين، وجوش الموحيدين؛ التي خضعت بلاد  
الأندلس تحت سلطانهما، وجوش بني مريـن  
التي نهضت مرات عديدة لنجدة الأندلسيين.  
بالإضافة إلى الذين هاجروا هروبا من حكومات  
بلاد المغرب، أو من انتقام شيوخ بعض  
القبائل. والمصادر التاريخية تتكلم عن عدد  
كبير ممن هاجر بسبب ذلك. وقد ذكر ابن  
حزم في جمهرة أنساب العرب<sup>1</sup> بعض الأسر  
الأندلسية؛ التي تنتمي في أصولها إلى قبائل  
أمازيغية عديدة؛ مثل:

---

<sup>1</sup> ص ص: 498 — 502.



— أوربة: ومنها أسرة صبرون؛ التي أسندت إليهم أليشة؛ كصبرون بن شبيب، وابنه وكيل ابن صبرون.

— زناتة: ومنها بنو الخروبي؛ من لقنت؛ وبنو الليث؛ من شنت فبلة؛ كحبي بن محمد ابن... الليث بن شبل. وبنو عزون؛ أمراء شنت بريّة؛ وهم أبناء سعيد؛ ((الذي ينسب إليه فحص سعيد بقرب شوذر)).

— زواوة: منهم بنو مشرف الشقنديون.

— كتامة: منهم بنو مهلب؛ أصحاب قرذيرة، وأشبرغيرة؛ التابعتين لإلييرة؛ ((ومنهم كان محمد بن مهلب؛ كاتب مفرج الوزير)). وبنو قاسم؛ أصحاب البونت.

— صدينّة: منهم بنو عبدوس؛ أمراء سُرّة.

— صنهاجة: منهم بنو الغليظ؛ وإليهم ينتسب الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى. وبنو دراج؛ وهم أهل الشاعر الفحل أبي عمرو أحمد بن محمد بن دراج القسطللي، ومحمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان؛ من بني ذر بن عيسى بن دراج. و يحيى بن ضريس؛ يُلكونة؛ ((الذي صدم ابن حفصون؛ فأبطل يده بالضربة المشهورة؛ فلم يأكل ابن حفصون بيمينه

بعدها، وعاش بعد ذلك نحو ثلاثين سنة)).  
وبنو عبد الوهاب؛ بأشبونة؛ وينتمون إلى ميمون  
ابن جميل؛ ابن أخت طارق بن زياد؛  
((وكانت لهم ثروة، وعدد؛ وكان منهم قواد،  
وكتاب، وفقهاء))؛ بقي ممن يتحلون بالنشاط  
منهم - في وقت ابن حزم - عبد الوهاب  
ابن محمد بن عبد القدوس؛ خطيب جامع  
قرطبة؛ وله كتاب سجل فيه رحلته إلى  
الحجاز. وبنو طاهر بن مناع؛ من أشونة.

- مديونة: قبل التطرق للأسر المديونية - هنا  
- يستحسن الإشارة إلى أن ابن حزم قد أدرج  
ضمنهم بعض الأسر التي يرى آخرون بأنهم  
من نفزة. منهم بنو الزجالي؛ الوزراء. ومنذر  
ابن سعيد السوماتي؛ القاضي. وبنو طرينة بن  
غزلون؛ أمراء تيروال؛ وهم من أهاصة بن  
يطوفت بن نفزاو. أما البقية فالراجح أنهم  
من مديونة حقا؛ وهم: خال بني ذي النون؛  
ثابت بن عامر المديوني. وبنو هذيل؛ أمراء  
شنت بريّة. وبنو الخليع؛ بتاكرنا. وزغل بن  
يعيش بن فرانك؛ صاحب أم جعفر بالجوف؛  
وهو ((الذي ينسب إليه مسجد فرانك  
بقرطبة)). وبنو عميرة؛ بشاطبة. وبنو نعمان؛

بشنت بريّة؛ وهم ((رهط عامر بن فرج بن نعمان)).

— مضمودة: منهم بنو سفيان بن عبد ربه؛ الحاحب. وبنو يحيى ابن كثير؛ ((صاحب مالك؛ وكانت لهم ثروة، وعدد)). وبنو طريف؛ من أشونة؛ ((ومنهم الذي تنبأ ببرغواطة؛ فاتبعوه على دينه)). ((ومحمود، وجميلة أخته؛ التي ذاع صيتها، واشتهرت بالشجاعة، والفروسيّة؛ وهما ابنا عبد الجبار بن زاقلة؛ القائم بماردة)). وبنو دانس بن عوسجة؛ أصحاب قلنبيرة؛ وقصر دانس بالجوف؛ ينسب إلى جدهم. ونضيف إلى هذا ما جاء في كتاب فتح الأندلس؛ حيث ذكر أنه كان بتاكرنا (في جبال رندة) أمير بربري يدعى عبد الرحمن بن عوسجة؛ وهو جد بني دانس، وبني عوسجة المذكورين؛ وقد تكاثرت أعدادهم — بعد ذلك — في الجنوب من شنت بريّة الغربيّة؛ حتى أصبحت تسمى بلاد عوسجة. وبنو تاجيت؛ أصحاب ماردة؛ ومنهم مسعود بن تاجيت بن محمد بن تاجيت؛ ((هو وأبوه وجده؛ كانوا أصحاب قورية، ولجّدانية؛ ففروا؛ إذ غلب النصارى

على تلك الجهة)). وبنو مَضَى بن تِهَلْت؛  
أمراء قصر مَضَى. وبنو رسين؛ من قصر  
مَضَى أيضا. وبنو سالم؛ وتنسب إليهم مدينة  
سالم؛ وبنو الفرَج؛ بوادي الحجارة؛ وتنسب  
إليهم مدينة الفرَج؛ نسبة إلى فرج بن سالم.  
وبنو أَران. وقال ابن القوطية أن زعيم الأمازيغ  
بجهات مرور — لدى قدوم عبد الرحمن  
الداخل إلى الأندلس — كان يسمى إبراهيم بن  
شجرة؛ وهو من مَصمودة.

— مغيلة: منهم بنو إلياس؛ أمراء شوذنة؛  
وهم أهل أحمد بن إلياس. وبنو زروال؛ أمراء  
الْمُتَانِيَة.

— مَكْناسَة: منهم بنو وانسوس؛ أهل الوزير  
سليمان بن وانسوس.

— ملزوزة: منهم عوسجة؛ وإليه ينسب بلاط  
عوسجة بشت برية ((ومنها كان إبراهيم بن  
براح؛ قاتل أزهر ابن مهلب المولد؛ الفارس  
المشهور الذكر؛ من أهل والبة؛ من عمل  
شت برية)). وبنو تيه أو (نيه)؛ أمراء شنت  
برية. وبنو أبي الأخطل؛ أمراء شنت برية  
أيضا. وآل عامر بن وهب؛ صاحب وبْذَة،  
وما يتبعها.

— نفزة: منهم بنو عميرة؛ أمراء شاطبة، وبلال؛ أمراء هوتوتة؛ وينتسبون جميعاً إلى بطن أهاصة أو (ولهاصة).

— هواره: ومنهم بنو القمَراتي؛ وهم رهط أبي معدن طالوت بن بسطام بن العاصي. وبنو ذي النون؛ أمراء أقليش، ووبّذة. وبنو رزين؛ أمراء السّهلة. وبنو فرّفين؛ ولاة مدّلين، وماردة؛ ((وكان لهم ثروة، وعدد. منهم: خطار بن سعيد بن فرّفين، وأبو عمرو بن هاشم بن فرّفين؛ كلهم ولي مدّلين)). وبنو جهّور المرشانيون؛ ((وهم من ولد أبي موسى عبد الرحمن بن موسى الفقيه؛ المشبه بالشعبي في زمانه؛ وكان لهم عدد، وثروة؛ وبقيت منهم الآن بقية صالحة)). كما نزلت بعض الجماعات من هواره؛ في عصر الولاة — حسب ابن القوطية — بالقرب من جيان.

— وُزْداجة: ومنهم بنو دُليم؛ الفقهاء.

وأورد حسين مؤنس — نقلاً عن كتاب منازل البربر في الأندلس — لسيزار دوبلر César E. Dubler بعض الأماكن؛ التي سميت بأسماء للقبائل

الأمازيغية؛ مما يوحي بأنهما كانت منازل قديمة  
لتلك القبائل. من هذه المنازل<sup>1</sup>:

— Villa Nova de Ourení مكان موجود الآن في  
البرتغال؛ نسبة إلى أمازيغ وهران.

— Tunis مكان يوجد حالياً؛ في البرتغال؛ نسبة إلى  
الأمازيغ من تونس.

— Alquerubim يوجد الآن في البرتغال؛ نسبة إلى  
أمازيغ القيروان.

— Arzila يوجد في البرتغال؛ نسبة إلى أمازيغ  
أصيلا.

— Adzenata يوجد في الشرق بالقرب من  
قسطليون Castellon  
نسبة إلى زناتة.

— Sanet أو Senet بالقرب من لاردة؛ نسبة إلى  
زناتة.

— Benisanet بالقرب من طركونة؛ نسبة إلى  
زناتة.

— Butsenit بالقرب من لاردة؛ نسبة إلى زناتة.

---

<sup>1</sup> فجر الأندلس، ص ص: 381 — 382.

- Barasal بالقرب من جواردا في البرتغال؛ نسبة إلى بني برزال من زناتة.
- Mequinenza في الثغر الأعلى؛ عند الابرة؛ نسبة إلى مكناسة.
- Ceneja قرب قسطليون؛ نسبة إلى صنهاجة.
- Cenija إحدى ضواحي سرقسطة؛ نسبة إلى صنهاجة.
- Azinhaga في البرتغال؛ نسبة إلى صنهاجة.
- Cotanes بالقرب من بلد الوليد؛ نسبة إلى كتامة.
- Cotanillos أحد أحياء شقوبية؛ نسبة إلى كتامة.
- Cotimos و Alcoutim في البرتغال؛ نسبة إلى كتامة.
- Benigomar بناحية أنكا؛ نسبة إلى غمارة.
- Gomara بناحية صورية Soria؛ نسبة إلى غمارة.
- Gomeriz و Gomeris في جليقية؛ نسبة إلى غمارة.
- Albornos بناحية أبله؛ نسبة إلى البرانس.

وقد اشتملت هذه الدراسة القيمة على كثير من العينات الأخرى؛ التي تثبت الحجم الكبير الذي وصلت إليه هجرات الأمازيغ إلى بلاد الأندلس؛ واستقرارهم بها. وثمة مواضع كثيرة في بلاد الأندلس بقيت تحمل أسماء قبائل أمازيغية؛ من ذلك مثلاً: **لماية** التي سمي باسمها **إقليم لماية**؛ التابع لكورة ريه. ويوجد في ذلك الإقليم وادي؛ يسمى — أيضاً — **بوادي لماية**. ثم **صدينة** التي سميت بها المدينة المتواجدة في كور **شدونة**. ثم **مدينة أوربة** التابعة إلى **دانية**. ثم **لواتة** التابعة لأعمال **فريش**. ثم **ناحية جراوة** وهي من أعمال **فحص البلوط**. ثم **تاكرنا** التي كان يسمى بها **إقليم رنده**. ثم **أندارة** في شرق الأندلس؛ قبل أن تخرب أثناء الفتنة. وثمة أماكن بأسماء قبائل أمازيغية كثيرة في الأندلس — يضيق هذا المجال عن تعدادها — وبالطبع.. سميت هذه الأماكن بهذه الأسماء؛ نسبة إلى القبائل الأمازيغية التي تغلبت عليها، واستوطنتها.

ويبدو أن جل المناطق الشمالية التي تسمى بالثغر؛ كانت منازل للأمازيغ؛ نظراً لكون معظم أمراء تلك النواحي كانوا منهم؛ بل



تحدثنا المصادر التاريخية؛ أن المدعو مانوسة البربري كان يتولى إمارة الثغر الشمالي الغربي بكامله؛ ((من حدود البرت إلى المحيط))<sup>1</sup>. وعن منازل الأمازيغ في الأندلس يضيف حسين مؤنس: ((وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لنستنتج أن البربر انتشروا - منذ العصر الأول - في نواحي شبه الجزيرة كلها. وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة؛ في أقصى الشمال الشرقي، والشمال الغربي؛ وتركنا غير ذلك؛ من مواضع الوسط، والجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي؛ إذ لا تكاد تخلو ناحية من هذه النواحي، أو مدينة من مدنها من منازل بربرية... بيد أننا نستطيع القول: بأن المواضع التي قامت فيها إمارات بربرية فيما بعد؛ أو التي ولي عليها أمراء بني أمية، وخلفاؤهم ولاية من البربر؛ كانت منازل بربرية من قديم الزمان؛ لأن الأمراء لا يولون أميرا بربريا على ناحية معظم سكانها عرب، أو من أهل البلاد. ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر

---

<sup>1</sup> فجر الأندلس، ص: 384.

البربري؛ لأن حكم هذه النواحي كان لا يقوم إلا على عزوة، وعصب متأصلين<sup>1</sup>.

ثم يكمل حسين مؤنس قوله؛ معلقا على ما كتبه ابن حزم عن أمراء الثغر من الأمازيغ: ((أضف إلى ذلك؛ أن مجموعة منازل البربر التي ذكرها ابن حزم تكون خطأ واحدا؛ يبدأ من نواحي جبال ألبرت؛ عند لاردة، ووشقة؛ ثم ينحدر إلى ناحية مدينة سالم (قاعدة الثغر الأوسط فيما بعد)؛ فقد نزلها بنو سالم من البرانس، وأعطوها اسمهم؛ وسكن إلى جوارهم بنو الفرّج، وبنو عوسجة. وفي الدائرة الواسعة التي تحيط بمدينة سالم؛ والتي تضم شنتبرية، والسهلة، ووادي الحجارّة؛ نجد كتلة بربرية ضخمة تعمر هذه النواحي كلها إلى أحواز طليطلة؛ وهذه الكتلة تتكون من بني الفرّج، وبني سالم، وبني عوسجة، وبني صبرون بن شبيب، وآل وهب بن عامر الهواريين؛ وكل هؤلاء من البرانس؛ ثم بني عزون، وبني بلال، وبني نعمان؛ وكلهم من البتر. وتمتد هذه الكتلة البربرية شرقا؛ فتشمل تيروان؛ حيث نزل بنو غزلون،

<sup>1</sup> فجر الأندلس، ص ص: 382 — 383.

وناحية البونت؛ حيث نزل بنو قاسم؛ ثم  
تصل هذه السلسلة البربرية - بناء على  
البيانات التي يقدمها صاحب الأخبار المجموعة  
- فتشمل مناطق طلييرة (جنوب طليطلة)،  
وماردة، وقورية؛ بين التاجه، والدويرة؛ ثم  
تصل إلى ساحل المحيط؛ عند قلنيرة؛ حيث  
نجد فرعاً من بني عوسجة، وبني دانس؛  
عند قصر أبي دانس. ويذكر ابن حزم فرعاً  
من بني الفرّج استقروا في طرسونة؛ أي فيما  
يلي جبال ألبرت؛ من نواحي غالة؛ وهذه  
الجماعة إن هي إلا بقية من البربر الذين كانوا  
يعمرون النواحي القصية من الأندلس؛ والذين  
كانوا يمتدون بحذاء خليج بسكاية؛ ويعمرون  
حوض نهر المنيو، ويتوغلون في جليقية<sup>1</sup>.

ومع مرور الزمن اندمج أمازيغ الأندلس  
بأهل تلك الديار؛ واختلطوا بهم، وبالعرب  
المقيمين هناك؛ وتزاوجوا فيما بينهم، وارتبوا  
جميعهم بثقافة واحدة؛ تعذر بعدها الفرز بين  
من هو مولد من الأندلسيين، ومن هو عربي  
من الفاتحين، أو هو من الأمازيغ المهاجرين؛  
فأضحوا يطلقون على أنفسهم اسم البلديين؛

---

<sup>1</sup> فجر الأندلس، ص ص: 384 — 385.

تفريقا بينهم وبين المهاجرين الجدد. وكان الأمازيغ أسرع للاندماج مع أهل البلاد الأصليين من العرب. ويعود السبب في ذلك - كما يقول حسين مؤنس - إلى **العصبة** المهيمنة على سلوك العرب.

هذا ما سمح به المجال في هذا الباب. وبقي علينا الانتقال إلى الحديث عن القبائل الأمازيغية؛ بتقسيماتها، وأنسابها، ومواطنها، وأعيانها، والأدوار الهامة التي قامت بها؛ عبر التاريخ. ونظرا لما سبق ذكره عن سلسلة نسب مادغيس الأبتير، وبرنس؛ وما توصلنا إليه من عدم ثبوت سلسلة الآباء؛ لما بعد مادغيس الأبتير، وبرنس؛ وتضارب الأقوال في هذا الأمر؛ فإنني سأكتفي بذكر أهم القبائل التي تفرعت عن هذين الجذمين: **البتير، والبرانس**. علما بأن التقسيمات الاصطناعية، والمراتب المتداولة بين النسابين العرب؛ لا يمكن إتباعها بدقة؛ في هذا المجال؛ بسبب عدم وضوحها في المجتمع القبلي الأمازيغي. وكل ما يمكن تقريره هنا.. هو اعتبار المراتب المتفرعة عن البتير، والبرانس بمثابة **أحلاف أو جهرات**؛ تتفرع بدورها إلى قبائل، ثم بطون، وأفخاذ.

وهذه التسميات — بالطبع — مجازية؛ وليست  
اصطلاحات ثابتة. والغرض من استعمالها — هنا  
— هو الرغبة في التوضيح، وتسهيل الفهم.

É É É

## القبائل البترية

فإذا كان النسابة الأمازيغ، والعرب قد أسندوا عبارة أبتـر إلى مادغيس؛ فإن بعض الباحثين المحدثين لا يخفون شكهم في صحة ذلك؛ إذ منهم من يعتقد أن هذه التسمية؛ من مبتكرات العرب؛ الذين أطلقوها على القبائل الأمازيغية التي كانت ترتدي لباسا قصيرا، وأبتـرا. وبذلك أضحت هذه التسمية علما يختصون به. وهذا التفسير — وإن كان منطقيا — فهو يفتقر إلى السند التاريخي. وقال آخرون أن براً أنجب ولدين: علوان، ومادغيس؛ فمات علوان في صغره، وبقي مادغيس فريدا؛ فلقب بالأبتـر؛ أي أصبح مبتورا، ومقطوعا. وهذه الحكاية تدخل في سياق ما أشرنا إليه من أساطير. ومنهم من يصر — أيضا — على اعتبار القبائل البترية قبائل وبرية؛ تجري وراء النجعة. ويعتقد هؤلاء بأن هذه القبائل تشكلت؛ من خلال اتحادات قبلية؛ تعتمد في عيشها على الجمال، والرحلة من مكان إلى آخر؛ بتشجيع، ومباركة الأباطرة الرومان. وعليه تكون القبائل البترية — في نظرهم — هي قبائل

وبرية؛ بينما يضعون القبائل البرنسية في عداد القبائل المدرية؛ التي تركز إلى الاستقرار. ويبدو أن مرجعهم في هذا التعليل يستند إلى الكلمتين اليونانيتين: **Botros بوتروس**؛ التي تعني البدو، والرعاة. ثم **Baranos برانوس** التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار. ومع أن هذا التفسير فيه كثير من الصحة في شكله العام؛ إلا أنه لا ينطبق على القبائل البترية كافة؛ حيث ثبت أن بعض البطون البترية اختارت حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ منها بطون من: نفزاوة، ومطغرة، ولواته، وكومية، ومغلية، ومديونة... الخ. ويبدو أن مبعث هذا الاعتقاد؛ هي النظرة الأولية لتلك القبائل؛ التي تميزت في العصور الأولى بظاهرتي: البداوة، والترحال. غير أن بعض البطون اختارت - فيما بعد - الحياة المستقرة.

ونظرا لغياب الدليل القاطع؛ يستحسن التسليم بالرأي القائل بوجود أب للقبائل البترية؛ يدعى **مادغيس الأبتري**؛ لأن النسابة الأمازيغ أنفسهم أجمعوا على هذا. على أنه يمكن اعتبار كلمة أبتري؛ صفة لأسلوب عيش مادغيس، وأبنائه؛ ذلك الأسلوب الذي يتميز

بالبدواة. والأخذ بهذا الرأي لا يعني التسليم  
بالتعليل اللغوي؛ الذي يفسر الكلمة باللباس  
الأبتر؛ أو أسطورة تلقيب مادغيس بالأبتر؛ بعد  
موت أخيه علوان. كما أميل - أيضا - إلى  
رواية النسايين الأمازيغ؛ التي تفيد بأنه كان  
لمادغيس الأبتر ولد يدعى زحيك أو (زجيك)؛  
وعنه تفرعت قبائل أربع؛ هي من الكبر؛  
والضخامة؛ إلى حد يمكن وضع كل حي منها  
في مرتبة أعلى من مستوى قبيلة. قد يكون في  
مستوى شعب، أو جمهرة. وذلك في حال إتباع  
الترتيب الاصطناعي المعروف لدى النسايين.  
وهكذا.. فالأحياء التي تفرعت عن زحيك  
تتنسب إلى أبنائه الأربعة؛ وهم: أداس، وضرا أو  
(ضري)، ولوا، ونفوس. وهذه الأحياء هي:  
أداسة، وضريسة، ونفوسة، ثم أبناء لوا  
الأكبر (لواتة، ونفزاوة).

É É É



## 1 - أداسة:

وهم أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتري. وقد التحقت قبائل أداسة، وبطونها بأحياء هوار البرنسية؛ لأن أم أداس تزوجت - بعد زحيك - بوالد هوار (أوريغ بن برنس)؛ حسب الرواية المنسوبة إلى نسابة الأمازيغ. وقد تفرعت عن أداسة بطون، وأفخاذ عديدة؛ لا يعرف عنها الكثير؛ بسبب التحامها بقبائل هوار؛ فتداخلت أخبارهم جميعاً. وعليه.. سنكتفي بذكر أسمائها؛ وهي: أندارة، وأوطيط، وترهونة، وصنبرة، وهداغة، وهتولة، وشتاة.

\*\*\*

- مواطنهم: ذكر ابن خلدون - نقلاً عن المسعودي والبكري - أن مواطن بني أداس تدخل في موطن هوار؛ بحكم الجوار، والхلف. وكانت مواطن هوار عند الفتح الإسلامي في جهات طرابلس، وما يليها إلى برقة. وكان بعضهم مستقراً في أوساط مَدْرِيَّة، وبعضهم الآخر أهل وبر وظواعن؛ طلباً للنجعة. وعليه.. فقد توغلت أحياء منهم في القفار؛

قاطعة المفازة الكبرى؛ متجاورة، ومشاركة — في تلك الربوع — مع أحياء لمطة؛ بمحاذاة السودان<sup>1</sup>. وما يقال عن هواره يصح قوله عن قبائل أداسة.

## É É É

### 2 — ضريسة:

تنسب قبيلة ضريسة إلى ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتري. وعن ضري تفرعت: القبائل المعروفة ببني فاتن بن قمصيت بن ضري، والقبائل المنسوبة إلى يحيى بن ضري. فقبائل فاتن هي: درنة، وصدينة، وصطفورة (التي عرفت فيما بعد باسم كومية)، وكشاته، ولماية، ومديونة، ومطغرة، ومطماطة، ومغيلة، وملزوزة. أما قبائل يحيى بن ضري فهي: زناتة، وزوارة، وزواغة، ومكناسة. وسيقتصر كلامنا على القبائل التي لها ذكر في تاريخ المغرب؛ أما القبائل الأخرى فنتركها؛ لعدم الفائدة منها<sup>2</sup>. ومن أعيان ضريسة المذكورين؛

<sup>1</sup> ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 170 . 229 — 230.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص: 180 — 181.

والذين احتفظوا باسم القبيلة الأم؛ النسابة الشهير  
هاني بن بكور الضريسي.

É É É

أ - بنو فاتن:

تكاد القبائل البتيرة بكاملها تجتمع ضمن  
جمهرتين عظيمتين: تنتمي الأولى إلى فاتن بن  
تمصيت بن ضري، وتنسب الأخرى إلى يحيى  
ابن ضري. وقد انتشرت هاتان الجمهرتان -  
بقبائلهما - عبر بلاد المغرب كلها. وكان  
لهما أثر كبير في تاريخ المغرب الإسلامي.  
واختصت قبائل بني فاتن - قديما - بمواطنها  
الأولى في المغرب الأقصى؛ ثم تفرقت جموعهم -  
فيما بعد - عبر المغربين: الأوسط، والأدنى.  
كما توغلوا في القفار الداخلية. وأهم قبائلهم  
هي:

É É É

## (1) - كومية:

هم من أبناء فاتن. وكانت هذه القبيلة تعرف - في القديم - باسم **صطفورة**. وتفرعت عنها ثلاث عمائر؛ هم: **بنو يلول**، و**صغارة**، و**ندرومة**. وكومية - كما هو معلوم - هي قبيلة عبد المؤمن بن علي (ت: سنة 558هـ/1162م)؛ مؤسس الدولة الموحدية. وهو من بيت **بني عابد**؛ المتوطنين ب**حصن تاجرا**؛ بالجبل المشرف على مدينة **هين**؛ في ناحيته الشرقية. هذا وقد تميزت هذه القبيلة - في العهد الموحيدي - بكثرة العدد، ومضاء الشوكة؛ حيث كانت تشكل القوة الضاربة، والرادعة في عهد عبد المؤمن. فهي درعه، وعصيته. ولما كانت الدولة تعتمد على هذه القبيلة في صد المخاطر كافة، وقمع أهم الفتن، والثورات؛ فقد أهلكت أبناءها الحروب، وأكلتهم الأقطار الواسعة؛ فانقرضوا مع مرور الوقت. وبقيت منهم - في عهد ابن خلدون - فئات صغيرة؛ بمواطنهم الأولى؛ **كبي عابد**، و**بني سنوس**؛ وهم جميعا - في تلك الآونة - من القبائل الغارمة؛ بعد أن أذلّتهم قبائل زناتة، وإماراتها<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 257 — 261.

وذكر عبد الواحد المراكشي؛ في كتابه المعجب؛  
هذه القبيلة؛ فقال بأنها كانت قبل ظهور  
الموحدين قبيلة كثيرة العدد؛ ولكنها لم تصل  
إلى مرتبة الرئاسة من قبل؛ حيث كان أبناؤها  
يعملون في الفلاحة، والرعي، والتجارة البسيطة  
بالأسواق<sup>2</sup>. بذلك يمكن تصنيفهم من بين أهل  
المدر؛ من سكان الأرياف.

## ! ! !

— أعيانهم: سجل هذه القبيلة يزخر بالأعيان،  
وعظماء الرجال؛ منهم الملوك، والقادة،  
والرؤساء. كما نبغ من بينهم رجال علم،  
وأدب؛ نبدأ بهم:

— هاني بن مصدور بن مريس بن نقوط.  
وهو النسابة الذائع الصيت في أقطار المغرب  
كلها.

— ثم أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن  
مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي (توفي  
برباط سلا سنة 558هـ)؛ بينما كان متجها إلى  
الأندلس للجهاد. وهو المؤسس الفعلي للدولة

---

<sup>2</sup> المعجب، ص: 339.

الموحدية ببلاد المغرب. ولد ببلدة تاجرت (تاجرا) بالقرب من تلمسان؛ من والدين بسيطين؛ إذ كان والده صانع فخار. خرج من بلدته سعيًا وراء العلم؛ فالتقى بابن تومرت في طريقه؛ قرب بجاية؛ فإلزمه؛ وتحالفًا على الإطاحة بالدولة اللمتونية. ثم عاد أدراجه مع ابن تومرت نحو المغرب؛ أين أشعلا الثورة على المرابطين. وموت ابن تومرت أسند إليه الموحدون مهام الخلافة؛ فأورثها بنيه؛ بعد تشييده الدولة الموحدية الكبرى؛ التي امتدت من الأندلس شمالًا إلى المفازة الصحراوية جنوبًا، ومن المحيط الأطلسي غربًا إلى برقة شرقًا. ولم تقتصر مناقبه على براعته في الحكم وإدارة الدولة، وقيادة الجيوش فحسب؛ بل يعتبر من العلماء؛ في الشريعة، كما كان ضليعًا في فنون الأدب. وقد أورد المراكشي قصيدة له قالها مستنفرًا عرب هلال؛ حاثًا إياهم على الغزو ببلاد الأندلس: غير أن عبد الملك بن صاحب الصلاة ينسبها لكاتب عبد المؤمن عبد الملك ابن عياش؛ وإن كانت شاعرية عبد المؤمن حقيقة لا تنكر<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> المعجب، ص: 225. تاريخ المن بالإمامة، ص: 415.

أَقِيمُوا إِلَى الْعَلْيَاءِ هُوجَ الرِّوَاحِلِ  
وَقُودُوا إِلَى الْهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِلِ  
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةَ ثَائِرِ  
وَشُدُّوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شِدَّةَ صَائِلِ  
فَمَا الْعِزُّ إِلَّا ظَهْرُ أَجْرَدٍ سَابِحِ  
يَفُوتُ الصَّبَا فِي شِدَّةِ الْمُتَوَاصِلِ  
وَأَيَّضَ مَآثُورَ كَأَنَّ فِرْنَدَهُ  
عَلَى الْمَاءِ مَنْسُوجٌ وَلَيْسَ بِسَائِلِ  
بَنِي الْعَمِّ مِنْ عُلْيَا هِلَالِ بْنِ عَامِرِ  
وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلِ وَأَبْنِ بَاسِلِ  
تَعَالَوْا فَقَدْ شُدَّتْ إِلَى الْعَزْوِ نِيَّةُ  
عَوَاقِبِهَا مَنْصُورَةُ بِالْأَوَائِلِ  
هِيَ الْعَزْوَةُ الْغَرَاءُ وَالْمَوْعِدُ الَّذِي  
تَنْجَزُ مِنْ بَعْدِ الْمَدَى الْمُتَطَاوِلِ  
بِهَا تُفْتَحُ الدُّنْيَا، بِهَا تُبْلَغُ الْمُنَى  
بِهَا يُنْصَفُ التَّحْقِيقُ مِنْ كُلِّ بَاطِلِ  
أَهْبْنَا بِكُمْ لِلْخَيْرِ وَاللَّهُ حَسْبُنَا  
وَحَسْبُكُمْ وَاللَّهُ أَعْدَلُ عَادِلِ  
فَمَا هَمُّنَا إِلَّا صَلَاحُ جَمِيعِكُمْ  
وَتَسْرِيحُكُمْ فِي ظِلِّ أَخْضَرَ هَاطِلِ  
وَتَسْوِيغُكُمْ نُعْمَى تَرْفُ ظِلَالُهَا  
عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ

فَلَا تَتَوَانُوا فَالْبِدَارُ غَنِيمَةٌ  
وَلِلْمُدْلِجِ السَّارِي صَفَاءُ الْمَنَاهِلِ

ومع حب عبد المؤمن للعلم والعلماء، ومشاركاته الشعرية، والأدبية؛ إلا أن عشقه للحرب، وفنونها ملكَ عليه مشاعره. وفي هذا أورد المراكشي خبراً عن أبي جعفر أحمد بن عطية؛ وزير عبد المؤمن؛ قال: ((دخلت على عبد المؤمن؛ وهو في بستان له قد أينعت ثماره، وتفتحت أزهاره، وتجاوبت على أغصانها أطياره، وتكامل في كل جهة حسنه؛ وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان؛ فسلمت، وجلست، وجعلت أنظر يمنة، وشمأة؛ متعجبا مما أرى من حسن ذلك البستان؛ فقال لي: يا أبا جعفر؛ أراك كثير النظر إلى هذا البستان؛ قلت: يطيل الله بقاء أمير المؤمنين؛ والله إن هذا لمنظر حسن... فسكت عني؛ فلما كان بعد يومين أو ثلاثة؛ أمر بعرض العسكر؛ آخذي أسلحتهم؛ وجلس في مكان مطل؛ وجعلت العسكر تمر عليه؛ قبيلة بعد قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة... فلما رأى ذلك التفت إلي وقال: يا أبا جعفر؛ هذا هو المنظر الحسن؛



لا تشارك، وأشجارك))<sup>1</sup>. ويقال أنهم وجدوا  
على ظهر كتاب الحماسة؛ الذي كان يطالعه؛  
أبياتا بخط يده جاء فيها:

وَحَكِّمِ السَّيْفَ لَا تَعْبَأْ بِعَاقِبَةٍ  
وَحَلِّهَا سِيرَةً تَبْقَى عَلَى الْحَقِّ  
فَمَا تُنَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنْزِلَةٌ  
وَلَا تُرَدُّ صُدُورُ الْخَيْلِ بِالْكُتُبِ

ومن شعره قصيدة بعث بها — ضمن  
رسالة — مبشرا ابنه بانتصاره على النصاري،  
وفتحه للمهدية؛ قال فيها:

وَلَمَّا قَضَيْنَا بِالْمَشَارِقِ أَمْرَنَا  
وَتَمَّ مُرَادُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ  
وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَنَا  
وَأَصْبَحَ وَجْهُ الْحَقِّ غَيْرَ مُحَجَّبٍ  
وَطَهَّرَ هَذَا الصُّقْعَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ  
وَعَادَ بِهَا الْإِسْلَامُ بَعْدَ تَغْيِبِ  
وَكُسِّرَتِ الصُّلْبَانُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ  
وَنَادَى مُنَادِي الْحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَبٍ  
أَشْرَنَّا بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ إِلَيْكُمْ  
فَطَارَ بِهَا شَأْوُ السُّرُورِ بِمَغْرِبِ

---

<sup>1</sup> المعجب، ص ص: 201 — 202.

فَابْشِرْ أَبَا حَفْصٍ بِنَصْرِ مُؤَزَّرٍ  
كَفِيلٍ بِمَا تَبْغِيهِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ  
وَلَا بُدَّ فِي يَوْمٍ أَغْرَّ مُحَجَّلٍ  
يُسِيلُ دِمَاءَ الْكُفْرِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ  
وَتُشْفَى صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ بِغَزْوَةٍ  
تَكُونُ عَلَى حُكْمِ الْحَسَامِ الْمُدْرَبِ  
وَيَغْزُو بِلَادَ الرُّومِ جَيْشٌ عَرْمَرَمٌ  
تُخَيَّرُ مِنْ قَيْسٍ وَأَبْنَاءُ يَغْرُبِ  
تَصُولُ بِهِ مِنْ عُصْبَةِ الْحَقِّ مَعْشَرٌ  
بِجُمْلَةٍ مَا يَلْقَاهُ خَيْرٌ مُجَرَّبِ  
فَيُدْمَغُ بِالصَّمَصَامِ كُلُّ مُجَاهِرٍ  
وَيُقْطَعُ بِالْبُرْهَانِ كُلُّ مُشْعَبِ  
فَطُوبَى لِأَهْلِ الْعَرَبِ مَاذَا يَرَوْنَهُ  
مِنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ الْمُقَرَّبِ

وهكذا ترى؛ كيف كان عبد المؤمن  
يعتقد في انتمائه — هو، ومن معه — إلى العرب؛  
المثليين بقيس عيلان، ويعرب بن قحطان.  
ومع هذا.. لم يقتصر في معاناته الشعرية على  
أغراض الحماسة فحسب؛ بل يقال أنه خرج  
يوماً؛ مع وزيره أبي جعفر ابن عطية في نزهة؛  
وشاهد أثناء عودتهما جارية في منتهى الجمال؛

خلف شباك من الخشب تنظر إليه؛ فقال  
مرتجلاً:

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُّبَاكِ إِذْ نَظَرْتُ

فأجاز أبو جعفر بقوله:  
حَوْرَاءُ تَرْتُّو إِلَى الْعُشَّاقِ بِالمُقَلِّ

فقال عبد المؤمن:  
كَأَنَّ لِحُظَّهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال أبو جعفر:  
سَيْفُ الْمُؤَيَّدِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ

— ثم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن  
الكومي (ت: سنة 580هـ/1184م)؛ أحد سلاطين  
الدولة الموحدية العظماء. كان — إلى جانب  
منصبه السياسي — عالماً بالعلوم الشرعية،  
والأدبية؛ وكان ملماً بالحكمة، والفلسفة؛ ومحباً  
للعلماء، وأهل الفكر؛ إذ جلب إلى بلاطه نخبة  
من علماء عصره آنذاك؛ مثل: ابن الطفيل،  
وابن رشد، وابن زهر وغيرهم. ووصفه  
المراكشي بقوله: ((كان أحسن الناس ألفاظاً  
بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض

مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... مع إشار للعلم شديد، وتعطش إليه مفرط. صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين - الشك مني: إما البخاري، أو مسلم؛ وأغلب ظني أنه البخاري - حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن؛ هذا مع ذكر جمل من الفقه؛ وكان له مشاركة في علم الأدب، واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو حسبما تقدم؛ ثم طمح به شرف نفسه، وعلو همته إلى تعلم الفلسفة؛ فجمع كثيرا من أجزاءها؛ وبدأ من ذلك بعلم الطب؛ فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره؛ مما يتعلق بالعلم خاصة؛ دون العمل؛ ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة؛ وأمر بجمع كتبها؛ فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المنتصر بالله (الأموي).<sup>1</sup> وكانت علامته ((الحمد لله وحده))؛ وسك الدنانير اليوسفية.

---

<sup>1</sup> المعجب، ص ص: 237 — 238.

— ثم أبو يوسف المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن الكومي (ت: سنة 595هـ/1198م)؛ كان من أعظم سلاطين الدولة الموحدية؛ ترك بصماته بارزة في نظام الدولة، ومؤسستها الإدارية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. فهو إلى جانب حزمه، ودهائه، وحنكته السياسية، والعسكرية؛ يتمتع بمزايا علمية، وثقافية لا بأس بها؛ ولكنه يتميز بالتعصب إلى مذهبه، وبقمع الأفكار المتجددة النيرة، وبكبحة لكل مبادرة أو اجتهاد. وفي عهده شهدت الدولة الموحدية تحولات مذهبية خطيرة؛ منها: إحراق كتب الفروع، والتضييق على الفقهاء من المالكية؛ حيث ألزمهم حدودا سطرها بنفسه في الإفتاء؛ حاصرا ذلك فيما نص به القرآن الكريم، وما ثبت في الصحاح من كتب الحديث. وقد تطرق المراكشي في كتابه المعجب لتلك الأحداث بقوله<sup>2</sup>: ((وفي أيامه انقطع علم الفروع، وأمر بإحراق كتب المذهب؛ بعد أن مجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد؛ كمدونة

---

<sup>2</sup> المعجب، ص ص: 278 — 279.

سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب لبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وماجانس هذه الكتب، ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ يؤتى منها بالأحمال؛ فتوضع ويطلق فيها النار؛ وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه؛ وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي دود، وسنن النسائي، وسنن البرار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي) في الصلاة، وما يتعلق بها؛ على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة؛ فأجابوه إلى ذلك؛ وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يملئه بنفسه على الناس، ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام، والخاصة؛ فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني؛ من الكساء، والأموال؛ وكان قصده في الجملة نحو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة؛ وحمل

الناس على الظاهر من القرآن، والحديث؛ وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه،  
وجده)).

ومن منجزات المنصور التنظيمية، والعمرانية: أنه أول من خط العلامة بيده من سلاطين الموحدين؛ وهي: ((الحمد لله وحده))، وسك الدنانير اليعقوبية، وشيد الجامع الأعظم بمراكش، وبنى عددا كبيرا من المدارس، والمساجد، والصوامع، والقناطر، والمستشفيات بالأندلس، والأقطار المغربية كلها؛ كما حفر آبار المياه، وخصص للعلماء، وطلبة العلم مرتبات ثابتة، وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح.

— ثم أبو الحسن علي بن أحمد سعيد بن عبد الله الشنت مري الكومي المعروف بقنون أو (جنون) (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ كان من المحدثين والحفاظ؛ الذين يظهرون عناية بعلمهم؛ من مؤلفاته: البستان في علم القرآن، وفتح المنغلق وجمع المفترق، والزلفة والإرشاد إلى ما قرب وعلا من الإسناد، وغيره.

— ثم الأمير الشاعر أبو الريع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي (ت: سنة 604 هـ/1207م)؛ كان واليا على بجاية؛ أين انهمك في محاربة ابن غانية، ومطاردته بسهوب إفريقية؛ ولما ولي سجلماسة سهر على مطاردة قطاع الطرق التجارية، ولصوص الصحراء، واعتنى بتمهيد السبل نحو إفريقية السوداء. ونقل المقرئ عن كتاب رحلة ابن حمويه السرخسي؛ خَبَرَ لِقَائِهِ بِأبي الريع؛ جاء فيه<sup>1</sup>: ((فرأيتُه شيخاً بهيَّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين: العربية، والبربرية؛ ومن كلامه في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة؛ ينكر عليه تعويق التجار؛ قوله : نحن نتجاوز بالإحسان؛ وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، وتألف على الرفق بالرعية؛ ومعلوم أن العدل من لوازم الملك في حكم السياسة الفاضلة؛ والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة؛ وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده؛ وتردد الجلابّة إلى بلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها؛

---

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.



ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل  
تلك الناحية؛ لكننا لا نستصوب فعله، ولا  
ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله؛  
والسلام)). ولأبي الربيع كتاب مختصر الأغاني،  
وديوان شعر. ويزعم المراكشي؛ في معجبه؛ أن  
بعض شعره قد يكون منحولاً. ومن شعره؛  
مقطع أرسله لابن عمه؛ الخليفة يعقوب  
المنصور؛ بعد جفوة حدثت بينهما؛ فانتهاز  
مناسبة قدوم وفد من العرب، والغز؛ من  
بلاد الشام؛ فاستأذنوا المشول بين يدي الخليفة؛  
فكتب إليه أبي الربيع هذه الأبيات:

يَا كَعْبَةَ الْجُودِ الَّتِي حَجَّتْ لَهَا  
عَرَبُ الشَّامِ وَغَزُّهَا وَالذَّلِيمُ  
طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى يَطُوفُ بِهَا غَدًا  
وَيَجِلُّ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَيَحْرِمُ  
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَفُوزَ بِنَظَرَةٍ  
مَنْ بِالشَّامِ وَمَنْ بِمَكَّةِ يُحْرِمُ

فاستحسن المنصور قوله، وعفا عنه. وفي  
مناسبة أخرى قال يخاطب المنصور:  
فَلَا مَلَأَنَّ الْخَافِينَ بِذِكْرِكُمْ  
مَا دُمْتُ حَيًّا نَاطِمًا وَمُرْسَلًا

وَلَا بُدْلَنَ نُصْحِيكُمْ جَهْدِي وَذَا  
جَهْدَ الْمُقْلِّ وَمَا عَسَى أَنْ أَفْعَلَ  
وَلَا خِلَصَنَ لَكَ الدُّعَاءُ، وَمَا أَنَا  
أَهْلٌ لَهُ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يُقْبَلَ

ولما فتحت قفصة؛ قال هذه القصيدة؛  
مهنئاً بها الخليفة المنصور:

هَبَّتْ بَنَصْرُكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ  
وَجَرَتْ بِسَعْدِكُمْ النُّجُومُ الطَّلَعُ  
وَاسْتَبَشَرَ الْفَلَكَ الْأَثِيرُ تَيْقِنًا  
إِنَّ الْأُمُورَ إِلَى مُرَادِكَ تَرْجِعُ  
وَأَمْدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي  
مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورُهُ الْمُتَشَعِّشُ  
لِمِ لَا وَأَنْتَ بَذَلْتَ فِي مَرْضَاتِهِ  
نَفْسًا تُفَدِّيهِهَا الْخَلَائِقُ أَجْمَعُ  
وَمَضَيْتَ فِي نَصْرِ الْإِلَهِ مُصَمَّمًا  
بِعَزِيمَةٍ كَالسَّيْفِ بَلْ هِيَ أَقْطَعُ  
لِلَّهِ جَيْشُكَ وَالصَّوَارِمُ تُتَضَى  
وَالْخَيْلُ تَجْرِي وَالْأَسِنَّةُ تَلْمَعُ

إلى أن يقول في وصف انهزام الأعداء:  
إِنْ ظَنَّ أَنْ فِرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ  
فَبِجَهْلِهِ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ

أَيْنَ الْمَفْرُ وَلَا فِرَارَ لِهَارِبٍ  
وَالْأَرْضُ تُنْشَرُّ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ  
أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الرُّضَى هُنَيْتُهُ  
فَتَحْ يُمَدُّ بِمَا سِوَاهُ وَيَشْفَعُ  
فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزًّا شَامِخًا  
وَلَبَسْتَ مِنْهُ أَنْتَ مَا لَا يُخْلَعُ  
هَيْهَاتَ سِرِّ اللَّهِ أَوْدِعَ فِيكُمْ  
وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ  
لَكُمْ الْهُدَى لَا يَدْعِيهِ سِوَاكُمْ  
وَمَنْ ادَّعَاهُ يَقُولُ مَا لَا يُسْمَعُ  
إِنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا  
فَإِلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُؤْمِي الْإِصْبَعُ  
إِنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَإِنَّمَا  
أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِقُ تَبَّعُ  
خُذْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَدِيحَةَ  
مِنْ قَلْبٍ صِدْقٍ لَمْ يَشْنُهُ تَصْنَعُ  
فَالْمَدْحُ مِنِّي فِي عُلَاكَ طَبِيعَةٍ  
وَالْمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إِلَيْكَ تَطْبَعُ

وله أيضا هذه الأبيات المشهورة:  
أَقُولُ لِرَكْبٍ أَدْلَجُوا بِسُحَيْرَةٍ  
قَفُوا سَاعَةً حَتَّى أَزُورَ رِكَابَهَا

وَأَمْلَأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهَهَا  
وَأَشْكُو إِلَيْهَا أَنْ أَطَالَتْ عِتَابَهَا  
فَإِنْ هِيَ جَادَتْ بِالْوَصَالِ وَأَنْعَمَتْ  
وَالَا فَحَسْبِي أَنْ رَأَيْتُ قِبَابَهَا

وكتب أبو الربيع توقيعا إلى عامل لديه؛  
كثرت شكاوى الناس منه: ((قد كثرت  
فيك الأقوال، وإغضائي عنك رجاء أن  
تتقض؛ فتصلح الحال؛ وفي مبادرتي إلى ظهور  
الإنكار عليك؛ نسبة إلى شر الاختيار، وعدم  
الاختبار؛ فاحذر فإنك على شفا جرف  
هار))<sup>1</sup>.

— ثم الأمير الشاعر أبو الحسن علي بن  
عمر بن عبد المؤمن الكومي (كان معاصرا  
لأبي الربيع)؛ ولي هو الآخر تلمسان، وبجاية؛  
ولكنه عزل عنها؛ بسبب ما اتهم به من  
إهمال، وغفلة، وميله إلى شهواته، ومجالس  
الطرب. وكان أديبا، وشاعرا؛ كتب يوما إلى  
السلطان يعقوب المنصور يمدحه، ويطلب عونه؛  
لتسديد ديونه؛ فقال:

---

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.

وَجُوهُ الْأَمَانِي بِكُمْ مُسْفِرَةٌ  
وَضَاحِكَةٌ لِي مُسْتَبْشِرَةٌ  
وَلِي أَمَلٌ فِيكُمْ صَادِقٌ  
قَرِيبٌ عَسَى اللَّهُ قَدْ يَسَّرَهُ  
عَلَيَّ دُيُونٌ وَتَصْحِيفُهَا  
وَعِنْدَكُمْ الْجُودُ وَالْمَغْفِرَةُ

ونقل صاحب نفح الطيب<sup>2</sup> عن  
السرخسي: ((كان هذا السيد أبو الحسن قد  
ولي مملكة تلمسان، وبجاية؛ وله حكايات في  
الجود برمكية، ونفس عالية زكية؛ كتب إليه  
السيد أبو الربيع يوما:  
الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ سُرُورٍ وَدَعَا  
وَشَمَلْنَا مُفْتَرَقٌ فَهَلْ تَرَى أَنْ نَجْمَعَهُ

فأجابه بقوله:  
الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَرَبُّنَا قَدْ رَفَعَهُ  
وَالشُّرْبُ فِيهِ بَدْعَةٌ فَهَلْ تَرَى أَنْ نَدَعَهُ)).

---

<sup>2</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص: 109.

— ثم الفقيه المحقق القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني الكومي (في بغية الرواد: البطوي) (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ فقيه مالكي؛ قال عنه ابن الأبار: ((سمع من أبيه، وتفقه به... وولي قضاء بلده. وكان حميد السيرة؛ مشاركاً في الفقه، وعلم الكلام، معتنياً بالحديث، وروايته؛ معظماً عند الخاصة، والعامة؛ وجمع من الدواوين شيئاً عظيماً. وله كتاب في غريب الموطأ، وكتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار؛ في عشرين سفراً؛ في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وغير ذلك. وحدث، ودرس))<sup>1</sup>. من مؤلفاته التي لم يذكرها ابن الأبار: التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية، ونظم العقود ورقم الحل والبرود، والإقناع في كيفية الأسماع، والفصل الجازم في فضيلة العلم والعالم، وفرقان الفرقان وميزان القرآن. وكعينة من نظمه؛ وإن دخلت في سياق النظم لا الشعر؛ بيتان أجمل فيهم أحاديث البخاري:

جَمِيعُ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَى  
الْبُخَارِيُّ خَمْسَةَ وَسَبْعُونَ فِي الْعَدَدِ

<sup>1</sup> التكملة لكتاب الصلاة، ج: 2، ص: 623.

وَسَبْعَةَ آلَافٍ تُضَافُ وَمَا بَقِيَ  
إِلَّا مَائَتَيْنِ عَدَّ ذَلِكَ أَوْلُوا الْجَدِّ

— ثم أبو العلاء المأمون إدريس بن يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن الكومي (ت: سنة 630هـ/1232م)؛ فعلى الرغم من سعة معارفه، وفصاحته، وشاعريته، وتمكنه من العلوم الشرعية، والأدبية، ومعرفته بالقراءات، وضبطه للروايات، وحسن تلاوته، وقدرته على الحفظ، واستيعابه لكتب الحديث — إذ كان يُقَرَأُ كتبها أيام حكمه؛ مثل: الموطأ، وصحيح البخاري، وسنن أبي داود — وعلى الرغم من بلاغته، وجودة إنشائه، وتضلعه في علوم اللغة العربية وآدابها؛ وما كان عليه من شجاعة، وإقدام؛ إلا أنه اتصف أيضا بالطغيان، والجبروت، والتعطش إلى سفك الدماء. وكان أول من أدخل الفرنجة إلى بلاد المغرب؛ بغرض قمع المناوئين له؛ مقابل شروط ثقيلة؛ منها: تنازله عن عدد من الحصون والقلاع بالأندلس، والسماح ببناء كنيسة للنصارى بمراكش. ولما افتك الحكم بمساعدة جنود الإفرنج؛ قبض على خصومه من شيوخ الموحدين؛ وقتلهم عن آخرهم. ثم غير رموز الدولة المُنَوَّهة بالإمام المهدي؛ من:

سكة، وخطبة...الخ وفي عهده بدأت الدولة  
الموحدية تتفكك. وهذا نص كتبه صاحب  
الأنيس المطرب بروض القرطاس؛ يعطينا صورة  
عن هذه الشخصية المتناقضة؛ لهذا السلطان  
الدموي<sup>1</sup>: ((فصعد المنبر، بجامع المنصور،  
وخطب الناس، ولعن المهدي وقال: أيها  
الناس لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي  
المذموم؛ أنه لا مهدي إلا عيسى؛ وأنا قد نبذنا  
أمره النحيس... وأمر بإسقاط اسم المهدي من  
الخطبة، وإزالته عن الدنانير والدراهم، ودور  
الدراهم المكنة التي كان ضربها المهدي...  
فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين، وأشرافهم؛  
فقتلوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد،  
ولم يراع والدا ولا ولد؛ حتى أنه أوتي بولد  
أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة  
سنة، وكان قد حفظ القرآن؛ فلما قدم  
ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني  
لثلاث؛ قال ما هي؟ فقال: صغر سني،  
وقرب رحمي منك، وحفظي لكتاب الله  
العزيز؛ فنظر إلى القاضي المكيدي كالمستشير  
له؛ ثم قال له: كيف رأيت قوة جأش

---

<sup>1</sup> ص ص: 167 — 168.



هذا الغلام، وإقدامه على الكلام في هذا  
المقام؟ فقال له القاضي: يا أمير المؤمنين  
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا  
فاجرا كفارا؛ فأمر به فقتل. ثم أمر بتعليق  
الرؤس على أسوار المدينة؛ فعلقت بدائرها؛  
فكانت حسبتها أربعة فاجرا كفارا؛ فأمر به  
فقتل. ثم أمر بتعليق الرؤس على أسوار  
المدينة؛ فعلقت بدائرها؛ فكانت حسبتها أربعة  
آلاف رأس وست مائة رأس؛ كان زمان الصيف؛  
فتنت منها المدينة؛ وتأذى الناس من  
روائحها؛ فرفع إليه ذلك؛ فكان من جوابه  
أن قال: هنا مجانين، وتلك رؤس لهم أحرار؛ لا  
يصلح حالهم إلا بها؛ وإنما لعطرة عند المحبين،  
ونتنة عند المبغضين؛ ثم أنشد إرتجالا:

أَهْلُ الْحَرَابَةِ وَالْفَسَادِ مِنَ الْوَرَى  
يُعْزُونَ فِي التَّشْبِيهِ لِلذُّكَارِ  
فَفَسَادُهُ فِيهِ الصَّلَاحُ لغيره  
بِالْقَطْعِ وَالتَّعْلِيْقِ بِالأَشْجَارِ  
مَرَّاهُمْ ذِكْرِي إِذَا مَا أَبْصَرُوا  
فَوْقَ الْجُدُوعِ وَفِي ذُرَى الأَسْوَارِ

وَكَذَا الْقِصَاصُ حَيَاةَ أَرْبَابِ النُّهَى  
وَالْعَدْلُ مَأْلُوفٌ بِكُلِّ جِوَارٍ  
لَوْ عَمَّ حِلْمُ اللَّهِ كَافَّةَ خَلْقِهِ  
مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)).

— ثم شمس الدين محمد بن سليمان بن  
علي بن عبد الله بن علي التلمساني  
الكومي الشهير بابن العفيف التلمساني (توفي  
بدمشق في حياة والده سنة 688هـ/1289م)؛ وكان  
شاعرا رقيق الطبع، لطيف المعنى، حسن  
السبك. جاء في كتاب فوات الوفيات؛ نقلا  
عن القاضي شهاب الدين بن الفضل قوله  
فيه: ((لم يأت إلا ما خف على القلوب،  
وبريء من العيوب؛ رق شعره فكاد أن  
يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص  
والحمام أن يطرب، ولزم طريقة دخل فيها  
بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب  
الآذان؛ وكان لأهل عصره ومن جاء على  
آثارهم افتتان بشعره؛ وخاصة أهل دمشق؛  
فإنه بين غنائم حياضهم رُبِّي؛ وفي كمائم  
رياضهم حُبِّي؛ حتى تدفق نهره، وأينع  
زهرة؛ وقد أدركت جماعة من خلطائه لا

يرون عليه تفضيل شاعر، ولا يرون له شعرا  
إلا وهم يعظمونه كالمشاعر... وأكثر شعره - لا  
بل كله - رقيق الألفاظ؛ لا يخلو من  
الألفاظ العامية، وما تحلو به المذاهب  
الكلامية؛ فلهذا علق بكل خاطر، وولع به  
كل ذاكر<sup>1</sup>). هذا.. وله ديوان شعره تم  
نشره مرات عديدة، كما أخرج له حجي  
خليفة مقامات العشاق في ورقتين. وهذه بعض  
المقاطع من شعره:

بَلَا غَيَّةَ اللَّبْدَرِ، وَجَهُّكَ أَجْمَلُ  
وَمَا أَنَا فِيمَا قَلْتَهُ مُتَجَمِّلُ  
وَلَا عَيْبَ عِنْدِي لَوْلَا صَيَانَةُ  
لَدَيْكَ بِهَا كُلُّ امْرِئٍ يَتَبَدَّلُ  
لِحَاضُكَ أَسِيفٌ ذُكُورٌ فَمَا لَهَا  
كَمَّا زَعَمُوا مِثْلَ الْأَرَامِيلِ تَغْزَلُ  
وَمَا بَالُ بُرْهَانَ الْعِذَارِ مُسَلِّمًا  
وَيَلْزَمُهُ دُورٌ وَفِيهِ تَسْلُسُلُ  
وَعَهْدِي أَنَّ الشَّمْسَ بِالصَّحْوِ آذَنْتُ  
فَمَا بَالُ سُكْرِي مِنْ مُحِيَاكَ يُقْبَلُ  
كَأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ نَوَاطِرِ  
تُسَهِّدُهَا وَجَدًا وَقَلْبًا تُعَلِّلُ

---

<sup>1</sup> فوات الوفيات ج: 3، ص: 373.

حَبِيبِي لِيَهْنِ الْحُسْنَ أَنْكَ حُزْتَهُ  
وَيَهْنِ فُؤَادِي أَنَّهُ لَكَ مَنْزِلُ  
إِذَا كُنْتَ ذَا وَدٍّ صَحِيحٍ فَلَمْ يَكُنْ  
يَضُرُّنِي الْعُدَالُ حَيْثُ تَقُولُوا  
رَأَوْا مِنْكَ حَظِّي فِي الْمَحَبَّةِ آخِرًا  
لِذَا حَرَّفُوا عَنِّي الْحَدِيثَ وَأَوَّلُوا

وله أيضا:

بَعَيْنِيكَ هَذِي الْفَاتِرَاتُ الَّتِي تَسْبِي  
يَهُونَ عَلَيَّ الْيَوْمَ قَتْلِي يَا حُبِّي  
إِذَا مَا رَأَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ مُقْبَلًا  
وَحَقَّقَكَ يَا رَوْحِي سَكِرْتُ بِلَا شَرْبِ  
وَإِنْ هَزَّ عَظْفِيكَ الصَّبَا مُتَمَايَلًا  
أَضَاعَ الْهَوَى نُسْكَي وَغِيَّبَتْ مِنْ لَبِّي  
فَدَعَنِي وَهَذَا الْخَدَّ أَغْصِرُ فِي فَمِي  
عَنَاقِيدَ صُدْغِيهِ وَحَسْبِي بِهِ حَسْبِي  
لَوْ أَنَّ تُجَارَ اللَّؤْلُؤُ الرُّطْبَ شَاهَدُوا  
تَنَائِيكَ مَا عُنُوا عَلَى اللَّؤْلُؤِ الرُّطْبِ  
أَيَا سَاقِي الْكَأْسِ الَّذِي زَادَ خَدُّهُ  
عَلَيْهَا أَحْمِرَارًا عَدَّ بِالْكَأْسِ عَنْ صَحْبِي  
وَمَا ذَاكَ بُخْلًا بِالْمُدَامِ وَإِنَّمَا  
إِذَا لَحْتُ لَمْ أَمِنْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّلْبِ

وَبِاللّٰهِ قُلْ لِيْ اَيُّهَا الظَّنِّيْ كَيْفَ قَدْ  
تَعَلَّمْتَ صَيْدَ الْأَسَدِ فِيْ شَرَكِ الْهَدْبِ  
وَمَا الَّذِيْ قَدْ بَعْتَ فَاسْتَرْهَنْتَ بِهِ  
لَدَيْكَ الرَّبِّيْ رَهْنًا كَثِيْبًا مِّنَ الْكُثْبِ  
فَخُذْ قِصَّةَ الشَّكْوَى مِّنَ الْأَعْيُنِ الَّتِي  
نَفَيْتَ لَذِيْذَ النَّوْمِ عَنْهَا بِلَا ذَنْبِ  
وَلَا تَعْتَبِنِ صَبًّا تَهْتَكُ سِتْرَهُ  
عَلَيْكَ فَهَتْكَ السِّتْرَ أَلَيْقُ بِالصَّبِّ

وقال أيضا:

أَعَزَّ اللّٰهُ أَنْصَارَ الْعُيُونِ  
وَحَلَّدَ مَلَكَ هَاتِيكَ الْجُفُونِ  
وَضَاعَفَ بِالْفُتُوْرِ لَهَا اقْتِدَارًا  
وَإِنْ تَكُ أَضْعَفَتْ عَقْلِيْ وَدِيْنِيْ  
وَأَبْقَى دَوْلَةَ الْأَعْطَافِ فِينَا  
وَإِنْ جَارَتْ عَلَى الْقَلْبِ الطَّعِيْنِ  
وَأَسْبَغَ ظِلَّ ذَاكَ الشَّعْرِ يَوْمًا  
عَلَى قَدِّ بِهِ هَيْفُ الْعُصُونِ  
وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الشَّيَا  
وَإِنْ ثَنَّتِ الْفُؤَادَ إِلَى شُجُونِ

وقال أيضا:

أَسِيرُ الْحَاظِ لِحَدِّ أَسِيلٍ  
كَلِيمٌ أَحْشَاءِ لَطَرْفٍ كَلِيلٍ  
فِي حُبِّ مَنْ حَظَّيْكَ شَعْرَ لَهْ  
لَكِنْ قَصِيرٌ ذَا وَهَذَا طَوِيلٌ  
لَيْسَ خَلِيلًا لِي وَلَكِنَّهُ  
أَضْرَمَ فِي الْأَحْشَاءِ نَارَ الْخَلِيلِ  
يَا رَدْفَهُ جُرْتُ عَلَى خَصْرِهِ  
رَفَقًا بِهِ مَا أَنْتَ إِلَّا ثَقِيلٌ

وقال أيضا:

لَمْ أَنْسَ لَمَّا زَارَنِي مُقْبِلًا  
أَوْلَانِي الْوَصْلَ وَمَا أَلْوَى  
وَقَعْتُ بِالرَّشْفِ عَلَى ثَغْرِهِ  
وَقَعَ الْمَسَاطِيلُ عَلَى الْحَلْوَى

وقال أيضا:

يَا مَنْ أَطَالَ التَّجَنِّيَ وَقَدْ أَسَا فِي التَّوَحِّيِ  
أَسْرَفَتْ تَيْهًا وَعُجْبًا وَكَثْرَةَ الشَّدِّ يُرْخِي

— ثم أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن  
علي بن عبد الله بن علي التلمساني  
الكومي؛ (توفي بدمشق سنة 690هـ/1291م)؛ وهو

كاتب، وأديب؛ وكان من الكتاب، والأدباء  
البارزين؛ إذ كان يجيد النظم، والنثر؛ وله اتجاه  
صوفي؛ يتبع فيه طريقة ابن عربي (محمد بن  
علي)؛ غير أن بعضهم يتهمة بالزندقة؛ وله  
مؤلفات عديدة؛ منها: شرح مواقف النفزي،  
وشرح الفصوص لابن عربي، وكتاب في  
العروض، وديوان شعر. ومن شعره:

إِنْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى يَتَعَيَّنُ  
يَا قَاتِلِي فَبَسِيفِ طَرْفِكَ أَهْوَنُ  
حَسْبِي وَحَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ مَدَامِعِي  
غُسْلِي وَفِي ثَوْبِ السَّقَامِ أَكْفَنُ  
عَجَبًا لِحَدِّكَ وَرَدَّةٍ فِي بَانَةِ  
وَالْوَرْدُ فَوْقَ الْبَانِ مَا لَا يُمَكِّنُ  
أَدْنَتْهُ لِي سِنَّةُ الْكَرَى فَلَثْمَتْهُ  
حَتَّى تَبَدَّلَ بِالشَّقِيقِ السَّوْسَنُ  
وَوَرَدْتُ كَوَثَرَ ثَغْرِهِ فَحَسَبْتَنِي  
فِي جَنَّةٍ مِنْ وَجَنَتِيهِ أَسْكُنُ  
مَا رَاعَنِي إِلَّا بِلالُ الْخَالِ فَوْ  
قَ الْخَدِّ فِي صُبْحِ الْجَبِينِ يُؤَذِّنُ  
فَنَشَرْتُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَّاحِ ذُؤَابَةً  
هِيَ كَالدُّجَى وَظَلَلْتُ فِيهَا أَكْمُنُ

وقال في مدح بعض بني الزبير الوزراء:  
وَبَنُو الزُّبَيْرِ كَمَا عَلِمْتَ حَدِيثُهُمْ  
وَقَدِيمُهُمْ سَادَ الْأَنْامَ وَطَالُوا  
أَوْلَادُ عَمَّاتِ النَّبِيِّ أَمَا تَرَى  
أَخْلَاقَهُمْ لَا يَعْتَرِيهَا الْحَالُ  
أَقْعَدَهُمْ شُغْلُوا بِنِيرَانَ الْقَرَى  
وَلَهُمْ بِنِيرَانَ الْوَعَى أَشْعَالُ

ومن شعره الصوفي:  
مُحْيَاكَ يَهْوَاهُ الْمُحْيَا أَمَا تَرَى  
حَشَا الْكَأْسِ فِيهِ جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ  
وَلَوْلَا بُكَاهَا مَا بَدَا فَوْقَ حَدِّهَا  
دُمُوعٌ حَكَاهَا اللَّوْلُؤُ الْمُتَفَرِّدُ  
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي فِتْنَةَ الْفِسْقِ فِعْلَهَا  
إِلَى أَنْ رَأَتْ عَيْنَايَ حُسْنُكَ يَبْعُدُ  
إِنَّمَا ارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثَغْرِ كَأْسِهَا  
أَلَسْتُ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُدُ  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الْكَوْنِ مُطْلَقاً  
لَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْكَ حُسْنٌ مُقَيَّدُ  
لَمَّا أَبْصَرْتُ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْرَةً  
وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَدُ  
عَجِبْتُ لِكَأْسٍ قَدْ صَحَوْتُ بِشُرْبِهَا  
أَبْرَأَ صَحَواً عَلَيَّ يُعْرَبْدُ



وقال في رثاء ولده شمس الدين؛ الذي  
توفي قبله. وأثناء ذلك أشار إلى أخيه الميت  
أيضا:

مَالِي بِفَقْدِ الْمُحَمَّدَيْنِ يَدُ  
مَضَى أَخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الْوَلَدُ  
يَا نَارَ قَلْبِي وَأَيْنَ قَلْبِي أَوْ  
يَا كَبِدِي لَوْ يَكُونُ لِي كَبِدُ  
يَا بَائِعَ الْمَوْتِ مُشْتَرِيهِ أَنَا  
فَالصَّبْرُ مَا لَا يُصَابُ وَالْجَلَدُ  
أَيْنَ الْبَنَانِ الَّتِي إِذَا كَتَبَتْ  
وَعَايَنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَدُوا  
أَيْنَ الشَّيَا الَّتِي إِذَا ابْتَسَمَتْ  
أَوْ نَطَقَتْ لَاحَ لَوْلُؤُ نَضَدُ  
مَا فَقَدْتُكَ الْإِخْوَانُ يَا وَلَدِي  
وَأَيُّمَا شَمْسٍ أَتَّسَهُمْ فَقَدُوا  
مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ عَدَدًا  
وَمَا لِمَا لَيْسَ يَنْتَهِي عَدَدُ

إلى أن يقول:

مَاذَا عَلَى الْعَاسِلِينَ إِذْ قَرُبَ الْأَمُّ  
لَاكُ مِنْهُ لَوْ أَتَّهَمُ بَعْدُوا  
قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُهُ الْعُلُومَ إِلَى الْـ  
فِرْدَوْسِ وَالنَّعْشِ فَوْقَهُ الْجَسَدُ

أُبَكِّيتَ خَالَاتَكَ الضَّوَاحِكِ مِنْ  
قَبْلُ وَمَا مِنْ صِفَاتِكَ النَّكَدُ  
بِي كِبَرُ مَسْنِي وَأُمُّكَ قَدْ  
شَاخَتْ فَمِنْ أَيْنَ لِي يُرَى وَلَدُ  
وَهْبُهُ قَدْ كَانَ لِي فَمِثْلُكَ لَا  
يُرجَى وَأَيْنَ الزَّمَانُ وَالْأَمَدُ

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي الندرومي (ت: حوالي 775هـ/1373م)؛  
أحد علماء المالكية؛ له ثبت تكلم فيه عن  
شيوخه، وإجازاتهم له.

— ثم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يوسف  
ابن عمر بن شبيب السنوسي (ت: سنة  
895هـ/1489م)؛ وهو من كبار علماء تلمسان في  
عهده؛ عالج في مؤلفاته علومًا شتى؛ دينية،  
ودنيوية؛ وله باع طويلة في علوم: التفسير،  
والتوحيد، والحديث؛ ومن مؤلفاته: كتاب عقيدة  
أهل التوحيد؛ ويسمى العقيدة الصغرى، ثم  
كتاب العقيدة الوسطى، ثم شرح صغرى  
الصغرى، وشرح صحيح البخاري؛ لم يكتمل،  
وشرح الأسماء الحسنى، وشرح جمل الخونجي؛ في  
المنطق، وشرح مقدمات الجبر والمقابلة؛ لابن  
الياسمين، والعقد الفريد في حل مشكلات

التوحيد، وشرح للامية الجزائري، ومختصر في علم المنطق، وشرح كلمتي الشهادة، ومكمل إكمال الإكمال، والمقدمات في التوحيد، وتفسير سورة ص وما بعدها من السور، ونصرة الفقير في الرد على أبي حسن الصغير، وشرح التسييح وبر الصلوات، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك؛ للساحلي، وشرح جواهر العلوم؛ في علم الكلام، وشرح مشكلات البخاري، ومختصر الزركشي على البخاري، ومختصر حاشية التفتازاني على الكشف، ومختصر ابن عرفة، وشرح رجز ابن سينا في الطب؛ لم يكتمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح الشاطبية الكبرى؛ لم يكتمل، وشرح الوغليسية؛ في الفقه؛ لم يكتمل، ومختصر الروض الأنف؛ للسهيلى؛ لم يكتمل، وشرح المرشدة والدر المنظوم؛ في شرح الأجرومية، ونظم في الفرائض، واختصار الرعاية؛ للمحاسبي، وتفسير القرآن؛ إلى قوله: أولئك هم المفلحون، وتعليق على فرعي ابن الحاجب، وشرح إيساغوجي؛ في المنطق، ومختصر لمسلم؛ في سفرين، وشرح أبيات الإمام الأليري؛ في التصوف، والمقرب المستوفي؛ شرح على الحوفية، وأم البراهين في العقائد، والحقائق في

تعريفات مصطلحات علماء الكلام، والمنهج  
السديد في شرح كفاية المريد؛ للجزائري.  
— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن  
محمد الغماري الكومي (ولد بعد عام  
940هـ/1533م)؛ فقيه، وخطيب بمكناسة؛ وإلى جانب  
الفقه فهو نحوي، ويستظهر مختصر خليل؛ وله  
أيضا مشاركة في علمي: الحساب، والفرائض؛ إذ  
كان أستاذا فيهما.



أما الذين عرفوا بالأدوار السياسية،  
والعسكرية، ومهام الحكم فمنهم:  
— الوزير عبد السلام بن محمد الكومي  
المعروف بالمقرب (توفي مقتولا بسجنه سنة  
557هـ/1161م)؛ عرف بالمقرب بسبب تقريب عبد  
المؤمن إياه؛ أو للقرابة التي بينهما؛ ومع هذا  
لم يستنكف هذا السلطان الدموي عن قتله؛  
حيث أرسل من قتله بسجنه خنقا، أو بواسطة  
سهل قضى عليه تدريجيا كما يقال.

— ثم الوزير عمر بن عبد السلام بن محمد الكومي؛ الذي خلف والده في منصب الوزارة بعد مقتله؛ وبقي في منصبه حتى وفاة عبد المؤمن.

— ثم الحسن بن حيون المعابدي الكومي (توفي مقتولا بتلمسان سنة 624هـ/1226م)؛ كان من عمال الدولة الموحدية؛ فتآمر على قبيل بني عبد الواد؛ الأمر الذي أوصله إلى القتل؛ وفتح الباب أمام رؤساء القبيل إلى الاستبداد بتلمسان؛ وتعتبر هذه الخطوة ممهدة لقيام الدولة العبد الوادية.

— ثم أبو العلاء الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الكومي المعروف بأبي دبوس (توفي بمراكش سنة 667هـ/1268م)؛ وهو من ملوك بني عبد المؤمن؛ وبعد قتله — من طرف بني مرين — بظاهر مراكش أشرفت الدولة الموحدية على نهايتها.

— ثم إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي (توفي بفاس مقتولا سنة 674هـ/1275م)؛ وهو آخر الملوك من بني عبد المؤمن؛ بويع في تنملل؛ بعد سقوط مراكش، ومقتل أبي دبوس.

— ثم أبو العباس أحمد بن عثمان بن إدريس بن محمد الكومي المعروف بابن أبي دبوس؛ والده السابق الذكر (توفي بفاس سنة 762هـ/1360م)؛ ولد بالقاهرة؛ ولما كبر انتقل إلى بلاد إفريقية والمغرب طمعا في استرجاع ملك آبائه؛ فأعلنها ثورة في تلك الديار؛ ولكنه فشل.

— ومنهم أيضا الداعية الثائر بالزاب؛ المسمى أبا عبد الله بن خديجة الكومي (كان حيا سنة 724هـ/1323م)؛ وهو من ولد عبد المؤمن ابن علي؛ وكان يدعوا للفاطمي المنتظر.

\*\*\*

— مواطنهم: كانت مواطن كومية الأولى في المغرب الأوسط؛ وبالتحديد ضمن منطقة أرشكول، وتلمسان؛ وذلك.. على امتداد شاطئ البحر، وجبال ترارة التي تربض شمال غرب تلمسان. ولما استولى الموحدون على مراكش، واتخذوها حاضرة لسلطانهم؛ استدعى عبد المؤمن بن علي قبيلته كومية؛ إلى تلك الربوع؛ ليكونوا درعا له، وعصابة يشد بها أزره.

É É É

## (2) - لماية:

وهم من بني فاتن أيضا. وتعتبر لماية من أكبر قبائل ضريسة، وأوسعها بطونا. وقد لعبت هذه القبيلة دورا بارزا في تاريخ المغربين: الأوسط، والأدنى؛ حيث اعتنق أبناؤها المذهب الإباضي، وشاركوا في حركة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح؛ عند تملكه طرابلس، وعند استيلائه على القيروان؛ بغرض إخراج ورفجومة منها. ولما قتل أبو الخطاب؛ لجأ عامله على القيروان (عبد الرحمن بن رستم) إلى قبيلة لماية؛ بالقرب من جبل كزول؛ في المغرب الأوسط؛ نظرا لكون هذه القبيلة من حلفائه وحلفاء أميره أبي الخطاب. وبالفعل أجارته لماية، وحتمه من كل مكروه. كما قامت لماية ببناء مدينة تيهرت الثانية؛ في سفح جبل كزول؛ جاعلة منها دار ملك للإباضيين؛ بإمرة عبد الرحمن بن رستم؛ بعد أن بايعته بالإمامة. وظلت هذه القبيلة سندا قويا للدولة الرستمية حتى سقطت. فتشتت - إثر ذلك - أبناء لماية في الأقطار، وانقرض معظمهم؛ بسبب الحروب. ولم يبق سوى بعض الفئات المتفرقة، والموزعة بين قبائل أخرى. ومن بين بقايا

لماية جربة؛ التي سميت بها الجزيرة المعروفة الآن؛ في ساحل تونس. وسكانها حتى عهد ابن خلدون كانوا من لماية. كما توجد في جربة — حتى الآن — قبيلة تسمى **آلْمَاي**<sup>1</sup>؛ يعتقد محمد علي دبوز أنهم من بقايا لماية؛ ولكن اسمها أصابه التحريف؛ وقد يكون إسمها هذا هو الصحيح. كما أن قرية **لماية** التي تتوسط الطريق بين **طرابلس**، و**زوارة**؛ تنسب هي الأخرى إلى هذه القبيلة. وقد نقل الشيخ مبارك الميلي عن ((أبوراس)) ما مفاده.. أن أهل **فرندة**، و**الحوارث** من **لماية**؛ ولكنهم تركوا المذهب الخارجي<sup>2</sup>. كما تنسب إليهم مقاطعة **لماية**؛ المتواجدة ببلاد **الأندلس**؛ وتعتبر مدينتها إحدى حصون **مالقة**<sup>3</sup>. وهي كغيرها من مقاطعات **الأندلس** التي سميت باسم القبائل الأمازيغية التي استقرت بها. وينسب إليها عدد من العلماء، والأدباء.

! ! !

---

<sup>1</sup> تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 259.

<sup>2</sup> تاريخ الجزائر، ص: 596.

<sup>3</sup> الحميري؛ الروض المعطار، ص: 511.



— أعيانهم: من المنتسبين إلى لمائة ببلاد الأندلس:  
— الشاعر الفحل والكاتب النحرير الوزير أبو  
جعفر أحمد بن أيوب اللمائي؛ (توفي بمالقة  
سنة 654هـ/1256م). وهو من فحول الشعراء  
بالأندلس. كان وزيرا لعلي بن حمود؛ أمير  
مالقة؛ أيام ملوك الطوائف. ولما دفن؛ كتبت  
على قبره أبيات من نظمه هي:

بَنَيْتُ وَلَمْ أَسْكُنْ وَحَصَّنْتَ جَاهِدًا  
فَلَمَّا أَتَى الْمَقْدُورُ صَيَّرَهُ قَبْرِي  
وَلَمْ يَكُ حَظِّي غَيْرَ مَا أَنْتَ مُبْصِرٌ  
بَعَيْنِكَ مَا بَيْنَ الذَّرَاعِ إِلَى الشُّبْرِ  
فَيَا زَائِرًا قَبْرِي أَوْصِيكَ جَاهِدًا  
عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ  
فَلَا تُحْسِنَنَّ بِالذَّهْرِ ظَنًّا فَإِنَّمَا  
مِنَ الْحَزَمِ إِلَّا يُسْتَنَامَ إِلَى الدَّهْرِ

وحاول بعض أصحابه الترويح عليه؛ أثناء  
مرضه؛ فأجابهم مرتجلا:

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقُلْتُ لَهُ  
لَا لَا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ  
أَمَّا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خَامِدَةٌ  
عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ تَتَّقِدُ

ومن شعره أيضا:  
قَدْ قُلْتُ إِذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِ  
وَالْبَيْنُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهَبًا  
لَوْ أَنَّ لِي مُلْكًا أَصُولُ بِهِ  
لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا

ويقول كذلك:  
غَنِيٌّ وَلِلْإِقْعَاعِ فَوْقَ  
وَكَأَنَّمَا يَدُهُ فَمٌّ  
قَ بَيَانَ مَنْطِقِهِ بَيَانُ  
وَقَضِيئُهُ فِيهَا لِسَانُ

— ثم الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله ابن داود اللمائي؛ المعروف بالمالطي (ت. سنة 538هـ/1143م)؛ وهو من أهل المرية؛ وله تأليف جمع فيه بين كتابي: المتقى للباجي، والاستذكار لابن عبد البر. ولا ندري حتى الآن مدى انتماء هذين العالمين إلى لماية؛ بحيث بقي التساؤل قائما: هل ينتميان إلى القبيلة أصلا؛ أم ينتميان إلى المقاطعة الأندلسية لا غير. ونظرا لما عرفناه؛ عن استيطان القبائل الأمازيغية جماعات، جماعات؛ كل منها في منطقة خاصة بها؛ فإننا لا نستبعد انحدار هذين العالمين من القبائل المستوطنة فيها. ومن جهة أخرى فقد تعذر الحصول على معلومات كافية تخص أعيان

هذه القبيلة، وعلمائها يبلاد المغرب؛ وهذا عائد إلى الطابع البدوي المتفشي بين أبنائها، وإلى السلوك السلبي الذي اتبعه المؤرخون السنيون آنئذ؛ إذ كانوا يتجاهلون أخبار العلماء من الإباضيين؛ وغيرهم ممن يخالفونهم مذهبيًا؛ وهذا بالطبع يدخل في باب العصية المذهبية. ومع هذا فقد تضمن كتاب الدرجيني؛ طبقات المشائخ بالمغرب؛ أخبارًا عن بعض علماء لمائة؛ على قلتهم؛ وهم:

— ثم أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ ويقال أنه لم يكن يحفل بدينه في شبابه؛ ولم يتب إلا في كبره؛ حيث توجه إلى جزيرة جربة؛ أين تلقى العلم؛ حتى أصبح من علماء المذهب الإباضي البارزين؛ وهو أحد العلماء السبعة الذين اعتكفوا في غار أمجاج، أين صنفوا فيه تصنيفًا يتناول موضوع الفقه الإباضي؛ وهو في اثني عشر جزءًا.

— ثم أبو محمد عبد الله بن الأمير اللمائي  
(من أعلام النصف الأول من القرن الخامس  
للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي  
أيضا.

\*\*\*

— مواطنهم: يضع ابن خلدون لمائة في عداد  
القبائل الرحل؛ التي تنتقل عبر بلاد إفريقية،  
والمغرب؛ طلبا للنجعة. على أن جمهورهم كان  
يرتفع في مراتع المغرب الأوسط؛ في السهوب  
المتاخمة للصحراء. ثم يحدد تلك المواطن؛  
بأرض السرسو؛ جنوب منداس، وإلى الغرب  
أرض زواغة. وفي الشمال، والشرق تتواجد  
مطماطة، ومكناسة، وزناتة<sup>1</sup>.

É É É

(3) — مديونة:

وهم من بني فاتن أيضا. وتذكر  
المصادر التاريخية؛ بأن فئات من هذه القبيلة  
تكون قد لعبت أدوارا هامة في تاريخ الأندلس؛

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 246 — 250.

بعد أن أجازوا إليها أيام الفتح. ويبدو أن هجرتهم إلى الأندلس قد قلصت سطوتهم بديار المغرب؛ لذا نجدهم أضحووا في موقف ضعيف؛ عندما تغلبت قبائل: بني راشد، وبني توجين (من زناتة) على ربوع المغرب الأوسط؛ حيث مدوا سلطانهم على مواطن مديونة الضعيفة؛ بسبب افتراق أتباعها، وتضاؤل عددهم؛ نتيجة للحروب، والهجرة. وعليه.. فقد ألزمت زناتة قبيلة مديونة بدفع الضرائب، وإعطاء المغارم. كما زاحمتها في مواطنها؛ مما أدى بهم إلى الإنحياز إلى حصون جبل تسالة، وجبل وجدة؛ المعروف بهم. ومع الأيام.. بقي منهم من يتعاطى حرفة الفلاحة؛ بينما ظل آخرون موزعين بين القبائل. وبقي حي منهم — أيام ابن خلدون — بين فاس، وصفروي؛ إذ كانوا مجاورين لمغيلة<sup>2</sup>.

! ! !

---

<sup>2</sup> المصدر السابق، مج: 6، ص ص: 256 — 257.

— أعيانهم: أنجبت مديونة عددا كبيرا من العلماء، والصالحين؛ منهم:

— أبو عبد الله محمد بن أسود بن شعيب المديوني؛ فقيه؛ ولي القضاء بإفريقية. ربما كانت له علاقة ما مع محمد بن أسود؛ قاضي المرية؛ الذي انتدب لمحاورة المهدي أمام السلطان المرابطي علي بن يوسف؛ في مراكش.

— ثم أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد ابن فُرتُون المديوني (ت: سنة 377هـ/948م)؛ وهو من الرواة، والزهاد؛ كان يسكن في مدينة الفرج؛ قال عنه ابن بشكوال<sup>1</sup>: ((سمع الناس منه؛ وكان خيرا، فاضلا، زاهدا، ثقة فيما رواه. ومن روايته عن وهب بن مسرة؛ قال: دخلت على محمد بن وضاح بين المغرب والعشاء مودعا؛ فقلت له: أوصني رحمك الله؛ فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفرّ من الناس؛ فإن الحسد بين اثنين، والنميمة بين اثنين؛ والواحد من هذا سليم)).

---

<sup>1</sup> الصلة، ج: 1، ص: 6.

— ثم أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني (ت: سنة 768هـ/1366م)؛ فقيه، وقاضي. وهو والد عائشة المديونية؛ أم ابن مرزوق الحفيد؛ استعمله أبو الحسن في خطة تنظر في سماع الشكايات، وفي جمع الزكاة؛ ثم ولاه أبو عنان خطة القضاء بتلمسان.

— ثم عبد الرحمن بن محمد بن عطية المديوني؛ المعروف بالجادري (تضاربت الآراء حول تاريخ وفاته بين: 818 و 839 و 840 هـ/1415 و 1435 و 1436م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وميقاتي؛ وصاحب منضومة روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، كما قام بتأليف فهرسة ضمت معلومات عن شيوخه، وكتاب في شرح البردة، وكتاب اقتطاف الأنوار، ومختصر الاقتطاف، وكتاب اشتمل على طريقة العمل بالإسطرلاب مع الصفيحة الشاكرية وربع الدائرة، والعمل بالحساب والجدول؛ اشتمل على 42 بابا، وكتاب تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، وأرجوزة بعنوان النافع في أصل حرف نافع، وكتاب المذكر والمؤنث.. وغيره.

— ثم يحيى بن محمد المديوني المعروف بأبي السادات الأكبر (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة)؛ فقيه، وصوفي.

— ثم محمد بن يحيى المديوني المعروف بأبي السادات الأوسط توفي بعد سنة 950هـ/1543م). فقيه، ومدرس؛ تصدر للإفتاء بتلمسان.

— ثم أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن يحيى المديوني المعروف بابن جيدة الجهبزي الوهراني (ت سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من الصوفيين الصالحين.

— ثم محمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني المعروف بأبي السادات الحفيد (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ فقيه، ومحقق؛ تصدر للتدريس.

— ثم محمد بن عبد الله المديوني (توفي بعد عام 960هـ/1552م)؛ فقيه، وخطيب؛ له اهتمام بالعلوم العقلية، والنقلية. وهو من مدينة الفرج بالأندلس.

— ثم أحمد بن موسى المديوني. فقيه.

— ثم محمد بن أحمد بن محمد المليتي المديوني؛ (توفي سنة 985هـ/1577م)؛ مدرس؛ وهو والد ابن مريم.



— ثم عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني  
(من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن  
للهجرة)؛ وهي أم الإمام ابن مرزوق الحفيد؛  
الذي قال في شرحه على البردة: أنها ألفت  
مجموعاً من الأدعية؛ وكانت من النساء  
الصالحات؛ واشتهرت بتعبير الرؤيا؛ إذ تمكنت  
من هذا الفن؛ بفضل إطلاعها الواسع.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن  
أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني؛  
المعروف بابن مريم (كان حياً سنة  
1025هـ/1616م)؛ وهو فقيه مالكي، ومؤرخ؛ ألف  
12 كتاباً في علوم الدين، والتراجم؛ أشهرها  
كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء  
بتلمسان، كتاب كشف اللبس والتعقيد عن  
عقيدة أهل التوحيد، وتعليق على رسالة  
خليل.

— ثم محمد بن بلال المديوني. فقيه، وصوفي؛  
ملم بالإقراء.

— ثم أحمد بن رقية المديوني؛ الضليع في العلوم  
العقلية، والنقلية.

ومن أمراء مديونة الذين كان لهم ذكر  
في التاريخ:

— جرير بن مسعود (من أعلام النصف الأول  
من القرن الثاني للهجرة)؛ المنضم إلى أبي قرة،  
وأبي حاتم؛ في ثورتيهما ضد ولاة القيروان.

— ثم هلال بن أبزيا (من أعلام القرن الثاني  
للهجرة)؛ وهو الذي الذي خرج على عبد  
الرحمن الداخل بشنت بريّة بالأندلس؛ متحالفًا  
بذلك مع الثائر البربري شقيا المكناسي.

— ثم نابتة بن عامر (من أعلام القرن الثاني  
للهجرة)؛ هو الذي خلف هلال بن أبزيا  
على قيادة قومه من مديونة بشنتبرية.

\*\*\*

— مواطنهم: يحدد ابن خلدون مواطن جمهور  
مديونة بأطراف تلمسان. وبالتحديد.. ما بين  
جبل بني راشد (جبل العمور حاليا) وبين  
جبل مديونة؛ جنوب وجدة. ويقول أنهم  
كانوا ظواعن؛ يرتحلون عبر هذه الضواحي،  
والجهات. ومواطنهم مجاورة لبني يلومي، وبني

يفرن؛ من جهة الشرق، وإلى الغرب منهم  
مكناسة؛ أما جهة الساحل فكومية، وولهاصة.

## É É É

### (4) - مطغرة:

ينتسبون إلى بني فاتن. ويتميز هذا الحي  
بوفرة أعداده. وتعتبر مطغرة من بين القبائل  
المدرية؛ التي اختارت حياة الاستقرار؛ في  
الأرياف، وفي بعض الواحات، والقصور الجنوبية.  
ولعبت هذه القبيلة أدوارا خطيرة؛ في تاريخ  
المغرب الإسلامي؛ حيث تزعمت الحلف القبلي  
الأمازيغي؛ ضد ولاية بني أمية؛ بعد أن اعتنقت  
- مع حلفائها - المذهب الخارجي؛ الصفري.  
وشبت ثورتهم جميعا؛ بقيادة ميسرة المطغري؛  
ما بعد العقد الثاني من القرن الثاني للهجرة؛  
حيث أشعلت ثورة تلك القبائل المتحالفة  
المغرب الإسلامي كله بنيران الحرب، والعصيان؛  
الأمر الذي كاد أن يزيل الوجود العربي تماما  
من هذه الربوع. وقد انتهى الحال بقبيلة  
مطغرة - أخيرا - إلى الفرقة، والضعف؛  
فاندرجت ضمن قبيلة كومية - في العهد  
الموحدى - بحكم الجوار، والحلف؛ ثم أضحت

— بعد ذلك — في عداد القبائل الخاضعة  
لأحكام الدولة، والدافعة للضرائب<sup>1</sup>.

! ! !

— أعيانهم: أنجبت مطغرة كغيرها من القبائل  
عددا من العلماء والأدباء؛ منهم:

— عبد الله بن عمر المطغري (توفي بدرعة  
سنة 927هـ/1520م)؛ فقيه، وفرضي؛ له إمام  
بالحساب. كان من الحفاظ، والناثرين،  
والناظمين؛ وهذه عينة من منظوماته؛ ذات  
الطابع التعليمي:

عَلِّمَ وَأَمْرُ الْقَيْسِ وَالنَّابِغَةِ  
عَنْتَرَةَ طَرْفَةَ وَزَهَيْرُ أَوْفَا  
هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ شَهِدُوا عِنْدَنَا  
لِفَصَاحَةِ شِعْرِهِمُ الْمُقْتَفَى

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن  
فارس المطغري (ت: حوالي 950هـ/1543م)؛ كان  
أديبا، وشاعرا، وأستاذا. وكما هو معروف؛

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 239 — 245.

ففي بلاد الغرب يلقب بالأستاذ كل المتكئين  
من فنون الأدب، وعلوم اللغة، والنحو.

— ثم أبو الحسن علي بن موسى بن علي  
ابن هارون المطغري (ت: سنة 951هـ/1544م)؛ وهو  
من كبار فقهاء المالكية؛ له إمام بالتفسير،  
وعلوم: اللغة، والفرائض، والحسبان.

— ثم عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر  
المطغري (كان حيا سنة 960هـ/1552م). كان  
ينظم الشعر؛ من نظمه:

صَحَوْتُ وَعُدْتُ قَبْلَ يَفْضَحَنِي السُّكْرُ  
وَنَلْتُ الْهَوَى جَهْلًا فَأَدَّبَنِي الدَّهْرُ  
وَيَّيْتُ لَزِمْتُ وَأَنْفِرَادِي أَلْفَتْهُ  
وَسَيَّانٍ عِنْدِي وَصَلُ مَيَّةٍ وَالْهَجْرُ  
فَدِينِي التَّعَامِي وَالتَّجَاهُلُ سِيرَتِي  
وَلَسْتُ أَبَالِي جَاءَ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُ

وقال في المواضع التي تكون فيها الصلاة  
على النبي صلى الله عليه وسلم مكروهة:

عَجِبْتُ لِمَنْ صَلَّى بَعَثَرَةً بَائِعٍ  
وَحَاجَةً عَطَّاسٍ وَذَبَحَ مُجَامِعٍ  
لِذَا سَبَعُهَا دَعِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ  
وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا وَتَابِعِ

— ثم محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطغري؛ المعروف بابن رحمة (ت: سنة 1001هـ/1592م). كان فقيها، ومن الصوفية.



ومن أعيان مطغرة، وقادتهم الذين اشتهروا بالسياسة، وشئون الحكم فيهم:

— أميرهم ميسرة المطغري (قتله أصحابه سنة 122هـ/739م)؛ ويقال أنه كان يعمل في السقاية؛ لذا عرف أيضا بالسقاء. تولى قيادة الصفريّة في ثورتهم على ولاية بني أمية بالمغرب؛ وتطلع بعد انتصاراته الأولى إلى رتبة الخلافة؛ فأعلن نفسه خليفة، وبايعه أنصاره بتلك الرتبة؛ ولكنهم خلعوه، وقتلوه بتهمة سوء السيرة.

— ثم يحيى بن حارث المطغري (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خلف ميسرة في رئاسة قبيلة مطغرة بعد مقتله؛ وتحالف بعد انفضاض الصفريّة؛ مع أمير مغراوة محمد بن خزر.

— ثم بهلول بن عبد الواحد المطغري (كان حيا سنة 197هـ/812م)؛ وهو زعيم مطغرة في عهد الأدارسة؛ كان في البداية من المقربين إلى إدريس الثاني؛ بل تولى رعاية شئونه، وشئون دولته؛ بعد موت راشد الوصي على إدريس؛ ومع هذا تغير موقفه حين أغراه ابن الأغلب؛ وتمت بينهما مراسلات عديدة انتهت إلى انحراف بهلون عن إدريس؛ ومما وصلته من عود ما جاء في هذا البيت الشعري لابن الأغلب شعرا:

وَبَائِعُ لِهَارُونَ الْإِمَامِ بَطَاعَةً  
تَجِدُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ خَيْرَ مُكَافِي

وكان جواب بهلول شعرا كذلك:

فَعَجَّلْ عَلَيَّ رَدَّ رَأْيِي فَإِنِّي  
أُرِدُّ الْهَوَى لِّلْحَقِّ حِينَ يُوَافِي

وبالفعل تم الاتفاق بينهما. وقد أشار صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس إلى هذا الموضوع بقوله<sup>1</sup>: ((وكان بهلول بن عبد الواحد معظما في قومه؛ وكان من خاصة

---

<sup>1</sup> ص ص: 11 — 12.

إدريس؛ فكتبه ابن الأغلب؛ عامل الرشيد  
على إفريقية، واستهواه بالمال؛ فمال إليه،  
وباع الرشيد؛ فكتب إليه إدريس بن  
إدريس:

أَبْهَلُولُ قَدْ شَمَمْتَ نَفْسَكَ خُطَّةً  
تَبَدَّلْتَ مِنْهَا صَوْلَةَ بَرَشَادٍ  
أَضَلَّكَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بُعْدِ دَارِهِ  
فَأَصْبَحْتَ مُنْقَادًا بَغَيْرِ قِيَادٍ  
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِمَكْرِ ابْنِ الْأَغْلَبِ  
وَقَدْ تَرَامَى بِالْكَيْدِ كُلِّ بِلَادٍ  
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّكَ نَفْسُكَ خَالِيًا  
وَمَنَّكَ إِبْرَاهِيمُ شَوْكَ قِتَادٍ)).

— ثم هارون بن موسى بن خليفة المطغري  
(توفي في الأندلس بعد سنة 672هـ/1272م)؛ كان  
رئيساً على قبيل مطغرة في وقت قيام دولة  
بني عبد الواد؛ إذ تولى يغمراسن بن زيان  
بمطاردته؛ بعد أن حاول الاستقلال بندرومة؛  
فلجأ إلى بني مرين، ثم هاجر إلى الأندلس؛  
بغرض الجهاد؛ فاستشهد بتلك الديار. فخلفه  
على رئاسة مطغرة أخوه تاشفين.



— ثم تاشفين بن موسى بن خليفة المطغري  
(ت: سنة 703هـ/1303م)؛ هو الذي توارث أبناؤه  
زعامة القبيلة؛ فيما بعد.

\*\*\*

— مواطنهم: لقد تعددت مواطن هذه القبيلة،  
وتنوعت؛ إذ منها ما هو بالتلول، والجبال،  
ومنها ما هو في الواحات، والقصور  
الصحراوية. ففي البداية.. استوطن جمهورهم  
المغريين: الأوسط، والأقصى؛ ثم انتقل جمع  
منهم إلى الأندلس؛ أثناء الفتح؛ فاستقروا هناك.  
وبقي الآخرون في تلول المغرب، وصحرائه.  
ومواطنهم التلية محاذية للبحر؛ بجوار كومية؛  
حيث شيدوا حصنهم المعروف بتاونت. كما أن  
محاولتهم إقامة إمارة في ندرومة؛ تدل على  
وقوعها ضمن مواطنهم؛ خاصة في العهد الذي  
تحالفوا فيه مع جيرانهم من كومية.

ويرى ابن خلدون أن بعض الأحياء من  
مطغرة تسكن بجبل يسمى باسمهم؛ جنوب  
مدينة فاس. كما يوجد بأطراف سجلماسة  
جمع كبير منهم. ثم يقول في سياق حديثه:

((وربما حدثت بها عصية من جراهم)).  
ويذكر - أيضا - أن أعدادا كبيرة منهم تنتشر  
في الصحراء؛ يحترفون فلاحه النخيل؛ على  
الطريقة العربية. كما يتواجدون في شريط عريض  
من القصور المتتالية؛ في الصحراء؛ من سجلماسة  
إلى توات، إلى قليعة، فيقول: ((ومنهم في قبلة  
تلمسان؛ وعلى ست مراحل منها؛ وهي قصور  
متقاربة بعضها من بعض؛ ائتلف منها مصر  
كبير، مستبحر بالعمران البدوي؛ محدود في  
آحاد الأمصار بالصحراء؛ ضاح من ظل  
الملك، والدول؛ لبعده في القفر. ورئاسته في بني  
سيد الملوك منهم. وفي شرقيها، وعلى مراحل  
منها؛ قرى أخرى متتابعة على سمتها؛  
متصاعدة قليلا إلى الجوف؛ آخرها على مرحلة  
من قبلة جبل راشد...وفي جهة الشرق عن  
هذه القصور؛ وعلى خمس مراحل منها؛  
دامعة، متوغلة في القفر تعرف بقلعة. والآن  
يعتمرها رهط من مطغرة هؤلاء...))<sup>1</sup>.

É É É

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 245.

## (5) - مطماطة:

وهم من بني فاتن كذلك. ومطماط لقب لأبيهم؛ أما اسمه فهو مصكاب. ولهذا الحي بطون كثيرة جدا؛ منتشرة في ربوع المغرب، وإفريقية. هذا.. وقد كان لمطماطة دور هام بالمغرب؛ في عهد الدولة الزييرية؛ حيث استفحل أمرهم في أواخر الدولة. وظهر أثرهم جليا؛ خلال فتنة حماد بن بلكين، مع باديس ابن المنصور. ورئيس مطماطة - آنئذ - هو عُزْانَة؛ الذي قاد قومه في الحروب، والفتن التي دارت بينهم وبين جيرانهم؛ من لواتة، وغيرهم. وبعد موته خلفه ابنه زييري؛ الذي أجاز - فيما بعد - إلى الأندلس؛ عندما تغلبت لتونة على بلاد المغرب؛ فاستضافه ابن أبي عامر، ثم اصطنعه مع من انضم إليه من أمراء الأمازيغ<sup>1</sup>.

! ! !

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 250 — 254.

— أعيانهم: من أشهر أعيان مطماطة، وعلمائها:  
— عبد الله بن إدريس المطمطي (من أعلام  
النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ ولي  
كتابة خراج الدولة الفاطمية؛ في عهد عبيد  
الله المهدي.

— ثم النسابة الشهير كهلان بن أبي لوا بن  
يصلاصن (من أعلام النصف الأول من القرن  
الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء مطماطة،  
ومن النسابين المشهورين؛ أجاز إلى الأندلس؛  
ونزل على الناصر لدين الله الأموي.

— ثم النسابة الذائع الصيت سابق بن سليمان  
ابن حراث بن صولات بن دوفاس؛ الذي  
وصفه ابن خلدون بـ((كبير نسابة البربر؛  
ممن علمناه)).

— ثم أبو عمران المطمطي. فقيه؛ من أهل  
الصلاح.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن  
عبد السلام التنسي المطمطي (توفي بتلمسان  
حوالي سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه؛ قال عنه ابن  
مريم: ((انتهت إليه رئاسة التدريس، والفتوى

في أقطار المغرب كلها...وله شرح على التلقين؛ لعبد الوهاب في عشر أسفار<sup>2</sup>.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد المطمطي المعروف بالبزاز؛ له رواية عن مالك؛ غير أن المحققين أنكروها.

— ثم أبو علي بن أحمد بن إبراهيم السلاوي المطمطي (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأستاذ.

— ثم علي بن موسى بن إسماعيل السلاوي المطمطي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة). فقيه.



ومن الرؤساء، والشيوخ الذين ذكروا في أحداث المغرب:

— إرهاص بن عصفراصن؛ وهو الذي أخرج مندا من موطنهم، وأسكن مطماطة فيه.

— ثم عزانة المطمطي السابق الذكر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة).

---

<sup>2</sup> البستان، ص ص: 66 — 67.

— ثم ولده زيري بن عزانة المطماطي أعلام  
النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو  
الذي خلف والده في زعامة مطماطة

\*\*\*

— مواطنهم: تنتشر مواطن مطماطة في ربوع  
المغرب الإسلامي كله. فبعض الأحياء منهم —  
كما يقول ابن خلدون — كانوا مستقرين بـ:  
(هذه شعوب مطماطة — كما ذكر نسبة  
البربر؛ سابق وأصحابه — وهم مفرقون في  
المواطن؛ فمنهم من نواحي فاس؛ من قبلتها؛  
في جبل هنالك معروف بهم؛ ما بين فاس  
وصفرووي. ومنهم بجهات قابس؛ والبلد المختط  
على العين الحامية؛ من جهة غربها؛ منسوب  
إليهم. ولهذا العهد يقال حمة مطماطة...  
وبقياهم أوزاع من القبائل. وكانت مواطن  
جمهورهم بتلول منداس؛ عند جبل وانشريس،  
وجبل كزول؛ من نواحي تاهرت. وكان لهم  
بتلك المواطن أخريات دولة صنهاجة  
استفحال، وصوله...وبقية هؤلاء القوم لهذا

العهد بجبل وادشنيش. [ربما وانشريس]]<sup>1</sup>. ثم ذكر أن قبيلة مطماطة نزحت عن منداس؛ بعد إخراجها منها بواسطة بني توجين؛ حيث لجأت إلى جبل وانشريس؛ أين أصبحت في عداد القبائل الغارمة.

## É É É

### (6) — مغيلة:

هم — بدورهم — من بني فاتن. وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا خطيرة في القرون الأولى من الفتح؛ حيث كانت في مقدمة القبائل الثائرة على ولاية القيروان. وثمة قول يجعل أبا قرة؛ زعيم الثوار من مغيلة؛ وإن كانت أقوال أخرى أصدق؛ تنكر ذلك. وبعد انحسار الفتنة الصفيرية؛ وقامت مغيلة — أيضا — بنشر دعوة إدريس الأكبر إلى جانب أوربة، وصدينة، والقبائل المنضوية تحت سلطانه؛ حيث أخضعوا جزءا من المغرب الأقصى لدولته. وتندرج ضمن قبيلة مغيلة أخواتها؛ التي التحقت بها مثل: درنة، وكشاته، وملزوزة. وربما اندمجت بهم —

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 251 — 254.

أيضا — قبيلة صدينة؛ حليفتهم في عهد الأدارسة. وبذلك أضحت هذه القبائل في عداد مغيلة، ومنسوبة إليها<sup>1</sup>.

! ! !

— أعيانهم: أنجبت مغيلة نخبة متميزة من العلماء؛ منهم:

— عمر بن حمدون الأموي المغيلى (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من سكان رية بالأندلس؛ وكان عالما، حافظا للمسائل؛ عاش في عهد عبد الرحمن بن معاوية.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد المغيلى القرطبي (ت: سنة 334هـ/945م)؛ وهو أحد علماء الحساب، والزراعة.

— ثم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد المغيلى القرطبي (توفي سنة 362هـ/972م)؛ وهو أديب، وكاتب بليغ؛ تمكن من علوم العربية، وفن الشعر، ومحدث بارع؛ كانت له ردود شعرية مع أبي الحسن جعفر بن عثمان

---

<sup>1</sup> المصدر السابق، ج: 6، ص ص: 254 — 256.



المصحفي. ومن شعره الوعظي مقطوعة وجهها  
إلى أحد معارفه (هو أبو بكر اللؤلئي)؛ إثر  
علة ألت به:

تَيَّيْنُ فَقَدْ وَضَحَ الْمَعْلَمُ  
وَبَانَ لَكَ الْأَمْرُ لَوْ تَفْهَمُ  
هُوَ الدَّهْرُ لَسْتُ لَهُ آمِنًا  
وَلَا أَنْتَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ  
وَأِنْ أَخْطَأْتُكَ لَهُ أَسْهَمُ  
أَصَابَتِكَ بَعْدَ لَهُ أَسْهَمُ  
لِيَالِيهِ تُذْنِي إِلَيْكَ الرَّدَى  
دَوَائِبُ فِي ذَاكَ مَا تَسْأَلُ  
أَتَفْرَحُ بِالْبُرِّ بَعْدَ الضَّنَا  
وَفِي الْبُرِّ دَاوُكَ لَوْ تَعْلَمُ  
فَأَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَتْبَاعُهُمْ  
وَذُرِّيَاهُمْ أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ  
فَهَذِي الْقُبُورُ بِهِمْ عُمِّرَتْ  
وَتِلْكَ الْقُصُورُ خَلَتْ مِنْهُمْ  
لَقَدْ صَرَّحَ الْحَقُّ عَنْ غَيْبِهِ  
وَبَانَ لَكَ الْحَزْمُ لَوْ تَعَزَّمُ  
فَحَتَّى مَتَى أَنْتَ طَوَّعَ الرَّدَى  
وَتَعْصَى الْإِلَهَ وَلَا تَنْدَمُ  
إِلَى اللَّهِ نَشْكُو قُلُوبًا قَسَتْ  
وَنَشْكُو مَدَامِيعَ مَا تَسْجُمُ

— ثم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حارث القسّام المغيّلي القرطبي (ت: سنة 377هـ/987م)؛ فقيه؛ عمل لدى القضاة كعدل؛ وكان ظريفاً، خفيف الظل، كثير الدعابة، مقرب من السلطان.

— ثم أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيّلي (توفي بطلبيرة سنة 396هـ/1005م)؛ فقيه؛ مستوعب لعلوم الفقه، والحديث.

— ثم أبو الحسن علي بن محمد بن خلف الشاطبي المغيّلي؛ قال عنه الأوسي المراكشي: ((رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرَكَةَ، وَحَكِي عَنْهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عِيَادٍ؛ وَهُوَ فِي عِدَادِ أَصْحَابِهِ؛ وَكَانَ ثِقَةً خَيْرًا))<sup>1</sup>.

— ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيّلي (من أعلام النصف الأول من القرن السابع للهجرة). فقيه.

— ثم أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيّلي (توفي بتلمسان سنة 720هـ/1320م)؛ وهو من الأدباء، والكتاب، وأعلام الفقه؛ تصدر للتدريس في تلمسان؛ وقد يكون هو الذي أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة؛ حين

---

<sup>1</sup> الذيل والتكملة، سفر: 5، قسم: 1، ص: 304.

ترجم الى عبد الله بن علي بن سلمون  
الكناني؛ ولكنه كناه أبا غالب.

— ثم عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي  
(توفي بمصر سنة 746هـ/1345م)؛ وولي قضاء  
المالكية بالديار المصرية؛ فكان حميد السيرة.

— ثم الشيخ الفقيه أحمد بن علي بن أحمد  
المغيلي السلاوي (ت: بعد 810هـ/1407م).

— ثم عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن  
صالح المغيلي (كان حيا سنة 816هـ/1416م)؛  
وهو من علماء الفقه المالكي؛ أعد شرحا  
على التلمسانية.

— ثم أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي  
(ت: سنة 833هـ/1429م). فقيه؛ وولي القضاء.

— ثم محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي؛  
الشهير بالجلاب التلمساني (ت: سنة 875هـ/1470م)؛  
فقيه؛ قال عنه الشيخ السنوسي: ((إنه حافظ  
لمسائل الفقه)) وكان من المختصين بالإفتاء.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن موسى بن  
عيسى المغيلي (ت: سنة 883هـ/1478م)؛ فقيه. ولي  
قضاء مازونة.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن  
المغيلي (ت: بعد 884هـ/1479م)؛ فقيه؛ ولي القضاء  
بأزمور؛ وكان يقرض الشعر؛ ومن شعره هذه  
الآبيات التي يصف فيها فاس؛ إذ كان متشوقا  
إليها؛ بعد أن انتقل إلى أزمور:

يَا فَاسُ حَبَا اللَّهُ أَرْضَكَ مِنْ ثَرَى  
وَسَقَاكَ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ الْمُسْبِلِ  
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي أَرَبْتَ عَلَى  
عَدْنٍ بِمَنْظَرِهَا الْبَهِيِّ الْأَجْمَلِ  
غُرْفٌ عَلَى غُرْفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَا  
مَاءٌ أَلَذُّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ  
وَبَسَاتِينُ مِنْ سُندُسٍ قَدْ زُخِرْفَتْ  
بِحَدَاوِلِ كَالْأَيْمِ أَوْ كَالْفَيْصَلِ  
وَبِجَامِعِ الْقُرَوِيِّينَ شُرْفٌ ذِكْرُهُ  
أَنْسٌ تَذَكُّرُهُ يُهَيِّجُ تَمَلُّمِ  
وَبِصَحْنِهِ زَمَنَ الْمَصِيفِ مُحَابَسُ  
فَمَعَ الْعَشِيِّ الْقُرْبَ فِيهِ اسْتَقْبَلِ  
وَاجْلِسْ إِزَاءَ الْخُصَّةِ الْحَسَنَاءِ بِهِ  
وَارْكَعْ بِهَا عَنِّي فَدَيْتُكَ وَأَنْهَلِ

— ثم أبو غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي. فقيه.

— ثم أبو عبد الله محمد بن أبي غالب بن حسان المغيلي (ت: سنة 898هـ/1492م)؛ خطيب، ونائب في الأحكام الشرعية.

— ثم أبو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت: سنة 909هـ/1503م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية، ومن المتكلمين، وأصحاب التفسير. له مؤلفات كثيرة في الفقه، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والمنطق، والعربية، والآداب السلطانية، والشعر؛ تصل إلى 18 تأليفا تقريبا؛ أهمها: البدر المنير في علوم التفسير، وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، ومختصر تلخيص المفتاح، وشرحه في البلاغة، وشرح الجمل للخونجي، ومقدمة في المنطق، ومنظومة فيها — أيضا — بعنوان منهج الوهاب؛ خصها بثلاثة شروح، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين؛ وهو نقد للمتصوفين؛ حسبما يبدو، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتوح المبين، وشرح خطبة المختصر، ورسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح؛ التي بعث بها إلى علماء أقطار المغرب؛ لحثهم على

مناهضة اليهود، والتصدي لهيمنتهم. وحدث بينه وبين جلال الدين السيوطي خلاف؛ حول شرعية تعاطي علم المنطق؛ فأرسل إليه هذه المنظومة؛ مدافعاً فيها عن هذا العلم، ومعارضاً لموقف السيوطي؛ الذي ينهى عنه. ومن هنا يتبين تفوق المنهج العلمي عند المغيلي؛ الذي يستند إلى المنطق؛ الفاصل بين ما هو حق وما هو باطل؛ بالاستناد إلى أسس عقلية. وهذه أبيات من منظومة المغيلي:

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ  
وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ  
أَيَمَكِنُ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ  
وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ  
هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَعْنِيُّ إِلَّا عِبَارَةٌ  
عَنِ الْحَقِّ أَوْ حَقِيقَةٍ حِينَ جَهْلِهِ؟  
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ فَهَلْ تَرَى  
دَلِيلًا صَاحِحًا لَا يَرُدُّ لَشَكْلِهِ؟  
أَرِينِي هَذَاكَ اللَّهَ مِنْهُ قَضِيَّةٌ  
عَلَى غَيْرِ هَذَا تَنْفِهَا عَنْ مَحَلِّهِ  
وَدَعْ عَنْكَ مَا أَبْدَى كُفُورٌ وَذَمُّهُ  
رَجَالٌ وَإِنْ أَثْبَتَ صِحَّةَ نَقْلِهِ

خُذِ الْحَقَّ حَتَّىٰ مِنْ كُفُورٍ وَلَا تَقِمْ  
دَلِيلًا عَلَىٰ شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ  
عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ لَا الْعَكْسَ فَاسْتَبِنْ  
بِهِ لَا بِهِمْ إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجْلِهِ  
لَئِنْ صَحَّ عَنْهُمْ مَا ذَكَرْتَ فَكَمْ هُمْ  
وَكَمْ عَالِمٍ بِالشَّرْعِ بِأَحَبِّ فَضْلِهِ؟

فأجابه السيوطي بمنظومة أيضا:  
حَمَدْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ شُكْرًا لِفَضْلِهِ  
وَأَهْدِي صَلَاةً لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِهِ  
عَجَبْتُ لِنَظْمٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ  
أَتَانِي عَنْ حَبْرٍ أَقْرُبُ بِنَبْلِهِ  
تَعَجَّبَ مِنِّي حِينَ أَلْفَتْ مُبْدَعًا  
كِتَابًا جَمُوعًا فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ  
أَقْرُرُ فِيهِ النَّهْيُ عَنْ عِلْمٍ مَنَظِقِ  
وَمَا قَالَهُ مِنْ قَالَ مِنْ ذَمٍّ شَكْلِهِ  
وَسَمَّاهُ بِالْفَرْقَانِ يَالَيْتَ لَمْ يَكُنْ  
فَذَا وَصَفُ قُرْآنٍ كَرِيمٍ لِفَضْلِهِ  
وَقَدْ قَالَ مُحْتَجًا بغيرِ رَوَايَةٍ  
مَقَالًا عَجِيبًا نَائِيًا عَنْ مَحَلِّهِ  
وَدَعُ عَنْكَ مَا أَبْدَى كُفُورًا وَبَعْدَ ذَا  
خُذِ الْحَقَّ حَتَّىٰ مِنْ كُفُورٍ بِخَتْلِهِ

وقد جاءت الآثارُ في ذمِّ مَنْ حَوَى  
عُلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لأجلِهِ  
يَحُوزُ بِهِ عِلْماً لَدَيْهِ وَإِنَّهُ  
يُعَذِّبُ تَعْذِيباً يَلِيقُ بِفِعْلِهِ  
وقد منَعَ الْمُخْتَارَ فاروقَ صَحْبِهِ  
وقد خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَوْرَةِ أَهْلِهِ  
وَكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَاعِ لِكَاغِفِرِ  
وإن كَانَ ذَاكَ الْأَمْرُ حَقّاً بِأَصْلِهِ  
أَقَمْتُ دَلِيلاً بِالْحَدِيثِ وَلَمْ أَقِمِ  
دَلِيلاً عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ  
سَلَامٌ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَهُ  
لَدَيَّ ثَنَاءٌ وَاعْتِرَافٌ بِفَضْلِهِ

هذا وكانت لمحمد بن عبد الكريم المغيلي  
مواقف مثيرة للجدل؛ تجاه يهود توات؛ هاجر  
بعدها إلى بلاد السودان (تكدة، وكشن،  
وكانو، والتكرور، وكاغو)؛ وكان له تأثير  
عجيب على سلاطين تلك البلاد؛ حيث ألف  
لبعضهم بعض الكتب في الدين، وفي الأحكام  
السلطانية. ومن مآثور نظمه:



كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتِهَا  
إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ فِي الدِّينِ



ومن زعماء مغيلة ورؤسائها المتمرسين في  
شئون السياسة، والحكم:

— إلياس الغيلي (من أعلام النصف الثاني من  
القرن الأول للهجرة)؛ وهو أحد أعلام الأمازيغ  
الداخلين إلى الأندلس؛ مع الفاتح طارق بن  
زياد.

— وقد سرد ابن خلدون أسماء بعض رؤسائهم  
بقوله: ((من رؤسائهم موسى بن خُلَيْد،  
ومليح بن عُلوَان، وحسان بن زروال الداخل  
مع عبد الرحمن. وكان منهم أيضا دلول  
ابن حماد؛ أميرا عليهم في سلطان يعلى بن  
محمد اليفرني؛ وهو الذي اختط بلد إيكري  
على اثني عشر ميلا من البحر؛ وهي لهذا  
العهد خراب))<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 255

— ثم أحمد بن محمد بن إلياس المغربي (من  
أعلام النصف الأول

من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو الوزير  
القائد؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

وعما أن صديقه، وملزومة — كما سبقت  
الإشارة إليه — اندمجتا في مغيلة؛ فكل أعيان  
هاتين القبيلتين يتبعان مغيلة أيضا. وعليه يصبح  
منهم:

— أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملوذي (ت:  
سنة 155هـ/771م)؛ هو ذلك الثائر الإباضي  
المتحالف مع أبي قرة اليفرني؛ ضد ولاية بني  
العباس بالقيروان؛ فزحف إليها، وافتكها لبعض  
الوقت؛ ولكنه خسر معركته أمام يزيد بن  
حاتم؛ الذي قتله.

— ثم أبو هارون موسى بن يحيى الصديني  
الفاصي (توفي بفاس سنة 388هـ/998م). فقيه.

— ثم أبو الحسن علي بن حسن الصديني  
الفاصي (ت: بعد سنة 600هـ/1203م)؛ كان من  
أصحاب الدراية، والبراعة في علوم النحو العربية  
والفقه؛ فأهلته معارفه وسيرته الحميدة لتولي  
قضاء غرناطة والتدريس بها.

— ثم أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي المعروف بعزوز (قتل خنقا بسجن فاس سنة 697هـ/1297م)؛ شاعر الأمراء المرينيين. قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((كان شاعرا مكثرا سيال القريحة؛ منحط الطبقة، متجندا، عظيم الكفاية والجرأة، جسورا على الأمراء، علق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقائعهم وحروبهم، وخلط المَعْرَبَ باللسان الزناتي في مخاطبتهم، فعرف بهم، ونال عريضا من دنياهم، وجما من تقرّيبهم))<sup>1</sup>. ولي في دولة بني مرين خطة الحسبة؛ من شعره قصيدة طويلة قالها في بيعة أبي يعقوب يوسف المريني بمدينة سلا؛ نسجل بعضها هنا:

يَا ظَلِيَّةَ الْوَعَسَاءِ قَدْ بَرَحَ الْخَفَا  
إِنِّي صَبَرْتُ عَلَى فَرَاقِكِ مَا كَفَى  
كَمْ قَدْ عَصَيْتُ عَلَى هَوَاكِ عَوَاذِلِي  
وَأَنَابُ بِالتَّبَعِيدِ مِنْكَ وَبِالْجَفَا  
حَمَلْتَنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الْهَوَى  
وَسَقَيْتَنِي مِنْ غُنْجِ لَحْظِكَ فَرَقَا

---

<sup>1</sup> الإحاطة: ج: 1، ص: 21.

وَكَسَوْتَنِي ثَوْبَ النُّحُولِ فَمَنْظَرِي  
لِلنَّاظِرِينَ عَنِ الْبَيَانِ قَدْ اخْتَفَى  
هَذَا قَتِيلِكَ فَارْحَمِيهِ فَإِنَّهُ  
قَدْ صَارَ مِنْ فُرْطِ النُّحُولِ عَلَى شَفَا  
لَهْفِي عَلَى زَمَنِ تَقْضَى بِالْحِمَا  
وَعَلَى مَحَلِّ بِالْأَجِيرِ قَدْ عَفَا  
أَثَرِي يَعُودُ الشَّمْلُ كَيْفَ عَهْدُهُ  
وَيَصِيرُ بَعْدَ فِرَاقِهِ مُتَأَلِّقَا  
لِلَّهِ دَرْكُ يَا سَلَا مِنْ بَلَدَةٍ  
مَنْ لَمْ يُعَايِنْ مِثْلَ حُسْنِكَ مَا اشْتَفَا  
قَدْ حُزْتُ بَرًّا ثُمَّ بَحْرًا طَامِيًا  
وَبِذَاكَ زِدْتَ مَلَا حَاةً وَتَرَخَّرَفَا  
فَإِذَا رَأَيْتَ بِهَا الْقَطَائِعَ خِلْتَهَا  
طَيْرًا يَحُومُ عَلَى الْوُرُودِ مُرْفَرَفَا  
وَالْجَاذِفِينَ عَلَى الرَّكِيمِ كَأَنَّهُمْ  
قَوْمٌ قَدْ اتَّخَذُوا إِمَامًا مُسْرِفَا  
جَعَلَ الصَّلَاةَ لَهُمْ رُكُوعًا كُلَّهَا  
وَأَتَى لِيَشْرَعَ فِي السُّجُودِ مُخَفَّفَا  
وَالْمَوْجُ يَأْتِي كَالْجِبَالِ عُبَابُهُ  
فَتَظُنُّهُ فَوْقَ الْمَنَازِلِ مُشْرِفَا  
حَتَّى إِذَا مَا الْمَوْجُ أَبْصَرَ حَدَّهُ  
غَضَّ الْعِنَانَ عَنِ السُّرَى وَتَوَقَّفَا

فَكَانَهُ جَيْشٌ تَعَاظَمَ كَثَرَةُ  
قَدْ جَاءَ مُزْدَحِمًا يُبَايِعُ يُوسُفَا  
مَلِكُ بِهِ تَرْضَى الْخِلَافَةَ وَالْعُلَا  
وَبِهِ تُجَدِّدُ فِي الرِّيَاسَةِ مَا عَفَا

وله أيضا أرجوزة طويلة جدا؛ نظمها في  
عام 684هـ/1285م؛ وموضوعها هو الأحداث  
التاريخية التي عرفتھا بلاد المغرب الإسلامي؛  
مع التركيز على دولة بني مرين؛ سماها بنظم  
السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك؛ فقيمها ابن  
الخطيب بقوله: ((لم يقصر فيها عن إجادة)).

ومن هذه الأرجوزة ما قاله عن المرابطين:

مُرَابِطُونَ أَصْلُهُمْ مِنْ حِمِيرٍ  
قَدْ بَعُدَتْ أَنْسَابُهُمْ عَنْ مُضَرٍ  
وَإِنَّ صَنْهَاجَ سَلِيلُ حِمِيرٍ  
وَهُوَ ابْنُهُ لِصُلْبِهِ لَا الْعُنْصُرُ  
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ نَسَبِ صَرِيحٍ  
فَقُلُّهُ لَا تُخْفِيهِ بِالتَّصْرِيحِ  
وَعَدْلُهُمْ وَفَضْلُهُمْ مَشْهُورٌ  
وَمَجْدُهُمْ وَسَعْدُهُمْ مَذْكُورٌ

وما قاله عن زناة، وبني مرين:  
فَجَاوَرَتْ زَنَاتَةَ الْبَرِّبَرَا  
فَصَيَّرُوا كَلَامَهُمْ كَمَا تَرَى  
مَا بَدَّلَ الدَّهْرُ سِوَى أَقْوَالِهِمْ  
وَلَمْ يُبَدِّلْ مُنْتَهَى أَحْوَالِهِمْ  
بل فعلهم أربى على فعل العرب  
فِي الْحَالِ وَالْإِثَارِ ثُمَّ فِي الْأَدَبِ  
فَانْظُرْ كَمَا الْعُرْبُ قَدْ تَبَدَّلَا  
وَحَالُهُمْ عَنْ حَالِهِ تَحَوَّلَا  
لَا يَعْرِفُونَ الْيَوْمَ مَا الْكَلَامُ  
وَمَا لَهُمْ نُطْقٌ وَلَا إِفْهَامُ  
وَأِنْ تَمَادَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ  
لَمْ تَبْقَ فِي الدَّهْرِ لَهُمْ أَقْوَالُ  
كَذَاكَ كَانَتْ قَبْلَهُمْ مَرِينُ  
كَلَامُهُمْ كَالدُّرِّ إِذْ يَبِينُ  
فَاتَّخَذُوا سِوَاهُمْ خَلِيلًا  
فَبَدَّلُوا كَلَامَهُمْ تَبْدِيلًا

إلى أن قال:

فِي عَامِ عَشْرَةٍ وَسِتْمِئَةٍ  
أَتَوْا إِلَى الْعَرَبِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ  
جَاءُوا مِنَ الصَّحْرَاءِ وَالسَّبَاسِبِ  
عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ وَالنَّجَائِبِ

كَمِثْلِ مَا قَدْ دَخَلَ الْمُثْمُونُ  
مِنْ قَبْلِ ذَا وَهُمْ لَهُ مَيْمُونُ

ثم تطرق إلى تولي محمد بن عبد الحق  
إمارة بني مرين:  
ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدٌ  
وَكَانَ فِي أُمُورِهِ يَسْتَنِدُ  
فَكَانَ لَا يَفْتَرُ عَنْ قِتَالِ  
مُوَظِّبٍ لِلْحَرْبِ وَالنَّزَالِ  
كَمْ عَسْكَرٍ لَاقَى وَكَمْ جُنُودِ  
وَمِنْ جُمُوعِ جَمَّةِ الْحُشُودِ  
وَكََمْ مِنْ جَيْشٍ جَاءَ مِنْ مَرَائِشِ  
أَفْنَاهُ بِالْحُرُوبِ وَالتَّنَاوُشِ  
نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ طِعَانُ  
لَكِنَّهُ مُؤَيَّدٌ مُعَانُ

وهكذا يتبين مسعاها للتنويه بنسب زناطة،  
وبني مرين العربي؛ مع أنه ملزوزي النسب،  
وحكام بني مرين ينتسبون — أيضا — لقبيلتهم  
الأمازيغية.

\*\*\*

— مواطنهم: يمكن حصر مواطن مغيلة في منطقتين: الأولى بالمغرب الأوسط؛ حول مصب نهر شلف؛ بضواحي مازونة. ومن هذه المنطقة أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس. أما المنطقة الثانية فهي بالمغرب الأقصى؛ وتمتد من مدينة فاس إلى صفرو، فمكناس، وتازة. وقد إختلطت بهم — طبعاً — أحياء صدينة، وملزوزة.

## É É É

ب — بنويحيى:

هذا ما أمكن ذكره عن أبناء فاتن بن تمصيت بن ضري. أما أبناء يحيى بن ضري فيتفرعون إلى ثلاثة فروع هم: بنو زانا (أو شاناً أو جانا). وهم: زناتة، وبنو سمكن، وبنو ورصطف. وجميعهم أولاد يحيى بن ضري. أما أبناء زانا فسيأتي ذكرهم في مكان لاحق؛ بعد الكلام عن بعض قبائل ورصطف، وأخيه سمكن. وثمة قبائل أخرى نتركها؛ لعدم أهميتها.

## É É É



## (1) - ورصطف:

هو ورصطف بن يحيى بن ضري. ويتفرع أبناؤه إلى ثلاثة أحياء هي: أوكتة، ومكناسة، وورتناج. وسيقتصر الحديث هنا على مكناسة؛ بسبب دورها الهام؛ في تاريخ المغرب الإسلامي. أما أوكتة، وورتناج؛ فقد اندمجتا في مكناسة، وأضحتا جزءا منها. وعليه.. فالكلام عنهما لا يفيد شيئا.

## É É É

### - مكناسة:

وهم أبناء مكناس بن ورصطف بن يحيى. ونظرا لكبر مكناسة، وتشعب أحيائها؛ يمكن وضعها في مرتبة شعب، أو جهمرة. وبطونها كثيرة جدا؛ وعليه.. نكتفي منهم بذكر أسماء: بني حوَّات، وقنصارة، وبني ورفلاس، وورنيفة، وبني وريدوس، ووريفلثة. أما الباقون فمندمجون ضمن البطون المذكورة. هذا.. وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا هامة، وعديدة في تاريخ المغرب الإسلامي، والأندلس. وقد كانت لأبنائها عصبية معتبرة في الأندلس، كما كانت لهم أيام، وثورات؛ استهدفت

إنشاء دولة مكناسية في تلك الديار؛ مثل ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي؛ الذي تلقب بالفاطمي. ويبدو أن عصية مكناسة في بلاد المغرب أخذت تقوى، وتشتد؛ بدءاً بمنتصف القرن الثاني للهجرة؛ إذ أصبحت تهيمن على أرياف المغرب الأقصى، وصحرائه. ونتج عن نمو، وعنقوان هذه العصية؛ أنها تمكنت من إخضاع قبائل عديدة لسلطانها، وإرادتها. وهكذا تدرج قبيل مكناسة — بفضل عصيته المتماسكة — نحو إقامة دول متتالية؛ في المغربين: الأقصى، والأوسط. ففي المغرب الأقصى تمكنت بعض أحياء مكناسة من إقامة دول، وإمارات؛ منها: إمارة بني واسول الصفريّة؛ بسجلماسة، وإمارة موسى بن أبي العافية بن أبي باسل؛ بتازا، وتسول، وكرسيف. وإمارة مصالة بتيهـرت.

فدولة بني واسول، أو (بني مدرار) نشأت بعد تجمع فئة من صفريّة مكناسة؛ في منطقة نائية؛ جنوب بلاد المغرب الأقصى؛ أين شرعوا في بناء مدينة سجلماسة؛ التي أصبحت حاضرة لدولتهم<sup>1</sup>. أما دولة بني أبي العافية فقد نشأت بعد استفحال عصية مكناسة؛ في المغرب

---

<sup>1</sup> المغرب، ص: 148 — 152. العبر، مج: 6، ص: 267 — 273.

الأقصى؛ بنواحي تازا، وتسول، وكرسيف.  
وكانت الرئاسة في مكناسة - آئذ - بيد أبي  
باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول. وكان  
هذا الحي ظواعن؛ بين ملوية، وكرسيف،  
ومليلة، وما يتصل بها من التلول المنبسطة؛ في  
جهات تازا، وتسول. ومع مرور الزمن؛  
أصبحت هذه القبيلة تتطلع إلى إقامة دولة؛  
بحكم عصبيتها المتغلبة على تلك المناطق؛  
فأخذت تزاحم نفوذ الدولة الإدريسية؛ بفاس،  
وإمارة بني سليمان بن عبد الله؛ بتلمسان.  
وبالفعل.. فقد تمكنت هذه القبيلة من زعزعة  
صرح دولة فاس؛ منتهزة فرصة؛ أخذت فيها  
بوادر الهرم تتسرب إلى الدولة الإدريسية.  
وعليه.. فقد شرع شيخ قبيلة مكناسة (موسى  
ابن أبي العافية) في التآمر على الأدارسة؛ بفاس،  
وبني سليمان؛ في تلمسان؛ حيث شن عليهم  
حروبا، ووقائع لا هوادة فيها؛ انتهت بسقوط  
الدولتين، وبروز دولة جديدة هي دولة بني أبي  
العافية. ثم ذلك بفضل عون، ودعم الفاطميين  
الذين بعثوا جيوشهم إلى المغرب الأقصى؛ بقيادة  
مصالة بن حبوس بن منازل المكناسي.  
وبالطبع.. فقد اقتضت العvisية أن يتحالف أبناء

العم؛ ضد سلطان بني إدريس. وعليه فقد عمل مصالة على تعزيز قوة قومه مكناسة؛ بتوسيع نفوذهم، وبسط سلطانهم على مقاطعات جديدة؛ لم تكن لهم من قبل<sup>2</sup>. وكان بنو أبي العافية — في بداية أمرهم — أتباعا للفاطميين، ثم نقضوا عهدهم — بعد ذلك — وحولوه إلى الأمويين بالأندلس؛ مما أدى بالفاطميين إلى إرسال حملة تأديبية ضدهم. فتذبذب حال المكناسيين؛ في الولاء للفاطميين حيناً، وللأمويين حيناً آخر. غير أنهم ثبتوا أخيراً على الدعوة للأمويين؛ بفضل تحالفهم مع قبيلة مغراوة؛ المتغلبة على المغرب الأوسط. ولكن أضحت مغراوة — فيما بعد — قوة نافذة؛ بحيث تغلبت على مكناسة نفسها، وأزاحتها عن حكم المغرب الأقصى. وعندما ظهر بلكين بن زيري في مسرح الأحداث بالمغرب الأوسط؛ انقلبت الكفة؛ وعادت مكناسة إلى البروز؛ بفضل تحالفها مع حكام الدولة الحمادية. وبقي الحال هكذا؛ حتى ظهرت عصية أخرى؛ أكثر قوة، وعنفواناً؛ وهي العصية اللمتونية؛ المعززة بالتعاليم الدينية؛ فقضت على حكم مكناسة، ومغراوة؛

---

<sup>2</sup> الأئيس المطرب، ص: 50 — 53. العبر، مج: 6، ص: 273 — 280.

معاً، وأزالـت نفوذهما من ربوع المغريـن:  
الأقصى، والأوسط؛ وذلك سنة 463هـ.  
أما الإمارة الثالثة لمكناسة؛ فهي إمارة  
مصالـة بن حبوس بن منازل؛ بـتـهـرت،  
والمغرب الأوسط. وهذه الإمارة — في الحقيقة —  
عبارة عن ولاية؛ تابعة للدولة الفاطمية؛ وهي  
منحة، وهبة للمكناسيين؛ ممثلين في شخص  
مصالـة؛ الذي كان أحد قادة الدولة الفاطمية  
الأفـذاذ؛ فكوفئ على خدماته؛ بتنصيبه والياً  
على تـهـرت، والمغرب الأوسط. ثم خلفه —  
بعد مماته — أخوه يصلتن بن حبوس، ثم  
تلاه ولده حميد بن يصلتن؛ الذي تنكر  
للفاطميين، وأعلن دعوته لبني أمية، وتحالف —  
في ذلك الأمر — مع بني خزر المغراويين. ولما  
توفي؛ خلفه ابنه يصل، ثم فياطن بن  
يصلتن، ثم علي بن مصالـة. وكانوا جميعهم  
موالين لبني أمية؛ بالأنـدلس<sup>1</sup>.

! ! !

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 266.

— أعيانهم: ومن علماء مكناسة وأعيانها المذكورين:

— أبو القاسم سمغون (أو سمكو) بن واسول (ت: سنة 167هـ/783م)؛ وهو يصلي؛ وكان عالماً، وفقهياً في الدين، وهو شيخ الصفرية في بلاد المغرب، وكبير مكناسة؛ يقال أنه ذهب إلى المدينة المنورة؛ أين تلقى العلم من عند عكرمة؛ مولى ابن عباس رضي الله عنه.



ومن دخل التاريخ من مكناسة أيضاً:

— أبو قرة وانسوس (كان حياً سنة 138هـ/755م)؛ وهو ذلك الشيخ الأمازيغي؛ الذي اختفى عنده عبد الرحمن بن معاوية؛ قبل دخوله الأندلس؛ غير أن أحمد المقرئ نسبته إلى مغيلة؛ حيث قال: ((وحكى غير واحد؛ أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصداً الأندلس؛ [أي عبد الرحمن] نزل بمغيلة؛ فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس، ويكنى أبا قرة؛ فاستتر عنده وقتاً... فلما دخل الأندلس، واستتب أمره به؛ سار إليه أبو قرة وانسوس البربري؛

فأحسن إليه، وحظي عنده، وأكرم زوجته  
تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابه؛  
عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه.  
فقال لها عبد الرحمن مداعباً؛ حين استظلت  
بظله في الأندلس: لقد عذبتني بريح إبطيك  
يا تكفات على ما كان بي من الخوف،  
أعطتني بأنتن من ريح الجيف؛ فكان جوابها  
له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي  
منك خرج، ولم تشعر به؛ من فرط  
فزعك؛ فاستظرف جوابها؛ وأغضى عن  
مواجهتها بمثل ذلك<sup>1</sup>.



ومن المكناسيين الذين أقاموا ببلاد  
الأندلس؛ أو ولدوا بها:  
— أصبغ بن عبد الله بن وانسوس (توفي  
بقرطبة سنة 192هـ/807م)؛ كان أحد قادة  
الجيش الأموي في عهد الأمير الحكم بن هشام  
الربضي؛ وكان يترأس على نواحي ماردة؛

---

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 333 — 334.

وأسند إليه الحكم مهمة مطاردة عمه سليمان  
ابن عبد الرحمن؛ فأنجز المهمة، وقبض عليه.

— ثم أبو الربيع سليمان بن محمد بن  
أصبغ بن وانسوس (ت: سنة 292هـ/904م)؛  
وزير، وأديب. وهو حفيد القائد أصبغ بن  
وانسوس؛ الذي كان أميراً على الثغر بوادي  
الحجارة؛ وكانت لأسلافه — كما سبق —  
رئاسة في مدينة ماردة. وجدهم الأول هو أبو  
قرة وانسوس؛ الذي اختبأ عنده عبد الرحمن  
الداخل؛ بإفريقية؛ خوفاً من عبد الرحمن بن  
حبيب؛ ومع هذا.. هناك من ينسب وانسوس  
هذا إلى مغيلة؛ غير أن أهل الثقة منهم —  
كابن حزم — ينسبونه إلى مكناسة. وقد أورد  
الحميدي حكاية طريفة عن وانسوس الوزير؛  
جاء فيها: ((كان الوزير سليمان بن وانسوس  
رجلاً جليلاً، أديباً؛ من رؤساء البربر؛ كان  
أثيراً عند الأمير عبد الله بن محمد؛ فدخل  
عليه يوماً؛ وكان عظيم اللحية؛ فلما رآه  
مقبلاً جعل الأمير ينشد:

مَعْلُوفَةٌ كَأَنَّهَا جَوَالِقُ

نُكْدَاءُ لَا بَارَكَ فِيهَا الْخَالِقُ



لِلْقَمَلِ فِي حَافَتِهَا نَقَانِقُ  
فِيهَا لِبُلُوغِي الْمَتَكَ مَرَّافِقُ  
وَفِي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظِلُّ رَائِقُ  
إِنَّ الَّذِي يَحْمِلُهَا لَمَائِقُ

ثم قال له: اجلس يا بُرَيَّيْ؛ فجلس  
وقد غضب؛ فقال: "أيها الأمير إنما كان  
الناس يرغبون في هذه المتزلة ليدفعوا عن  
أنفسهم الضَّيِّم؛ وأما إذا صارت جالبة للذل؛  
فلنا دُورٌ تسعنا، وتغينا عنكم؛ فإن حلتُم  
بيننا وبينها؛ فلنا قُبُورٌ تسعنا، ولا تقدرُون  
على أن تحولوا بيننا وبينها"؛ ثم وضع يديه  
في الأرض، وقام؛ من غير أن يسلم، ونهض إلى  
متزله... فغضب الأمير، وأمر بعزله، ورفع  
دسته الذي يجلس عليه؛ وبقي كذلك مدة.  
ثم إن الأمير عبد الله وجد فقده؛ لغناؤه،  
وأمانته، ونصيحته؛ وفضل رأيه؛ فقال للوزراء:  
"لقد وجدت لفقد سليمان تأثيراً؛ وإن أردتُ  
استرجاعه ابتداءً منا كان ذلك غضاضةً  
علينا؛ ولو دِدت أن يتدننا بالرغبة". فقال له  
الوزير محمد بن الوليد بن غانم: "إن أذنت  
لي في المسير إليه؛ استنهضته إلى هذا"؛ فأذن له،

فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس،  
فاستأذن. وكانت رتبة الوزارة بالأندلس —  
أيام بني أمية — ألا يقوم الوزير إلاّ لوزير  
مثله؛ فإنه كان يتلقاه، ويُترّله معه إلى مرتبته،  
ولا يحجّبه أولاً لحظة؛ فأبطأ الإذن على ابن  
غانم حيناً؛ ثم أذن له، فدخل عليه، فوجده  
قاعداً؛ فلم يتزحزح له، ولا قام إليه. فقال  
له ابن غانم: "ما هذا الكبر؟ عهدي بك  
— وأنت وزيرُ السلطان، وفي أبهة رضاه —  
تتلقاني على قدم، وتزحزح لي عن صدر  
مجلسك؛ وأنت الآن في موجدته؛ بضد ذلك".  
فقال له: "نعم! لأني كنت حينئذ عبداً  
مثلك، وأنا اليوم حرٌّ... فيئس ابن غانم؛  
وخرج، ولم يكلمه، ورجع إلى الأمير فأخبره.  
وابتداً الأمير بالإرسال إليه، وردّه إلى أفضل ما  
كان عليه<sup>1</sup>. وقد وردت بعض العينات من  
شعر وانسوس هذا في مصادر عديدة متفرقة؛  
منها: المقتبس؛ لابن حيان، وكتاب المغرب في  
حلي المغرب؛ لابن سعيد؛ منها:  
الحبُّ علّمَ مُقلّي أن تسهراً  
وقضى عليّ بأن أذلّ وأصبراً

<sup>1</sup> جذوة المقتبس، ص ص: 226 — 227.

يَا مُشْبِهَ الْقَمَرَيْنِ مَالِكَ مُعْرِضًا  
عَنِّي وَإِنِّي لَا أَزَالُ مُحَيَّرًا

ويقول أيضا:  
كَيْفَ لِي أَنْ أَعِيشَ دُونَكَ يَا بَدْرَ  
الدِّيَاجِي وَأَنْتَ مِنِّي بَعِيدُ  
إِنَّ يَوْمًا أَرَاكَ فِيهِ لَيَوْمُ  
فِي حِسَابِي مَدَى الزَّمَانِ سَعِيدُ  
وَمُرَادِي أَلَّا أَرَاكَ تُدَانِي  
غَيْرَ وَصْلِي وَذَاكَ مَالًا تُرِيدُ

ووصفه ابن حيان في تاريخه؛ مع إيراد  
حكاية عنه؛ إذ قال: ((أصله من البرابر؛ وله  
فيهم بيت شرف بالأندلس؛ وكان جده  
رئيسا بماردة مطاعا؛ وكان قد ثار بها على  
الأمير الحكم بن هشام؛ وجرت له خطوب  
كبار؛ في حالي: المعصية، والطاعة. وتمهد ابن  
ابنه سليمان هذا مهاد الطاعة؛ من بعد  
نزوات سلفه؛ وعلق بحبال الخدمة؛ فتصرف  
للسلطان في أعمال كثيرة؛ إلى أن ارتقى الذروة؛  
وولي خطة الوزارة للأمير عبد الله ابن محمد؛  
وصارت له حظوة؛ وكان أديبا متفنا،

وشاعرا مطبوعا، حسن البيان، بليغا، حصيفا،  
داهية... وذكروا أن الأمير عبد الله بن  
محمد؛ عندما عزل جهور بن عبد الملك  
البختي من عمل كورة البيرة؛ لتظلم الرعية  
منه؛ قدم عنها بمال كثير مما غله؛ وتاحف  
منه جماعة من الوزراء؛ وأغفل سليمان بن  
وانسوس؛ وهو منهم؛ فأحقده على نفسه.  
وخلا الأمير عبد الله بالوزراء، وشاورهم في  
إغرام جهور؛ فكلهم دافع عنه، وثنى الأمير  
عن همومه به؛ إلا سليمان؛ فإنه زمّ (أي سجل)  
به كتابا؛ فقال له الأمير: "مالك لا تقول  
يا سليمان؟" فقال: "إن قلت خالفتهم؛ لكني  
سوف أكتب بما عندي دونهم؛ وفضل الرأي  
للأمير". فلما أن خرج إلى بيت الوزارة؛ أكتب  
على رقعة كتب فيها إلى الأمير بهذه الأبيات:

جاءَ الحِمَارُ حِمَارُ الْوَحْشِ مُحْتَشِيًا  
مِمَّا أَفَادَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالطَّرَفِ  
خَلَى لَبِيرَةً قَدْ أَوْدَى بِسَاكِنِهَا  
بِقُبْحِ سِيرَتِهِ وَالْعُنْفِ وَالسَّرَفِ  
فَاخْمِلْ عَلَى الْعَيْرِ حِمْلًا يَسْتَقِلُّ بِهِ  
وَاتْرُكْ لَهُ سَبِيلًا لِلتَّبْنِ وَالْعَلْفِ

فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته؛ أمر  
 بإدخاله إليه؛ فضحك منه، وقال له: "يا  
 سليمان؛ لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في  
 الغرم؛ وأمر بإغرامه ثلاثة آلاف دينار)<sup>1</sup>.  
 ويبدو أن أبيات ابن وانسوس علقّت في الذاكرة  
 الأدبية — آنئذ — إذ التصق بأبناء عبد الملك  
 البختي اسم الحمار؛ فنبزوا به بين العامة،  
 والخاصة؛ من ذلك أبيات قالها أحمد بن  
 شهيد؛ في عبد الملك بن بختي بن عبد الملك؛  
 يهجوّه فيها:

أَتَيْنَاكَ لَا عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا  
 إِلَيْكَ وَلَا قَلْبَ إِلَيْكَ مُشَوِّقٍ  
 وَلَكِنَّا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا  
 حِمَارًا تَوَلَّى بَرًّا بَعْقُوقٍ

— ثم أبو محمد عبد الله بن حماد المكناسي  
 المعروف بابن زَغْيُوج (كان حياً سنة  
 567هـ/1171م)؛ قال عنه ابن الأبار: ((كان من  
 أهل المعرفة والنباهة))<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> المقتبس، ص ص: 189 — 193.

<sup>1</sup> التكملة، ج: ص ص: 918 — 919.

— ثم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد السلمي الأندلسي المكناسي (توفي بمراكش سنة 571هـ/1175م)؛ وهو أديب، وشاعر؛ متفنن في كتاباته؛ له ديوان رسائل تناقله الناس، وتهافتوا عليه، وله — أيضا — مقامات في عدة أغراض؛ وقالوا فيه: ((ختمت البلاغة به في الأندلس))<sup>2</sup>.

— ثم أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي (ت: سنة 573هـ/1177م)؛ إمام الحرم الشريف؛ وكان ورعا وزاهدا في الدنيا؛ دمث الأخلاق، حسن السيرة.

— ثم أبو الحسن علي بن أبي جلاّ المكناسي (ت: سنة 746هـ/1345م)؛ قال عنه ابن الخطيب: ((كان شيخا ذكيا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، عارفا لها، قائما على كتاب المدونة... حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات؛ إلا أنه كان يحكي غرائب شاهدها قملحا، وأنسا؛ فينمقها عليه الطلبة؛ وربما تعدوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح، والمداعبة؛ حتى جمعوا من ذلك كثيرا في جزء سموه بـ"السلك المحلاّ في أخبار ابن جلاّ"؛ فمن

---

<sup>2</sup> الزركلي؛ الأعلام، ج: 4، ص: 104.

ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة؛ فدخل البيت يوما؛ فوجدها قد بلت أحد كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به؛ ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار، ورفعت اليد الأخرى لصيده؛ فنادها باسمها؛ فردت رأسها، وجعلت إصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت؛ وأشبه ذلك كثير<sup>3</sup>. ألا ترى معي..؟ أنه قد ابتكر ما يعرف الآن بقصص الأطفال، والحكايات التي يمكن أن تصلح أفلاما كرتونية؛ لو كانت السينما قد اكتشفت آنذاك..

— ثم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الفاسي المكناسي (من أعلام النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث من أهل الحفظ.

— ثم الفقيه القاضي علي بن أحمد بن أبي العافية المكناسي (ت: بعد سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه ولي قضاء مكناسة.

---

<sup>3</sup> الإحاطة، ج: 4، ص ص: 184 — 185.

— ثم أبو العباس أحمد بن سعيد القَيْجَمِيّسي الورزيغي المكناسي (توفي بفاس سنة 870هـ/1465م)؛ فقيه، وأديب؛ له مؤلفات منها: كتاب نظم مسائل ابن جماعة؛ وهو في البيوع.

— ثم الفقيه القاضي أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي (توفي بفاس سنة 955هـ/1548م)؛ ولي خطة القضاء بمكناسة.

— ثم محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ كان أستاذا في النحو وعلوم العربية، وحافظا لمختصر ابن الحاجب، الرسالة.

— ثم محمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن أبي العافية المكناسي (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ وهو والد مؤلف درة الحجال. كان فقيها، نوازيلا، متمكنا من علمي: الحساب، والفرائض.

— ثم عبد بن أحمد بن محمد بن عبود علي بن أبي العافية المكناسي (ت: سنة 987هـ/1579م)؛ كان من الحفاظ، فقيه؛ كان يستظهر مختصر خليل، والرسالة.



— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي المعروف بالأحول (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. عرضت عليه خطبة الخطبة بمكناسة؛ فزهد عنها؛ فأسندت إلى أخيه أبي العز.

— ثم أبو العز بن أحمد بن أبي العافية المكناسي (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. ولى الخطابة والقضاء في مكناسة.

— ثم أبو القاسم محمد بن محمد بن قاسم ابن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي (ولد سنة 960هـ/1552م)؛ فقيه؛ ومن المشتغلين بعلم النحو؛ أعد تعليقا على المرادي، وكتب شرحا على ألفية ابن مالك في مجلدين كبيرين، كما أعد شرحا آخر على مقدمة ابن آجروم في مجلد ضخيم؛ وهو أيضا ملهم بالقراءات، والفقه، والحساب، والفرائض.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي (ت: سنة 1025هـ/1616م)؛ له إلمام بعلوم شتى؛ منها: التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة، والأدب، والمنطق، والهندسة، والحساب، والفرائض، ونظم الشعر؛ له مؤلفات كثيرة؛ منها: درة

الحجال في غرة أسماء الرجال، والمنتقى المقصور  
على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، وغنية  
الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض،  
المدخل في الهندسة، ونيل الأمل فيما به جرى  
بين المالكية العمل، ونظم تلخيص بن البناء،  
ونظم منطق السعد، وتقاييد على جداول  
الحوافي، والفتح النبيل لما تضمنه من أسماء  
العدد التزليل، وفهرسة، ولقط الفرائد في تحقيق  
الفوائد، ودرة السلوك فيمن حوى الملك من  
الملوك، وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام  
مدينة فاس؛ وهو تاريخ سياسي، وعمراني،  
وثقافي لمدينة فاس. ومن شعره قصيدة بعث  
بها إلى سلطان المغرب؛ أبي العباس المنصور  
يستصرخه لافتدائه من أسر الأسبان؛ نذكر منها:

تَجَلَّتْ عَنِ الْعَانِي الْأَسِيرِ الْمُكَبَّلِ  
هُمُومٌ سَرَتْ فِي الْجِسْمِ فِي كُلِّ مَفْصَلِ  
بَذَكَرِ الْإِمَامِ الْهَاشِمِيِّ الَّذِي سَمَا  
بِسَيِّمَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي كُلِّ مُحَفَلِ

إلى أن يقول:

بِحَقِّ الَّذِي أَوْلَاكَ مُلْكًا فَجَّني  
مِنْ الْهُلْكِ يَا قَصْدَ السَّبِيلِ الْمُكَبَّلِ

وَكُنْ يَا إِمَامَ الْعَدْلِ فِي عَوْنِ خَائِرِ  
أَسِيرِ كَسِيرِ ذِي جَنَاحٍ مُذَلِّلِ

ooo

أما رجال السياسة، والسيف؛ من مكناسة  
فهم:

— أبو المنصور اليسع بن سمغون المكناسي  
(ت: سنة 208هـ/823م)؛ وهو الأمير الثالث في  
دولة بني واسول؛ قام بإنجازات هامة خلال  
حكمه لسجلماسة؛ إذ أكمل بناء سجلماسة،  
واختط بها المصانع، والقصور؛ وفي عهده  
استفحل ملك بني سمغون.

— ثم مدرار بن اليسع بن سمغون المكناسي  
(ت: سنة 253هـ/867م)؛ هو أشهر حكام  
سجلماسة؛ إذ باسمه سميت الدولة.

— ثم اليسع بن مدرار بن اليسع بن سمغون  
المكناسي (قتله الشيعة سنة 296هـ/908م)؛ إذ  
دخل في عهده عبيد الله المهدي إلى بلاد  
المغرب؛ حيث لجأ إلى سجلماسة؛ هاربا من  
عيون بني الأغلب؛ فقبض عليه اليسع، وسجنه  
عنده؛ بإيعاز من الخليفة ببغداد. لذا فقد  
بذل عبد الله الشيعي (داعية الشيعة) جهده في

سبيل غزو سجلماسة، وتخليص المهدي؛ وبالفعل تم له ذلك؛ بمعونة جيوش كتامة، حيث استولى عليها، وطارد اليسع حتى قبض عليه، وقتله؛ وأقام على المدينة واليا كتاميا من قبله.

— ثم الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي (ت: سنة 300هـ/912م)؛ ثار على والي مدينة سجلماسة؛ الذي نصبه أبو عبد الله الشيعي؛ واستعاد ملك أجداده المكناسيين لفترة؛ ثم جاءت — من جديد — جيوش الشيعة؛ فاستردتها من أخيه الذي خلفه بعد وفاته؛ ولكن أسندت إمارة المدينة هذه المرة؛ إلى أمراء من بني مدرار؛ تحت طاعة الفاطميين.

— ثم محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي (توفي بسجن المهديّة بعد 347هـ/958م)؛ افتك إمارة سجلماسة من ابن عمه الوالي؛ التابع للفاطميين سنة 322هـ/933م؛ وأعلن الدعوة إلى العباسيين؛ آخذا بمذهب السنة؛ نابذا بذلك مذهب آبائه الصفريين، ومذهب حكام المغرب من الشيعة. وفي سنة 342هـ/953م تسمى بأمر المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله؛ ثم سك السكة التي عرفت بالشاكرية؛ وقد وصفه ابن حزم بقوله: ((وكان في غاية العدل)). ولكن تغلبت

عليه جيوش كتامة، وصنهاجة الشيعية هو الآخر؛ حيث اقتادوه إلى سجن المهديّة؛ أين مات.

— ثم مصالة بن حبوس المكناسي (ت: سنة 312هـ/924م)؛ من أكبر القادة العسكريين في الدولة الفاطمية؛ كان — في بداية أمره — رئيساً على بعض أحياء مكناسة؛ ثم انضم إلى الأحلاف القبلية المنحازة للفاطميّين؛ حيث أسندت إليه قيادة جيش الدولة؛ المكلف بالزحف نحو غرب البلاد؛ وكان له دور أساسي في الإطاحة بالدولة الإدريسية، وتقزيم دورها؛ بعد دعمه لبني عمه بني أبي العافية المكناسيين؛ ضد نفوذ الأدارسة.

— ثم موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن يزول المكناسي (ت: سنة 341هـ/952م)؛ هو الذي أسس إمارة مكناسة بجهات مراكش. وكانت ضمن مملكته: مكناسة، وتسول، وتازا، وكرسيف؛ ولما زحف مصالة ابن حبوس المكناسي إلى غرب البلاد؛ لإخضاع الأدارسة؛ منح ابن عمه موسى بن أبي العافية ضواحي المغرب بكاملها؛ مقتطعا إياها من سلطان الأدارسة. وظل ابن أبي العافية يناجز الأدارسة؛ حتى استولى على ملكهم بالكامل

تقريباً. وعندما أحس بقوته، و بعد غياب تأثير ابن عمه مصالة؛ الذي مات؛ حول ابن أبي العافية ولاءه إلى بني أمية بالأندلس؛ الأمر الذي أغضب سلطان الدولة الفاطمية؛ فبعث إليه عدة حملات تأديبية؛ انتهت بقتله في الصحراء.

— ثم محمد بن عبد الله بن إبراهيم المكناسي (ت: سنة 363هـ/973م)؛ هو رابع أمراء بني أبي العافية المكناسيين، وآخرها؛ إذ انقرضت دولتهم بوفاته.

— ثم القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى ابن أبي العافية المكناسي (ت: بعد سنة 462هـ/1069م)؛ هو أحد رؤساء مكناسة؛ تولى قيادة زناتة في محاربة المرابطين سنة 460هـ/1067م؛ فهزمهم، وافتك منهم مدينة فاس؛ بعد أن تمكنوا من فتحها؛ ولكنهم أعادوا الكرة في سنة 462هـ، واحتلوها من جديد.

\*\*\*

— مواطنهم: أما مواطن مكناسة؛ فتمتد على طول وادي ملوية؛ من أعلاه؛ عند سجلماسة؛ وحتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط؛ مشتملة على نواحي تازا، وتسول. وكان جمهور مكناسة ظواعن؛ عبر تلك المواطن؛ يرتحلون فيها طولا، وعرضا. وقد سميت بهم مدينة مكناسة المغربية. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض البقايا من مكناسة مازالت حتى الآن بالقرب من تازا؛ وتدعى بهذا الاسم. كما أن قبيلة أخرى تدعى مكناسة؛ مازالت حتى الآن — كذلك — بالقرب من مدينة عمي موسى؛ بولاية وهران<sup>1</sup>. بالإضافة إلى بعض الأوزاع منهم هنا وهناك؛ في بلاد المغرب كله. أما ابن خلدون فيختتم الحديث عن مكناسة بخلاصة؛ ذكر فيها ما وصل إليه حالهم. فذكر أنهم — في عهده — كانوا متواجدين في جبال تازا؛ بعد أن استكانوا لسلطان الدولة؛ فأعطوا الجباية بوفرة، ومدوا الدولة بالمقاتلين، وبالخيـل. كما توزع بعضهم ضمن قبائل أخرى؛ بإفريقية، والمغرب الأوسط.

É É É

---

<sup>1</sup> قبائل المغرب، ج: 1، ص: 312.

## (2) - زناة:

وبعد أبناء ورصطف بن يحيى بن ضري؛ يأتي دور أبناء زانا (أو جانا أو شانا) بن يحيى ابن ضري. ويعرفون باسم زناة؛ وهم حسب قول ابن حزم ثلاثة أحياء: الديديت، وورسيج، وفريني<sup>2</sup>. وعند ابن خلدون: الديرت، وورسيك، وفري. وقد تناسلوا، وتكاثفت أحياءهم؛ إلى حد أصبحوا به في مرتبة قبائل، أو شعوب؛ طبقا لرأي ابن خلدون؛ الذي يصفهم بصفات تتعدى صفات البطون. وبهذا يحتلون مراتب أعلى من مرتبة بطن؛ وذلك حينما نعتمد على الترتيب المتبع لدى النساين العرب. فابن خلدون عندما يتكلم عن زناة؛ يجعلها في مرتبة جيل. كما يكثر من قول: ((شعوب زناة)). وهذا كله يدل على ضخامة زناة، وكثافة أحيائها، وتشعبها. أضف إلى ذلك أنه خصّص لزناة حيزا كبيرا من كتابه العبر؛ إذ شمله المجلد السابع بكامله تقريبا. بينما خصص المجلد السادس لبقية الأمازيغ، مع بني هلال، وسليم. وبالموازنة؛ تظهر أهمية زناة. غير أن قوتيه E. F. GAUTIER

---

<sup>2</sup> الجمهرة، ص ص: 495 — 496.



ينسب ذلك إلى كون الزمن الذي كتب فيه ابن خلدون كتابه؛ كانت زناتة مهيمنة على الحكم في بلاد المغرب؛ مثل بني عبد الواد، وبني مرين، وغيرهم<sup>1</sup>.

— مدلول زناتة ونسبها: يستعمل ابن خلدون كلمة زناتة بأسلوب يوحي أنها تقابل كلمة أمازيغ، وتتكافأ معها. ففي المقدمة يقول: ((وهؤلاء هم العرب؛ وفي معناهم ظعون البربر، وزناتة بالمغرب، والأكراد، والتركماني، والترك بالمشرق))<sup>2</sup>. ويقول أيضا في كتاب العبر: ((فأما أولية هذا الجيل [زناتة] بإفريقية، والمغرب؛ فهي مساوقة لأولية البربر؛ منذ أحقاب متطاولة؛ لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى... وملك الإفرنجة بها يومئذ جرجير؛ فظاهره زناتة، والبربر على شأنه))<sup>3</sup>. وثمة أمثلة أخرى من هذا النوع؛ لدى ابن خلدون، وغيره من المؤرخين المسلمين.

ويبدو أن ابن خلدون ساير التعبير المتبع لدى نسابة زناتة؛ الذين كانوا يقابلون زناتة بالبربر؛ نظرا لاعتقادهم في نسبهم العربي. وذلك

<sup>1</sup> Le Passé de L'Afrique du Nord, pp: 217- 218.

<sup>2</sup> ج: 2، ص: 583.

<sup>3</sup> العبر: مج: 7، ص ص: 14 — 15.

من خلال المزاعم السائدة بين قبائل زناتة؛ ومفادها أنهم ينتمون إلى العرب؛ لذا فهم عندما يتكلمون عن سكان المغرب؛ يقولون: زناتة، والبربر. فنزاة - كما سبق - تنسب إلى زانا أو (جانا) بن يحيى بن ضري بن مادغيس الأبتري. وثمة من يعود بسلسلة الأسماء إلى المدعو بر. ومنه تنطلق السلسلة التي يزعمون أنها تربطهم بالنسب العربي؛ أي بقيس عيلان، أو بحمير. ولكن ابن حزم، وابن خلدون ينكران - كما سبق - تلك الأقوال؛ ويرجحان القول بانتسابهم إلى كنعان بن حام؛ مثل ما هو الحال بالنسبة لكثير من الأمازيغ. أما الظاهرتان المميزتان لنزاة عن غيرها من الأمازيغ؛ فيحددتهما ابن خلدون؛ في أسلوب العيش، وفي اللهجات.

\*\*\*

- أسلوب العيش: تعتمد زناتة في عيشها على النجعة، والظعن؛ عبر السهوب، والفيافي. فهم كالأعراب؛ يتخذون الخيام مساكن لهم، ويتلهفون على اكتساب الإبل، والخيول. وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب: في سكنى الخيام،

واتخاذ الإبل، وركوب الخيل، والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإبابة عن الانقياد للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها؛ عن سائر رطانة البربر<sup>1</sup>. إذن.. فثمة تشابه كبير في أسلوب العيش؛ بين زناتة والأعراب. وحتى التزعة المتطرفة؛ التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران، والاعتداء على ممتلكات الناس؛ هي من خصائصهم أيضا؛ مثل ما هو حال الأعراب.

\*\*\*

**— اللهجات:** إن اللهجات التي تتكلم بها زناتة تختلف عن لهجات الأمازيغ الأخرى. وهذا ما ذكره ابن خلدون في النص السابق الذكر. وثمة أبحاث تقول بأن لهجاتهم تنتمي إلى أصول لسانية حامية — سامية، وتلتقي مع اللغة العربية في بعض الخصائص المشتركة. وبالطبع.. فإن هاتين الظاهرتين: (أسلوب العيش، واللهجات) تبعثان على الاعتقاد في احتمال نزوح زناتة من المشرق إلى بلاد المغرب؛ في

---

<sup>1</sup> العبر: مج: 7، مج: 7، ص: 3.

عهود ليست بعيدة جدا. وربما تزامنت مع ظهور الإبل في هذه الربوع؛ وقد يكون ذلك في أواخر القرن الثالث، وبداية القرن الرابع للميلاد<sup>2</sup>. ولكن ابن خلدون يرى غير هذا؛ حين يقول: ((أما أولية هذا الجيل (أي زناتة) بإفريقية فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى)). ومعنى كلمة زناتة عاجله ابن خلدون في بعض الفقرات من كتاب العبر؛ حيث قال: ((ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصغير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا...))<sup>1</sup>.

---

<sup>2</sup> Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 227. وللتوسع يمكن الرجوع إلى

كتاب بن عميرة؛ دورة زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 14.

وإذا كان اسم زناتة معروفا لدى مؤرخي العهد الإسلامي؛ فإنها بالمقابل غُفّت بغموض كثيف؛ خلال الأحقاب التاريخية السابقة للفتح الإسلامي. ومع هذا.. فلا يستبعد وجود هذه التسمية في العهد البيزنطي. لأنه حين تم العثور على بعض التسجيلات التاريخية؛ في شلف، وشرشال؛ اتضح أن أحد الأسماء المسجلة يدل على شخص منسوب إلى زناتة؛ هو CLAUDIUS ZENATUS (كلوديوس زناتوس). ولا نعرف إن كان هذا الاسم يكفي للدلالة على تداول اسم زناتة في الحقبة التاريخية البيزنطية<sup>2</sup>. فشاهد واحد - كهذا - لا يجلي الحقيقة كلها. غير أن ابن خلدون يرى بأن أولية زناتة تعود إلى حقبة موغلة في التاريخ. وهي متماشية - في القدم - مع أزلية الأمازيغ كافة. وذكر أن زناتة كانت تؤدي - بصورة من الصور - للبيزنطيين (الإفرنج كما يسميهم) فروض الطاعة؛ على شكل خراج مؤقت، ومقاتلين؛ يحاربون إلى جانبهم، ((ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك))<sup>3</sup>.

<sup>2</sup> Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 228. وبين عميرة؛ دور زناتة،

ص: 15

<sup>3</sup> العبر، مج: 7، ص: 15.

إذن.. فقد تكون زناة معروفة في العهد البيزنطي؟ وربما كانت في عداد القبائل الجمالة؛ ذات النجعة الموغلة في الصحراء؛ والتي ظهرت في أواخر العهد الوندالي. تلك القبائل التي استعملت الجمال في حربها ضد الوندال، والبيزنطيين. وجملة القول.. أن اسم زناة — في المغرب — لم يبدأ في الظهور بوضوح إلا بعد الفتح الإسلامي؛ حيث أصبح هذا الاسم يتردد في كتابات المؤرخين. فابن خلدون مثلاً يبرز دور زناة؛ أثناء حديثه عن الفتح الإسلامي لسيطة؛ حاضرة القائد البيزنطي GREGOIRE (جرجير). ثم ينتقل إلى المقاومة التي قامت بها الكاهنة؛ التي تنتسب إلى زناة<sup>1</sup>. ودور زناة في المغرب الإسلامي؛ يمكن إجماله ضمن الأدوار التي قامت بها بعض فروعها؛ مثل: جراوة، وبني يفرن، ومغراوة، وبني عبد الواد، وبني مرين، وبني توجين.

\*\*\*

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 16 — 18.

— مواطنهم: حدد ابن خلدون مواطن زناتة —  
بصورة عامة — ضمن ما يعرف بالمغرب  
الأوسط؛ لأنه منسوب إليها، ومعروف بها.  
ومع هذا فقبائل زناتة متواجدة في أقطار  
المغرب كلها. على أن جمهورهم يتواجد في  
المناطق التي تنبت فيها النخيل؛ ما بين  
غدامس، والسوس الأقصى. كما يتواجد —  
أيضا — بتلول إفريقية، وطرابلس، وجبل أوراس.  
((ومواطنهم في سائر مواطن البربر؛ بإفريقية،  
والمغرب... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط؛  
حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم؛ فيقال:  
وطن زناتة. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم  
أخرى. وهم — لهذا العهد — أهل دول،  
وملك؛ بالمغربين. وكانت لهم فيه دول أخرى  
في القديم))<sup>2</sup>.

É É É

---

<sup>2</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 3 — 4.

## — جـراوة:

وهم أبناء جـراو بن الدير بن جانا (زانا). وقد برز دور جـراوة منذ بداية الفتح الإسلامي؛ وذلك من خلال المقاومة التي تزعمتها هذه القبيلة؛ بقيادة الكاهنة (دُها بنت تابتة). وربما كان مقتل عقبة بن نافع بإيعاز منها؛ كما قال ابن خلدون؛ نقلاً عن النسابة هاني بن بكور الضريسي؛ إذ تكون قد حرّضت سكان تمودة على قتال المسلمين. ولما كان المسلمون يعرفون ذلك؛ فإنهم سارعوا — بعد مقتل كَسيلة — إلى غزوها؛ في عقر دارها؛ بجبل أوراس. فتمكنت جـراوة مع حلفائها؛ من القبائل البترية — في بداية الأمر — من صد المسلمين؛ ولكنها خسرت الحرب؛ في نهاية الأمر؛ حيث قتل المسلمون منهم عددا كبيرا؛ يزعم ابن خلدون أنه وصل إلى مائة ألف<sup>1</sup>. وبعد هذه الهزيمة؛ تفرق شمل جـراوة، واندثر أمرهم؛ إذ توزعوا بين القبائل الأمازيغية الأخرى؛ ومنهم الفئة التي حلت بسواحل مليلة؛ بالمغرب الأقصى؛ حيث أقاموا في المدينة المنسوبة إليهم. ومنهم البطن المشهور بعلمائه،

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 16 — 18.



وأدبائه؛ وهم بنو غفجوم، بجهات تادلا. وفي ديارهم الجديدة بالمغرب الأقصى؛ برز مرة أخرى؛ دور جراوة في مسرح الأحداث؛ خاصة عندما استجار بهم الحسن بن أبي العيش؛ أمير تلمسان؛ بعد هزيمته أمام أمير مكناسة؛ ابن أبي العافية.

! ! !

— أعيانهم: ومن رجالات جراوة المشهورين بعلمهم، وآدابهم:

— أبو سعيد خلف بن مسعود المالقي الجراوي؛ المعروف بابن أمينة (توفي مذبوحا بقرطبة سنة 400هـ/1009م)؛ فقيه؛ ولد بمليلة؛ قال عنه ابن بشكوال: ((قدم قرطبة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة؛ فحمل عنه بها علم كثير. وكان له من القاضي ابن ذكوان خاصة. وأغري به العامة؛ فأضجعوه، وذبحوه؛ حين ثورة الأندلس بالبرابرة؛ عند قيام المهدي؛ وقتل العامة البرابرة سنة أربعمائة. وقيل بل شدخوا رأسه بالحجارة؛ وأنه سألهم

أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين؛ ففعلوا رحمه الله. وكان ذلك بمالقة<sup>2</sup>.

— ثم أبو عمر أحمد بن محمد القيسي الإشبيلي الجراوي (توفي بمصر سنة 407هـ/1016م)؛ وهو من شيوخ الإقراء؛ إذ تصدر للإقراء بإشبيليا، ومصر.

— ثم عبد الله بن محمد الجراوي (توفي بالقيروان سنة 415هـ/1024م)؛ قال عنه ابن رشيقي القيرواني: ((تأدب بجراوة داخل المغرب، قدم إلى الحضرة سنة سبع وأربعمئة متعلقا بالخدمة. وكان شاعرا فحلا، قويا، وصافاً، درباً بالخبر والنسب، جيد الفكر والخاطر، تحسب بديهته رويته، عميدي الترسيل، يتحدر كلامه كالسيل. وكان حسن الخلق، جميل العشرة، مدمنا على الشراب، متغارقا فيه، مزاحاً. سأله أيوب [ربما يكون أيوب بن يطوفت الصنهاجي] مرة: أي بروج السماء لك؟ فقال: وأعجباً منك؛ ما لي في الأرض بيت؛ يكون لي برج في السماء. فضحك، وأمر له بدار جواره<sup>1</sup>.

<sup>2</sup> الصلة، ج: 1، ص: 178.

<sup>1</sup> أنموذج الزمان، ص ص: 216 — 217.

وأرجع ابن رشيّق سبب قتله إلى وشاية  
من خصومه؛ توجهوا بها إلى القائد حماد بن  
بلكين؛ فبعث من قتله ليلاً. وبلغ عمره يوم  
وفاته نيفاً وأربعين سنة؛ ويقال أن أحد  
الجرّاويين زعم أنه شاهده في المنام يقول له  
شعراً:

قَتَلُوهُ لَا لِحَيَاةٍ عُرِفَتْ لَهُ  
إِلَّا لِفَضْلِ بَرَاةِ الشُّعْرَاءِ  
أَمَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَاجِبٍ  
أَكْذَا تَكُونُ صَنَائِعُ الْأَمْرَاءِ

ولما وصل البيتان إلى حماد أسف على  
الجرّاوي. ومن شعره في وصف شرفة المنزل؛ (أو  
المنظرة، أو الفسقية):

قَدْ كَلَّلْتُ دُرّاً أَفَارِيزُ لَهَا  
فَتَبَرَّحَتْ فِيهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ  
وَكَأَنَّمَا الْقَصْرُ الْمُعْظَمُ عَاشِقٌ  
قَدْ حَارَ وَهِيَ لَدَيْهِ كَالْمَعْشُوقِ  
يَرْنُو إِلَيْهَا بَاهِتاً شُرْفَاتُهُ  
نَظَرَ الْحَمَامَ لِلْقُوَّةِ فِي نِيقِ  
وَكَأَنَّمَا النَّهْرُ الَّذِي قُدَّامُهَا  
جَرِيّاً تَسِيلُ عَلَى رِقَابِ النَّوْقِ

وقال ابن رشيّق في هذه الأبيات: ((قد  
ناب هذا الخبر عن العيان؛ فأدى الصفة  
على تحقيقها، وملّكها أوفى حقوقها))<sup>1</sup>.  
وأورد له ابن رشيّق أيضاً هذه المقطوعة التي  
يصف فيها الديك:

وكأئن نفى التّوم عن عُتْرُفانٍ  
بديع الملاحاة حلو المعاني  
بأجفان عينيّه ياقوتتان  
كأنّ وميضهما جمرتان  
على رأسه التّاج مُستشرفاً  
كتاج ابن هُرْمُز في المهرجان  
وقرطان من جوهر أحمر  
يزينانه زين قرط الحصان  
له عنق حولها رونق  
كما حوت الخمر إحدى القناني  
ودار بُرائلُها حولها  
كما نورت شعرة الزّعفران  
ودارت بجوْجيه حلّة  
تروق كما راقك الخسرواني  
فقام له ذنبٌ مُعجبٌ  
كباقية زهرٍ بدت من بنانٍ

---

<sup>1</sup> أنموذج الزمان، ص ص: 216 — 220.

وَقَاسَ جَنَاحاً عَلَى سَاقَةٍ  
كَمَا قِيسَ سِتْرٍ عَلَى خَيْزُرَانَ  
وَصَفَقَ تَصْفِيقَ مُسْتَهْتَرٍ  
بِمُحَمَّرَةٍ مِنْ بَنَاتِ الدُّنَانِ  
وَعَرَدَ تَغْرِيدَ ذِي لَوْعَةٍ  
يُوحُ بِأَشْوَاقِهِ لِلْعَوَانِي

ومن شعره أيضاً:

وَالْأَعْوَجِيَّاتُ الْجِيَا  
دُ تُثِيرُهَا الْأَسَدُ الْغَضَابُ  
وَالسَّابِرِيُّ كَأَنَّهُ  
وَدَكَّاءُ مُذَكِّةَ سَرَابُ  
مُتَرْقِرٌ كَالْمَاءِ إِذْ  
يَعْلُوهُ فِي النَّهْرِ الْحُبَابُ  
وَالنَّيْلُ يَحْكِي أَلْسُنُ الْـ  
حَيَّاتٍ أَعْوَزَهَا الشَّرَابُ

— ثم أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي  
حجاج الغفجومي الجراوي (توفي بالقيروان  
سنة 430هـ/1038م)؛ فقيه؛ من كبار أهل العلم  
بالقيروان؛ وكان من أحفظ الناس، وأدركهم  
للفقه، والحديث، والقراءات السبع؛ وله بعض

المؤلفات منها: كتاب علق فيه على المدونة،  
كما سجل من أحاديثه حوالي مائة ورقة.  
— ثم أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر  
الجرأوي (توفي بالمريّة سنة 475هـ/1082م)؛ فقيه؛  
كانت له عناية بالعلوم؛ فهو راوية، وخطيب  
بجامع المريّة.

— ثم أبو بكر محمد بن عبد الرحمن  
العقيلي الجراوي الوادي آشي (من أعلام  
النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان  
من كبار كتاب المرباطين بغرناطة. وهو فقيه،  
وأديب، وشاعر مطبوع؛ له اهتمامات بالطب،  
وبفنون عديدة؛ مدح الأمير علي ابن يوسف  
اللمتوني بقصيدة طويلة جاء فيها:

رَحَلُوا الرُّكَايِبَ مَوْهِنَا  
فَأَذَاعَ عُرْفُهُمُ السَّنَا  
وَالْحَلِي قَدْ أَغْرَى بِهِمْ  
لَمَّا تَرَّثْنِمَ مُعَلَّنَا  
كَمْ حَفَّ حَوْلَ جِماهُمْ  
مِنْ كُلِّ خَطَّارِ الْقَنَّا

و من قوله في الرثاء:  
حَنَانِيكَ قَدْ أَبْكَيْتَ حَتَّى الْغَمَائِمَا  
وَشَقَقْتَ عَنْ أَزْهَارِهِنَّ الْكَمَائِمَا  
وَأَذْمَيْتَ خَدًّا لِلْبُرُوقِ بَلَطْمَهَا  
وَحَلَفْتَ مِنْ نَوْحِ الرُّعُودِ مَا تِمَا  
وَلَمْ يَنْقُ قَلْبٌ لَا يُقَلِّبُهُ الْأَسَى  
وَأَشْجَيْتَ فِي أَغْصَانِهِنَّ الْحَمَائِمَا

— ثم أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية  
ابن سعيد العكي الجراوي (توفي بفاس سنة  
525هـ/1130م)؛ فقيه، ومحدث؛ كان أبوه قد  
استوطن القلعة؛ تولى قضاء تلمسان، وإشبيلية،  
وفاس.

— ثم أبو العباس أحمد بن حسن بن سيد  
المالقي الجراوي (ت: سنة 560هـ/1164م)؛ كان  
نحويًا بارعًا، وأديبًا متفنًا، وشاعرًا مطبوعًا.  
من شعره الذي أورده ابن الأبار:

وَيَنْ ضُلُوعِي لِلصَّبَابَةِ لَوْعَةً  
بِحُكْمِ الْهَوَى تَقْضِي عَلَيَّ وَلَا أَقْضِي  
جَنَى نَاطِرٍ مِنْهَا عَلَى الْقَلْبِ مَا جَنَى  
فِيَا مَنْ رَأَى بَعْضًا يُعِينُ عَلَى بَعْضِ

— ثم أبو محمد يسكر بن موسى الغفجومي الجراوي (توفي بفاس سنة 598هـ/1201م)؛ فقيه صوفي؛ أعد بعض الحواشي على المدونة؛ ولد في تاجنيت بتادلا.

— ثم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغفجومي الجراوي (توفي بإشبيلية سنة 609هـ/1212م)؛ وأصله من تادلا؛ ثم سكن مراکش؛ كان من علماء اللغة، والأدب، وكان شاعرا فحلا، وله ديوان شعر؛ وألف كتابا سماه: صفوة الأدب ونخبة كلام العرب؛ في موضوع الحماسة؛ وقد أثنى على هذا الكتاب عدد من العلماء. وهذه أبيات من قصيدة مدح بها عبد المؤمن:

أَعْلَيْتَ دِينَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ  
بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ  
وَرَأَى بِهِ الْإِسْلَامُ قُرَّةَ عَيْنِهِ  
وَعَدَتْ بِكَ الْغُرَاءُ دَارَ قَرَارِ  
وَمَلَكَتْ مِنْ طُرُقِ الْهِدَايَةِ لَاحِقًا  
طُوبَى لِمَنْ يَمْشِي عَلَى الْآثَارِ  
وَجَرَتْ مَعَالِمُكُمْ إِلَى الْأَمَدِ الَّذِي  
بُعِدَتْ مَسَافَتُهُ عَلَى الْأَسْفَارِ



لَا غَرَوْ أَنْ كُنْتَ الْأَخِيرَ زَمَانِهِ  
فَالْفَضْلُ لِلْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ  
وَإِفْتِ أَنْدُلُسًا فَأَمَنْ خَائِفٌ  
وَسَمَا لِأَخَذِ الثَّارِ رَبُّ الثَّارِ

إلى أن يقول:  
أَخْلِيفَةَ الْمَهْدِيِّ دُمْتَ مُؤَيِّدًا  
بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا مِنَ الْكُفَّارِ  
تَرْمِي شَيَاطِينَ الْأَعَادِي فِي الْوَعَى  
بِرُجُومِ خَيْلٍ مِنْ سَمَاءِ غُبَارِ  
رَوَّعَتْ كُلَّ مُرَوِّعٍ وَحَفِظَتْ كُلَّ  
سَلٍّ مُضِيْعٍ وَحَمَيْتْ كُلَّ ذِمَارِ

ومدح يوسف بن عبد المؤمن بقوله  
المبالغ فيه؛ ومع ذلك قبله يوسف:  
عَنْ أَمْرِكُمْ يَتَصَرَّفُ الثَّقَلَانِ  
وَبِنَصْرِكُمْ يَتَعَاقَبُ الْمَلَوَانِ  
وَبِمَا يَسُوءُ عَدُوَّكُمْ وَيَسْرُكُمُ  
تَتَحَرَّكُ الْأَفْلَاكُ فِي الدَّوَرَانِ  
جَاهِدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ  
وَنَهَضْتُمْ بِحِمَايَةِ الْإِيمَانِ  
وَتَرَكْتُمْ أَرْضَ الْعِدَا وَقُلُوبَهُمْ  
فِي غَايَةِ الرَّجْفَانِ وَالْخَفْقَانِ

إلى أن يقول:

هَذَا مَقَامُ الْمُصْطَفَى يَا فَوْزَ مَنْ  
حَازَ النَّيَابَةَ فِيهِ عَنْ حَسَّانِ  
مَنْ يَعْرِفُ الرَّحْمَنُ حَقًّا يَعْتَرِفُ  
بِحُقُوقِهِ لِخَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فإذا كان السلطان يوسف قد صمت عن هذه المبالغات، ولم يعترض على ما جاء في هذه القصيدة؛ فإن ابنه يعقوب — المحافظ — قد استنكر أقوال الجراوي؛ التي كانت تحمل معانٍ شيعية؛ تضيفي بعض الصفات الإلهية على الإمام؛ مثل: التصرف في الجن، والإنس، والتحكم في الليل، والنهار، والتأثير في الأفلاك العليا. كما أنه وضع يوسف في مرتبة المصطفى؛ بينما تمنى لنفسه منزلة حسان من المصطفى. ويقال أن يعقوب بن يوسف غضب عليه بسبب ذلك. ومما قاله في مدح يعقوب؛ بعد الانتصار الذي حققه في موقعة الأرك:

هَذَا الْفَتْحُ أَعْيَا وَصَفُهُ النَّظْمُ وَالنَّشْرُ  
وَعَمَّتْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ الْبُشْرَى  
وَأُنْجَدَ فِي الدُّنْيَا وَغَارَ حَدِيثُهُ  
فَرَأَتْ بِهِ حُسْنًا وَطَابَتْ بِهِ نَشْرًا

تَمَيَّزَ بِالْأَحْجَالِ وَالْغُرَرِ الَّتِي  
أَقْلَّ سَنَاهَا يُبْهَرُ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَا  
لَقَدْ أُوْرِدَ الْأَدْفُونُشُ شَيْعَتُهُ الرَّدَى  
وَسَاقَهُمْ جَهْلًا إِلَى الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى

ومن شعره؛ الذي ورد في نفح الطيب؛  
هذه القصيدة التي يهجو فيها قومه بني  
غفجوم؛ ناقلا هجاءه إلى بني الملجوم بفاس:  
يَا بَنَ السَّبِيلِ إِذَا مَرَرْتَ بَتَادَلَا  
لَا تَنْزِلَنَّ عَلَى بَنِي غَفْجُومِ  
أَرْضُ أَغَارٍ بِهَا الْعَدُوُّ فَلَنْ تَرَى  
إِلَّا مُجَاوِبَةَ الصَّدَى لِلْبُومِ  
قَوْمٌ طَوَوْا ذِكْرَ السَّمَاحَةِ بَيْنَهُمْ  
لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا لِوَاءَ اللُّومِ  
لَا حَظَّ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمْ  
لِلسَّائِلِ الْعَافِي وَلَا الْمَحْرُومِ  
لَا يَمْلِكُونَ إِذَا اسْتُيْحَ حَرِيمُهُمْ  
إِلَّا الصُّرَاخُ بِدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ  
يَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِهِمْ وَلَوْ أَتْنِي  
مِنْ أَرْضِ فَاسٍ مِنْ بَنِي الْمَلْجُومِ

ومن شعره في هجاء أهل فاس:  
مَشَى اللُّؤْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا  
يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا  
فَلَمَّا أَتَى فَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا  
وَقَالُوا لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

وقال عنه ابن خلكان: ((وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة، والمحدثه. وتقدم في هذا الشأن، وجالس به عبد المؤمن، ثم ولده يوسف، ثم ولده يعقوب... كانت له نوادر نادرة، وملح مستظرفة عند أهل الأدب؛ فمن ذلك أنه حضر يوما إلى باب دار الأمير يوسف المذكور؛ وهناك الطبيب سعيد الغماري... فقال الأمير يوسف لبعض خدمه: "أنظر من الباب من الأصحاب"؛ فخرج الخادم إلى الباب، ثم عاد إليه فقال: "أحمد الجراوي، وسعيد الغماري"؛ فقال الأمير يوسف: "من عجائب الدنيا؛ شاعر من جراوة، وطبيب من غمارة"؛ فبلغ ذلك الجراوي فقال: "وضرب لنا مثلا ونسي نفسه" "يس: 87"؛ "أعجب منهما والله خليفة من كومية". فيقال إن الأمير يوسف

لما بلغه ذلك قال: "أعاقبه بالحلم عنه،  
والعفو؛ ففيه تكذيبه"<sup>1</sup>. وكان يوسف بن  
عبد المؤمن حليماً ومتسامحاً؛ على خلاف ابنه  
يعقوب؛ الذي يميل إلى التشدد؛ خاصة فيما  
يتعلق بالخلق الديني؛ لذا فإنه أبعد الجراوي  
عن ديوانه؛ بسبب أفكاره التي تميل إلى  
التصريح بعصمة الإمام؛ وهذه الفكرة بالذات لا  
يستسيغها يعقوب. وذكر المقرئ حكاية؛  
تكشف عما يكنه السلطان يعقوب من كراهية  
للجراوي؛ وخلاصتها أن الجراوي تصدى للشاعر  
يحيى بن مجبر الفهري؛ عندما أنشد قصيدة؛  
مدح فيها السلطان يوسف؛ جاء فيها:

إِنَّ خَيْرَ الْفُتُوحِ مَا جَاءَ عَفْوَاً  
مِثْلَ مَا يَخْطُبُ الْخَطِيبُ ارْتِجَالاً

فقطعه الجراوي — من فرط حسده —  
وقال: ((يا سيدنا اهتمم بيت وضاح:  
خَيْرُ شَرَابٍ مَا كَانَ عَفْوَاً  
كَأَنَّهُ خُطْبَةٌ ارْتِجَالِ

<sup>1</sup> وفيات الأعيان، ج: 7، ص ص: 136 — 137.

فَبَدَرَ المنصور - وهو حينئذ وزير أبيه،  
وسنه قريب من العشرين - وقال: " إن كان  
اهتممه؛ فقد استحققه؛ لنقله إياه من معنى  
خسيس إلى معنى شريف؛ فسر أبوه بجوابه،  
وعجب الحاضرون))<sup>2</sup>. ولما توفي السلطان  
يعقوب؛ وخلفه ابنه الناصر؛ استعاد الجراوي  
بعض مكانته؛ ففي قصيدة يمدحه فيها المبح إلى  
معاناته، والتمس منه إعادته لسابق عهده:

لَبِسْتُ بِهِ الدُّنْيَا جَمَالًا كُنْهَهُ  
أَعْيَا عَلَى الْأَفْكَارِ وَالْأَوْهَامِ  
فَكَانَتْهَا دَارُ السَّلَامِ نَعِيمُهَا  
مُتَابِدٌ، وَدُخُولُهَا بِسَلَامِ

إلى أن يقول:

فَارَقْتُ مَا قَدْ كُنْتُ فِيهِ كَأَنَّهُ  
طَيْفٌ رَأَتْهُ الْعَيْنُ فِي الْأَحْلَامِ  
فَعَسَى أَرَى وَجْهَ الرِّضَا فَلَطَالَمَا  
أُمِّلْتُ رُؤْيَاهُ مَعَ الْأَعْوَامِ

---

<sup>2</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص: 238.

— ثم أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة  
الوادي آشي الجراوي (ت: سنة 635هـ/1237م)؛  
فقيه، وعالم بالنحو، والأدب؛ ولاء محمد بن  
هود خطة قاضي الجماعة بالأندلس.

\*\*\*

— مواطنهم: مواطن جراوة الأولى كانت بإفريقية،  
والمغرب الأوسط؛ ثم نزحوا إلى المغرب  
الأقصى؛ وهم — حتى عهد ابن خلدون —  
يقيمون بتلك الديار، ويندرجون ضمن قبيلة  
يطوفت، وغيرها من أحياء غمارة.

É É É

— بنو يفرن:  
وهم أبناء يفرن بن يصلتين. وجدهم  
الأكبر هو زانا بن يحيى. وإخوانهم هم:  
مغراوة، وبنو يرنيان، وبنو واسين. وأهم  
الأحياء المتفرعة عنهم: بنو واركوا، ومرنجيسة.  
وكان بنو يفرن — في بداية الفتح الإسلامي —  
ضمن القبائل الأمازيغية المتحالفة مع جرواة؛

بهدف مقاومة المسلمين. وبعد هزيمة ذلك الحلف، ومقتل الكاهنة، وافتراق شمل القبائل في أقطار المغرب، تعرض بنو يفرن للمصير نفسه. ولكنهم سرعان ما ظهرُوا للمرة الثانية؛ ضمن أحلاف أمازيغية جديدة؛ قامت بالثورة ضد ولاة بني أمية، وبني العباس؛ بقيادة ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي، وأبي قرة اليفرني. كما ظهرُوا أيضا ضمن أحلاف قبلية أخرى؛ ثارت على الدولة الفاطمية؛ بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني؛ وهو من بني واركو. وقد بلغ تأثير هذه الثورة في الدولة الفاطمية؛ درجة كادت بسببها أن تسقطها نهائيا؛ لولا بعض التصرفات السليمة؛ التي تسببت في تفرق جل القبائل عن أبي يزيد.

ومع هذا فقد استطاعت قبيلة بني يفرن أن تصل برؤسائها إلى مرتبة الملك؛ حيث أقامت دولا عديدة؛ في المغريين: الأوسط، والأقصى؛ وفي الأندلس؛ زمن الطوائف؛ وهذه الإمارات هي: إمارة أبي قرة اليفرني؛ وهي في الحقيقة إمارة بدوية؛ قامت في شكل حلف قبلي. ثم إمارة يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بافكان. ثم إمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا؛



من المغرب الأقصى. ثم إمارة أبي نور بن أبي  
قرة اليفرني برندة؛ من إقليم تاكرنا  
بالأندلس. أضف إلى ذلك.. الكتلة القبلية التي  
ترأسها أبو يزيد؛ والتي يمكن اعتبارها إمارة  
حرب؛ تجمع بعض الأحلاف القبلية الزناتية؛  
وهي — في الحقيقة — تتشابه مع التجمع القبلي  
الذي قاده أبو قرة اليفرني. وما يستحق  
الملاحظة — هنا — هو تمكن تلك الإمارات  
من الصمود — لبعض الوقت — أمام تكالب  
الدول القوية؛ في المنطقة؛ إذ كانت تستमित؛  
طمعا في البقاء، والاستقلال؛ ولكن تعذر عليها  
الاستمرار في صمودها طويلا؛ نظرا لتضارب  
المصالح بين القبائل، والبطون الزناتية؛ إذ لم  
تتمكن أية عصبية؛ من احتواء العصبيات  
الصغرى الأخرى. ومع مرور الزمن؛ مال حال  
بني يفرن إلى الضعف، والتفكك؛ بعد العز،  
والسلطان؛ ففرقت أحيائهم عبر بلاد المغرب،  
والأندلس<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> أنظر ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 22 — 50.

وقد عرف ابن خلدون حياً من أحيائهم  
بإفريقية؛ ما بين القيروان، وتونس؛ من بقايا  
قبيلة مرنجيسة؛ بعد أن وهنت عصبيتهم، وضاع  
عزهم؛ فأضحوا في عداد القبائل الغارمة. ويقول  
عنهم أنهم كانوا ظواعن في تلك الجهات؛  
ينتجعون الكلاً، ويرعون الشاء، والبقر؛ كما  
يتعاطون الفلاحة؛ في بعض الحالات. وكانت  
الدولة الموحدية قد ألزمتهم بدفع المغارم،  
وتقديم حصة من المقاتلين للدولة؛ عند  
الحاجة. وفي زمن ابن خلدون؛ تسلط عليهم حي  
من بني سليم؛ يسمى الكعوب؛ كانت الدولة  
الحفصية قد استنجدت بهم؛ لصد قبيلة  
الدواودة؛ من أحياء رياح؛ فأقطعتهم المنطقة ما  
بين قابس، وباجة. فأضحت مرنجيسة — بذلك  
— ضمن إقطاعاتهم؛ فألزموها بدفع الخراج،  
والمغارم إليهم؛ دون الدولة؛ بل فرضوا على  
هذا الحي تقديم حصة من المقاتلين؛ عند  
الحاجة؛ لتكون معهم في حروبهم.

! ! !

— أعيانهم: من علماء بني يفرن المعدودين:

— أبو عبد الله محمد بن المعز اليفرني المايورقي (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ مقري، ومحدث؛ ولي خطة الشورى، والقضاء بمورقة.

— ثم أبو زكرياء يحيى اليفرني (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ وهو من الفقهاء.

— ثم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني الشهير بالمكناسي وبالطنجي (ت: سنة 734هـ)؛ فقيه؛ من الأعلام اليفرنيين الذين ارتبط اسمهم بمدينة مكناسة؛ كان إماما في علمي: الفرائض، والحساب في زمنه.

— ثم أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني (توفي بفاس سنة 753هـ/1352م)؛ فقيه. وهو أخو أبي الحسن الطنجي؛ واشتهر بالمكناسي؛ بسبب إقامته بتلك المدينة لبعض الوقت.

— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرني الشهير بالمكناسي (ت: سنة 818هـ/1415م)؛ وهو من الضالعين في العلوم الفقهية، وعلم الفرائض.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد اليفرني الشهير بالمكناسي (توفي بفاس سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه؛ ومن علماء: الحساب، والفرائض.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الله  
اليفرني؛ الشهير بالكناسي أيضا (توفي بفاس  
سنة 917هـ/1511م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بفاس لمدة  
تعدت الثلاثين سنة؛ وهو من ذرية أبي الحسن  
الطنجي؛ له مؤلفات منها: مجالس القضاة  
والحكام، والتنبيه والإعلام فيما أفتاه به المفتون  
وحكم به القضاة من الأحكام.



أما أعيان بني يفرن وأمرائهم، ورجال  
السياسة فيهم؛ فهم:

— أبو قرة اليفرني (كان حيا سنة  
148هـ/765م)؛ وهو من قادة الصفريّة الثائرين  
على ولاة القيروان.

— ثم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني (ت:  
سنة 335هـ/946م)؛ الإباضي، النكاري، الثائر على  
الفاطميّين؛ فإلى جانب اشتغاله بأمور السياسة،  
والحكم؛ فهو — أيضا — من علماء المذهب  
الإباضي؛ ولكنه نكاري الإتجاه.

— ثم محمد بن صالح اليفري (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أبو السلاطين من بني يفرن؛ وإن كان شأنه قبلهم لا يتعدى حدود رئيس القبيلة.

— ثم يعلى بن محمد بن صالح (ت: سنة 347هـ/958م).

— ثم يدوي بن يعلى بن محمد (توفي بعد 383هـ/993م).

— ثم حمامة بن زيري بن يعلى اليفري (توفي بعد 406هـ/1015م).

— ثم أبو الكمال تيم بن زيري اليفري (ت: سنة 446هـ/1054م).

— ثم أبو نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفري (ت: سنة 450هـ/1058م). وهو الذي استبد بمنطقة تاكرُناً؛ بالأندلس؛ حيث شيد فيها إمارة استقل بها — أيام حكم الطوائف — واتخذ من رندة حاضرة لإمارته.

— ثم ولده أبو نصر فتوح بن هلال (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ ومموته انتهت دولتهم برندة؛ وسقطت في أيدي ابن عباد.

\*\*\*

— مواطنهم: كانت مواطن بني يفرن — في البداية — بإفريقية، وجبال أوراس، وجهات تلمسان، وتيهرت. ثم انتقل جمهورهم إلى المغرب الأقصى؛ حيث أقاموا دولة في فاس، وسلا.

## É É É

— مغراوة:

وهم أبناء مغراو بن يصلتين. وجدهم الأكبر هو زانا بن يحيى. وهم اخوة بني يفرن، وبني يرنيان، وبني واسين. ومن أهم بطون مغراوة: لقواط أو (لغواط)، وريغة، وبنو سنجاس، وبنو ورا. ويقال أن أميرهم — أثناء الفتح — كان يسمى صولات بن وزمار؛ ذهب إلى المدينة المنورة؛ إما موفدا، وإما أسيرا؛ فقابل عثمان رضي الله عنه؛ فأكرمه؛ بعد إسلامه، وعقد له على قومه. فأصبح صولات؛ هو وقومه مغراوة — منذئذ — من موالي عثمان، وبني أمية. وبعد قيام الدولة الإدريسية انحازت إليها مغراوة، وسلمت إليها قيادة الأمور في تلمسان. واكتفى أمراؤها بمرتبة الرئاسة على قومهم عبر الأرياف، والبوادي.

ولما تطلع حكام الأندلس؛ من بني أمية؛ إلى بلاد المغرب؛ نقل المغراويون ولاءهم إليهم. نظرا لظهور الدولة الفاطمية؛ التي تهددهم جميعا، وتبعا لهرم الدولة الإدريسية؛ العاجزة عن حماية كيائها، وردع أعدائها. هذا. وقد عرفت مغراوة فتننا عديدة، وصراعات شديدة؛ بينها وبين الدول المتواجدة - آنئذ - بالمغرب الإسلامي مثل: الدولة الفاطمية، والدولة الصنهاجية؛ بشقيها: (الزيرية، والحمادية). هذا.. بالإضافة إلى الحروب الطاحنة؛ بينهم وبين اخوتهم من بني يفرن؛ وذلك بسبب أنهم - جميعا - يسعون إلى إقامة دولة؛ تخضع إليها **العصيات الزناتية** كلها. ولما كانت العصيتان متكافئتين؛ فقد تعذر حسم الصراع لصالح أحدهما. ومع هذا فقد تمكن كل طرف من إنشاء بعض الإمارات، والدول في المغربين: الأقصى، والأوسط، ثم طرابلس؛ مثل: إمارة محمد بن خزر بتلمسان، وإمارة آل زيري ابن عطية بفاس، وإمارة بني خزرون بسجلماسة، وإمارة بني خزرون بطرابلس، وإمارة بني يعلى أولاد خزر بتلمسان، وإمارة لقوط بن

يوسف بن علي المغراوي بأغمات، ثم إمارة  
بني منديل بشلف ومازونة<sup>1</sup>.

وبنو سنجاس منهم؛ وهم منتشرون في  
إفريقية، والمغربين: الأوسط، والأقصى؛ أين  
تركوا أثرا كبيرا؛ نتيجة لحروبهم المضنية — إلى  
جانب أبناء عموماتهم من زناتة — ضد  
صنهاجة؛ حيث اشتد عيثرهم، وتضاعف فسادهم  
في المدن، والمسالك. وبقدوم بني هلال؛ ضعف  
أثرهم؛ وانسحب جمعهم إلى الحصون، والمعازل؛  
حيث أعطوا — صاغرين — المغارم إلى شيوخ  
القبائل الهلالية المتغلبة على تلك الجهات  
أحيانا، وإلى الدولة أحيانا أخرى.

أما بنو ريغة فيتفرعون إلى أحياء عديدة؛  
توزعوا في الأقطار؛ بعد افتراق الأحلاف الزناتية:  
فمنهم من اختار سكنى القياطن؛ عند جبل  
عياض، وفي السهوب الممتدة إلى نقاوس؛  
منصاعين، وخاضعين لإعطاء المغارم للدولة، أو  
للقبائل المتغلبة. ومنهم من اطمأن إلى بيوت  
الطين، والحجر؛ في قصور الزاب، ووادي ريغ،  
ووركلا؛ مستسلمين للدولة، وضرائبها. أما  
لقواط فهم كذلك فخذ من مغراوة. اشتهروا

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 50 — 101. 131 — 146.



بالإباء، والنجدة، والامتناع عن الدولة، والأعراب؛  
في المناطق النائية. وأما بنو ورا فمتفرقون بين:  
مراكش، والسوس، وقسنطينة، وشلف. قابلين  
بإعطاء المغارم، والمقاتلين للدولة. وبعد أفول  
الدولة الموحدية؛ نهض حي من مغراوة في جهات  
شلف؛ وهم بنو منديل؛ أمراء تلك الجهات<sup>1</sup>.

! ! !

— أعيانهم: برز من مغراوة علماء، وأمراء،  
وقادة؛ كان لهم ذكر، وشهرة؛ منهم:  
— أبو علي منصور بن الخير بن يعقوب  
ابن يملا المالقي المغراوي المعروف بالأحذب  
(توفي بمالقة سنة 526هـ/1131م)؛ وهو عالم  
بالقراءات؛ فاعتنى بها، وبروايتها، وطرقها؛ وجمع  
فيها كتباً؛ لقنها لغيره.  
— ثم أبو زكرياء يحيى بن محمد التونسي  
المغراوي (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛  
وهو ممن سمع منهم ابن الخطيب بالمدينة  
المنورة.

---

<sup>1</sup> أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 131 — 146.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي (ت: سنة 820هـ/1427م)؛ من أعلام الفقه المالكي، والأصول، والنحو. ويقال أنه كان يعارض عبد الرحمن ابن خلدون، ويفتي عليه؛ كما حدث بينه وبين البساطي جدال علمي تحول إلى مشاجرة، ومشاتمة.

— ثم أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني الشهير بابن زاغو (ت: سنة 845هـ/1441م)؛ فقيه، وصوفي؛ له مؤلفات عديدة منها: تفسير الفاتحة، وشرح التلمسانية في الفرائض؛ وله أيضا فتاوى عديدة في مختلف العلوم والأغراض؛ سجل معظمها في معيار المازوني.

— ثم واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي (ت: سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه وقاضي، ومن أعلام الفقه، والبيان.

— ثم أحمد بن القاضي البجائي المغراوي (توفي قبل سنة 920هـ/1514م)؛ من الفقهاء العاملين بجبل زواوة.

— ثم أبو عبد الله شقرون محمد بن أحمد ابن أبي جمعة (ت: سنة 930هـ/1523م)؛ مقري،

وأستاذ، ومتكلم؛ وله بعض المؤلفات؛ منها:  
الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام  
المسلمين.

— ثم محمد بن يحيى بن موسى المغراوي  
التلمساني الراشدي دارا؛ فقيه. وصوفي؛ من  
أهل التفسير، والتوحيد؛ له شرح على أرجوزة  
أبي زيد عبد الرحمن السنوسي.



ومن أهم رؤساء مغراوة وأمرائها العاملين  
في شئون الحكم، والسياسة:

— صولات بن وزمار (من أعلام القرن الأول  
للهجرة)؛ وهو كبير مغراوة وأميرها خلال  
الفتح الإسلامي؛ كما سبق ذكره.

— ثم ابنه حفص بن صولات بن وزمار  
(من أعلام القرن الأول للهجرة).

— ثم خزر بن حفص بن وزمار (من أعلام  
القرن الأول للهجرة). أمير مغراوة؛ في عهده.

— ثم محمد بن خزر بن حفص. أمير  
مغراوة في وقته.

— ثم خزرون بن فلفول بن خزر (توفي بعد 366هـ/976م)؛ وهو مؤسس إمارة مغراوة بسجلماسة.

— ثم سعيد بن خزرون بن فلفول (ت: سنة 381هـ/991م)؛ وهو أمير طبنة؛ تحت طاعة السلطان المنصور ابن بلكين الصنهاجي.

— ثم زيري بن عطية بن عبد الله بن خرز بن حفص المغراوي (ت: سنة 391هـ/1000م)؛ عرف عهده اضطرابات عديدة، ووقائع بينه وبين مختلف القوى المتواجدة آنذاك ببلاد المغرب؛ كبنى أمية، وبني حماد، وبني يفرن.

— ثم ولده فلفول بن سعيد بن خزرون (ت: سنة 400هـ/1009م)؛ كان أميرا على طبنة؛ ثم نشبت بينه وبين بني زيري الصنهاجيين فتن، وخلافات؛ انجر عنها احتلاله لطرابلس؛ أين أقام فيها إمارة للمغراويين.

— ثم المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي (ت: سنة 417هـ/1026م)؛ كان في البداية منضويا إلى بني أمية؛ ولما اضطرب حالهم؛ مال إلى الاستبداد، وعدم الرجوع إليهم.

— ثم أبو العطاف حمامة بن المعز بن زيري ابن عطية (ت: سنة 433هـ/1041م)؛ يعتبر من أجَلِّ أمراء مغراوة؛ علما، وسلطانا؛ كان مجبا للأدب، ومشجعا للشعراء؛ الذين يتسابقون إلى بلاطه ببلاد المغرب؛ وافدين إليه من الأندلس.

— ثم دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي (ت: سنة 452هـ/1060م)؛ تولى إمارة فاس بعد وفاة أبيه؛ وعرف عهده هدوءا، ورخاء؛ نمت، وعظمت فاس بسببهما؛ وأضحت قبلة للتجار، وأصحاب الصنائع؛ كما تضاءل عمرانها؛ ببناء أسوار المدينة، وتشيد المساجد، والفنادق، والحمامات، ومختلف المنشآت، والمرافق.

— ثم الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز ابن عطية المغراوي (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ في عهده سقطت دولة مغراوة بفاس؛ بواسطة جيوش المرابطين؛ وإليه ينتسب باب الفتوح الموجود الآن بفاس.

— ثم منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد الخزري المغراوي (ت: سنة 623هـ/1226م). صاحب إمارة مغراوة بشلف.

\*\*\*

— مواطنهم: تمتد مواطن مغراوة ضمن بلاد المغرب الأوسط؛ من تلمسان إلى شلف، وحتى جبال مديونة. ثم هيمنوا — بعد ذلك — على المغرب الأوسط كله تقريباً، وبعض الأقطار من المغرب الأقصى. وبعد أن أخرجهم الصنهاجيون من المغرب الأوسط. عادوا إلى الظهور فيه؛ وأواخر الدولة الموحدية؛ عبر مناطق شلف، ومتيجة، وبعض المناطق الداخلية. وحدد ابن خلدون بعض مواطن بطونهم المعروفة بقوله: ((فأما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من إفريقية، والمغربين؛ فمنهم قبلة المغرب الأوسط؛ بجبل راشد، وجبل كريكرة؛ بعمل الزاب، وعمل شلف...[و] بعمل قسنطينة... ومن بني سنجاس من نزل بالزاب...[و] بأرض المشتل؛ ما بين الزاب، وجبل راشد؛ أوطنوا جباله... أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة. ولما افترق أمر زناتة؛ تحيز منهم إلى جبل عياض، وما إليه من البسيط إلى نقاوس؛ وأقاموا في قياطينهم... ونزل أيضاً الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووركلا؛ فاختلفوا قرى كثيرة؛ في عدوة وادٍ ينحدر من الغرب إلى الشرق،

ويشتمل على المصر الكبير، والقريّة المتوسطة، والأطم؛ قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بنابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران؛ من ريغة هؤلاء. وبهم تعرف لهذا العهد... وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت... ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين... وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا؛ فهم في نواحي الصحراء؛ ما بين الزاب وجبل راشد<sup>1</sup>. ولهم هناك قصر مشهور بهم؛ فيه فريق من أعقابهم؛ على سغب من العيش؛ لتوغله في القفر... وبينهم وبين الدوسن؛ أقصى عمل الزاب مرحلتان؛ وتختلف قصودهم إليه؛ لتحصيل المرافق منه... وأما بنو ورا فهم فخذ من مغراوة أيضا... وهم متشعبون، ومفترقون بنواحي المغرب: فمنهم بناحية مراکش والسوس، ومنهم ببلاد شلف، ومنهم بناحية قسنطينة...<sup>1</sup>.

É É É

---

<sup>1</sup> جبل عمور حالياً.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص ص: 96 — 100.

## — بنو يرنيان:

وهم بنو يرنيان بن يسلتين. جدهم الأكبر هو زانا بن يحيى. ومن اخوتهم: بنو يفرن، ومغراوة. عرفنا من بطونهم — حتى الآن — بني وطاط. وكان بنو يرنيان من أشد القبائل شكيمة، وأخلصهم جهادا؛ حيث أمدوا الدولة الأموية بالأندلس بأقوى الجنود، وأفحل المجاهدين. ولما حدثت الفتنة التي أجهزت على الدولة الأموية؛ ثار بنو خزرون؛ الذين ينسبهم بعض المؤرخين إلى بني يرنيان؛ بقلشانة سنة 402هـ/1011م؛ فتمكنوا بعدها من التغلب على أركش؛ وأعلنوا دولتهم بها. غير أنني أشك في انتماء بني خزرون هؤلاء إلى بني يرنيان؛ وأعتقد أنهم من مغراوة، وينحدرون عن الجد المدعو عبدون بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي؛ القادم إلى الأندلس مع جعفر بن على؛ في جملة زعماء الأمازيغ<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ابن حيان؛ المقتبس، القطعة المحققة من طرف حجي، ص ص: 39 — 40. العبر، مج: 4، ص ص: 324. 339.



ويبدو أن الالتباس حدث بسبب كونهم من حلفاء مغراوة؛ - كما ذكر ابن خلدون - ولما كانت أعداد بني يرنيان متغلبة؛ على غيرهم من حماة إمارة بني خزرون؛ فأن بعض الناس ظنوا أن أمرائهم هم بدورهم من بني يرنيان؛ مع أنهم - كما يبدو لي - من مغراوة؛ حلفاء بني يرنيان آنذاك. وقبولهم بحكمهم؛ يرجع إلى أنهم كانوا يصنفون ضمن أهل النصاب الملكي؛ لما كانوا عليه أيام بني أمية. ومما يعزز هذا الرأي أن ابن خلدون لم يشر كما هي عادته - عند حديثه عن بني يرنيان إلى إمارتهم بالأندلس؛ بينما نراه يشير إلى إمارات أخرى لبني يفرن، وبني دمر، وبني برزال.. إلخ وعلى الرغم من شكى؛ فسأضعهم مع بني يرنيان حتى يأتي اليقين بخلاف هذا.

أما في بلاد المغرب؛ فكان بنو يرنيان أتباعا، وأعوانا لإخوانهم مغراوة أيام الملك. وفي العهد الأخيرة تحالفوا مع بني مرين، وجاوروهم بالقفر؛ خلال عهدي: المرابطين، والموحدين؛ وكانوا سندا قويا لهم عند إسقاط الدولة الموحدية. وعليه.. فقد أشركهم بنو مرين في مناصب الدولة؛ حيث أسندوا إلى بعض

بيوتهم مرتبة الوزارة، كما عُين آخرون على  
رأس المقاطعات، والعمالات<sup>2</sup>.

! ! !

— أعيانهم: نبدأ بمن نسب إليهم في الأندلس؛  
علما بأني سأبقى متحفظا — كما سبق أن  
أشرت — وعليه.. يمكن أن يكون منهم:

— أبو عبد الله محمد بن خزرون بن  
عبدون الخزري (توفي حوالي عام 420هـ/1029م)؛  
قال عنه ابن عذاري: ((ثم غلب على  
أركش؛ وهي أعظم معاقل الأندلس؛ فملكها،  
وأقام ملكها، ظابطا لها، مثمرا لأموالها؛  
وكان فتاكا، هتاكاً، قتالا، سفاكا))<sup>1</sup>.

— ثم عبدون بن محمد بن خزرون (توفي  
حوالي عام 445هـ/1053م)؛ خلف والده على  
إمارة أركش؛ وضم إليها ما جاورها من  
البلاد؛ كقلشانة، وشريش؛ وفي عام 445هـ غدر  
به ابن عباد؛ حين دعاه مع محمد بن نوح

---

<sup>2</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 101 — 103.

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 3، ص: 294.

إلى زيارته بإشبيلية؛ ولما قدما إليه؛ قبض عليهما، وقتلهما في سجنهما.

— ثم محمد بن محمد بن خزرون (ت: سنة 461هـ/1068م)؛ تولى حكم أركش بعد موت أخيه عبدون؛ حيث سارع إلى تحصين بلاده؛ تحسباً لصد هجمات ابن عباد؛ ولكن هذا الأخير طاوله، واستنزف قواه؛ حتى سقطت أركش في يده. وقتل محمد بن خزرون في المعركة؛ بعد أن أمر بقتل زوجته؛ ذات الجمال الرائع، وأخته؛ لكي لا تقع في أسر أعدائه.



وأهم رؤساء، وزعماء بني يرنيان في ظل الدولة المرينية:

— إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ اليرنياني (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي خطة الوزارة لعدد من سلاطين بني مرين؛ بدءاً بعامر بن عبد الله بن يوسف، فسليمان بن عبد الله، فعثمان بن يعقوب.

— ثم ابنه مسعود بن إبراهيم بن عيسى (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولاه السلطان أبو الحسن على أعمال السوس سنة

730هـ/1329م، واستخلفه — بعدها — بأخيه  
حسون؛ أما مسعود فولاه على بلاد الجريد؛  
لما فتحها سنة 748هـ/1347م .

— ثم حسون بن إبراهيم (من أعلام القرن  
الثامن للهجرة)؛ ولي أعمال السوس هو الآخر  
بعد أخيه مسعود.

— ثم موسى بن إبراهيم بن عيسى (من  
أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ تقلد خطة  
الوزارة؛ لدى أبي الحسن علي بن عثمان؛ كما  
أسند إليه أبو عنان مهام جلية؛ منها ولاية  
أعمال سدويكش الكتاميين بجهات قسنطينة.

— ثم محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم  
(من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ وهو الذي  
رشحه أبو عنان للوزارة، كما أسندها —  
أيضا — إليه السلطان عبد الحليم بن أبي علي  
(المعروف بحلي).

\*\*\*

— مواطنهم: ومواطن بني يرنيان الأصلية تمتد  
بين سجلماسة، وكرسيف، على ضفاف ملوية؛  
حيث كانوا مجاورين لمكانسة. وفي عهد  
المرابطين، والموحدين من بعدهم؛ نزح الطوائع  
من بني يرنيان إلى القفر؛ وبقي العاجزون عن

الظعن منهم: كبني وطاط، وغيرهم؛ حيث خضعوا للدولة، وانصاعوا لفروض الطاعة، والتزموا بدفع المغارم، والجبايات. ولما استولى المرينيون على سدة الحكم في المغرب الأقصى اقتطعوا بني يرنيان البلد الطيب، في أطراف سلا، والمعمورة؛ بالإضافة إلى مواطنهم الأصلية؛ على ضفاف ملوية. ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن بني يرنيان؛ بأنهم كانوا — في زمنه — متواجدين بالجلال المشرفة على وادي ملوية؛ من ناحية الجنوب؛ إذ كانوا منتشرين في القصور الممتدة عبر تلك الجهات؛ من ملوية إلى تازة، وفاس.

## É É É

— وجديجن:

وهم من أولاد ورتنيص. وجدهم هو زانا ابن يحيى. واهوتهم هم بنو واغمرت. كانت أعدادهم زاخرة، وقوتهم وافرة. ومن أشهر رؤسائهم الشيخ عنان. (عاش في عهد يعلى ابن محمد اليفرني؛ أمير بني يفرن؛ الذي توفي سنة 347هـ/958م). وحدثت لهذا الشيخ قصة طريفة؛ يمكن تصنيفها من بين النوادر التي

تفرزها العصبية القبلية. خلاصة القصة أن امرأة من وجديجن متزوجة في قبيلة لواتة؛ المجاورة لقبيلتها؛ فتخاصمت مع نساء من بيت زوجها؛ فعايرنها بالفقر؛ فكتبت لعنان؛ شيخ وجديجن تشكوه، وتحرضه. فغضب الشيخ<sup>1</sup> ((واستجاش بأهل عصيته؛ من زناتة، وجيرانه. فزحف معه يعلى؛ في بني يفرن، وكلمام بن حياتي؛ في مغيلة، وعزانة في مطماطة. ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا. ثم غلبوا لواتة في بلاد السرسو؛ وانهموا بهم إلى كدية العابد؛ من آخرها. وهلك عنان؛ شيخ وجديجن في بعض تلك الوقائع؛ بملاكو؛ من جهات السرسو. ثم لجأت لواتة إلى جبل كريكرة؛ قبله السرسو)). وهذه عينة من سخافات العصبية، وشطحاتها.

! ! !

— أعيانهم: فمن أهم علماء وجديجن، وأصحاب الفكر فيهم:

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 104.

— محمد بن موسى الوجدجي التجيني (كان  
حيا حوالي 930هـ/1523م)؛ وهو فقيه تلمسان  
ومفتيها؛ آنئذ.

— ثم إبراهيم الوجدجي التلمساني (من أعلام  
النصف الأول من القرن العاشر للهجرة). وهو  
فقيه؛ من أهل التصوف.

— ثم محمد بن أحمد الوجدجي (توفي حوالي  
950هـ/1543م)؛ وهو أحد الشيوخ الصوفيين؛  
وكان يعلم الصبيان.

— ثم محمد بن محمد بن موسى الوجدجي  
المعروف بالصغير (توفي بالوباء سنة  
981هـ/1573م)؛ وهو فقيه، ومن العلماء المتفنيين،  
والحقيقين؛ وقد اختلف بالإفتاء في تلمسان.

— ثم محمد شقرون بن هبة الله الوجدجي  
التجيني التلمساني (توفي بفاس سنة  
983هـ/1575م)؛ وهو فقيه؛ كان يكنى بمالك  
الصغير؛ لضلوعه في الفقه، والفروع؛ كما كانت  
له اهتمامات بالتفسير، والحساب، والفرائض،  
والبيان، والمنطق؛ اختلف بالإفتاء في تلمسان؛  
وبعدها تولى الإفتاء بمراكش.

— ثم محمد بن موسى الوجديجي التجيني.  
فقيه.

\*\*\*

— مواطنهم: كانت مواطنهم بمنداس؛ إذ كانوا مجاورين لبني يفرن من جهة الغرب، ولواتة من جهة الجنوب في السرسو، ومطماطة من جهة الشرق بالوانشريس. ولما تغلبوا على لواتة استولوا على أراضيهم، وظلوا هناك حتى تغلبت عليهم أحياء بني يلومي، وبني ومانوا.

É É É

— واغمرت:

ويسمون — أيضا — غمرت. وهم أبناء ورتيص؛ من أحفاد زانا. وكان هذا الحي من أوفر الأحياء عداد. وقد انضموا إلى أبي يزيد في ثورته؛ ضد الفاطميين. وبعد فشلهم جميعا؛ تعرضوا للتصفية؛ بالقتل، والتشريد من طرف عاهل الدولة الفاطمية إسماعيل المنصور، ثم أكمل مهمة الإثخان فيهم؛ بلكين بن زيري أمير صنهاجة؛ فساءت أحوالهم نتيجة لذلك؛ خاصة عندما اكتملت مصيبتهم؛ باجتياح



ديارهم من طرف بني هلال؛ الذين أجبروهم على الاعتصام في الجبال الجنوبية من المسيلة؛ التي استوطنوها بعد أن تركوا الظعن، واستقروا في القرى، والمدن المتواجدة بتلك الجهات. فضعفت بذلك عصبيتهم، وانقادوا لغيرهم من القبائل الهلالية؛ مثل الدواودة؛ الذين أقطعتهم الدولة الجبال التي تسكنها واغمرت؛ فأضحوا بذلك من القبائل الغارمة؛ التي تدفع مغارمها إلى قبيلة الدواودة<sup>1</sup>.

! ! !

— أعيانهم: من أهم علماء وأعيان واغمرت أو غمرت:

— أبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري السرقسطي (ت: سنة 392هـ/1001م)؛ فقيه مالكي؛ كان قد تنقل في أقطار المغرب، والمشرق؛ دارسا، ومدرسا؛ وله كتاب بعنوان كتاب الوجازة في صحة القول بالإجازة؛ أشار فيه إلى من لقيهم من العلماء في رحلته.

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 105 — 106.

ومن مشاهيرهم؛ كاهن زناتة موسى بن صالح؛ قال عنه ابن خلدون: ((مشهور عندهم حتى الآن، ويتناقلون بينهم كلماته برطانتهم على طريقة الرجز؛ فيها أخبار بالحدثان؛ فيما يكون لهذا الجيل الزناقي من الملك، والدولة...وأفرط الخلاف بين هذا الجيل الزناقي؛ في التشيع له، والحمل عليه: فمنهم من يزعم أنه ولي، أو نبي؛ وآخرون يقولون كاهن))<sup>1</sup>.

\*\*\*

— مواطنهم: كانت مواطنهم في بداية الأمر جنوب بلاد صنهاجة؛ من المشتل إلى الدوسن. غير أن الأحداث التي مروا بها أجبرتهم على ترك تلك الديار لغيرهم، والاكتفاء بالجبال الجنوبية لمدينة المسيلة.

É É É

---

1- العبر، مج: 7، ص: 105.

— بنو واركلا:

وهم من أبناء نمالة بن فريني بن زانا ابن يحيى. ومن إخوانهم: منجصة، ويزمرتن. عددهم ليس كبيراً. يعيش معهم في ديارهم النائية؛ جماعة من بني زنداك المغراويين؛ الذين التجأ إليهم أبو يزيد؛ قبل ثورته. ورئيس بني واركلا أيام ابن خلدون من بيت منهم؛ وهو أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غبول. وكان يلقب بالسلطان.

! ! !

— أعيانهم: من علماء بني وركلا أو (ورجلا):

— أبو زكريا يحيى بن علي الوركلاني (الورجلاني) (ت: سنة 471هـ/1078م)؛ وهو من الفقهاء، والمؤرخين؛ ألف كتاب سير الأئمة وأخبارهم؛ ويعتبر هذا الكتاب أقدم أثر تاريخي — معروف حتى الآن — للإباضيين في المغرب الإسلامي؛ وقد ترجم ملخص له بالفرنسية.

— ثم أبو صالح جنون بن يمران الورجلاني  
(من أعلام النصف الأول من القرن الثالث  
للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية بورجلان.

\*\*\*

— مواطنهم: تربض مواطنهم جنوب الزاب.  
ولهم مصر مستبحر بعمرانه؛ ويبعد عن بسكرة  
بثمانى مراحل (400 كلم تقريباً)؛ إلى الجنوب الغربي.  
كانوا قد بنوه قصورا متجاورة، وقريبة من  
بعضها؛ فالتصقت؛ وأضحت مصرا واحدا؛  
عرف باسمهم. ويقول عنه ابن خلدون:  
((وهذا البلد لهذا العهد باب ولوج السفر؛  
من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى  
بلاد السودان؛ يسلكها التجار الداخلون إليها  
بالبضائع. وسكانها لهذا العهد من أعقاب بني  
واركلا، وأعقاب إخوانهم من بني يفرن،  
ومغراوة، ويعرف رئيسهم باسم السلطان؛  
شهرة غير نكيرة بينهم.))<sup>1</sup>.

É É É

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 107.

## — بنو دمر:

وهم أبناء الغنا بن وريسك أو (ورسيج)؛ لأن اسم دمر لقبه، وليس اسمه. وجدهم هو زانا بن يحيى. وبطون دمر كثيرة، وعديدة؛ منها: بنو ورغمة أو (ورجمة)، وبنو ورنيد؛ الذين تشعبت أفخاذهم أيضا؛ فعرف منهم: بنو برزال، وبنو تفورت أو (تقورت)، وبنو ورتاتين، وبنو غرزول. وقد أجاز منهم إلى بلاد الأندلس؛ بعض أعيانهم، وأبطالهم؛ فكان لهم ذكر، وصوله. وقد تمكن بنو دمر، واخوتهم بنو برزال من تشييد إمارتين صغيرتين بالأندلس؛ هما: إمارة بني برزال بقرمونة. ثم إمارة بني نوح الدمري بمرو Moron. وظل بنو دمر متمسكين بمذهبهم الخارجي؛ خلافا لإخوانهم بني برزال. وسقطت — في النهاية — هاتان الإمارتان بواسطة ابن عباد؛ صاحب اشبيليا؛ بعد أحداث، وخطوب.

وكانت لبني برزال بن ورنيد — في بلاد المغرب — أحداث مذكورة، وأعداد موفورة. كما كانت لهم مواقف معلنة، وانحياز ظاهر إلى صف أبي يزيد؛ إذ انتقل إليهم؛ فأجاروه، وناصروه، وحموه. ولما مات عادوا إلى طاعة

الدولة الفاطمية؛ في موالاة أمير المسيلة، والزاب؛  
جعفر بن علي بن حمدون. فكانوا له أتباعا،  
وأنصارا. ولما انشق عن دولة الفاطميين؛  
ناصروه، ثم أجازوا معه إلى بلاد الأندلس؛ أين  
استقروا جميعا. وهناك ازداد نفوذهم، ونمت  
ثروتهم، وتعددت مناصبهم في الدولة الأموية.  
وبعد سقوطها؛ سارعوا إلى الاستبداد بإمارتهم في  
قرمونة. ويبدو أن الأمر قد اختلط على محمد  
عنان؛ حين نسب بني برزال إلى بني يفرن؛  
بينما هم — في الحقيقة — من بني ورنيد بن  
دمر بن ورسيك<sup>2</sup>.

## ! ! !

— أعيانهم: من أشهر أعيان، وعلماء بني دمر؛  
على اختلاف بطونهم:

— يحيى بن موسى بن عبد الله البرزالي  
الغرناطي (ت: سنة 541هـ/1146م)؛ وهو فقيه،  
وإمام بقرطبة.

— ثم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن  
محمد بن أبي يُدَّاس البرزالي الإشبيلي (توفي

---

<sup>2</sup> ابن عذاري؛ البيان المغرب، ج: 3، ص ص: 270 — 273. 275. ابن خلدون؛  
العبر، مج: 7، ص ص: 108 — 111.

بدمشق سنة 636هـ/1238م)؛ عالم، بالحديث؛ ثقة؛ قال فيه ابن الأبار: ((في شيوخه كثرة، وفي روايته سعة، وكان حسن الخط، جيد الضبط، صحيح العقيدة، معروفا بالحفظ؛ جمع من الحديث شيئا كثيرا...))<sup>1</sup>.

— ثم علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد ابن يوسف البرزالي الإشبيلي (ت: سنة 739هـ/1338م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوي، ومؤرخ؛ من مؤلفاته: كتاب التاريخ؛ وهو صلة لتاريخ أبي شامة؛ وصل به إلى أحداث 738هـ/1337م، وكتابان — أحدهما مطول، والآخر مختصر — جمع فيهما أسماء، وتراجم الذين أجازوه من العلماء؛ وقد وصل عددهم حوالي ثلاثة آلاف، ثم كتاب الوفيات، وكتاب الشروط، وكتاب ثلاثيات من مسند أحمد، وكتاب مختصر المائة السابعة، وكتاب العوالي المسندة، ومجاميع وتعليق عديدة؛.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت: سنة 803هـ/1400م)؛ وهو من أكبر علماء تونس في عصره؛ ولي إمامة الجامع الأعظم، ثم أسندت إليه فيه خطة الخطابة،

---

<sup>1</sup> التكملة، ج: 2، ص: 643.

ثم الإفتاء بعدهما؛ من مؤلفاته: المختصر الكبير؛ في الفقه المالكي، والمختصر الشامل؛ في التوحيد، ومختصر الفرائض، والمبسوط؛ في الفقه؛ جزأه إلى سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، والحدود؛ في التعاريف الفقهية.

— ثم أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن العتل البرزالي القيرواني (ت: سنة 844هـ/1440م)؛ فقيه تونس ومفتيها؛ كان ينعت بشيخ الإسلام؛ وهو صاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى، وكتاب جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام؛ وهو في مجلدين اثنين .

— ثم أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان ابن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي الورنيدي المعروف بابن الحاج (توفي حوالي 930هـ/1523م)؛ كان متمكنا من علوم، وفنون شتى ك: الأصول، والمنطق، والعريضة، والبلاغة، والحساب، والعروض؛ كما كان ينظم الشعر الصوفي. وكان يتراسل مع ابن غازي بالأغاز المنظومة؛ من ذلك ما بعثه إليه ابن غازي؛ طالبا حله:



وَمَيِّتَ قَبْرِ طَعْمِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ  
إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَا  
يَقُومُ فَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا  
وَيَأْوِي إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي مِنْهُ قَوْمًا  
فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةَ  
وَلَا هُوَ مَيِّتٌ يَسْتَحِقُّ تَرْحُمًا

فأجابه أحمد الوريدي (ابن الحاج):  
بِحَمْدِ اللَّهِ ابْتَدَيْتُمْ بَعْدَهُ  
أَصْلِي عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُسْلِمًا  
هُوَ الْقَلَمُ الْقَبْرِ الدَّوَاةُ وَطَعْمُهُ  
مِدَادُ كَلَامِهِ الْكِتَابَةُ فَافْهَمَا  
وَكَاتِبُ هَذَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ  
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ مَا كَانَ أَجْرَمَا

وله قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه  
وسلم؛ يقول فيها:

سَلَامٌ عَلَى سُكَّانِ طَيِّبَةِ وَالْحِمَى  
فَهُمْ أَسْلَمُوا قَلْبِي سَلِيمًا مُسْلِمًا  
نَأَتْ دَارُهُمْ عَنِّي فَظَلْتُ لِبَيْنِهِمْ  
كَثِيرًا قَرِيعَ الْقَلْبِ صَبًّا مُتِيمًا

إلى آخرها؛ حيث يقول:  
فَلَمَّا عَدِمْتُ الْقَبْرَ يَمَّمْتُ مَدْحَهُ  
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً طَهُوراً تَيَمَّمَا  
وله أيضاً بعض المصنفات مثل: شرح  
السينية لابن باديس، وشرح البردة للبصري؛  
لم يكتمل.

— ثم محمد بن سعيد الوريدي المدعو الحاج  
الناوي (توفي حوالي سنة 955هـ/1548م)؛ فقيه،  
ومفتي، وأستاذ؛ وملم بالقراءات.

— ثم محمد بن عبو الناوي الوريدي (توفي  
بعد سنة 970هـ/1562م)؛ فقيه، ومدرس، ومحدث،  
وخطيب، ونحوي؛ متمكن من القراءات.

— ثم حَدُّو بن الحاج بن سعيد الناوي  
الوريدي (ت: سنة 998هـ/1589م)؛ فقيه، وأستاذ،  
وناظم.

— ثم محمد بن عبد الله بن الحاج بن  
سعيد الناوي الوريدي المعروف بأمقران (ت:  
سنة 1009هـ/1600م)؛ فقيه، وإمام، وخطيب.



ومن أمراء، وأعيان بني برزال المشتغلين في  
شئون الحكم، والسياسة، والجيش:

— الحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي الزناتي (ت: سنة 434هـ/1042م). كان حاكماً على قرمونة بالأندلس؛ قبل سقوط الدولة الأموية. ولما انحل شأن الدولة؛ استبد بإمارتها، واستقل بحكمها؛ سنة 404هـ.

— ثم إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي.

— ثم المستظهر عزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي (ت: سنة 459هـ/1066م)؛ ثاني أمراء بني برزال بقرمونة بالأندلس؛ حكمها بعد وفاة أبيه؛ إلى أن تغلب عليه ابن عباد؛ كغيره من الأمراء الأمازيغ.

— ثم أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي الغرناطي؛ وهو من الفرسان الأبطال؛ شهير باسم الرئية؛ بسبب حمرة كانت في وجهه. ويعتبر من الأبطال المذكورين في الأندلس، وكان على رأس ثلاثمائة فارس من بني برزال؛ في خدمة بني زيري بالأندلس.

— ثم وانزمار بن أبي بكر البرزالي؛ وهو أحد الفرسان الأبطال؛ من الأمازيغ الذين كانوا في خدمة المنصور بن عامر. ذكره المقرئ؛ بقوله: ((تقدم إلى المنصور وانزمار...وقد جلس

للعرض والتميز؛ والميدان غاص بالناس؛ فقال له بكلام يضحك الثكلى: يا مولاي؛ مالي ولك؛ أسكنني فإني في الفحص. فقال: وما ذاك يا وانزمار؟ وأين دارك الواسعة الأقطار؟ فقال: أخرجتني عنها نعمتك؛ أعطيتني من الضياع ما انصب علي منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي، وأخرجني عنها؛ وأنا بربري مجوع، حديث عهد بالبؤس؛ أتراني أبعث القمح عني؟ ليس ذاك من رأيي. فتطلق المنصور، وقال: لله درك من فذ عيٍّ؛ لعيِّك في شكر النعمة أبلغ عندنا، وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد، وبليغ متفنن؛ وأقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس فقال: يا أصحابنا؛ هكذا فالتشكر الأيادي، وتستدام النعم؛ لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم، والتشكي المبرح؛ وأمر له بأفضل المنازل الخالية)<sup>1</sup>.



أما الأمراء، والأعيان المنتسبون إلى القبيلة الأم (دمر)؛ فهم:

---

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 1، ص: 417.

— ثم أبو تيزيري الدمري (ت: سنة 403هـ/1012م)؛ وكان قد استولى — مع قومه — على مورور، وما حولها؛ أثناء الفتنة التي قضت على الدولة الأموية؛ ثم اتخذها قاعدة لإمارة بني دمر.

— ثم ولده نوح بن تيزيري الدمري (ت: سنة 433هـ/1041م).

— ثم عز الدولة محمد بن نوح الدمري (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ اتصف بحسن السياسة؛ والسهر على أمن رعيته؛ حتى سقط في حبائل ابن عباد الذي غدر به؛ مع بقية الأمراء من الأمازيغ.

— ثم عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح الدمري (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ ضايقه ابن عباد — هو الآخر — وطاوله؛ حتى قبل بتسليم مرور إليه؛ والانتقال إلى إشبيلية في ضيافته؛ ولما ذهب إليها أحسن إليه، وقام به أفضل قيام، وبالغ في إكرامه.

\*\*\*

— مواطنهم: تمتد مواطن بني دمر عبر إفريقية، والمغرب الأوسط؛ فمنهم أحياء بجهات طرابلس، وجبالها؛ ويعرفون بورْغمة؛ بينما

يتنقل الظواعن منهم؛ عبر سهوب إفريقية،  
والمغرب الأوسط. ومن بني ورنيد؛ منهم —  
أيضا — جماعة في الجبل المشرف على تلمسان؛  
انتقلوا إليه من السهوب الجنوبية لتلمسان؛  
بسبب ضغوط بني راشد؛ الذين كانوا مزاحمين  
لهم في تلك البسائط. ومنهم — كذلك — من  
كان بجبال سالات؛ بنواحي المسيلة؛ وهم  
أحياء من بني برزال.

## É É É

— بنو واماوا:

ذكر ابن خلدون أنه لا يعرف تسلسل  
نسبهم؛ وإن كان يجعلهم من بين قبائل زناتة؛  
تبعاً لروايات النساين. وبنو واماوا هؤلاء  
كانوا حلفاء لإخوانهم، وجيرانهم بني يلومي؛  
فتمكن القبيلتان من التغلب على ربوع  
المغرب الأوسط. ولم يفقههم — من زناتة آنثذ  
— في قوة العصبية، وكثرة العدد؛ سوى بني  
يفرن، ومغراوة. وعندما أجبر بلكين بن زيري  
زناتة على النزوح إلى المغرب الأقصى؛ بقي بنو  
واماوا، وإخوانهم بنو يلومي في مواطنهم؛ بسبب

تحالفهم مع صنهاجة، وانضمامهم إليها في حروبها.

وقد أصهر المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجي إلى بني وامانوا؛ في أخت شيخ القبيلة ماخوخ؛ فتعززت بذلك أواصر القرى بين الدولة، والقبيلة. ولكن دب الخلاف بين الطرفين؛ عندما ناصرت قبيلتا: بني وامانوا، وبني يلومي المرابطين؛ ضد الدولة الحمادية؛ وعندما فشل المنصور في عملياته العسكرية ضد القبيلتين العصيتين؛ التجأ إلى أسلوب الانتقام من صهره؛ بطريقة غريبة؛ إذ لم يجد أمامه سوى زوجته الضعيفة؛ أخت ماخوخ؛ شيخ قبيلة وامانوا؛ فأطفأ غليله فيها، بقتلها؛ بدلا من أخيها العاق...!! ولما توفي المنصور، وخلفه العزيز، رجع بنو وامانوا إلى طاعة الدولة الحمادية، وأصهر إليهم العزيز كذلك؛ فتزوج ابنة ماخوخ. ولما هلك ماخوخ؛ خلفه أولاده في رئاسة قبيلة بني وامانوا؛ وهم: تاشفين، وعلي، وأبو بكر.

هذا.. ولم يدم الحلف بين بني وامانوا،  
وبني يلومي طويلا؛ حيث نشبت بينهما  
الفتن؛ التي انضمت إليها أحياء أخرى من  
زناة. وكان بنو وامانوا متذبذبين في ولائهم  
للدولة. فهم أحيانا مع بني حماد، وأحيانا  
أخرى مع المرابطين، وأخرى مع الموحيدين.  
وقد ينتهزون أدنى فرصة تسنح لهم؛ لكي  
يتنكروا لطرف ما، ويقدموا ولاءهم لطرف  
آخر. ووصل بهم الحال إلى الوقوف مع  
الموحيدين؛ في حملاتهم القتالية؛ ضد إخوانهم،  
وحلفائهم بني يلومي. ومع مرور الوقت أخذ  
الضعف، والوهن يدب في القبيلتين؛ بسبب  
الفتن، والحروب التي أكلت خيارهم؛ فأصبحوا  
مغلوبين لقبيلتي: توجين، وبني عبد الواد<sup>1</sup>.

\*\*\*

— مواطنهم: أما مواطن بني وامانوا فهي في  
المغرب الأوسط؛ شرق وادي میناس (مینا  
حاليا) بمنداس؛ وحتى أسافل شلف. ويجاورهم  
على الضفة الغربية؛ لوادي میناس بنو يلومي.

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 114 — 119.



وثة بعض الأحياء من بني وامانوا تعرف  
بني يالِدّاس؛ وينتشرون في القصور الجنوبية التي  
تسمى توات، وتيكورارين. وهي عبارة عن  
حزام أخضر؛ ممتد من الغرب إلى الشرق؛  
ويضم المئات من القصور، وآلاف البساتين؛ التي  
تزخر بأشجار النخيل، وكروم العنب، ومختلف  
الفواكه الأخرى. وأشهر قصورهم هي: بودا،  
وتمنيط، وتيميمون، وقلعة. وتعتبر هذه  
القصور الصحراوية بمثابة محطات رئيسية؛ لقوافل  
التجار المتنقلين بين مالي، وأقطار المغرب.  
وعليه فقد ازداد نموها العمراني، وتضاعف  
ثراؤها، وازدهرت تجارتها.

وقد سجل ابن خلدون بعض الملاحظات؛  
عن الطريقة التي يتبعها سكان تلك الجهات في  
استنباط المياه الجوفية. فقال: ((وفي هذه البلاد  
الصحراوية؛ إلى وراء العرق؛ غريّة في استنباط  
المياه الجارية؛ لا توجد في تلّول المغرب. وذلك  
أن البئر تحفر عميقة، بعيدة المَهْوَى. وتطوى  
جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة؛  
فتحت بالمعاول، والفؤوس إلى أن يرق جرمها.  
ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من  
الحديد؛ تكسر طبقها عن الماء؛ فينبعث

صاعدا؛ فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض واديا. ويزعمون أن الماء ربما أعجل سرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات، وتيكورارين، ووركلا، وريغ. والعالم أبو العجائب)<sup>1</sup>.

## É É É

— بنو يلومي:

كل ما قيل عن بني ومانوا ينطبق على بني يلومي؛ لأن هاذين الحين يجمعهما مصير واحد؛ نظرا لتلاحمهما، وتحالفهما؛ وذلك بالإضافة إلى النسب الواحد الذي جمعهما. ويرى بعضهم أن بني يلومي، وبني ورتاجن إخوان. وبما أن ورتاجن هو أبو قبيلة بني مرين؛ فقد أضحى بنو يلومي يشاركونهم مرين عصبيتهم. ولما ظهر المرابطون على مسرح الأحداث بالمغرب؛ برزت خلافات عميقة بين بني يلومي، وحلفائهم بني ومانوا؛ وازدادت عمقا عندما ظهر الموحدون أيضا؛ حيث وصل بهم

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 119.

الحال إلى الاقتتال. بسبب تحيز أحدهما إلى أعداء الآخر.

ويبدو أن أحياء زناتة كلها انقسمت؛ نتيجة لظهور المرابطين، والموحدين؛ بحيث اختار كل حليف حليفه الجديد. وقد تباين ولاء قبيلتي: بني يلومي، وبني وامانوا للدولة؛ حيث انضم — في البداية — بنو وامانوا إلى الموحدين؛ متخليين في ذلك عن أبناء عموماتهم، وحلفائهم الطبيعيين بني يلومي.

أما بنو يلومي فظلوا على ولائهم للمرابطين. وهكذا.. تسببت تلك الفتن، والحروب — في عهد الدولة الموحدية خاصة — في إضعاف القبيلتين؛ فاضمحل شأنهما، وانقرض عزهما، ووهنت شوكتهما؛ فأصبحت القبيلتان — بذلك — أوزاعا بين القبائل الزناتية. والرئاسة في بني يلومي يمكن حصرها في بيت أمير الناس؛ من خلال ولديه: سيد الناس، وبدرج.

\*\*\*

— مواطنهم: تتواجد مواطن بني يلومي أيضا — بالمغرب الأوسط؛ وهي في الضفة الغربية لوادي

ميناس (مينا)؛ بالجعبات، والبطحاء، وسيلك،  
وسيرات، وجبل هواره، وبني راشد.

## É É É

— بنو واسين:

وهم أبناء واسين بن يصلتين. وجدهم  
زانا بن يحيى. اشتهروا بفرعيهم: بادين،  
وورتاجن. فمن بادين تفرع: بنو عبد الواد،  
وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب. أما  
ورتاجن فمنهم بنو مرين. أما بنو راشد؛  
فأبؤهم راشد أخو بادين من أبيهما محمد؛  
لذا اندرجوا في بني عبد الواد. أما بنو زردال،  
وبنو مصاب فالتحقوا ببني عبد الواد. أما  
بنو توجين فتأتي أهميتهم في الدرجة الثانية بعد  
بني عبد الواد؛ نظرا لكثرة عددهم، وشدة  
بأسهم. وتقول المصادر التاريخية عن بني  
واسين؛ أنهم ساندوا أبا يزيد في ثورته على  
الفاطميين؛ إذ حاصروا توزر كما أمرهم. وربما  
انضم — منهم — بنو عبد الواد إلى عقبة بن  
نافع في ولايته الثانية، وأبلوا معه في الجهاد<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 120 — 131.

وأهم بطون بني عبد الواد هم: بنو طاع الله، وبنو كمي، وبنو مطهر. أما بطون بني مرين فأهمهم: بنو عسكر، بنو وطاس، وبنو يابان. أما بطون بني توجين فهم: بنو مدن، وبنو رسوغين؛ وتفرعوا جميعا إلى عدد من الأفخاذ؛ أشهرهم: بنو منكوش المنتسبين إلى بني رسوغين، وبنو يدلتن، وبنو يرناتن المنتسبين إلى بني مدن؛ وإلى يدلتن ينتمي بنو سلامة؛ أصحاب قلعة تاوغزوت الشهيرة؛ وهي التي لجأ إليها ابن خلدون؛ أين شرع في تأليف كتابه العبر.

وكان بنو واسين — في عهودهم الأولى — مغلوبين للطبقة الأولى من زناتة، وأن اعتزوا بيداوتهم؛ إذ كانوا من أهل الطعن، وأصحاب الخيام؛ ومن المنتجعين عبر السهوب، والسباسب، في ربوع المغرب، وإفريقية؛ ما بين ملوية، والزاب. ولما أخرج الصنهاجيون أهل الطبقة الأولى من زناتة عن المغرب الأوسط؛ ظل بنو واسين في منتجعهم؛ معتزين بيداوتهم، ومنعتهم عن قهر الدولة؛ حتى العهد الموحيدي. وما أن دب الهرم في الدولة الموحيديّة؛ حتى شرعوا في الاستبداد، والتطلع إلى مراتب الملك.

وهكذا.. فبنو واسين — أيام الطبقة الأولى من زناتة — كانوا معروفين بهذا الاسم. ولما تشعبت بطونهم، وتكاثرت، أفخاذهم؛ تفرعوا إلى أحياء منفصلة، ومتنافسة على الرئاسة؛ فظهر منهم في البداية فرعان؛ هما: بنو بادين، وبنو ورتاجن. وكانت عصابة بني بادين — في البداية — أقوى لاشتمالها على أربع بطون؛ هم: بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب، بالإضافة إلى بطن آخر ينتمي إليهم؛ وهم بنو راشد؛ أخو بادين.

ومع مرور الزمن، وبعد وصول بني عبد الواد إلى مرتبة الملك، وانفرادهم بعزله، وشرفه؛ دون البطون الأخرى؛ عندها.. دب الخلاف بين أحياء بني بادين، وانقسمت عصيتهم إلى عصيات أصغر، وأضيق؛ فبرز — عندئذ — كل حي مستقلا بذاته. وهنا قويت شوكة بني مرين؛ بعد انقسام عصية بني بادين. وحدث — من جراء الصراع، والتنافس المشتعل بين أحياء بني واسين — أن نشأت لهم دول، وإمارات بالمغربين: الأقصى، والأوسط. كدولة بني عبد الواد، ودولة بني مرين، وإمارة بني توجين. وقد اشتد الصراع، والاقتتال بين

هذه الدول؛ طوال سنوات وجودها؛ وذلك بغرض احتواء مجموع الإمارات؛ ضمن دولة واحدة؛ ولكن عامل الحسم العسكري كان مفقودا لديهم جميعا.

! ! !

— أعيانهم: لبني واسين عدد من الأعيان، والمشاهير تضيق بهم الصفحات؛ ذلك أنهم تمكنوا — بمختلف أحيائهم — من تشييد ممالك، وإمارات عديدة؛ أهلتهم لاحتلال مراكز مرموقة في المجتمعات المغربية كافة. وعليه سنكتفي بذكر أهم رجالهم على الإطلاق. نبدأ بذكر أصحاب القلم منهم؛ ثم ننتقل إلى أصحاب السيف، والسلطان. ونشرع في ذكر أعيان بني عبد الواد؛ لأنهم سبقوا الأحياء الأخرى في إقامة دولتهم؛ فمن أعيانهم:

— أبو حمو موسى الثاني ابن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان (ت: سنة 791هـ/1388م)؛ ويعتبر هذا السلطان من أبرز سلاطين، وأدباء بني عبد الواد؛ فهو — إلى جانب شدة عزمه، وقوة إرادته — أديب ملم بالشعر، والنثر معا. فمن مؤلفاته النثرية كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، وله قصائد كثيرة؛ موزعة ضمن مصادر عديدة؛ جَمَعَ

عبد الحميد حاجيات أهمها في كتابه ((أبو حمو  
موسى الزياني؛ حياته، آثاره)). ومن شعره  
السياسي؛ قصيدة قالها عندما حان وقت  
انطلاقه إلى تلمسان؛ لاستعادة ملك آبائه:

حَانَ الْفِرَاقُ فَكُنْتُ مِنْهُ بِمَنْزِلِ  
وَدَنَا الرَّحِيلُ فَكُنْتُ فِيهِ بِأَوَّلِ  
وَتَحَكَّمَ الْبَيْنُ الْمُشْتَّتِ وَالنَّوَى  
فَيْنَا بِفَتْكَةِ سَيْفِهِ الْمُتَكَلَّلِ  
وَبَدَا غُرَابُ الْبَيْنِ فِي عَرَصَاتِهَا  
يُورِثِي عَلَيْهَا مَنْزِلًا فِي مَنْزِلِ

إلى أن يقول:

وَالدَّارُ أُمْسَتْ بَلَقْعًا مِنْ أَهْلِهَا  
يُورِثِي عَلَيْهَا كُلُّ طَيْرٍ أَيْلِ  
وَالْوَرَقُ نَائِحَةٌ عَلَى أَغْصَانِهَا  
نَوْحُ الشَّجِي الْمُدْنِفِ الْمُتَعَلِّلِ  
فَسَمِعْتُ هَاتِفَةً عَلَى أَفْنَانِهَا  
تَشْكُو بِصَوْتٍ بَيْنَ لَمْ يُجْهَلِ  
فَنَشَدْتُهَا عَنْ حَالِهَا فَتَرْتَمَتْ  
وَبَكَتْ وَأَبَكَتْ صُمَّ صَخْرِ الْجَنْدَلِ



قَالَتْ وَأَشْوَاقُ النَّوَى لَعِبَتْ بِهَا:  
عَنْ غَيْرِ حَالِي يَا ابْنَ آدَمَ فَاسْأَلِ  
أَوْ مَا رَأَيْتَ الرُّوضَ أَمْسَى مُقْفَرًا  
لَعِبَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالشَّمَالِ  
هَازِي دِيَارُكُمْ وَهَازِي أَرْضُكُمْ  
بِالْأَمْسِ قَدْ كَانُوا بِهِذَا الْمَنْزِلِ  
دَعْنِي أَنْوَحَ عَلَيْهِمْ طُولَ الْمَدَى  
أَبْكِي عَلَيْهِمْ جَدُولًا فِي جَدُولِ  
فَشَفِقتُ لَمَّا أَنْ عَلِمْتُ حَدِيثَهَا  
وَالْجَفْنَ يَغْرَقُ بِالْذُّمِّوعِ الْهَطَّلِ  
نَادَيْتُهَا وَالْجِسْمُ مِنِّي قَدْ فَنَى  
وَعَلَى فؤَادِي غَمْرَةٌ لَمْ تَنْجَلِ  
لَوْ ذُقْتَ يَا وَرَقَاءُ مَا قَدْ ذُقْتُهُ  
لَحَرَقْتُ أَغْصَانِ الْأَرَاكِ الْمَيْلِ  
كَمْ حُرْقَةٍ كَمْ زَفْرَةٍ كَمْ لَوْعَةٍ  
يَحْلُو لَدَيْهَا كُلُّ صَعْبٍ مُذْهِلِ  
وَشَوَاهِدِي هُمْ هَؤُلَاءِ كَمَا تَرَى  
بَائُوا وَكُلُّ مُبِينٍ لَمْ يُجْهَلِ  
دَمْعِي يَسِيحُ وَزَفْرَتِي لَا تَنْقُضِي  
وَالسَّهْرُ أَنْحَلَنِي وَعَذْلُ الْعَاذِلِ

لَوْ ذَاقَ قَاسِي الْقَلْبِ مَا قَدْ ذُقْتُهُ  
لَعَدُوا سَكَارَى فِي مَحَلِّ مُهْمَلٍ  
أَوْ حَلَّ مَا بِي بِالْجِبَالِ تَدَكَّدَكْتُ  
دَكَاً وَأَمْسَتْ مِثْلَ كُحْلِ الْمَكْحَلِ  
وَالْحَالُ تُنْبِئُ وَالْكَوَاكِبُ تَشْهَدُ  
أَنِّي أَرَا قُبُهَا وَلَمْ أَتَخَيَّلِ  
حَالِي يَطُولُ وَمِحْنَتِي لَا تَنْقُضِي  
كَمْ لِي بِمَيْدَانِ الْوَعَى مِنْ مَحْفَلِ  
لَا بُدَّ مِنْ سَوْقِ النُّجُوعِ مُعَرَّباً  
حَتَّى تَكِلَ مُتَوْنَهَا بِالْأَحْمَلِ  
وَتَرَى الْفَوَارِسَ دَائِرَاتٍ بِالْعِدَى  
تَسْقِي لِوَارِدِهَا نَقِيعَ الْخَنْظَلِ

— ثم أبو زيان محمد بن أبي حمو الثاني (ت: سنة 805هـ)؛ وهو كأبيه؛ محب للعلم والأدب، ويجيد نظم الشعر؛ ومن شعره قصيدة بعث بها؛ مع هدية إلى سلطان مصر برقوق؛ نذكر منها:

لِمَنِ الرِّكَائِبُ سَيْرُهُنَّ ذَمِيلُ  
وَالصَّبْرُ — إِلَّا بَعْدَهُنَّ — جَمِيلُ

يَا أَيُّهَا الْحَادِي رُوَيْدَكَ إِنَّهَا  
ظُعُنٌ يَمِيلُ الْقَلْبُ حَيْثُ تَمِيلُ  
رَفَقًا بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْقَ ظُهُورِهَا  
فَالْحُسْنُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

إلى أن يقول:

مَنْ لِي بِزُورَةِ رَوْضَةِ الْهَادِي الَّذِي  
مَا مِثْلُهُ فِي الْمُرْسَلِينَ رَسُولُ  
هُوَ أَحْمَدٌ وَمُحَمَّدٌ وَالْمُصْطَفَى  
وَالْمُجْتَبَى وَلَهُ انْتَهَى التَّفْضِيلُ  
يَا خَيْرَ مَنْ أَهْدَى الْهَدَى وَأَجَلَ مَنْ  
أَتْنَى عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَالتَّنْزِيلُ  
وَحْيٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِيهِ عَلَى  
قَلْبِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ جَبْرِيلُ  
مَدَحَتِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَبَشَّرَتْ  
بِقُدُومِكَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ  
صِلَةَ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ تَحْلُو فِي فَمِي  
مَهْمَا تَكَرَّرَ ذِكْرُكَ الْمَعْسُورُ

ثم يقول:

يَا سَائِقًا نَحْوَ الْحِجَازِ حَمُولَةَ  
وَالْقَلْبُ يَبْنِي حُمُولِهِ مَحْمُولُ

لِمُحَمَّدٍ بَلَّغْ سَلَامَ سَمِيهِ  
فَذِمَامُهُ بِمُحَمَّدٍ مَوْضُولُ  
وَسَلِّ إِلَاهَ لَهُ اغْتِفَارَ ذُنُوبِهِ  
يُسْمَعُ هُنَاكَ دَعَاؤُكَ الْمَقْبُولُ  
وَعَنِ الْمَلِيكِ أَبِي سَعِيدٍ فَلْتُنْبِ  
فَلَکُمْ لَهُ نَحْوَ الرَّسُولِ رَسُولُ  
مُتَحَمِّلٌ لِلَّهِ كِسْفُ يَتِيهِ  
يَا حَبَاكَ الْمَحْمِلُ الْمَحْمُولُ  
سَعْدُ الْمَلِيكِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ  
سَيْفٌ عَلَى أَعْدَائِهِ مَسْلُوكُ  
مَلِكٌ يَحْجُ الْمَغْرِبُ الْأَقْصَى بِهِ  
فَلَهُمْ بِهِ نَحْوَ الرَّسُولِ وَصُولُ

وهذه القصيدة طويلة جدا؛ ولا يتسع المجال  
لذكرها بالكامل.



أما شيوخ بني عبد الواد، ورؤساء القبيل  
الأوائل؛ أي قبل نشوء دولتهم؛ فهم:  
— يوسف بن تكفا (من أعلام القرن السادس  
للهجرة)؛ وهو الذي كان يرأسهم أيام تغلب  
بني يلمومي، وبني وامانوا على المغرب الأوسط.

— ثم أبو محمد عبد الحق بن مَنَغَفَاذ بن يغرن (من أعلام المائة السادسة للهجرة)؛ كان زعيمهم عند ظهور الدولة الموحدية؛ وهو الذي استرد أموال عبد المؤمن بن علي من أيدي بني مرين؛ وقتل كبيرهم المسمى المخضب بن عسكر.

— ثم زيان بن ثابت بن محمد (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ كان شيخا على بني طاع الله؛ حينما حدثت الفتنة بينهم وبين إخوانهم بني مطهر؛ تلك الفتنة التي قتل فيها زيان بن ثابت بواسطة كندوز الكمي؛ فنهض بنو طاع الله؛ بزعامه جابر ابن يوسف؛ وتمكنوا من قتل كندوز؛ ثأرا لزيان؛ وانجر عن هذه الفتنة؛ هروب بني كمي إلى تونس؛ مع شيخهم عبد الله بن كندوز.

— ثم جابر بن يوسف بن محمد (توفي أمام أسوار ندرومة سنة 629هـ/1231م)؛ انتقل من طور الزعامه إلى طور الإمارة؛ بعد إجهاضه للمؤامرة التي دبرها ضد شيوخ بني عبد الواد إبراهيم ابن علان الصنهاجي؛ الثائر بتلمسان على الدولة الموحدية؛ فقبض عليه هو وأتباعه؛ ثم انتصب على سدة الحكم في

تلمسان؛ أعلننا دعوته إلى الموحدين؛ استرضاء لهم؛ وبذلك.. مهد لقيام الدولة العبد الوادية.



أما بنو مطهر فمنهم:

— **حمامة بن مطهر** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي رافق سيد الناس بن أمير الناس؛ زعيم بني يلومي، وعطية الخير؛ زعيم بني توجين؛ لتقديم فروض الطاعة إلى عبد المؤمن بن علي؛ أثناء حصاره لوهران.

— **ثم عمر بن موسى المطهري** (كان حيا سنة 766هـ/1364م)؛ ولي قيادة دلس؛ من طرف أبي حمو الثاني.



ومن بني كمي:

— **كندوز بن عبد الله بن كمي** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي سبقت الإشارة إليه؛ عندما ذكرنا قتله لزيان؛ ثم مقتله هو الآخر من طرف بني طاع الله.

— ثم عبد الله بن كندوز (كان حيا سنة 665هـ/1266م)؛ وهو الذي هرب بيني كمي إلى تونس بعد مقتل أبيه؛ غير أنهم عادوا فهاجروا إلى المغرب الأقصى؛ أين التجئوا إلى يعقوب بن عبد الحق المريني؛ فأكرمهم، وأقطعهم بنواحي مراكش؛ غير أن نزوات العصية القبلية أثارت فيهم جرثومة الخلاف؛ بعد أن وصلت إليهم أخبار حصار تلمسان؛ من طرف يوسف بن يعقوب المريني؛ فخرجوا عن طاعة الدولة المرينية، والتحقوا بجاحة سنة 703هـ. وبعد موت السلطان يوسف عادوا إلى طاعة الدولة المرينية.

— ثم عمر بن كندوز بن عبد الله بن كمي (توفي سنة 704هـ/1304م)؛ وذلك خلال ثورتهم على بني مرين؛ احتجاجا على حصارهم لتلمسان.

ooo

أما بنو زردال فمنهم:

— أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي (ت: سنة 747هـ/1346م). هو القائد الفذ، والوزير المخلص؛ الذي أسند إليه أبو حمو موسى الثاني شؤون حربه؛ فقام بها أحسن قيام.



أما أشهر ملوك؛ بني عبد الواد فهم:

— أبو يحيى يَغْمَرَأْسَنُ بن زيان (ت: سنة 681هـ/1282م)؛ وهو مؤسس دولة بني عبد الواد، وأب ملوكهم، وأشهر أعيانهم على الإطلاق. قال عبد الرحمن بن خلدون في وصفه: ((كان يغمراسن بن زيان بن ثابت ابن محمد من أشد هذا الحي بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة، وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلا على حمل الملك، واضطلاعا بالتدبير والرياسة؛ مهدت له بذلك آثار قبل الملك وبعده. وكان مرموقا بعين التجلة، مؤملا للأمر عند المشيخة،



وتعظمة من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوائبه العامة)<sup>1</sup>.

— ثم أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ خلف والده يغمراسن في الملك. افتتح عهده بشن حملات واسعة على المقاطعات الشرقية؛ حيث أخضع معظم قبائلها، وإماراتها لسلطانته؛ ووصل فتح إلى بجاية.

— ثم أبو حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن (ت: سنة 718هـ)؛ قال عنه صاحب العبر: ((كان صارما، يقظا، حازما، داهية، قوي الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرط الذكاء والحدة؛ وهو أول ملوك زناتة؛ رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حده، وقلب لهم مجن بأسه؛ حتى دلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان. سمعت عريف بن يحيى... يقول: ويعنيه؛ موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة)).<sup>1</sup> ومن الأخبار التي تؤيد ما وصف به من شراسة، وصرامة؛

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 162.

<sup>1</sup> نفسه، ص ص: 203 — 204.

موقفه الغريب تجاه سلطان مصر محمد بن قلوون؛ الذي أرسل خطابا يعاتبه فيه على ما نال مبعوثيه لملك المغرب من سلب، وعدوان بالمغرب الأوسط؛ وأرفق خطاب العتاب بهدية لا تناسب الحال؛ بالمقارنة مع الهدية التي وجهها لخصمه سلطان المغرب. وقد أورد ابن خلدون القصة؛ معددا محتويات الهدية؛ التي كانت عبارة عن: ((كوزين بدهن البلسان؛ المختص ببلادهم، وخمسة ممالك من الترك؛ رماة؛ بخمسة أقواس من قسي الغز المؤنقة الصنعة؛ من العرى، والعقب... ثم استدعى القاضي محمد بن هدية؛ وكان يكتب عنه؛ فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب، وقل له: أما عتابك على شأن الرسل، وما أصابهم في طريقهم؛ فقد حضروا عندي، وأبنت لهم الاستعجال؛ حذرا مما أصابهم؛ وأريتهم مخاوف بلادنا، وما فيها من غوائل الأعراب؛ فكان جوابهم: إننا جئنا من عند ملك المغرب، فكيف نخاف؟ مغترين بشأنهم؛ يحسبون أمره نافذ في أعراب قبائلنا. وأما الهدية فردت

عليك: أما دهن اللسان؛ فنحن قوم بادية؛  
لا نعرف إلا الزيت؛ وحسبنا به دهنًا. وأما  
الممالك الرماة؛ قد افتتحنا بهم اشبيلية،  
وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد؛ والسلام))<sup>1</sup>.

— ثم أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن  
يغمراسن بن زيان (ت: سنة 737هـ/1336م)؛ كان  
حازمًا، غشومًا؛ لم يتورع عن قتل والده،  
والجلوس على سدة الحكم بدلا منه. وفي  
عهده امتدت حدود الدولة العبد الوادية إلى  
أقصى نطاق لها؛ إذ وصلت إلى مشارف تونس.  
ومع هذا فهو محب للعمران، والعلوم؛ ويقول  
عنه عبد الرحمن بن خلدون: ((وأغرى دولته  
بتشييد القصور، والرياض، والبساتين؛ فاستكمل  
ما شرع فيه أبوه من ذلك؛ وأربى عليه؛  
فاحتفلت القصور، والمصانع في الحسن ما  
شاءت، واتسعت أخباره))<sup>1</sup>.

— ثم أبو زيان الرابع أحمد بن عبد الله  
ابن موسى الثاني (ت: سنة 957هـ)؛ اختلف  
مع أخيه محمد؛ الذي استعان بالإسبان؛  
فتمكن أحمد من القضاء على الحملة الإسبانية

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص ص: 470 471.

<sup>1</sup> نفسه، ص: 219.

بقيادة ألفونس دي مارتينيز Don Alfonso de Martinez  
ثم اعتلى عرش تلمسان؛ داعيا على منابره  
للسلطان العثماني.

## É É É

أما بنو مرين — فهم بدورهم — ظهر  
لهم أدباء، وعلماء؛ وقادة، وأمراء كبار؛ منهم:  
— أبو علي عمر بن عثمان بن يعقوب بن  
عبد الحق (توفي مقتولا في السجن بمدينة فاس  
سنة 734هـ/1333م)؛ كان أديبا؛ ناظما للشعر؛  
منه هذه الأبيات التي بعث بها إلى أخيه  
السلطان أبي الحسن؛ عندما كان محاصرا له في  
سجلماسة:

فَلَا يُغَرِّكَ الدَّهْرُ الْخِئُونُ فَكَمْ  
أَبَادَ مَنْ كَانَ قَبْلِي يَا أَبَا الْحَسَنِ  
الدَّهْرُ مُذْ كَانَ لَا يَبْقَى عَلَى صِفَةٍ  
لَا بُدَّ مِنْ فَرَحٍ فِيهِ وَمِنْ حَزَنِ  
أَيُّنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ تَهَابُهُمْ  
أَسْدُ الْعَرِينِ ثَوَوْا فِي اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ

بَعْدَ الْأَسْرِ وَالْتِيحَانِ قَدْ مُحِيتْ  
رُسُومُهَا وَعَفْتُ عَنْ كُلِّ ذِي حَسَنِ  
فَاعْمَلْ لِأُخْرَى وَكُنْ بِاللَّهِ مُؤْتَمِرًا  
وَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ فِي سِرِّ وَفِي عَلَنٍ  
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَمْرًا أَنْتَ آمِرُهُ  
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ يَوْمًا وَلَمْ تَكُنْ

— ثم أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي  
ابن عثمان (توفي بتازا سنة 796هـ/1393م)؛  
اعتلى عرش بني مرين مرتين: الأولى سنة  
775هـ/1373م؛ ثم خلع في عام 786هـ/1384م؛ ثم  
عقدت له البيعة في المرة الثانية سنة  
789هـ/1387م. وكان ضعيفا، تابعاً لأبن الأحمر  
بالأندلس؛ وفي عهده تم قتل ابن الخطيب،  
بإيعاز من ابن الأحمر. وكان أديبا، وشاعرا؛  
ولكنه مقل. من شعره:

أَمَّا الْهَوَىٰ يَا صَاحِبِي فَأَلْفَتْهُ  
وَعَهْدَتْهُ مِنْ عَهْدِ أَيَّامِ الصَّبَا  
وَرَأَيْتُهُ فَوَتْ النَّفُوسَ وَحَلِيَهَا  
فَتَخَذَتْهُ دِينًا إِلَيَّ وَمَذْهَبًا

وَلَبِستُ دُونَ النَّاسِ مِنْهُ حُلَّةً  
كَانَ الْوَفَاءُ لَهَا الطَّرَازُ الْمَذْهَبَا  
لَكِنْ رَأَيْتُ لَهُ الْفَرَاقَ مُنْغَصَا  
لَا مَرْحَبًا بِتَفَرُّقٍ لَا مَرْحَبَا

وقال في مناسبة أخرى:  
يَا عَاذِلِي دَعْ عَنْكَ عَذَلَ الْعَاذِلِ  
وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي الْحَبِيبِ الْوَاصِلِ  
وَإِذَا ذَكَرْتَ عَشِيَّةَ بِمَحَاسِنِ  
فَاذْكُرْ عَشَايَانَا بِدَارِ الْعَاذِلِ

— ثم أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن  
إبراهيم بن علي المريني (ت: سنة 799هـ/1396م)؛  
كان رقيق القلب، شفوفاً؛ منقبضاً عن سفك  
الدماء، أديباً، وشاعراً؛ وإن كان مقلاً. من  
شعره هذه الأبيات التي يشكر الله فيها على  
سقوط المطر:

اللَّهُ يَلْطُفُ بِالْعِبَادِ فَوَاجِبُ  
إِنْ يَشْكُرُوا فِي كُلِّ حَالٍ نِعْمَتَهُ  
فَهُوَ الَّذِي فِيهِمْ يُنْزِلُ غَيْثَهُ  
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ

أما رؤساء بني مرين؛ فمنهم الشيوخ الأوائل؛  
مثل:

— **المخضب بن عسكر المريني** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ وهو الرئيس عليهم في أواخر الدولة اللتونية، وأوائل الدولة الموحدية؛ وقتل بأيدي بني عبد الواد المنحازين إلى صف الموحدين آنئذ. ثم أبو بكر بن حمامة بن محمد المريني (ت: سنة 561هـ/1165م)؛ وهو الذي تولى رئاسة قبيل بني مرين؛ بعد موت المخضب.

— ثم **محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني** (توفي سنة 592هـ/1195م)؛ ترأس قبيل بني مرين بعد موت أبيه؛ ولما حشدت الحشود لموقعة الأرك بالأندلس سنة 591هـ/1194م؛ لبي محيو النداء، وشارك — هو وقومه — في المعركة؛ فأصيب بجروح؛ مات متأثراً بها.



أما أشهر أمرائهم، وملوكهم؛ فهم:

— **أبو محمد عبد الحق بن محيو بن أبي بكر المريني** (ت: سنة 614هـ/1217م)؛ وهو صاحب الخطوات الأولى نحو إنشاء الدولة المرينية؛

وصاحب مجدهم، وعزهم؛ قال عنه ابن خلدون: ((وكان عبد الحق أكبرهم؛ فقام بأمر بني مرين؛ وكان خير أمير عليهم؛ قياماً بمصالحهم، وتعففاً عما في أيديهم، وتقويماً لهم على الجادة، ونظراً في العواقب))<sup>1</sup>.

— ثم أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حماسة المريني (ت: سنة 656هـ/1160م)؛ وهو أول من أدخل ملامح الدولة في الوسط القبلي لبني مرين؛ وأعلن بالدعوة إلى الحفصيين؛ لإضفاء الشرعية على الكيان الذي يتطلع لإقامته؛ وكانت له مواقع ساخنة مع الموحدين بمراكش؛ حالفه النصر في معظمها.

— ثم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني (توفي سنة 685هـ/1286م)؛ بيده سقطت دولة الموحدين؛ كان حازماً، شديد المراس؛ قام بالانتقال إلى بلاد الأندلس مرات عديدة؛ بغرض الجهاد، وصدهجمات الإسبان. توفي في الأندلس عندما كان معسكراً في الجزيرة الخضراء للجهاد؛ ويعتبر من أعظم سلاطين بني

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 347.



مرين؛ بما له من خلال حميدة، وأعمال جليّة.

— ثم أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (قتل سنة 706هـ/1306م)؛ كان ذلك بيد مملوك له؛ طعنه غدرا؛ وهو على فراشه. قضى معظم حياته في حروب ضد بني عبد الواد، وضد الثوار من قبيله؛ والإسبانيين، وأعراب المعقل.

— ثم أبو سعيد عثمان بن إدريس أبي العلاء ابن عبد الله بن عبد الحق المريني (توفي سنة 730هـ/1329م)؛ في الجهاد بالأندلس؛ وكان قد هاجر إليها بعد فشله في الوصول إلى عرش بني مرين؛ وفي الأندلس ولي مشيخة الغزاة؛ فأبلى في الجهاد خير البلاء؛ إذ وصلت غزواته إلى 732 غزوة ضد الإفرنج.

— ثم أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني (ت: سنة 752هـ/1351م)؛ كان محبا للعلماء، مقربا إياهم، مستدعيا لكبارهم في بلاطه؛ مغرما بالبناء وال عمران؛ إذ شيد القصور، والمدارس، والمورستانات، والقناطر.. الخ. وكان طافح الطموح، ساعيا لاستعادة أجداد من سبقه من الملوك المسلمين؛

غير أن الحظ خانته مرتين؛ كانت آخرها هي القضية عليه، وعلى دولته: أولاهما تمت عندما مني بهزيمة منكرة أمام جيوش النصرى بالأندلس، والثانية هي التي قصمت ظهره؛ وحدثت حينما مُني بهزيمته الثانية؛ أمام أعراب بني هلال وسليم بإفريقية.

— ثم أبو عنان فارس بن علي بن عثمان ابن يعقوب المريني (قتل سنة 759هـ/1357م)؛ خنقا بيد وزيره عمر الفردودي. كان — كوالده — محبا للعلم، والعلماء، وكانت له — أيضا — الطموحات نفسها؛ ولكنه كان — كذلك — سيئ الحظ؛ فانتهى به الأمر إلى الموت بيد أقرب مساعديه.

— ثم أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد المريني (توفي مقتولا سنة 869هـ/1464م)؛ وهو آخر سلاطين بني مرين؛ ثارت عليه رعيته؛ بعد أن استوزر وزيرين يهوديين؛ فوُض إليهما شئون الدولة؛ فأساءا السيرة؛ فانجر عن ذلك اشتعال ثورة الناس عليه؛ فكانت نهايته، ونهاية الدولة المرينية؛ وقيام الدولة الوطاسية؛ بدلا منها.

ooo

ومن بني يابان:

- جدهم يابان بن جرماط بن مرين.
- ثم يوسف بن علي الياباني (كان حيا سنة: 656هـ/1258م)؛ ولاء يعقوب ابن عبد الحق أعمال بلاد درعة وأحوازها.
- ثم عمر بن عبد الله بن علي الياباني (كان حيا سنة 759هـ/1357م)؛ ولاء أبوعنان خطة الحجابة.
- ثم محمد بن العباس بن أبي يحيى الياباني (كان حيا سنة 760هـ/1358م)؛ ولي وزارة إبراهيم ابن أبي الحسن المريني.
- ثم يعيش بن علي بن فارس الياباني (كان حيا سنة 788هـ/1386م)؛ ولي وزارة محمد ابن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني.
- ثم إدريس بن موسى بن يوسف الياباني (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي وزارة أحمد بن أبي سالم المريني.
- ثم صالح بن هو الياباني (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي — هو كذلك — وزارة أحمد ابن أبي سالم المريني.

أما بنو وطاس فمنهم:  
— شيخهم الأول وطاس بن بجوس المريني.  
— ثم عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي؛  
وزير.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن زيان بن عمر  
ابن زيان الوطاسي (ت: سنة 853هـ/1449م)؛  
كان وزيرا، ووصيا على السلطان الصغير عبد  
الحق ابن عثمان بن أحمد المريني.  
— ثم أبو حسون علي بن يوسف بن زيان  
الوطاسي (ت: سنة 865هـ/1460م)؛ ولي وزارة عبد  
الحق ابن عثمان بعد مقتل الوزير الوطاسي  
يحيى بن زيان.

— ثم يحيى بن يحيى بن زيان بن عمر  
الوطاسي (قتل ذبحا بأمر من السلطان عبد  
الحق سنة 866هـ/1461م)؛ ولي وزارة السلطان المريني  
عبد الحق بن عثمان؛ ولكنه قتله مع جمع  
من بني وطاس؛ لكي يتخلص من نفوذهم،  
واستبدادهم عليه.

— ثم محمد الشيخ بن يحيى بن زيان  
الوطاسي (توفي بفاس سنة 910هـ/1504م)؛ هو  
الذي أقام دولة بني وطاس؛ وأول سلاطينهم. في  
عَهده استفحل شأن البرتغاليين، والإسبانيين؛ إذ

استولوا على آخر المعقل الإسلامية ببلاد  
الأندلس، ثم استولوا بعدها على أصيلا،  
والبريجة، وأزمور، وتيط، وسواحل السوس  
بالمغرب.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد  
الوطاسي (توفي بعد سنة 956هـ/1549م)؛ وهو  
آخر سلاطين بني وطاس؛ تغلب عليه السلطان  
السعدي؛ محمد الشيخ المعروف بالمهدي؛ فاعتقله  
بمراكش، أو في درعة حتى مات.

— ثم أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن  
يحيى الوطاسي المعروف بأبي حسون (ت: سنة  
961هـ/1553م)؛ هو ثالث سلاطين بني وطاس،  
وقبل الأخير منهم. ثار عليه ابن أخيه أبو  
العباس أحمد؛ فسلم له الحكم مضطرا؛ ولكنه  
تمكن من الهرب إلى المغرب الأوسط؛ حيث  
استنجد بالأتراك؛ الذين ساعدوه على فتح  
فاس، وانتزاعها — لبعض الوقت — من  
السعديين؛ المتغلبين آنذاك على المغرب الأقصى؛  
غير أن محاولته لم تعمر طويلا؛ إذ زحف إليه  
محمد الشيخ السعدي؛ فاسترد فاسا، وقتله.

ooo

أما بنو توجين فمعلوماتنا عنهم ضئيلة جداً؛ بسبب محيطهم البدوي؛ الذي اقتصر على إبراز رؤسائهم لا غير. وأشهر زعمائهم في عهد بني زيري الصنهاجيين؛ هم:

— عطية بن دافلتن (دافلين) بن أبي بكر بن الغلب (كان حياً سنة 395هـ/1004م).

— ثم لقمان بن المعتز (كان حياً سنة 395هـ/1004م).

وفي عهد الموحيدين ترأسهم:

— عطية بن مناد بن العباس بن دافلتن (دافلين)؛ المعروف بعطية الحيو (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كانت لقومه — برئاسته — وقائع، وأحداث ضد إخوانهم، ومنافسيهم — في الوقت نفسه — بني عبد الواد. — ثم العباس بن عطية بن مناد (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ تراجع عن الطاعة التي التزم بها سلفه للموحيدين؛ فدسوا له من اغتاله.

— ثم عبد القوي بن العباس بن عطية (ت: سنة 647هـ/1249م)؛ وينتسب إلى بني منكوش من بني رسوغين. قال فيه ابن خلدون: ((ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن عباس؛ والكل لأمره؛ فصار له ملك بدوي؛

لم يفارق فيه سكنى الخيام، ولا إبعاد النجعة، ولا إيلاف الرحلتين؛ ينتهون في مشاتيهم إلى مصاب، والزاب؛ ويتزلون في المصائف بلادهم هذه من التل؛ ولم يزل هذا شأن عبد القوي، وابنه محمد<sup>1</sup>.

— ثم محمد بن عبد القوي بن العباس (ت: سنة 684هـ/1285م)؛ قتل أخاه يوسف الذي خلف أباهم في إمارة القبيلة؛ ثم استقل برئاستها. هذا وكان متقلبا في ولائه؛ بين القوى المتواجدة آنذاك في بلاد المغرب؛ فكان يوما مع بني عبد الواد، ويوما مع بني أبي حفص، ويوما مع بني مرين.

أما الذين ينتسبون لبني يدلتن من بني مَدَن فهم:

— نصر بن سلطان بن عيسى (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي استوطن بقومه نواحي الجعبات، وتاوغزوت.

— ثم سلامة بن علي بن نصر بن سلطان (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو الذي شيد قلعة تاوغزوت المسماة باسمه.



---

<sup>1</sup> العبر، مج: 7، ص: 321.

أما بنو يرناتن من بني رسوغين فمنهم:  
— نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن  
بونوال (من أعلام القرن السادس للهجرة).  
— ثم ابنه مهيب بن نصر (من أعلام القرن  
السادس للهجرة).

\*\*\*

هذا وقد لاحظنا — من خلال تتبعنا  
لأخبار القبائل في بلاد المغرب — أن اهتمامهم  
متباينة؛ فمنهم من وجدوا في أنفسهم القدرة  
على السعي إلى الملك والسلطان؛ فجعلوه هدفهم  
الأساسي؛ حتى وصلوا إليه؛ ومنهم من عجز  
عن الملك؛ فسعى إلى وجهة أخرى؛ كالاتمام  
بالعلوم. ومن هنا.. نجد بين القبائل التي  
عجزت عن الوصول إلى الملك؛ اهتماما كبيرا  
بالشؤون الثقافية، والدينية. وعليه.. فقد برز  
فيها العلماء، وأصحاب الفكر، والقلم. ومن  
هذه القبائل على سبيل المثال: مغيلة،  
وعجيسة، ونفوسة، وزواوة، ونفزة.. إلخ؛ وإلى هذا  
الصنف من القبائل؛ تنضم قبيلة بني راشد؛  
التي أعطت بلاد المغرب الإسلامي عددا — لا  
بأس به — من العلماء؛ منهم:

! ! !



— أبو جعفر أحمد عبد النور بن أحمد  
المالقي الراشدي (ت: سنة 702هـ/1302م)؛ وهو  
من بني راشد المقيمين بمالقة؛ وهنا.. يمكن أن  
ينطبق عليه ما سبق ذكره بخصوص لمائة،  
وصدينة، وأوربة؛ تلك الأحياء الأمازيغية التي  
استقرت بالأندلس. وهو من علماء العربية،  
والعروض، والفقه، ويقرض الشعر؛ كما يتمتع  
بموهبة صوتية أهلتة إلى تجويد القرآن. وله  
بعض المؤلفات؛ منها: كتاب الحلية في ذكر  
البسمة والتصلة، وكتاب رصف المباني في  
حروف المعاني؛ قال عنه ابن الخطيب: ((هو  
أجل ما صنف، ومما يدل على تقدمه في  
العربية))<sup>1</sup>. وكتاب في العروض، وكتاب في شواذ  
العروض، وكتاب في شرح الكوامل؛ لأبي موسى  
الجزولي، وكتاب في شرح مغرب أبي عبد الله  
ابن الشوَّاس؛ لم يكمله، وتقييد على الجمل؛  
لم يكتمل. من شعره:

مَحَاسِنُ مَنْ أَهْوَى يَضِيقُ لَهَا الشَّرْحُ  
لَهُ الْهَمَّةُ الْعَلِيَاءُ وَالْخُلُقُ السَّمْحُ  
لَهُ بَهْجَةٌ يَغْشَى الْبَصَائِرُ نُورُهَا  
وَتَغْشَى بِهَا الْأَبْصَارُ إِنْ غَلَسَ الصُّبْحُ

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 1، ص: 198.

إِذَا مَا رَنَى فَالْلَحْظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ  
وَفِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْ إِيصَابَتِهِ جُرْحٌ  
إِذَا مَا انْتَنَى زَهْوًا وَوَلَّى تَبَخُّثَرًا  
يَعَارُ لِذَاكَ الْقَدُّ مِنْ لَيْنِهِ الرُّمَحُ  
وَإِنْ نَفَحَتْ أَزْهَارُهُ عِنْدَ رَوْضَةٍ  
فَيُخْجَلُ رِيًّا زَهْرَهَا ذَلِكَ النَّفْحُ  
هُوَ الزَّمَنُ الْمَأْمُولُ عِنْدَ ابْتِهَاجِهِ  
فَلِمَتَيْهِ لَيْلٌ، وَغُرَّتُهُ صَبْحُ  
لَقَدْ خَامَرَتْ نَفْسِي مُدَامَةً حُبِّهِ  
فَقَلْبِي مِنْ سُكْرِ الْمُدَامَةِ لَا يَصْحُ  
وَقَدْ هَامَ قَلْبِي فِي هَوَاهُ فَبَرَّحَتْ  
بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ لِمَدَمَعِهَا سَبْحُ

— ثم الشيخ الولي الصوفي أبو علي الحسن  
ابن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلى  
الراشدي الشهير بأبركان (ت: سنة 857هـ/1453م)؛  
وهو فقيه من الصوفية الزهاد؛ ترجم له ابن  
مريم؛ ولكنه لم يفد القارئ بشيء عن ثروة  
الرجل العلمية؛ وكل الذي سرده في ترجمته  
الطويلة؛ حكايات، وخوارق عجيبة؛ نسبها  
للشيخ أبركان.

— ثم أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي (ت: سنة 868هـ/1463م)؛ له بعض المؤلفات؛ منها: الثاقب في لغة ابن الحاجب، وثلاثة شروح على الشفا؛ أكبرها في مجلدين؛ وهو المسمى بالغنية، وتعليق رجال ابن الحاجب، ومؤلفات أخرى.

— ثم محمد بن عياد الكبير المعماراني الراشدي (ت: سنة 964هـ/1556م)؛ كان شاعرا، ومحدثا، ونحويا، وفقهيا، وأصوليا، ومنطقيا.

— ثم أبو محمد العربي بن علي المشرفي الراشدي (ت: سنة 1096هـ/1684م)؛ من الأدباء، والمؤرخين؛ له مؤلفات منها: فتح المنان شرح قصيدة ابن الونان؛ في مجلدين.

— ثم عبد القادر الراشدي (توفي حوالي سنة 1112هـ/1700م)؛ فقيه من أصحاب الاجتهاد؛ ولي قضاء قسنطينة، والإفتاء بها؛ له مؤلفات منها: حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، وكتاب عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، ورسالة في تحريم الدخان.

— ثم أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله ابن محمد المشرفي الغريسي المعروف بسقط (ت: سنة 1192هـ/1778م)؛ وهو من الحديثين،

والمؤرخين؛ وهو صاحب الرسالة المعنونة بـ:  
بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية  
الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر.

— ثم محمد بن أحمد بن عبد القادر بن  
محمد الراشدي العسكري الجزائري المعروف  
بأبي راس (ت: سنة 1239هـ/1823م)؛ هو أحد  
العلماء المهتمين بالتاريخ، والحديث ورجاله،  
والفقه، والأدب؛ ألف حوالي 50 كتاباً؛ أهمها:  
تفسير القرآن، لب أفيأخي في عدة أشياخي،  
وتخريج أحاديث دلائل الخيرات، وشرح  
المقامات الحريية، والسيف المنتضى فيما رويته  
بأسانيد الشيخ مرتضى، ومروج الذهب في نبذة  
النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب، وذيل  
القرطاس في ملوك بني وطاس، ودر السحابة  
فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة،  
والزمردة الوردية في الملوك السعدية، والخير  
المعلوم في كل من اخترع نوعاً من أنواع  
العلوم، وحاشية على المكودي، وحاشية على  
السعد، وحاشية على الشرح الكبير للخراشي،  
وشرح العقيقة، وشرح الشمقمقية، وشرح  
الحلل السندسية، وكتاب التأسيس، ودرء الشقاوة،  
وفتح الإله ومنتبه في التحدث بفضل ربي ونعمته،

والحاوي الجامع بين التوحيد والتصوف والفتاوى،  
وكتاب عن رحلته في المشرق والمغرب.  
— ثم أبو راشد عمار الراشدي المعروف  
بالغربي (توفي بقسنطينة سنة 1251هـ/1835م)؛ من  
أهل الفقه، والعلم، والمعرفة؛ ومن الملمين  
بالأدب؛ ولي إفتاء المالكية؛ له نظم، وألف  
حاشية على شرح الشبرخي على المختصر.



أما رؤساء بني راشد، وزعمائهم الأوائل  
فهم:

— إبراهيم بن عمران الراشدي (من أعلام  
القرن السادس للهجرة)؛ كان يتولى رئاستهم  
عند زحفهم نحو التلول مع بني عبد الواد؛  
في عهد الموحيدين.

— ثم ونزمار بن عمران الراشدي (من أعلام  
القرن السادس للهجرة)؛ استبد على أخيه  
إبراهيم، وأزاحه من مرتبة الرئاسة، وتولاها  
بدلاً منه.

— ثم مقاتل بن ونزمار بن عمران (من  
أعلام القرن السابع للهجرة)؛ خلف والده  
ونزمار؛ بعد أن قتل عمه إبراهيم؛ وأحدث

بذلك انقساماً بين أسرة بني عمران؛ فأضحوا قسمين: بنو إبراهيم، وبنو ونزمار؛ إلا أن بني إبراهيم كانوا أظهر.

— ثم ونزمار بن إبراهيم بن عمران (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ كان معاصراً ليغمراسن بن زيان.

— ثم أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن ابن ونزمار بن إبراهيم الراشدي (كان حياً سنة 737هـ/1336م)؛ وهي السنة التي احتل فيها أبو الحسن المريني تلمسان، والمغرب الأوسط؛ فنقل — تبعاً لذلك — أعيان زناتة في تلك الديار — إلى المغرب الأقصى؛ ومن بين من نقلهم أبو يحيى بن موسى هذا.

— ثم زيان بن أبي يحيى بن موسى الراشدي (قتل سنة 768هـ/1366م)؛ عاد إلى وطنه من منفاه بالمغرب؛ في عهد أبي حمو الثاني؛ فاحتفى به عند قدومه؛ ولكنه اتهم بالتجسس لسلطين المغرب؛ فسجنه مرتين؛ حيث قتله في المرة الثانية في سجنه.

! ! !

وثمة — أيضا — علماء من الإباضيين؛  
ينتسبون إلى بني واسين، وكانوا معروفين باسم  
هذه القبيلة الأم؛ قبل أن تتشعب أحيائها،  
وتستقل بطونها بنفسها. وديار هؤلاء العلماء؛  
هي الديار القديمة لبني واسين؛ قبل أن ينتقل  
جمهورهم إلى تلّول المغرب الأوسط؛ وهي بلاد  
الجريد؛ ومن هؤلاء العلماء:

— أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني؛ أي  
الواسيني؛ نسبة إلى بني واسين؛ (من أعلام  
القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من حامة  
قسطيلية؛ له دراية بالأدب، وعلوم: اللسان،  
والأصول، والفروع، والحديث، والفقه، والقرآن،  
والسيرة؛ قُتل بأمر من المعز لدين الله  
الفاطمي؛ بسبب وشاية من أحد اليهود.

— ثم أبو خزر يغلا بن زلتاف الوسياني  
(من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه،  
ومحدث؛ رافق أبو القاسم بن يزيد في مرحلة  
الدراسة، والعطاء العلمي؛ ثار على المعز  
الفاطمي؛ بعد مقتل رفيقه أبي القاسم؛ ولكنه  
استفاد من العفو؛ وأصبح من المقربين إلى  
المعز؛ حيث أخذه معه إلى مصر عندما انتقل  
إليها؛ وامتد عمره إلى عهد ولده نزار.

— ثم أبو عبد الله محمد بن سودرين الوسياني (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من العلماء البارزين؛ له إلمام بعلوم النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

— ثم أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من شيوخ الإباضية الملمين بالعلوم الشرعية، والمنطق.

— ثم ميمون حمودي بن زورستن الوسياني (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ أحد علماء الإباضية المستوعبين لعلوم النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

— ثم أبو جعفر أحمد بن خيران (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية المجتهدين؛ اشتهر بالورع، والكرم.

— ثم أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ عالم إباضي؛ كف بصره وهو صغير؛ ومع هذا لم تمنعه عنته من التعلم؛ حتى أضحى من العلماء البارزين.



— ثم أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

— ثم يوسف بن أحمد الوسياني (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ قال عنه الدرجيني: ((وأما يوسف بن أحمد فلا يبعد أن يكون حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛ فإنه كان حفاظاً؛ ولكن لا يحسن التصرف فيما يحفظه... وكان الشيخ يوسف كثير الورع، والاجتهاد؛ ذا خمول، واقتصار ممن يتعلم منه ويستفاد))<sup>1</sup>.

— ثم أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان الوسياني (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ راوية، من المؤرخين؛ له مشاركة في السير.

\*\*\*

— مواطنهم: تنتشر مواطن بني واسين في ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط. إذ كانوا في جهات قسطنطينية، وتوزر، وبلاد الحمة. وإلى الغرب من قابس يسكن بنو ورتاجن، وفي جبال أوراس

---

<sup>1</sup> طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

يوجد حي من بني عبد الواد، ويوجد آخرون من بني واسين بصحراء برقة، وأرض الزاب، وقصور غدامس التي يسكن في بعضها بنو وطاس؛ وهم من بني مرين. وفي قصور مصاب أحياء منهم؛ وقد سميت تلك الديار بهم. ويسكن في تلك البلاد — بالإضافة إلى مصاب — فئات من بني عبد الواد، وبني توجين، وبني زردال؛ وهم جميعا أبناء بادين. وجل بني واسين كانوا متواجدين في السهوب المحصورة ما بين ملوية، وجبل بني راشد. وفي أواخر الدولة الموحدية تغلبوا على تلول المغرب الأوسط كافة؛ سواء بالإقطاع، أو بالاحتلال، ثم تدرجت بعض أحيائهم — فيما بعد — نحو الملك القاهر<sup>2</sup>.

هذا وقد عُرف — أيضا — بعض أعلامهم بنسبتهم إلى زناتة مباشرة؛ وهي قبيلتهم الأم؛ دون معرفة البطون التي ينتمون إليها؛ ومن هؤلاء: — أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل (أو سَهْر) ابن إسماعيل التاهرتي الزناتي (توفي بتاهرت سنة 296هـ/908م)؛ وهو من فحول الشعراء بالمغرب الإسلامي؛ ولكن أكثر شعره

---

<sup>2</sup> ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 120 — 124.

ضاع، ولم يصل إلينا منه إلا قليله. وقد جمع الأستاذ محمد بن رمضان شاوش؛ منه بعض القصائد، والمقطوعات؛ التي كانت مبعثرة ضمن المصادر الأدبية، والتاريخية المختلفة؛ ووصل عدد ما عثر عليه: مائة وعشرة أبيات لا غير. وذكر ابن عذاري خبر ابن حماد بقوله:<sup>1</sup> ((مات أبو عبد الرحمن بُكر ابن حَمَّاد بن سَهْر بن أبي إسماعيل؛ وهو زَنَاتِي؛ في شوال بقلعة ابن حَمَّة؛ بجوفي مدينة تيهرت؛ وبها كان مولده، ومنشأه؛ صلى عليه موسى بن الفارسي الفقيه؛ وهو يومَ مات ابنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بُكر إلى المشرق في سنة 217هـ [832م]؛ وهو حدثُ السنّ؛ فسمع من الفقهاء، وجلّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث، وتميّز الرجال؛ وشاعراً مُفْلِقاً؛ ومدح المُعْتَصِم؛ ووصله بصلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب، وصريع، ودِغْبَل، وعلي بن الجَهْم، وغيرهم من شعراء العراق. وله أبيات إلى المعتصم؛ يحرّضه فيها على دِغْبَل؛ وهي:

---

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 153 — 154.

أَيَّهْجُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ  
وَيَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ دِعْبِلُ  
أَمَّا وَالَّذِي أَرَسَى ثِيْرًا مَكَانَهُ  
لَقَدْ كَادَتِ الدُّيَا لِذَاكَ تُزَلْزَلُ  
وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ  
يَهُمُّ فَيَعْفُو أَوْ يَقُولُ فَيَفْعَلُ

فعاتبه حبيب فيه؛ وقال له: "قتلته والله  
يا بكر"، فقال في قصيدته هذه:  
وَعَاتَبَنِي فِيهِ حَبِيبٌ وَقَالَ لِي:  
"لِسَانُكَ مَحْذُورٌ وَسَمُّكَ يَقْتُلُ"  
وَإِنِّي وَإِنْ صَرَفْتُ فِي الشَّعْرِ مَنْطِقِي  
لَأَنْصِفُ فِيمَا قُلْتُ فِيهِ وَأَعْدِلُ)).

ومن شعره الذي يصف فيه طقس  
تاهرت البارد:

مَا أَحْشَنَ الْبَرْدَ وَرِيْعَانَهُ  
وَأَطْرَفَ الشَّمْسَ بِتَاهَرْتِ  
تَبْدُو مِنَ الْغَيْمِ إِذَا مَا بَدَتْ  
كَأَنَّهَا تُنْشَرُّ مِنْ تَحْتِ  
نَحْنُ فِي بَحْرِ بَلَا لُجَّةٍ  
تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى السَّمْتِ

نَفَرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَدَتْ  
كَفَرَحَةِ الذَّمِّي بِالسَّبْتِ

عاد إلى مسقط رأسه تاهرت؛ هاربا من  
بطش الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب؛  
فاعترض طريقه اللصوص؛ بالقرب من تاهرت؛  
في المكان المسمى بقلعة ابن حمة؛ وذلك سنة  
295هـ/907م؛ فقتلوا ولده، وجرحوه هو بجروح  
بليغة؛ مات متأثرا بها؛ فيما بعد. وهذه  
أبيات من قصيدة قالها في رثاء ولده:

بَكَيْتُ عَلَى الْأَحِبَّةِ إِذْ تَوَلَّوْا  
وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بَكَاؤًا عَلَيَّا  
فَيَا نَسْلِي بَقَاؤُكَ كَانَ ذُخْرًا  
وَفَقْدُكَ قَدْ كَوَى الْأَكْبَادَ كَيَّا  
كَفَى حُزْنًا بِأَنِّي مِنْكَ خُلُوٌّ  
وَأَنْتَ مَيِّتٌ وَبَقِيْتُ حَيًّا  
وَلَمْ أَكُ آيسًا فَيَسُسْتُ لَمَّا  
رَمَيْتُ الثَّرَابَ فَوْقَكَ مِنْ يَدَيَّا  
فَلَيْتَ الْخَلْقُ إِذْ خُلِقُوا أَطَاعُوا  
وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُ يَا بَكْرُ شَيَّا  
تُسَرُّ بِأَشْهُرٍ تَمْضِي سِرَاعًا  
وَتُطْوَى فِي لَيَالِيهِنَّ طَيَّا

فَلَا تَفْرَحْ بِدُنْيَا لَيْسَ تَبْقَى  
وَلَا تَأْسَفْ عَلَيْهَا يَا بُنَيَّ  
فَقَدْ قَطَعَ الْبَقَاءُ غُرُوبَ شَمْسٍ  
وَمَطَلَعَهَا عَلَى يَا أَحْيَا  
وَلَيْسَ الْهَمُّ يَجْلُوهُ نَهَارٌ  
تَدُورُ لَهُ الْفَرَاقِدُ وَالْثُرَيَّا

وفي قصيدة أخرى؛ قال يرثي ولده أيضا:  
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي بِكَ لَأَحِقُّ  
وَأَنْ بَقَائِي فِي الْحَيَاةِ قَلِيلُ  
وَأَنْ لَيْسَ يَبْقَى لِلْحَبِيبِ حَبِيبُهُ  
وَلَيْسَ يَبَاقُ لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ  
وَلَوْ أَنَّ طُولَ الْحُزْنِ مِمَّا يَرُدُّهُ  
لَلَازَمَنِي حُزْنٌ عَلَيْهِ طَوِيلُ

ولما أحس بدنو أجله قال يرثي نفسه:  
أَحْبُو إِلَى الْمَوْتِ كَمَا يَحْبُو الْجَمَلُ  
قَدْ جَاءَنِي مَا لَيْسَ فِيهِ حَيْلُ

وقال في قاتل علي كرم الله وجهه:  
قُلْ لِابْنِ مُلْجَمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ  
هَدَمْتَ وَيْلَكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَائَا

قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ  
وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا  
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا  
سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَتَبَيَّنَا  
صَهْرُ النَّبِيِّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ  
أَضَحَّتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وَبُرْهَانًا  
وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ لَهُ  
مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ  
وَكَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا صَارِمًا ذَكَرًا  
كَيْثًا إِذَا لَقِيَ الْأَقْرَانَ أَقْرَانًا

— ثم أبو الحسن صالح الزناتي الإشبيلي  
العابد (ت: سنة 587هـ/1191م)؛ كان من أهل  
الخير والصلاح، ورع، زاهد؛ قضى أيامه في  
تلاوة كتاب الله؛ ولا يشغل نفسه بمشاغل  
الدنيا أبدا.

— ثم أبو عبد الله محمد بن خلف بن  
مرزوق بن أبي الأحوص البلنسي الزناتي  
المعروف بابن نسع (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ قال  
فيه ابن الأبار: ((وكان مقرئا صالحا، زاهدا  
ورعا؛ أخذ عنه الناس؛ وكثيرا ما كان

يُسمع كتاب السيرة؛ لعلو إسناده فيه،  
وكذلك الإستيعاب؛ حتى كان يحفظهما<sup>1</sup>.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن  
عبد الله الزناقي المعروف بابن حافي رأسه  
(ت: سنة 725هـ)؛ من فقهاء المالكية؛ له نظم؛  
منه:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَبْنُ وَلَمْ تَكُنْ فُرْقَةً  
إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الْفُرَاقِ تَلَاقِي

## É É É

### (3) — سمكن:

وهم أبناء سمكن بن يحيى بن ضري  
ابن زحيك بن مادغيس الأبتري. ذكر ابن  
خلدون بطنين منهم؛ هما: زواغة، وزواوة. غير  
أنه اضطرب في موقفه؛ حين أدرج زواوة مرة  
ضمن بني سمكن بن يحيى البتري، ومرة بين  
قبائل كتامة البرنسية؛ معللاً ذلك بكون نسابة  
البربر قد أدرجوا زواوة ضمن بني سمكن بن  
يحيى، بينما أدرجهم ابن حزم ضمن أحياء  
كتامة. أما هو فيميل إلى رأي ابن حزم؛

---

<sup>1</sup> التكملة، ج: 2، ص: 567.



مستندا إلى كون مواطن زواوة تقع في جوار  
مواطن كتامة. ويرى أن سبب الخطأ الذي  
وقع فيه غيره؛ يعود للالتباس الذي سببه  
التصحيف، والخلط بين قبيلتين؛ هما: زواوة،  
وزواوة. ولكن عبد الوهاب بن منصور حاول  
تصحيح هذا الالتباس بقوله: ((ويظهر لي أن ابن  
خلدون نفسه وقع هنا في خطأ؛ بسبب  
التصحيف، فالاسم الذي صحف، وكان مثار  
هذا الالتباس هو زواوة بالراء التي سميت بها  
مدينة، وتعرف بها بطون إلى اليوم، وليس  
زواوة التي لا تعرف بين قبائل البربر؛ في قديم  
ولا حديث)<sup>1</sup>. ومع وجاهة هذا الرأي الأخير؛  
إلا أنه لا يكفي لإقناع المحققين؛ فالتصحيف  
ممكن حدوثه — أيضا — في اسم زواوة نفسها؛  
خاصة وأن هذه التسمية لم نعثر عليها محققة،  
ومنسوبة لقبيلة ما؛ في المصادر التاريخية القديمة؛  
والتي أعدت قبل القرن السابع للهجرة. ولا  
يكفي وجود مدينة، أو قبيلة بهذا الاسم في  
هذه الأيام. للتدليل على صحة تلك المزاعم.  
فاسم المدينة — أيضا — معرض للتحريف. فعلى  
سبيل المثال: توجد — في أيامنا هذه — بالجزائر؛

---

<sup>1</sup> قبائل المغرب، ج: 1، ص: 320.

مدينة يسميها الناس تامنراست بالراء؛ بينما هي في الأصل تسمى تامنغاست بالغين؛ إذ تحولت الغين إلى راء؛ بسبب اللهجات. وعليه.. ألا يحتمل أن تكون زواغة هي زواره؛ ثم تعرضت للتصحيّف؟

وبينما خلت المصادر القديمة من تسمية قبيلة بهذا الاسم؛ نجدها في كتاب القلقشندي؛ (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)؛ مع أنه لا يذكر - في حرف الزاي - زواوة، ولا زواغة؛ ويخلط في الأمر حين يقول: ((بنو زواره بطن من صنهاجة؛ من البرانس؛ من البربر. وهم بنو زواره بن صنهاجة بن برنس بن بربر... بنو زواغة [بالعين المهملة] ويقال لهم بنو زواغة باسم أبيهم: بطن من ضري))<sup>1</sup>. ومن خلال ما سبق ذكره؛ يبدو أن التصحيّف بدأ في زمن غير بعيد عن زمن القلقشندي؛ الذي توفي في عام 821هـ. وربما لا يتجاوز زمن التصحيّف؛ النصف الأخير من القرن السابع للهجرة. ونظرا لغياب الدليل القاطع، والسند المقنع؛ سنسجل ما هو متوفر لدينا، ونترك الباب مفتوحا للمزيد من التحقيق. وعليه..

---

<sup>1</sup> ص: 276.

سنعتبر زوارة، وزواغة؛ وزواوة من بين أحياء  
بني سمكن بن يحيى؛ حتى يثبت غير هذا.

## É É É

### — زوارة:

لم أعثر — كما سبق أن ذكرت — في  
المصادر التاريخية القديمة المتوفرة على قبيلة  
تسمى زوارة بالراء؛ إلاّ فيما ورد من خلط  
ضمن كتاب نهاية الأرب، وما ذكره عبد  
الوهاب بن منصور في كتابه — الحديث —  
قبائل المغرب. حيث يقول بأنهم مندمجون في  
قبائل أخرى هي: قبيلة بني موسى (دوار سيدي  
حمودة)، وقبيلة **صنهاجة** (دوار الشركة)، وقبيلة  
**أولاد عطية** (دوار الصوادي) بالمغرب الأوسط.  
ومن جهتي.. لا أدري إن كان هذا يكفي؛  
كدليل على وجود قبيلة باسم زوارة؛ فالاندماج  
يتبعه الذوبان.. فهل احتفظ المندمجون باسم  
قبيلتهم زوارة..؟ ومن جهة أخرى؛ يشير عبد  
الوهاب بن منصور — أيضا — إلى المدينة  
الساحلية المسماة باسمهم؛ في الجهة الغربية من  
طرابلس.

وإذا ما تصفحنا مصدرا قديما؛ مثل كتاب الرحلة المغربية للعبدي؛ الذي أُعِدَّ في عام 688هـ؛ نجده يذكر اسم قرية زوارة؛ في سياق عام، وبأسلوب غامض؛ عن شيء اسمه زوارة؛ ولكن يصعب على القارئ التمييز إن كان المقصود بها اسم قبيلة، أو اسم قرية. أما التجاني (الذي توفي سنة 717هـ) فتكلم عن زوارة كاسم لمكانين: زوارة الكبرى؛ التي كانت تسمى كوطين، وزوارة الصغرى؛ التي كانت تسمى بلد المرابطين. أما الورتلاني في رحلته؛ التي تمت في عام 1179هـ؛ فقد ذكر في كتابه ثلاثة أماكن — متقاربة — تسمى زوارة؛ هي: زوارة الخالية، وزوارة العامرة، وزوارة الشرقية أو (الكبرى).

أما محمد علي دبوز؛ فلا يذكر من بين القبائل اسما لزوارة؛ وإن كان قد أشار إلى الاسم على أنه لإحدى المدن القريبة من طرابلس؛ التي خلفت مدينة زواغة المندثرة: ((ليست زواغة هي زوارة كما يعتقد الكثيرون. إن زواغة كانت في القرن الثاني والثالث الهجري، أما زوارة [بالسكون فوق الزاي]

فنشأت في سنة 380 من الهجرة. وزُواغة  
انقرضت وزُواراة لا زالت...وأرى أن زُواراة نشأت  
لما انقرضت زواغة؛ فهاجر أهل زُواغة إليها  
فعمروها<sup>1</sup>. وبعد الذي ذكرناه؛ يبدو أنه لا  
داعي لذكر المزيد من المصادر الأخرى؛ التي  
جاءت بعد رحلة التجاني؛ لاحتمال انتقال  
العدوى، وانتشار الالتباس، والتصحيف. وعليه؛  
نتساءل.. ألا تكون تسمية زواراة هذه تعرضت —  
بدورها — للتصحيف؟ كما حدث لمدينة  
تامنغاست (تامنراست).. وخلاصة القول.. أنه  
لم يثبت — حتى الآن — وجود قبيلة باسم  
زواراة؛ وإن كان وجود مكان بهذا الاسم أمر  
ثابت لا محالة.

É É É

---

<sup>1</sup> تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 603. تعليق: 1.

## — زُواغة:

يندرج بنو زواغة — باتفاق المؤرخين ،  
والنسابين — ضمن أبناء زواغ بن سميكان بن  
يحيى. ويقول ابن خلدون عنهم: ((وأما زواغة  
فلم يتأدّ إلينا من أخبارهم، وتصاريف  
أحوالهم ما نعمل فيه الأقلام))<sup>1</sup>. ثم يذكر  
ثلاث من بطونهم؛ هم: بنو دمر بن زواغ  
(ودمر هذا ليس هو الغانا المعروف بدمر  
السابق الذكر)، وبنو ماجر بن تيفون بن  
زواغ، وبنو واطيل بن زحيك بن زواغ.

! ! !

## — أعيانهم: من علماء زواغة:

— أبو الخطاب وسيم بن ستن الزواغي (من  
أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛  
وهو من العلماء الإباضيين؛ عرف بفضله،  
وصلاحه.

— ثم أيوب بن كلابة الزواغي (من أعلام  
النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو  
من أفاضل علماء الإباضية؛ اشتهر بالثراء،

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 264.

والكرم؛ وقد تناقل الأخباريون حكايات عديدة عن جوده، وكرمه؛ بالإضافة إلى علمه، وصلاحه.

— ثم أبو موسى عيسى بن السمح الزواغي (من أعيان النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ اشتهر بالتقوى، والصلاح؛ وكان من رجال الفتوى.

— ثم يزيد بن يخلف الزواغي (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بوادي ريغ.

\*\*\*

— مواطنهم: يقول ابن خلدون<sup>1</sup> أنهم موزعون بين القبائل، ومتفرقون في نواحي طرابلس؛ حيث يتواجد الجبل المعروف بأحد بطونهم؛ وهو جبل دمر. وفي جهات قسنطينة، وفي جبال شلف جماعة منهم اسمهم بنو واطيل. وكذا الحال؛ في نواحي فاس؛ أين يتواجد بعضهم. وحين أشار مبارك الميلي إلى مواطن زواغة قال: ((ومنهم قرب ميلة فريق يعرفون

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 264.

بزواغة))<sup>2</sup>. ويقول ابن منصور أن آخرين متواجدون بفج مزالة. ويرى أنهم كانوا في تلك الديار في أول الفتح الإسلامي؛ وينسب إليهم بسيط زواغة المتمد بين فاس، وبين صفرو، وجبل كندر<sup>1</sup>.

## É É É

### — زواوة:

إذا كان ابن خلدون قد تذبذب في حكمه بخصوص انتماء زواوة؛ فإنه بالمقابل خصص لهم فصلا رئيسيا بين قبائل البتر؛ إذ نسبهم — من خلاله — إلى سمكن بن يحيى ابن ضري. وبالمقابل اكتفى ببعض الفقرات؛ التي كررها عنهم في الفصول المخصصة للبرانس. وقد تأثر ابن خلدون — في رأيه هذا — برأي ابن حزم؛ الذي ينسب زواوة إلى كتامة؛ ثم يعلل ابن خلدون ذلك؛ بكونهم متجاورين في الأوطان. مع أنه يقول: ((وأكثر الناس جاهلون بنسبهم. وعامة نسابة البربر على أنهم من

---

<sup>2</sup> تاريخ الجزائر، ص: 599

<sup>1</sup> قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 311 — 312.



بني سمكان بن يحيى بن ضريس، وأنهم  
اخوة زواغة<sup>1</sup>). والغريب في الأمر — هنا —  
هو موقف ابن خلدون المنحاز إلى رأي ابن  
حزم؛ ذلك الرأي الذي يخالف أقوال نسابة  
البربر عامة مع أنه اعترض عليه في نص  
آخر؛ مرجحاً أقوال من سماهم بـ ((نسابة  
البربر)) فقال حين تكلم عن لواتة: ((وذكر  
ابن حزم أن نسابة البربر يزعمون أن سدراتة،  
ولواتة، ومزاتة من القبط. وليس ذلك  
بصحيح؛ وابن حزم لم يطلع على كتب  
علماء البربر في ذلك))<sup>1</sup>. ومع هذا.. يبدو أن  
انحيازه لآراء ابن حزم؛ يرجع إلى ما يقوله  
عنه؛ من صفات تتحلى بالثقة، والتوثيق.  
وعلى الرغم من التردد، والاضطراب الذين  
وقع فيهما ابن حزم حينما أدرج زواوة مرة  
بين أبناء سمكان بن يحيى البتريين، ومرة  
أخرى ضمن قبائل كتامة البرنسية؛ فإن ابن  
خلدون بقي في موقفه المنحاز إليه؛ بل سايره  
في اضطرابه؛ حيث أدرج — هو الآخر — زواوة

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 308.

<sup>1</sup> نفسه، ص: 235.

ضمن أبناء سمكان من جهة، وأبناء كتامة من جهة أخرى.

وعليه.. هل يمكن الحكم بانتماء جماعات معينة إلى جماعات أخرى؛ على أساس الجوار في الموطن فقط..؟ وإذا كان الرد بالإيجاب؛ فكيف نفسر وجود قبائل أخرى متجاورة؛ مع أنها لا تنتمي إلى بعضها بعضا؟ والعكس صحيح أيضا. إذ هناك قبائل تنتسب إلى نسب واحد؛ ولكن أوطانها متباعدة. ولنفرض أن الموطن، والجوار يمكن اعتبارهما حجة لتصحيح الانتماء، والقربى.. فما هو الرأي إذن.. حينما نرى ابن خلدون يؤكد على كون المغرب الأوسط هو وطن زناتة؛ وبالمقابل نجد أمة عظيمة تنتسب إلى البرانس؛ مواطنها هي الأخرى في المغرب الأوسط..؟

وجملة القول.. فابن خلدون لم يتمكن من حسم موقفه تجاه زواوة؛ بل إنه لم يجد ما يقوله بخصوص أبناء سمكان كافة؛ فإذا كان قد اعترف بذلك حين تكلم عن زواغة؛ فإنه احتار — من جهة أخرى — بخصوص زواوة، وحاول إيجاد تأويلات، وافتراسات، ومسوغات — غير مقنعة — عن

تصحيح يكون قد حدث لاسم زواوة  
[بالزاي]؛ فأخذت على أنها زواوة. مع أن زواوة  
لا وجود لها بين قبائل المغرب بالكامل. وفي  
كتاب مفاخر البربر - الذي يكون كتب سنة  
712هـ؛ أي قبل أن يلد ابن خلدون - ورد نص  
يسجل أسماء القبائل البترية؛ جاء فيه:  
(وأعلام القبائل التي تسمى البتر؛ من البربر  
هم: زواغة، وزناتة، وزواوة، ونفزة، ولواتة،  
ومزاتة، ونفوسة، ومغيلة، ومطماطة، ومطغرة،  
ومديونة، وصدينة. ولكل هؤلاء شعوب وقبائل  
كثيرة وبطون وأفخاذ وعمائر لا تحصى نسبوا  
إلى جدهم الأبتري وهو مادغس بن بركان  
[هكذا صحف] يلقب بالأبتري<sup>1</sup>. وجاء في  
الصفحة 71 من المصدر نفسه: ((وزواو اسم  
رجل هو زواو بن سجان [سكان] بن يحيى  
ابن تمزيت [تمصيت] بن ضريس)).

وما يمكن قوله في هذا المجال؛ أنه وردت في  
العبر<sup>2</sup> أسماء كثيرة للبطون المتفرعة عن قبيلة  
زواوة؛ نكتفي منها بـ: بني كوزيت، وبني  
كوفي، وبني مرانة، ومشدالة، وولزاجة. ثم

---

<sup>1</sup> ص: 76.

<sup>2</sup> العبر: مج: 6، ص ص: 262 — 264.

وردت في العبر - أيضا - أسماء بعض قبائلهم التي عاصرت ابن خلدون؛ وهم: بنو بوشعيب، وبنو بويوسف، وبنو صدقة، وبنو غبرين، وبنو فوراسن، وبنو كشطولة، وبنو مانكلات، وبنو ماني، وبنو يتورغ، وبنو يراتن. وكان لزواوة أثر ملحوظ في دولة بني حماد؛ حيث أضحت عاصمتهم مجاورة لمواطن زواوة؛ كما جاء في العبر: ((ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم، وقمرسوا بهم؛ فانقادوا، وأذعنوا لهم إلى آخر الدولة. واتصل إذعائهم إلى هذا العهد؛ إلا قمريضا في المغرم؛ يحملهم عليه الموثقون بمنعة جبالهم))<sup>1</sup>. ويعتبر بنو يراتن من أبرز قبائلهم في عهد ابن خلدون. وبيت الرئاسة فيهم، هم رهط عبد الصمد. وكانت ترأسهم امرأة منهم اسمها شمسي؛ لها عشرة أولاد؛ فتغلبت بهم على قومها. وكان لشمسي هذه ذكر مع السلطان أبي الحسن المريني.

! ! !

---

<sup>1</sup> العبر: مج: 6، ص: 263.

— أعيانهم: ومن أعلام زواوة ورجالها المشهورين بالعلم، والفضل:

— أبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي (ت: سنة 611هـ/1214م)؛ وهو من أهل التصوف، والزهد؛ إذ تفرغ للعبادة، وتدرّس الفقه، والحديث، وتفسير القرآن.

— ثم أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الملقب بزين الدين (توفي بالقاهرة سنة 628هـ/1230م)؛ شاعر مجيد، وإمام كبير من أئمة النحو، واللغة العربية؛ من مؤلفاته: كتاب الدرة الألفية في علم العربية، وكتاب الفصول، وكتاب العقود والقوانين، والهوامش على ابن السراج، وشرح على كتاب الجمل للزجاجي؛ هذه كلها في النحو؛ ثم منظومة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجوهرة لابن دريد في اللغة، وكتاب المثلث في اللغة، وشرح لأبيات سيويه نظماً، وديوان خطب، وديوان شعر، والبديع في صناعة الشعر، ونظم كتاب الصحاح للجوهري؛ لم يكتمل. قال عنه ابن خلكان: ((كان أحد أئمة عصره في النحو، واللغة؛ سكن دمشق زماناً طويلاً؛ واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا

به، وصنف تصانيف مفيدة... ثم إن الملك الكامل أرغبه في الانتقال إلى مصر؛ فسافر إليها؛ وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب<sup>1</sup>.

— ثم ضياء الدين عبد الرحمن بن عبد الله الزواوي (توفي بدمشق سنة 644هـ/1246م)؛ فقيه، وله مشاركة في علوم عديدة.

— ثم أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (توفي بدمشق سنة 681هـ/1282م)؛ شيخ مشائخ الإقراء بدمشق؛ وهو أول من تولى قضاء المالكية بها؛ ولكنه عزل نفسه بعد تسع سنوات؛ من مؤلفاته: التنبهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات؛ وهو في القراءات، وعدد الآي.

— ثم أبو يعقوب يوسف بن عبد السلام ابن علي بن عمر الزواوي (ت: سنة 683هـ/1284م)؛ أحد كبار العلماء؛ ولي قضاء المالكية بدمشق.

— ثم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون ابن بهلول الزواوي (ت: سنة 686هـ/1287م)؛ فقيه، وشاعر.

---

<sup>1</sup> وفيات الأعيان، ج: 6، ص: 197.

— ثم أبو يوسف يعقوب بن يوسف  
المنكلاقي الزواوي (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ فقيه،  
أصولي، مشارك في علم العقائد؛ تفرغ للعبادة،  
والتدريس ببجاية.

— ثم أبو عبد الله جمال الدين محمد بن  
سليمان بن يوسف الزواوي (توفي بدمشق  
سنة 717هـ/1317م)؛ أحد كبار علماء المالكية؛  
فقيه، ومحدث؛ تولى القضاء بدمشق طوال  
ثلاثين سنة؛ قال عنه ابن تغري بردي:  
((كان فقيها، عالما، عالي المهمة، محدثا بارعا،  
مشكور السيرة في أحكامه)).

— ثم أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن  
يوسف المنكلاقي الزواوي (ت: سنة 730هـ/1329م)؛  
فقيه، وابن فقيه؛ ولي القضاء ببجاية؛ قال عنه  
ابن القاضي في درة الحجال: ((كان فقيها،  
حافظا، مستبحرا في حفظ المسائل، والفروع))<sup>1</sup>.

— ثم أبو الرُّوح عيسى بن مسعود بن  
منصور بن يحيى المنكلاقي الزواوي (توفي  
بالقاهرة سنة 743هـ/1342م) فقيه، وعالم في  
الحديث، ومؤرخ؛ تولى القضاء بدمشق،  
والقاهرة، والتدريس بالأزهر. من مؤلفاته:

---

<sup>1</sup> ج: 2، ص: 101.

إكمال الإكمال؛ وهو شرح لصحيح مسلم؛ في 12 جزءاً، وشرح جامع الأمهات في 7 أجزاء؛ وهو شرح لكتاب ابن الحاجب في الفقه المالكي، وشرح المدونة في الفروع، ومناقب الإمام مالك، وكتاب في الوثائق، وكتاب في المناسك، وفي علم المساحة، وشرح العضدية للسمرقندي، وكتاب في التاريخ كبير أنجز منه عشرة مجلدات.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي (ت: سنة 750هـ/1349م)؛ وهو من كبار القراء في المغرب، وفقيه، ومحدث؛ له فهرست سجل فيه مقروءاته، ومروياته.

— ثم أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي (ت: سنة 770هـ/1368م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية؛ أصولي؛ وحافظ للحديث، ناقد، ونحوي، وشاعر؛ قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((هذا الرجل طرف في الخير، والسلامة، حسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع... صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم: العقلية، والنقلية، وإطلاع، وتقيد، ونظر في: الأصول، والمنطق، والكلام، ودعوى



في: الحساب، والهندسة، والآلات، يكتب، ويشعر؛  
فلا يعدو الإجادة، والسداد<sup>1</sup>). ومن شعره  
الذي ذكره ابن الخطيب:

يُحْيِيكَ عَنْ بَعْضِ الْمَنَازِلِ صَاحِبُ  
صَدِيقٍ غَدَتْ تُهْدِي إِلَيْكَ رَسَائِلُهُ  
مُقَدِّمَةٌ حِفْظِ الْوَدَادِ وَسَيْلَةٌ  
وَلَا وَدَّ إِلَّا أَنْ تَصِحَّ وَسَائِلُهُ  
يُسَائِلُ عَنْكَ الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ  
تَغِيبُ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَائِلُهُ

ومن شعره أيضا:

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظًا      حَقِيقَةً فِي الْمَعَالِي  
مُقَدِّمَاتُ عُلَاكُمُ      أَنْتَجَنَ كُلَّ كَمَالٍ  
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَاسُ      خَلَوْتَ مِنْهُ فَخَالٍ

— ثم بدر الدين محمد بن علي بن إسماعيل  
الزواوي (توفي بالقاهرة سنة 775هـ/1373م)؛ فقيه،  
وحافظ للحديث، وله إلمام بعلوم أخرى.

<sup>1</sup> ج: 3، ص: 324 — 325.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يلبخت الزواوي (من أعلام القرن الثامن الهجري)؛ حافظ للحديث، وأحد كبار علماء الفقه المالكي.

— ثم أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاقي الزواوي (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري)؛ أحد فقهاء بجاية؛ له فتاوى؛ سجل بعضها في المازونية، والمعيار.

— ثم عبد الله بن عبد الله بن علي بن المحفوف الزواوي (ت: سنة 800هـ/1397م)؛ وهو من أصحاب التنجيم، والأبحاث الغيبية؛ من مؤلفاته: المثلث في علم الرمال.

— ثم نصر الزواوي (توفي بالقدس سنة 826هـ/1422م)؛ عالم، ومن الزهاد، والعباد الصالحين، له مشاركة في علوم العربية.

— ثم علي بن أحمد بن عبد المؤمن الزواوي (ت: سنة 828هـ/1424م)؛ فقيه، ومن العارفين بالحديث، وله اهتمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: حل عقود الدرر في علوم الأثر؛ وهو لعقود المؤرخ ابن ناصر الدين.

— ثم أبو الحسن منصور بن علي بن عثمان النكلاقي الزواوي (توفي بعد 850هـ/1446م)؛ وهو فقيه بجاية، ومفتيها، وعالمها في وقته؛ له فتاوى مسجلة في الدرر المكنونة، والمعيار.

— ثم محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ قاضي، وفقيه مالكي، وله اهتمامات بعلوم أخرى.

— ثم شهاب الدين أحمد بن صالح بن خلاصة الزواوي (ت: سنة 855هـ/1451م)؛ فقيه مالكي، ومحدث حافظ؛ هو أحد الذين أجازوا الإمام السخاوي.

— ثم إبراهيم بن جابر بن موسى الزواوي (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ فقيه من علماء المالكية له اهتمامات عديدة في علوم مختلفة.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد الزواوي (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية، وله المام بالتفسير؛ من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، وتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل؛ في الفقه المالكي؛

وهو في 8 مجلدات وربما 3 ، وفيض النيل في شرح مختصر خليل؛ في مجلدين، وتلخيص التلخيص؛ وهو عبارة عن شرح على تلخيص المفتاح وتحفة المشتاق؛ وهو في مجلد كبير.

— ثم عيسى الزواوي (ت: سنة 878هـ/1473م)؛ صوفي، وعالم بالحساب، والفرائض؛ له بعض المؤلفات؛ قال عنها السخاوي: ((أوقف كتبه قبل موته)).

— ثم أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري (توفي بمدينة الجزائر سنة 884هـ/1479م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ من مؤلفاته: اللامية؛ في علم الكلام؛ شرحها الإمام السنوسي.

— ثم بلقاسم بن محمد الزواوي (ت: سنة 922هـ/1516م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له شرح على الرجز للضرير المراكشي.

— ثم شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي (توفي بالقاهرة سنة 927هـ/1520م)؛ صوفي، ومشارك في عدد من العلوم؛ قال صاحب الكواكب السائرة: ((له تصانيف)).

— ثم طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني (ت: بعد 940هـ/1533م)؛ نزيل المدينة المنورة؛ فقيه، وصوفي؛ من مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد؛ في التصوف؛ وهو في ثلاثة كراريس، ورسالة القصد إلى الله؛ في كراسين.

— ثم يحيى بن سليمان الزواوي (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له إمام بالعقائد.

— ثم إبراهيم بن محمد الزواوي (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ فقيه من الحفاظ، وله إمام بالفرائض، والحساب؛ قال عنه ابن القاضي: ((وهو الآن فقيه كنوا من بلاد السودان، ومدرسها؛ بعد أبي عبد الله التونسي))<sup>1</sup>.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي القاسم الحسني الزواوي (ت: سنة 1208هـ/1793م)؛ شيخ الطريقة الرحمانية؛ قال صاحب شجرة النور: له ((تأليف، وأوراد)).

— ثم محمد بن عامر المغازي الزواوي (ت: سنة 1221هـ/1806م)؛ صوفي، وفقيه؛ من مؤلفاته: الوظائف الحمديّة لأهل الطريقة المغازية.

---

<sup>1</sup> درة الحجال، ج: 1، ص: 205.

— ثم أحمد الطيب بن محمد بن الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي (ت: سنة 1251هـ/1835م)؛ وهو من علماء النحو، والأدب، وأحد كبار علماء المالكية، وشاعر؛ ومن مؤلفاته: الدرة المكنونة؛ وهي أرجوزة في عقائد التوحيد، وتكملة الفوائد في تحرير العقائد؛ وهو شرح على أم البراهين، ومفتاح الأحكام؛ وهي منظومة في أحكام الفتوى تصل أبياتها إلى الألفين، وتذكرة الحكم؛ وهو شرح لمفتاح الأحكام، ونصرة الإخوان في احجاج الفقهاء بالبرهان؛ وهي أرجوزة، ومنهج الوصول؛ وهي أرجوزة في علم الفرائض، ومفيد الطلبة؛ وهو شرح الأجرومية، والقرة العصرية؛ في أحكام الفتوى.

— ثم علي بن محمد المغازي الزواوي (توفي بعد 1301هـ/1883م)؛ صوفي؛ من مؤلفاته: الفيوضات الإضافية والتدرجات الإنسانية في نشر الطريقة الخلوتية؛ طبع بمصر سنة 1301هـ.

ولا تفوتني — هنا — الإشارة إلى شاعر شعبي من زواوة؛ ظهر في وقت متأخر بعض الشيء؛ ودواعي إدراجه — في هذا المجال — ترجع إلى كونه عينة صادقة للشعراء الأمازيغ الشعبيين؛

الذين يتعاملون مع هذا الفن بأسلوب شفوي غير مكتوب، وبالأمازيغية، والعربية الدارجة. وهذا الشاعر هو:

— محمد أو محمد أمزيان حمدوش (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر للهجرة)؛ جاء في كتاب الحوار الرفيع بين الصوت الأمازيغي والحرف العربي؛ لعبد الرحمن بوزيدة: ((أما عائلة الشاعر فهي آيت حمدوش؛ من عرش شرعوى... يسمى والد الشاعر محمد أمزيان حمدوش؛ أصله من قرية أقمون وقد فر إلى شرعوى (الأربعاء أنيرائن) إثر قضية ثأر. وبعد أن حطم الاستعمار شرعوى، وشتت سكتنها سنة 1857م استقرت عائلة سي محمد بأقبو... وقد كان عم الشاعر أرزقي حمدوش فقيها، ومدرسا؛ فتح زاوية بالمنطقة؛ حيث يدرس القرآن؛ وقد بدأ الشاعر تعليمه بهذه الزاوية؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي بعين الحمام؛ أين تفقه في العلوم الدينية... ثم تدهورت حياة أسرته بعد ثورة المقراني سنة 1288هـ/1871م؛ حيث انضم إليها أبوه، وعمه. وقد أعدم أبوه بعد القضاء على هذه الثورة؛ أما عمه فقد

نفي إلى كلدونيا الجديدة؛ وتشردت عائلته،  
وهام الشاعر - إثر ذلك - على وجهه؛  
ضارباً في البلاد؛ بعد أن نجا من الإعدام  
بأعجوبة... إن الأشعار المنسوبة إلى الشاعر  
كثيرة جداً، ومتنوعة؛ وهي غير مكتوبة؛ بل  
بقيت في معظمها خاضعة لمنطق أدب الحفظ  
والمشاهدة. ورغم اتفاق الرواة على أن سي  
مخند كان يقول الشعر بالعربية، وبالأمازيغية  
معاً، ورغم إتقانه للعربية؛ لم يكتب أشعاره،  
ولم يترك تراثاً مكتوباً<sup>1</sup>. وهذه عينة من  
شعره المَعْرَب:

إِنَّ فِي الْعِشْقِ اخْتِلَافَ  
وَفُرُوقاً وَصَّنُوفَ  
كُلِّ فَرْدٍ مُحِثَّةَ

بَعْضُهُمْ يَزْهَوُ سَعِيدَ  
حَظِّهِ حَظٌّ رَغِيدَ  
لَا يُفَارِقُ مَنْ يُحِبُّ

---

<sup>1</sup> — بوزيدة عبد الرحمن؛ الحوار الرفيع، ص ص: 29 — 32. 42.



بَعْضُهُمْ يَبْقَى يُعَانِي  
يَتَعَلَّلُ بِالْأَمَانِي  
حَالُهُ، اللَّهُ أَعْلَمُ

هُوَ ذَا قَلْبِي امْتَلَا  
فِيضُ دَمْعِهِ قَدْ جَرَى  
كَمْ تَلَقَى مِنْ مَحَنٍ

سِرُّهُ هَدَّ الْجِبَالَ  
وَاخْتَنَقَ فِيهِ الْمَجَالَ  
هُوَ بِالْعِشْقِ ظَلِمَ

إِلَى أَنْ يَقُولَ:  
لِي جَنَانٌ مُتَفَرِّدٌ  
بِنَبَاتٍ مُتَمَدِّدٍ  
فَحَمَى اللَّهَ غِلَالَهُ

قَدْ بَنَيْتُ سُورَهُ  
وَعَلَقْتُ بَابَهُ  
حَارِسُهُ دَوْمًا يَقِظُ

السُّيُولُ اكْتَسَحَتْهُ  
جَرَفَتْ مَا وَجَدْنَهُ

فَأَنْدَثَرُ دُونَ أَثَرٍ

مَنْ أذَانِي، لَا سَمَاحُ  
فِي صَمِيمِي كَمْ جَرَّاحُ  
كَمْ ضَمِيرِي يَتَأَلَمُ

\*\*\*

— مواطنهم: يقول ابن خلدون: ((ومواطن زواوة بنواحي بجاية؛ ما بين مواطن كتامة، وصنهاجة؛ أوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة؛ تندعر منها الأبصار، ويضل في خمرها السالك؛ مثل: بني غبرين؛ بجبل زيري؛ وفيه شعراء من الزان؛ يشهد بها لهذا العهد. ومثل بني فراسن، وبني يراثن؛ وجبلهم ما بين بجاية، وتدلّس؛ وهو أعصم معاقلهم، وأمنع حصونهم؛ فلهم به الاعتزاز على الدول، والخيار عليها في إعطاء المغرم. مع أن كلهم لهذا العهد قد امتنع لسهامه، واعتز على السلطان في أبناء طاعته، وقانون مزاجه))<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 262 — 263.

هذا ما توفر لدينا من معلومات عن  
بني أداس، وبني ضري. وبقي أماننا الآن  
الشروع في موضوع قبائل: بني لوا الأكبر، ثم  
بني نفوس. وهم جميعا أولاد زحيك بن  
مادغيس الأبتري.

## É É É

### 3 - بنو لوا:

يتفرع أبناء لوا الأكبر إلى فرعين كبيرين؛  
هما: بنو نفزاو (نفزاوة)، وبنو لوا الأصغر  
(لواتة). فالذين حملوا نسب لوا؛ هم أبناء  
لوا الأصغر؛ الذي سمي باسم أبيه؛ بعد أن  
مات والده؛ قبل ميلاده.

## É É É

### (1) - نفزاوة:

وهم أبناء يطوفت بن نفزاو بن لوا  
الأكبر ابن زحيك. فلوا الأكبر، وضري  
أخوان؛ وأبوهما هو زحيك بن مادغيس الأبتري.  
ولنفزاوة بطون عديدة؛ أهمها: زاتيمة، وزهيلة،  
وسوماتة، وغُساسَة، ومَرنيسَة، وورسيف،

وولهاصة؛ وغيرهم كثيرون؛ لا حاجة لذكرهم  
بكاملهم؛ لعدم الفائدة. فأما زاتيمة فقد بقي  
منها - في زمن ابن خلدون - جماعة بساحل  
برشك. وزهيلة وكان منهم - في الزمن نفسه  
- بقية بجهات بادس (القريبة من نكور)؛  
اندجحت بقبائل غمارة؛ ومنهم الولي الصالح  
الشيخ أبو يعقوب البادسي. وسوماتة بقيت  
منهم بعض الفئات في جهات القيروان. ومن  
غساسة بقيت جماعة في قرية بطوية؛ على  
ساحل البحر. أما مريسة فمتفرقون عبر  
الأقطار المغربية كلها. أما ورسيف. فأهم  
بطونهم مكالاتة؛ وقد تفرعت بدورها إلى أفخاذ  
عديدة؛ منها: ديمار، وريحون، وسراين،  
وكرناية، وورياغل، ويصلتن.

أما ولهاصة.. فمنها: ورتدين، وورفجومة.  
وقد دخلت قبيلة ورفجومة تاريخ المغرب  
الإسلامي من باب المظلم؛ بسبب ارتكابها  
مجازر القيروان؛ التي فاقت حدود الوصف؛ من  
حيث الفساد، والعيث، والمنكر. وكانت  
ورفجومة صُفُرية المذهب، وتميل أحكام أهلها  
إلى التطرف الشديد. يأترون بأوامر قائدهم،  
وكاهنهم عاصم بن جميل؛ المقيم بجبل أوراس.

ومن رجالا تهم الذين قادوا حملة القيروان: عبد الملك بن أبي الجعد، ويزيد بن سكوم. وقد بقي من أحياء ورفجومة — في عهد ابن خلدون — جماعة بمرجنة؛ وثمة قرية في نواحيها تنسب إليهم.

! ! !

— أعيانهم: فإذا كانت ورفجومة قد ظهرت بذلك الوجه البشع؛ فإن القبيلة الأم نفزاوة؛ منحت المغرب الإسلامي، والمسلمين عامة أفضل أبنائها الصالحين؛ من: العلماء، والأدباء، والقادة؛ حماة الوطن، والدين؛ مثل:

— طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو الوهاصي النفزي (تاريخ وفاته غير معروف؛ ويعود من أعلام أواخر القرن الأول للهجرة)؛ وهو القائد الذائع الصيت؛ الذي فتح بلاد الأندلس، ومهد للإسلام طريقا فيها. يكون قد استدعي إلى دار الخلافة بالشام؛ بسبب خلاف نشب بينه وبين موسى بن نصير؛ لم يعد بعده إلى وطنه، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن مصيره النهائي. وربما يكون قد

تعرض لبعض المضايقات، والتجاوزات؛ كما أشار ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة.

— ثم أبو عبد الله محمد وارشكين بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي النفزي التاكربي المعروف بجمدون (توفي بقرطبة سنة 232هـ/846م)؛ كان يلقب بالأصمعي؛ لقوة حفظه، وحدة ذكائه. وهو رأس أسرة الزجاليين بقرطبة؛ تلك الأسرة التي نبغ منها: الكتاب، والأدباء، والوزراء. وأورد ابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس؛ قصة وصول محمد بن سعيد هذا إلى مرتبة كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ووردت القصة نفسها في كتابي: المغرب، ونفح الطيب؛ وهي أنّ الأمير عبد الرحمن كاد يوماً أن يسقط عن دابته؛ حين عثرت به؛ فحاول أن يتمثل ببيت شعر؛ لم يتذكر سوى شطر منه؛ إذ قال:

وَمَا لَا يُرَى مِمَّا يَقيُّ اللَّهَ أَكْثَرُ

وتعذر عليه تذكر الشطر الآخر؛ فانشغل به؛ ثم سأل المحيطين به عنه؛ فلم يجد ضالته إلا عند الزجالي؛ الذي كان كاتباً لدى وزراء الأمير. فلما مثل أمامه قال: أصلح الله الأمير؛ أول البيت:

تَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يَتَّقِي فَتَهَابُهُ  
وَمَا لَا نَرَى مِمَّا يَقِي اللَّهَ أَكْثَرُ

وكانت هذه الحادثة أول اتصال مباشر بينه وبين الأمير؛ ازداد التحاماً مع الأيام؛ حتى أضحي كاتباً لسره. وقال فيه ابن حيان القرطبي: ((كان محمد بن سعيد هذا أحد عجائب الدنيا في قوة الحفظ؛ يضرب بحفظه الأمثلة...جاءه يوماً مستجِدٌ توسل إليه بشعر امتدحه به؛ سأل أن يأذن له في إنشاده، ففعل. وجعل الشاعر ينشده له...ومحمد مطرق؛ فلما فرغ من شعره؛ ذهب إلى مغالطته له: "يا هذا؛ ما الذي دعاك أن تتحل شعراً لغيرك؛ فتقلبه فينا؛ وكنت في غنى عن ذلك؟"...فقال له: "سبحان الله يا سيدي؛ تقول ذلك في شعر كددت فيه خاطري، وأتعبت فيه ذهني؟ فلا والله ما أخذته من أحد، ولا سَوَّيْتُهُ إلا من نظمي". فقال له محمد: "باطل؛ إنه لشعر قد رويته قديماً، وحفظته؛ فإن شئت فاسمع إليه أنشدكهُ"؛ وبدأ، فأعاد الشعر عليه، أو أكثره؛ فبقي حائراً؛ لما فجأة به؛ قد زال طمعه،

وانقطعت حجة، واشتدت فجعته. فلما رأى محمد سوء مقامه قال له: "خَفِّضْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي مَزَحْتُ مَعَكَ؛ وَإِنَّكَ الصَّادِقُ فِيمَا قُلْتَ؛ الْحَقِيقُ بِالثَّوَابِ عَلَى مَا قَرَضْتَ؛ وَإِنَّمَا أَعَانِي عَلَيْكَ قُوَّةَ حَفْظِي؛ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَى اخْتِبَارِهِ مَعَكَ. وَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِهَذَا الشَّعْرِ قَبْلَ يَوْمِي." فَسَرَّى عَنْ الشَّاعِرِ هَمَّهُ، وَأَجْزَلَ صَلَاتِهِ<sup>1</sup>. وذكر المقرئ خبراً آخر عن الزجاجي؛ جاء فيه:<sup>2</sup> ((حَضَرَ مَعَ الْوَزِيرِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ يَزِيدِ الْإِسْكَندَرَانِيِّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ رُؤَسَاءٌ؛ فَعُرِضَ عَلَيْهِمْ فَرَسٌ مَطْهُمٌ، فَتَمَثَّلَ فِيهِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بِقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: "بَرِيدُ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرَبْرَا"

ففهم الزجاجي أنه عرض بأنه من البربر؛ فلم يحتمل ذلك؛ وأراد الجواب؛ فقال مدبجاً لما أراده، ومعرضاً: "أحسن عندي من ليل يسرى بي فيه؛ على مثل هذا يوم؛ على الحال التي قال فيها القائل:

---

<sup>1</sup> المقتبس، ص ص: 35 — 36.

<sup>2</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص: 540.



وَيَوْمَ كَضِلَّ الرُّمُحُ قَصَّـرَ طُولَهُ  
دَمُ الزَّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاكِ الْمَزَاهِرَ

وإنَّما عرَّض للإسكندراني؛ بأنَّه كان  
يشهد مجالس الراحات في أول أمره، ومعرفة  
الغناء؛ فقلق الوزير، وشكاه إلى الحاجب عيسى  
ابن شهيد... فحكى له الزجالي ما جرى...  
وأنشد:

"وَمَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ يَدِينُ بِمِثْلِ مَا  
يُدَانُ وَمَنْ يُخْفِي الْقَبِيحَ وَيُنْصِفُ"  
هُمْ شَرَعُوا التَّعْرِيزَ قَذْفًا فَعِنْدَمَا  
تَبَغَّاهُمْ لَأُمُّوَا عَلَيْهِ وَعَنَّفُوا").

— ثم ولده عبد الله بن محمد بن سعيد؛  
ولي في منصب أبيه بعد وفاته؛ ولكنه توفي بعد  
سنة أشهر.

— ثم ولده الثاني حامد بن محمد بن سعيد  
(ت: سنة 268هـ/881م)؛ قال عنه ابن حيان:<sup>1</sup>  
(وأعقب ابنا نجيبا يسمى حامد بن محمد،  
ورث مكانه في الأدب، والمعرفة، والكتابة،  
والبلاغة؛ فسلك سبيله في خدمة السلطان،

<sup>1</sup> المقتبس، ص ص: 36 — 37.

وارتقى فوق ذروة أبيه بخطه الوزارة؛ بحضرة  
الأمير محمد بن عبد الرحمن... ومن نوادر  
حامد بن محمد الزجالي:.... غلط إمام الوزير  
حامد بن محمد ليلة في بعض قراءته...  
وحامد حاضر؛ فقرأ مكان قوله تعالى: "  
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة  
جلدة " فقرأ: "... فانكحوهما؛ فلما انصرف  
حامد قال لبعض من يخصه من جيرانه:  
"أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل  
حدودنا؟" وتضحكا؛ فقال له حامد: "فقد  
سنحت لي فيه بديهة فاسمعها؛ وأنشده:

أَبْدَعَ الْقَارِئُ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي الثَّقَلَيْنِ  
أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ"(().

وقد بقيت أسرة الزجالي تحتل خططا  
عديدة في الدولة؛ منها المتوسطة الحال، ومنها  
الخطط السامية؛ ككتابة السر، والوزارة؛ إذ  
يلاحظ أنهما أُسندتا إلى:

— عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد (ت: سنة 302هـ/914م).

— ثم أبي بكر عبيد الله بن عبد الله الزجالي (ت: سنة 375هـ/985م).

— ثم محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي (كان حيا سنة 307هـ/919م)؛ الذي تولى خزانة المال كذلك.

— ثم أخوه عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي (كان حيا سنة 316هـ/928م)؛ الذي أسندت إليه خزانة المال، وخطبة العرض.

— ومن نفاوة أيضا: فضل الله بن سعيد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي (توفي حوالي 335هـ/946م)؛ وهو فقيه، ولي قضاء فحص البلوط بالأندلس؛ وهو أخو قاضي الجماعة بقرطبة؛ منذر بن سعيد.

— ثم أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي البلوطي (ت: سنة 355هـ/946م)؛ وهو قاضي الجماعة بقرطبة؛ كان خطيبا مصقعا، وعالما مستبحرا، وفقهها مدققا، وأديبا بليغا؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وكتب أخرى في الفقه، وعلم الكلام؛

في الرد على أهل المذاهب. قال عنه الضبي:  
((ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم  
المستنصر بالله، وكان عالماً، فقيهاً، وأديباً  
بليغاً، وخطيباً على المنابر، وفي المحافل مصقعا؛  
وله اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأسماع،  
وبهر القلوب؛ وذلك أن الحكم المستنصر كان  
مشغولاً بأبي علي القالي؛ يؤهله لكل مهم في  
بابه؛ فلما ورد رسول ملك الروم؛ أمره عند  
دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيباً؛ بما  
كانت العادة جارية به؛ فلما كان في ذلك  
الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاین  
الحفل؛ جبن، ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده  
لسانه؛ وفطن له أبو الحكم منذر بن  
سعيد؛ فوثب، وقام مقامه، وارتجل خطبة  
بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في  
آخرها:

هَذَا الْمَقَالُ الَّذِي مَا عَابَهُ فَنَدُ  
لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ الْبَلَدُ  
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيْبًا كُنْتُ مُطَرِّفًا  
لَكِنِّي مِنْهُمْ فَاعْتَالَنِي التَّكْدُ  
لَوْلَا الْخِلَافَةُ أَبْقَى اللَّهَ بِهَجَّتْهَا  
مَا كُنْتُ أَبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدُ

فاتفق الجمع على استحسانه... ومن مصنفاته: كتاب الإفتاء على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة... ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر؛ وله معه حكاية مشهورة؛ وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء؛ فأملأ أبو جعفر - في جملة ما أملى - قول الشاعر [مجنون ليلى]:

خَلِيلِي هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ  
تَبْكِي عَلَيَّ لَيْلَى لَعَلِّي أُعِينُهَا  
قَدْ اسْلَمَهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً  
مُطَوَّقَةً بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا  
تُجَادِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرَ رَأْيَةٍ  
يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْنُهَا

فقال له منذر بن سعيد: "أيها الشيخ أعزك الله؛ باتا يصنعان ماذا؟" فقال أبو جعفر: "فكيف تقول أنت؟" فقال له منذر: "بانت وبان قرينها"؛ واستبان أبو جعفر ما قال؛ فقال له: "آرتفع"؛ ولم يزل يرفعه

حتى أدناه منه))<sup>1</sup>. ومن شعره الذي ورد في  
نفح الطيب:

المَوْتُ حَوْضٌ وَكُلُّنَا نَرُدُّ  
لَمْ يَنْجُ مِمَّا يَخَافُهُ أَحَدٌ  
فَلَا تَكُنْ مُغْرَمًا بِرِزْقِ غَدٍ  
فَلَسْتَ تَذَرِي بِمَا يَجِيءُ غَدٌ  
وَتُخَذُّ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ  
وَيَسْلَمُ الرُّوحُ مِنْكَ وَالْجَسَدُ  
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ لَا تُدْعِيهِ فَمَا  
فِي النَّاسِ إِلَّا التَّشْنِيعُ وَالْحَسَدُ

وأرسل إليه بعض الأدباء:  
مَسْأَلَةٌ جُئْتُكَ مُسْتَفْتِيًا  
عَنْهَا، وَأَنْتَ الْعَالِمُ الْمُسْتَشَارُ  
عَلَامَ تَحْمَرُّ وَجُوهُ الطُّبَا  
وَأَوْجُهُ الْعُشَّاقِ فِيهَا أَصْفَرَارُ

فأجابه منذر بن سعيد بقوله:  
أَحْمَرَّ وَجْهُ الطَّيِّبِ إِذْ لَحِظُهُ  
سَيْفٌ عَلَى الْعُشَّاقِ فِيهِ أَحْوَرَارُ

---

<sup>1</sup> بغية الملتبس، ص ص: 451 — 452.

وَاصْفَرَ وَجْهُ الصَّبِّ لَمَّا نَأَى  
وَالشَّمْسُ تُبْقِي لِلْمَغِيبِ اصْفِرَارُ

— ثم أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن  
أبي زيد النفزي القيرواني (توفي بالقيروان سنة  
386هـ/996م)؛ إمام فقهاء المذهب المالكي في  
عصره؛ إذ كان يلقب بقطب المذهب، وبمالك  
الأصغر؛ وعمل على تبسيط أصول الفقه،  
والسعي إلى توضيحه؛ قال عنه القاضي عياض:  
((ملأ البلاد من تواليفه))؛ وقال فيه ابن  
خلدون: ((وجمع ابن أبي زيد جميع ما في  
الأمهات من: المسائل، والخلاف، والأقوال في  
كتاب النوادر؛ فاشتمل على جميع أقوال  
المذهب، وفرع الأمهات كلها في هذا  
الكتاب))<sup>1</sup>. أما ابن فرحون؛ فقال: ((واسم أبي  
زيد [والده] عبد الرحمن، نفزي النسب،  
سكن القيروان؛ وكان إمام المالكية في وقته...  
وكان واسع العلم، كثير الحفظ، والرواية —  
وكتبه تشهد على ذلك — فصيح القلم، ذا  
بيان ومعرفة بما يقول... يقول الشعر،  
ويجيده... وهو الذي لخص المذهب، وضمَّ

<sup>1</sup> المقدمة، ج: 3، ص ص: 1158 — 1159.

نشره، وذبَّ عنه؛ ومألت البلد تأليفه... له كتاب النوادر والزيادات على المدونة؛ مشهور؛ أزيد من مائة جزء، وكتاب مختصر المدونة؛ مشهور أيضا؛ وعلى كتابيه هذين المعول في التفقه<sup>2</sup>. ولأبي زيد مؤلفات كثيرة؛ نذكر منها بالإضافة إلى ما سبق: كتاب تهذيب العتبية، وكتاب الإقتداء بأهل المدينة، وكتاب الذبَّ عن مذهب مالك، وكتاب التنبيه على القول في أولاد المرتدين، ومسألة الحبس على أولاد الأعيان، وكتاب تفسير أوقات الصلوات، وكتاب الثقة بالله والتوكل على الله، وكتاب المعرفة واليقين، وكتاب المضمون من الرزق، وكتاب المناسك، ورسالة فيمن يأخذه عند تلاوة القرآن والذكر حركة، وكتاب ردَّ السائل، وكتاب حماية عرض المؤمن، وكتاب البيان عن إعجاز القرآن، وكتاب الوسواس، ورسالة إعطاء القراية من الزكاة، ورسالة النهي عن الجدل، ورسالة في الرد على القدريّة، ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي، وكتاب الاستظهار في الرد على الفكريّة، وكتاب كشف التليس، ورسالة الموعظة والنصيحة،

---

<sup>2</sup> الديباج المذهب، ج: 1، ص ص: 427 — 429.



ورسالة طلب العلم، وكتاب فضل قيام رمضان، ورسالة الوعظة الحسنة لأهل الصدق، ورسالة إلى أهل سجماسة في تلاوة القرآن، ورسالة في أصول التوحيد، وكتاب الرسالة الشهير؛ الذي يلخص المذهب السني، وكافة الفروض بأسلوب رائع بديع؛ وقد اهتم المختصون، والعامّة بهذا الكتاب الصغير؛ حتى أنه حظي بشروح كثيرة تجاوزت المائة شرح؛ كما تناوله آخرون بالترجمة إلى أكثر من لغة أجنبية.

— ثم أبو الربيع سليمان بن مُنَحِل النفزي الشاطبي (ت: سنة 456هـ/1063م)؛ فقيه، وخطيب؛ من أصحاب عمر بن عبد البر.

— ثم أبو بكر محمد بن حبيب النفزي؛ خطيب، ومقرئ، ومُجَوِّد.

— ثم زينب بنت إسحاق النفزاوية؛ زوجة يوسف بن تاشفين (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ تزوجها — في البداية — أبو بكر بن عمر؛ أمير لمتونة؛ ثم طلقها حين قرر العودة إلى الصحراء، وأوصى ابن عمه يوسف بن تاشفين بالزواج منها؛ بعد عدتها. وعلى خلاف ما ذكره بقية المؤرخين؛ فقد نسبها صاحب الأنيس المطرب إلى هواره، وقال أن اسم أبيها

هو إسحاق الهواري؛ تاجر من القيروان؛ ثم قال عنها: ((وكانت امرأة حازمة، لبيبة؛ ذات رأي، وعقل، وجزالة، ومعرفة بالأمور؛ حتى كان يقال لها ساحرة. فأقام الأمير أبو بكر بأغمات من ثلاثة أشهر إلى أن قدم عليه رسول من بلاد القبلة؛ فأخبره باختلال الصحراء... فلما عزم على الخروج للصحراء طلق زوجته زينب... فتزوج يوسف ابن تاشفين زينب المذكورة؛ فكانت القائمة بملكه، المدبرة لأمره، والفاخرة — بحسن سياستها — أكثر بلاد المغرب))<sup>1</sup>. أما ابن عذاري فذكر ما أحبك حولها من أساطير؛ وقال: ((استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر... وكان مستوطنا بمدينة أغمات؛ وكانت بها امرأة جميلة؛ تعرف بزينب النفزاوية؛ وقد شاع ذكرها، وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها؛ فكان يخطبها أشياخهم، وأمرأؤهم؛ فتمتنع لهم، وتقول: "لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله"؛ فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرفة، غريبة؛ كمثل أخبار الكهنة؛ فبعض يقولون: أن الجن يكلمها،

---

<sup>1</sup> ص ص: 85 — 86.

وبعض يقولون: هي ساحرة، وبعض يقولون: كاهنة. فأعلم بجمالها الأمير أبي بكر بن عمر؛ فخطبها، وتزوجها... وكانت هذه المرأة موسومة بالجمال، والمال؛ وكان لها محاسن، وخصال محمودة، وروية مستطرفة... وكان أبو بكر بن عمر لما عزم على حركته... طلقها؛ فذكروا أنه قال لابن عمه يوسف ابن تاشفين: "تزوجها فإنها امرأة مسعودة"... وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية... فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال الغزيرة؛ فأركب الرجال الكثيرة... بنفسه، وبتدبير زوجه زينب... اتصل الخبر بالأمير يوسف؛ أن ابن عمه الأمير أبا بكر بن عمر قد أخذ في الرجوع من الصحراء إلى بلاد المغرب؛ فاغتم لذلك غما شديدا... وصعب عليه مفارقة الملك؛ بعد أن ذاق حلاوته... فعرفت زينب ذلك في وجهه؛ فقالت له: "أراك مهموما، مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه؛ والله لا ذاق أبو بكر طعمها أبدا؛ فطب نفسا، وقر عينا... إذا قدم عليك، وبعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه؛ ولكن بادره بهدية

جلیلة... فلا یقاتلک علی الدنیا؛ فإن الرجل  
خیر؛ لا یتحل سفک دماء... فقال لها:  
"والله لا خالفتک فی أمر تشیرین به أبدا"...  
كان وصول الأمير أبو بکر ابن عمر من  
صحرائه إلى مراكش؛ فوجد یوسف قد استبد  
بالمملكة... فعلم أنه مغلوب علیه، وعزم  
على تسلیم الأمر إلیه... فكان هذا التذیر  
برأي زینب النفزاویة زوجته؛ فهي التي  
جسرتة على ذلك كله؛ حتى ملك  
المغرب))<sup>1</sup>. أما ابن خلدون فیقول أن زینب  
النفزاویة كانت فی البداية زوجة لیوسف ابن  
علي بن عبد الرحمن بن واطاس: ((وكان  
شیخا علی وریكة، وهزرجة؛ بزمن هیلانة؛ فی  
دولة أمغارن؛ فی بلاد المصامدة؛ وهم الشیوخ.  
وتغلب بنو یفرن علی وریكة، وملكوا  
أغمات؛ فتزوج لقوط زینب هذه، ثم  
تزوجها بعده أبو بکر بن عمر))<sup>2</sup>. كان  
ذلك عندما تغلب علی أغمات، واستولى علی  
ملك لقوط، وبعد قتله؛ ((وكانت... من  
إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال،

<sup>1</sup> البیان المغرب، ص ص: 18 — 25.

<sup>2</sup>، العبر مج: 6، ص: 376.

والرياسة)). ولما عزم أبو بكر على العودة إلى الصحراء؛ أناب عنه في الحكم ابن عمه يوسف بن تاشفين؛ ونزل له عن زوجته زينب أيضا ((فكان لها في سياسة أمره، وسلطانه؛ وما أشارت عليه عند مرجع أبي بكر من الصحراء؛ في إظهار الاستبداد؛ حتى تجافى عن منازعته، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه)).  
— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر النفزي الرندي (توفي بأغمات سنة 514هـ/1120م)؛ فقيه، ومحدث، ومدرس.

— ثم أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المالقي المعروف بابن أخت غانم (ت: سنة 525هـ/1130م)؛ فقيه، ومقرئ، ومحدث، وأديب، ونحوي؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ فقال فيه ((وكان شيخا مسنا من شيوخ أهل الأدب، والنحو، والرواية، وجمع الكتب؛ أخذ عنه الناس هذين العلمين كثيرا، ودرسهما عمره بغير أجر. وسمع منه كتب الحديث، والغريب، وحمل عنه جملة من المشائخ، والنبلاء؛ لعلو سنده، ومعرفته))<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> القاضي عياض اليماني؛ الغنية، ص: 127.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد النفزي المرسى (ت: سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض.

— ثم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسى (توفي بقرطبة سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب.

— ثم أبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسى (ت: سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه؛ ألف كتاب التفتل في العبادات.

— ثم أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ فقيه من أهل الصلاح.

— ثم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي المعروف بابن بركة (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه، ومحدث، وحافظ للمسائل؛ من القادرين على الفتوى؛ ولي في بلده شاطبة خطة الشورى، وترأسها.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي البيزاني الداني (ت: سنة

564هـ/1168م)؛ من الملمين بالقراءات، وتصدر للإقراء عملاً، وتدريساً؛ وكان من المحققين في القراءات، ومن الجودين الضابطين؛ وله مشاركة في الآداب، والأخبار.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مطرف بن أبي سهل بن ياسين النفزي الشاطبي (ت: سنة 590هـ/1193م)؛ وهو من الفقهاء، والأدباء، وله إلمام بقرض الشعر.

— ثم دحمان بن مالك بن عثمان النفزي الترجيلي؛ من العلماء، والزهاد.

— ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي المعروف بابن اللأيه؛ تصدر للإقراء في بلده شاطبة؛ قال فيه ابن الأبار ((وكان من أهل الدين، والفضل، والمعرفة بالقراءات))<sup>1</sup>.

— ثم أبو الحسن علي بن محمد بن خنسوس النفزي؛ فقيه ومؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة؛ كان عارفاً بالأوقات، مدركاً للأحكام الفقهية، عدلاً.

---

<sup>1</sup> التكملة، ج: 1، ص: 450.

— ثم أبو جعفر أحمد بن محمد بن علي  
ابن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي  
المعروف بابن الأليّه؛ من الملمين بالقراءات؛  
قال عنه ابن الأبار: ((وكان متقدما في  
صناعته؛ معروفا بالضبط، والتجويد. كان أبوه  
أيضا كذلك))<sup>2</sup>.

— ثم أبو عمر أحمد بن هارون بن أحمد  
ابن جعفر بن عات النفزي الشاطبي (فقد في  
ساحة الجهاد بوقعة العقاب ولم يظهر منذ  
عام 609هـ/1212م)؛ قال عنه ابن الأبار:  
((وكان أحد الحفاظ للحديث، يسرد المتون،  
والأسانيد ظاهرا؛ لا يخل بحفظ شئ منها.  
موصوف الدراية، والرواية؛ غالبا عليه الورع،  
والزهد؛ على منهاج السلف؛ يأكل الجشيب،  
ويلبس الخشن؛ وربما أذن في المساجد؛ وله  
تأليف دالة على سعة حفظه؛ مع النظم،  
والنثر))<sup>1</sup>. له برنامجان؛ عنوان أحدهما: الترهة في  
التعريف بشيوخ الوجهة؛ وهو كتاب جامع،  
وقيم؛ أما الثاني فهو بعنوان: ریحانة التنفس  
وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس.

---

<sup>2</sup> التكملة، ج: 1، ص: 75.

<sup>1</sup> نفسه، ص: 101.



— ثم أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي (كان حيا سنة 613هـ)؛ فقيه، من الحفاظ؛ رحل إلى بغداد، ثم شيراز؛ حيث أقام بها.

— ثم أبو الحسن علي بن علي بن أحمد ابن سليمان النفزي الإسْطَبي (ت: سنة 616هـ/1219م)؛ فقيه؛ من الملمين بمذهب مالك؛ يحسن الاستنباط في النوازل.

— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله النفزي الشاطبي المعروف بابن قُجُوج (ت: سنة 616هـ/1219م)؛ فقيه، حافظ للمسائل، وللرأي، من أهل الثقة، والعدل.

— ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد النفزي الجياني؛ فقيه، ومحدث، وقاضي.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي؛ من رجال القراءات.

— ثم أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ من المقرئين بالسبع.

— ثم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن

إبراهيم بن خليل النفزي التاكري (توفي  
بديار بكر سنة 629هـ/1231م)؛ أديب؛ له شعر  
حسن؛ منه:

إِنْ أودَعَ الطُّرسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ  
أَبْدَى لِعَيْنَيْكَ أَزْهَاراً وَأَشْجَاراً  
وَإِنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أَوْ يَعِدُ كَرَمًا  
بَثَّ الْبَرِّيَّةَ آجَالاً وَأَعْمَاراً

ويقول أيضا:

أَوْصَيْتُ قَلْبِي أَنْ يَفِرَّ عَنِ الصَّبَا  
ظَنًّا بِأَنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعًا  
فَأَجَابَنِي لَا تَخْشَ مِنِّي بَعْدَ مَا  
أَفَلْتِ مِنْ شَرِّكَ الْغَرَامِ وَقُوعَا  
حَتَّى إِذَا نَادَى الْحَيِّبُ رَأَيْتُهُ  
آوَى إِلَيْهِ مُلِيًّا وَمُطِيعَا  
كَذْبَالَةٍ أَحْمَدَتْهَا فَإِذَا دَنَا  
مِنْهَا الضَّرَامُ تَعَلَّقَتْهُ سَرِيعَا

— ثم أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن  
عبيد الله النفزي الشاطبي المعروف بابن  
قُبُوج (توفي ببجاية سنة 642هـ/1244م)؛ وهو  
من الفقهاء، والمحدثين، والحفاظ؛ له مشاركة في  
الآداب، وله في شبابه أشعار جيدة؛ ثم تنزه

عن نظمه؛ مال في الأخير إلى الاعتزال، والزهد، والعبادة.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي الغرناطي (ولد ببيان سنة 562هـ/1166م)؛ فقيه، حافظ، ومن الملمين بعلوم: اللغة، والنحو، وفنون: الأدب، والشعر؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: كتاب مواهب العقول وحقائق النقول، وكتاب الغيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة، وكتاب الجمع، وكتاب الرحلة المتنوعة، وكتاب الوسائل في الفقه والمسائل؛ ومن هذه المصنفات ما هو في باب التصوف، وغيره؛ كما أن له أشعارا حسنة. ذكره ابن الخطيب بقوله: ((خاتمة الرجال بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات... وكان فقيها حافظا، ذا كرا للغة والأدب، نحويًا ماهرًا، درس ذلك كله أول أمره؛ كريم الأخلاق؛ غلب عليه التصوف فشهر به... له أشعار في التصوف بارعة))<sup>1</sup>. من ذلك قوله:

---

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 1، ص ص: 367 — 369.

يَضِيقُ عَلَيَّ مِنْ وَجْدِي الْفَضَاءُ  
وَيُقْلِقُنِي مِنَ النَّاسِ الْعَنَاءُ  
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ  
أَبَتْ نَفْسِي تُحِيطُ بِهَا السَّمَاءُ  
رَأَيْنَا الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ أَعْلَا  
فَوَالَيْنَاهُمَا حَرَمَ الْوَلَاءِ  
فَأَيْنَ الْأَيْنُ مِنَّا أَوْ زَمَانُ  
بَحِثْ لَنَا عَلَى الْكُلِّ اسْتِوَاءُ  
شَهِدْنَا لِلَّهِ بِكُلِّ حُكْمٍ  
فَعَابَ الْقَلْبُ وَأَنْكَشَفَ الْغِطَاءُ  
وَيَدْعُونِي إِلَهُ إِلَيْهِ حَقًّا  
فَيُؤْنِسُنِي مِنَ الْخَوْفِ الرَّجَاءُ  
وَيُقْبِضُنِي وَيُسِطُنِي وَيَقْضِي  
بِتَفْرِيقِي وَجَمْعِي مَا يَشَاءُ  
وَيَعِي فِي وُجُودِ الْخَلْقِ نَحْوًا  
يُنَعْتُ مَنْ تَوَلَّاهُ الْفَنَاءُ  
فَكَمْ أَخْفِي وَجُودِي وَقْتَ فَقْدِي  
كَأَنَّ الْفَقْدَ وَالْإِحْيَا سَوَاءُ  
فَسُكْرٌ ثُمَّ صَحْوٌ ثُمَّ سُكْرٌ  
كَذَاكَ الدَّهْرُ لَيْسَ لَهُ انْقِضَاءُ

فَوَصَّفِي حَالٍ مِنْ وَصْفِي وَلَكِنْ  
ظُهُورُ الْحَقِّ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ  
إِذَا شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ تَوَلَّتْ  
نُجُومُ اللَّيْلِ لَيْسَ لَهَا انْجِلَاءُ

ومن شعره الذي نال شهرة كبيرة:  
يَا مَنْ أَنَامِلُهُ كَالْمُزْنِ هَامِيَةٌ  
وَجُودُ كَفِّهِ أَجْرَى مَنْ مَجَارِيهَا  
سَفِينَةُ الْفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا وَقَفَتْ  
فَأَمَّنْ عَلَيَّ بَرِيحٌ مِنْكَ تَجْرِهَا  
بِحَقِّ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ  
أَنْظُرُ إِلَى رُقْعَتِي وَأَفْهَمُ مَعَانِيهَا  
إِنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ بِلَا سَبَبٍ  
سِوَى حُرُوفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَتْلُوهَا  
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ  
وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

— ثم أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر  
الورياغلي المعروف بالأعرج؛ وورياغل فخذ من  
نفزة؛ (توفي بفاس سنة 683هـ/1284م)؛ فقيه  
ألف التعليقات على المدونة؛ سماها: الطرر.  
— ثم أبو الطيب صالح بن يزيد بن صالح  
ابن موسى بن أبي القاسم بن علي بن

شريف النفزي الرندي (ت: سنة 684هـ/1285م)؛  
فقيه، وأديب، وشاعر مجيد؛ في أغراض: الغزل،  
والمدح، والزهد؛ له إلمام بالحساب، والفرائض؛  
وله فيهما بعض المنظومات؛ ومما كتبه عنه  
ابن الخطيب؛ عن آخرين؛ أنه: ((كان خاتمة  
الأدباء بالأندلس؛ بارع التصرف في منظوم  
الكلام، ومنشوره؛ فقيها، حافظا، فريضا، متفنا  
في معارف شتى))<sup>1</sup>. له مؤلفات؛ منها: جزء في  
حديث جبريل، وكتاب في الفرائض، وكتاب في  
العروض، وكتاب في صنعة الشعر بعنوان: الوافي  
في نظم القوافي، وكتاب كبير في تاريخ الأدب  
بعنوان: روضة الأنس ونزهة النفس؛ ومما قاله  
في أشعاره:

بَرَزْتُ مِنَ الْحَمَامِ تَمَسِّحُ وَجْهَهَا  
عَنْ مِثْلِ مَاءِ الْوَرْدِ بِالْعُنَابِ  
وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا  
كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غَرَابِ  
فَكَانَتْهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى  
طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابِ

---

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 3، ص: 360.

ومن مطولاته التي أجاد فيها:  
وَعَانِيَةَ يُغْنِي عَنِ الْعُودِ صَوْتُهَا  
وَجَارِيَةَ تَسْقِي وَسَاقِيَةَ تَجْرِي  
بِحَيْثُ يَجْرُ النَّهْرُ ذَيْلَ مَجَرَّةٍ  
يُرْفُ عَلَى حَافَاتِهَا الزَّهْرُ كَالزَّهْرِ  
وَقَدْ هَزَّتِ الْأَرْوَاحُ خِصْرَ كَتَائِبِ  
بِأَلْوِيَةِ بِيضٍ عَلَى أَسَلٍ سُمِرِ  
رَمَى قُرْحُ نَبَلٍ إِلَيْهَا فَجُرِّدَتْ  
سُيُوفٌ سَوَاقِيَهَا عَلَى دَارِعِ النَّهْرِ

ويصف رمانة بقوله:  
لِلَّهِ رُمَانَةٌ قَدْ رَاقَ مَنَظَرُهَا  
فَمِثْلُهَا بِيَدَيْعِ الْحُسْنِ مَنَعُوتِ  
الْقِشْرِ حَقٌّ لَهَا قَدْ ضَمَّ دَاخِلُهُ  
وَالشَّحْمُ قُطْنٌ وَالْحَبُّ يَاقُوتِ  
أَنْظُرْ إِلَى جَذْرِ فِي اللَّوْنِ مُخْتَلِفِ  
الْبَعْضُ مِنْ سَجٍّ وَالْبَعْضُ مِنْ ذَهَبِ

ويصف القلم بقوله:  
وَأَصْفَرُ كَالصَّبِّ فِي رَوْنَقِ  
تَظُنُّ بِهِ الْحَبُّ مِمَّنْ نَحَلِ

بَدِيعُ الصِّفَاتِ حَدِيدُ السَّيِّاتِ  
يَطُولُ الرَّمَّاحَ وَإِنْ لَمْ يَطُلْ  
يُعْبَرُ عَمَّا وَرَاءَ الضَّمِيرِ  
وَيَفْعَلُ فِعْلَ الظُّبَا وَالذُّبُلِ

ويقول في وصف البحر:  
الْبَحْرُ أَعْظَمُ مِمَّا أَنْتَ تَحْسِبُهُ  
مَنْ لَمْ يَرَ الْبَحْرَ يَوْمًا مَا رَأَى عَجَبًا  
طَامَ لَهُ حَبِّ طَافٍ عَلَى زَوْرَقٍ  
مِثْلُ السَّمَاءِ إِذَا مَا مُلِئَتْ شُهُبًا

وفي وصف النهر يقول:  
وَأَزْرَقَ مَحْفُوفٌ بَزَهْرٍ كَأَنَّهُ  
نُجُومٌ بِأَكْنَافِ الْمَجَرَّةِ تَزْهَرُ  
يَسِيلُ عَلَى مِثْلِ الْجُمَانِ مُسَلْسَلًا  
كَمَا سُلَّ عَنْ غِمْدٍ حُسَامٌ مُجَوَّهَرُ  
وَقَدْ صَافَحَ الْأُدُوحَ مِنْ صَفَحَاتِهِ  
حَتَّى حُبَابٍ بِالنَّسِيمِ مُكْسَرُ  
فَمَا كَانَ فِي عَطْفِ الْخَلِيجِ قُلَامَةً  
وَمَا كَانَ فِي وَجْهِ الْعَدِيرِ فَمُغْفَرُ

ويقول في العقل والغربة:  
مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَآثَارَهُ  
لَوْ لَازَمَ الْإِنْسَانَ إِثَارَهُ



يَصُونُ بِالْعَقْلِ الْفَتَى نَفْسَهُ  
كَمَا يَصُونُ الْحُرُّ أَسْرَارَهُ  
لَا سِيِّمًا إِنْ كَانَ فِي غُرْبَةٍ  
يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفُ مِقْدَارَهُ

وَيَصِفُ الْجِيْشَ بِقَوْلِهِ:  
وَكَتَيْبَةٍ بِالْدَّارِ عَيْنَ كَثِيفَةٍ  
جَرَّتْ ذُبُولَ الْجَحْفَلِ الْجَرَارِ  
رَوْضُ الْمَنَايَا بَيْنَهَا الْقَضْبُ الَّتِي  
زُفَّتْ بِهَا الرَّاياتُ كَالْأَزْهَارِ  
فِيهَا الْكُفَاةُ بَنُو الْكُفَاةِ كَأَنَّهُمْ  
أَسَدُ الشَّرَى بَيْنَ الْقَنَا الْخَطَارِ  
مُتَهَلِّلِينَ لَدَى الْإِلْقَاءِ كَأَنَّهُمْ  
خُلِقَتْ وَجُوهُهُمْ مِنَ الْأَقْمَارِ  
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْقِ خَاطِفٍ  
بِيَمِينِهِ قَدْرٌ مِنَ الْأَقْدَارِ

— ثم أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم بن  
يحيى بن وداعة النفزي الرندي (ت: سنة  
738هـ/1337م)؛ كان من رجال الدين ذوي الفضل؛  
قام بتصنيف كتاب لم يسبقه إليه أحد؛ إذ  
جمع فيه أربعين حديثاً عن أربعين امرأة من

الصحابة، وله كتاب آخر سماه: الضاحي في حكم الأضاحي.

— ثم أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي (توفي بمصر سنة 745هـ/1344م)؛ فقيه، ومن أئمة النحو، واللغة العربية؛ وصفه ابن الخطيب بقوله: ((كان نسيج وحده في ثقبوب الذهن، وصحة الإدراك، واحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير، وطريق الرواية؛ إمام النحاة في زمانه غير مدافع؛ نشأ ببلده غرناطة؛ مشارا إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. نالته بُبُوَّةٌ لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر؛ فنال ما شاء من عز، وشهرة، وتأثُّل، وبر، وحُظُوَّة؛ وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ، وعدة... شاعرا مُكثِّرا))<sup>1</sup>. وله مؤلفات كثيرة؛ منها: البحر المحيط؛ وهو في تفسير القرآن الكريم؛ جزأه إلى ثماني مجلدات، ولآلئ النهر المستخرجة من البحر؛ وبه اختصر البحر المحيط، والوهاج على مذهب الشافعي، وتحفة الأريب؛ في غريب القرآن، والأنوار الأجلى في

---

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 3، ص: 43.

اختصار المحلى؛ على مذهب أبي داود، والتكميل في شرح التسهيل، ومنهج السالك على ألفية ابن مالك؛ لم يتم، والإدراك للسان الأتراك؛ وهو في قواعد ونحو الترك، والإسفار الملخص في شرح سيويه للصفار، والمبدع في التصريف، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وعقود اللآلي في القراءات السبع العوالي، والمورد العَمر في قراءة أبي عمرو، والأثير في قراءة ابن كثير، وغاية المطلب في قراءة أبي يعقوب، والحلل الحالية في الأسانيد العالية، والأمال في شرح القالي، وكتاب النكت الحسان، في شرح غاية الإحسان، وكتاب الشذا في مسألة كذا، وارتشاف الضَّرَب في معرفة كلام العرب، واختصار بداية المجتهد، وتقريب التقريب والتدريب، والتنخيل في شرح التسهيل، ورشح النفع في القراءات السبع واللمحة البدرية في علم العربية؛ قام بشرحها ابن هشام، وديوان شعر في ثلاث مجلدات، وكتاب في التاريخ؛ ومن شعره الطويل، والقصير؛ وفيه جودة؛ فمن مطولاته:

لَا تَعْدِلَاهُ فَمَا ذُو الْحُبِّ مَعْدُولُ  
العَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَتْبُولُ  
هَزَّتْ لَهُ أَسْمَرًا مِنْ خُوطٍ قَامَتْهَا  
فَمَا انْثَنَى لِلصَّبِّ إِلَّا وَهُوَ مَقْتُولُ  
جَمِيلَةَ فَصَّلَ الْحُسْنَ الْبَدِيعُ لَهَا  
فَكَمْ لَهَا جَمَلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ  
فَالنَّحْرُ مَرْمَرُهُ وَالنَّشْرُ عَنَبُهُ  
وَالثَّغَرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيقُ مَعْسُولُ  
وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالْعَرْفُ ذُو أَرْجٍ  
وَالْخَصْرُ مُخْتَطَفٌ وَالْعُنُقُ مَجْدُولُ

ويقول في منظومة طويلة تدعوا إلى العلم،  
والنحو منه بالخصوص:

هُوَ الْعِلْمُ لَا كَالْعِلْمِ شَيْءٌ تُرَاوِدُهُ  
لَقَدْ فَازَ بَاغِيهِ وَأُنْجَحَ قَاصِدُهُ  
وَمَا فَضَّلَ الْإِنْسَانُ إِلَّا بَعْلِمِهِ  
وَمَا امْتَأَزَ إِلَّا ثَاقِبُ الذِّهْنِ وَاقِدُهُ  
وَقَدْ قَصُرَتْ أَعْمَارُنَا وَعُلُومُنَا  
يَطُولُ عَلَيْنَا حَصْرُهَا وَنُكَابِدُهُ  
وَفِي كُلِّهَا خَيْرٌ وَلَكِنْ أَصْلَهَا  
هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْ مِنْ جَهُولٍ يُعَانِدُهُ  
بِهِ يُعْرِفُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الَّتِي هُمَا  
أَصْلُ ذَا الدِّينِ الَّذِي أَنْتَ عَابِدُهُ

إلى أن يقول:

وَالآنَ فَلَا شَخْصٌ عَلَى الْأَرْضِ قَارِئٌ  
كِتَابَ أَبِي بَشِيرٍ وَلَا هُوَ رَايْدُهُ  
سِوَى مَعْشَرٍ بِالْعَرَبِ فِيهِمْ تَلَفَتْ  
إِلَيْهِ وَشَوْقٌ لَيْسَ يَخْبُو مَوَاقِدُهُ  
وَمَا زَالَ مِنْ أَهْلِ أُنْدُلُسٍ لَهُ  
جَهَابٌ بُدِي فَضْلُهُ وَتُنَاجِدُهُ  
وَإِنِّي فِي مِصْرَ عَلَى ضَعْفٍ نَاصِرِي  
لَنَاصِرِهِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَعَاضِدُهُ

ثم يقول:

مُنِينًا بِقَوْمٍ صُدُّوا فِي مَجَالِسِ  
لِقَرَاءِ عِلْمٍ ضَلَّ عَنْهُمْ مَرَاشِدُهُ  
لَقَدْ أَخَّرَ التَّصْدِيرُ عَنْ مُسْتَحَقِّهِ  
وَقُدِّمَ غَمْرٌ خَامِدُ الذَّهْنِ جَامِدُهُ

ثم يقول:

أَقْمْنَا بِمِصْرَ عِشْرِينَ حِجَّةً يُشَاهِدُنَا  
ذُو أَمْرِهِمْ وَنُشَاهِدُهُ

فَلَمَّا نَلَّ مِنْهُمْ مَدَى الدَّهْرِ طَايِلًا  
وَلَمَّا نَجِدَ فِيهِمْ صَدِيقًا نُوَادِدُهُ

ويقول في النسيب:

كَتَمَ اللِّسَانُ وَمَدَمَعِي قَدْ بَا حَا  
وَتَوَى الْأَسَى عِنْدِي وَأَسَى رَا حَا  
إِنِّي أَحِبُّ طَيِّ مَا نَشَرَ الْهَوَى  
نَشْرًا وَمَا زَالَ الْهَوَى إِفْصَا حَا  
وَمُهِجَتِي مَنْ لَا أَصْرَحُ بِاسْمِهِ  
وَمِنَ الْإِشَارَةِ مَا يَكُونُ صُرَا حَا  
رِيمٌ أَرُومٌ حُنُوٌّ وَجُنُوحُهُ  
وَيَرُومٌ عَنِّي جَفْوَةٌ وَجِمَا حَا  
أَبْدَى لَنَا مِنْ شَعْرِهِ وَجِينِهِ  
ضِدَّيْنِ ذَا لَيْلًا وَذَاكَ صَبَا حَا

وقال في أغراض أخرى:

أَزَحْتُ نَفْسِي مِنَ الْإِيْنَسِ بِالنَّاسِ  
لَمَّا غَنَيْتُ عَنْ الْأَكْيَاسِ بِالْيَاسِ  
وَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ وَحْدِي لَا أَرَى أَحَدًا  
بَنَاتُ فِكْرِي وَكُتُبِي هُنَّ جُلَاسِي

ومنها أيضا:

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي الْمَالِ أَنَّهُ إِذَا  
مَا انْتَهَى عِنْدَ الْفَتَى فَارَقَ الْعُمْرَا  
فَلَا رُوحَهُ يَوْمًا أَرَا حَ مِنَ الْعَنَا  
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْدًا وَلَمْ يَدَّخِرْ أَجْرًا

ومنها أيضا:

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ  
فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا  
هُمْ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا  
وَهُمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

ومنها أيضا:

نُعِيدُ وَدَّ قَرِيبٍ ضَلَّ  
كَبِيرُ عَتَبٍ قَلِيلُ عَتَبَا  
كَالشَّمْسِ ظَرْفًا كَالْمِسْكِ عَرْفًا  
كَالْخَشْفِ طَرْفًا كَالصَّخْرِ قَلْبَا

— ثم أحمد بن محمد النفزي الرندي المعروف  
بالسراج (ت: سنة 759هـ/1357م)؛ مقرر.

— ثم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن  
عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن يحيى  
ابن عباد الرندي (ت: سنة: 792هـ/1389م)؛ فقيه،

وواعظ، وصوفي؛ ذكره المقرئ ضمن ما نقل عن ترجمة له من طرف أبي زكرياء السراج: ((نشأ ببلده رندة... وحفظ القرآن ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية، والأدبية، والأصولية، والفرعية؛ حتى رأس فيها، وحصل معانيها. ثم أخذ في طريق الصوفية، والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه. وتكلم في علوم الأحوال، والمقامات، والعلل، والآفات؛ وألف فيه تواليف عجيبة، وتصانيف بديعة غريبة. وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم؛ نحو مجلدين... وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر... وله كلام عجيب في التصوف وصنف فيه... وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب؛ مشهورة بأيدي الناس، ويقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف؛ بين أيدي السلطان تبركا بها؛ وكذا يقرؤونها في المجتمعات، والمواسم؛ كأول رجب، وشعبان؛ ونصفهما، والسابع والعشرين منهما؛ كرمضان<sup>1</sup>). ومن مؤلفاته: الرسائل الكبرى، والصغرى، وشرح الحكم، ونظمها في أرجوزة

---

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 5، ص ص: 341 — 350.



من ثمانمائة بيت. وقال عنه ابن الخطيب:  
((وشعره حسن يدل على طبع معين))؛ منه:

سُرِّيُّ يُسِرُّ إِلَيَّ أَنَّكَ تَارِكِي  
نَفْسِي الْفِدَا لِلْطَّفِكَ الْمُتَدَارِكِ  
يَا مَالِكِي وَلِي الْفَخَارُ بَأْنِي  
لَكَ فِي الْهَوَى مِلْكٌ وَأَنْتَ مَالِكِ  
التَّرْكُ هَلْكَ فَاغْفِنِي مِنْهُ وَعِدْ  
بِالْوَصْلِ تُحْيِي ذِمًّا مُحِبًّا هَالِكِ  
وَأَعِدْ جَمِيلًا فِي الْهَوَى عَوَّدَتْنِي  
إِنْ لَمْ تُعِدْهُ إِلَيَّ مَنْ لِلْهَالِكِ  
يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ  
فُتِنَ الْوَرَى مِنْ فَاتِكِ أَوْ نَاسِكِ  
أَتَيْهِ دُونَكَ أَوْ أَحَارُ وَفِي سَنَى  
ذَاكَ الْجَمَالَ جَلًّا الظَّلَامِ الْحَالِكِ  
وَلَكُمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ  
تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ

ويقول أيضا:

يَا لِلرَّجَالِ أَلَا حَبُّ يُسَاعِدُنِي  
فِي ذَا الْعَرَامِ فَأَبْكِيهِ وَيُيَكِّنِ

غُلِبْتُ فِيهِ وَمَا أَجَدْتُ مُغَالَبَتِي  
وَهَنْتُ وَالصَّبُّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْهُوْنِ  
رَكِبْتُ لُجَّتَهُ وَحَدِي فَأُدْهَشَنِي  
وَمِتُّ فِي يَدِهِ فَرْدًا فَذُلُونِ  
وَاضِيعَةَ الْعُمَرِ وَالْبَلَوَى مُضَاعَفَةً  
مَا بَيْنَ يَأْسٍ وَآمَالٍ تُرَجِّينِ  
وَالْهَفَ نَفْسِي إِنْ أَوْدَتْ وَمَا ظَفِرْتُ  
فِي ذَا الْهُوَى بِتَمَنٍّ أَوْ بِتَأْمِينِ  
فَلَيْتَ شِعْرِي وَعُمْرِي يَنْقُضِي طَمَعًا  
فِي ذَا الْهُوَى بَيْنَ مَغْلُوبٍ وَمَغْبُورِ

وكتب إلى أحد الحكام:  
تَرَكْتُ لَكُمْ عِزَّ الْغِنَى فَأَيُّتُّمُ  
وَأَنْ تَتْرُكُونِي لِلْمَذَلَّةِ وَالْفَقْرِ  
وَنَازَعْتُمُونِي فِي الْخُمُولِ وَإِنَّهُ  
لِذِي مُهْجَتِي أَحْلَى مِنَ الْبَنَى وَالْأَمْرِ

— ثم أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن محمد  
السراج النفزي الرندي (ت: سنة 805هـ/1402م)؛  
وهو فقيه صوفي، وراوي، من أهل الحديث؛  
وله فهرسة.

— ثم عبد العزيز بن موسى الورياغلي  
النفزي (توفي بفاس سنة 880هـ/1475م)؛ فقيه،  
وخطيب القرويين.

— ثم أبو الحسن علي الورياغلي النفزي (ت:  
سنة 962هـ/1554م)؛ فقيه مالكي.

\*\*\*

— مواطنهم: تتواجد مواطن نفزاوة عبر بلاد  
المغرب كلها. أما جمهورهم فكان بجبل أوراس،  
 وإفريقية. مثل: تلك القرى المعروفة بهم في  
قسطيلة، وبقاياهم في نواحي القيروان، والشريط  
الساحلي لقريّة بطوية، وسهول بونة؛ التي بها  
أحياء من ولهاصة؛ رئاستهم في بني عريف.  
ويتواجد آخرون من نفزاوة بساحل برشك،  
وساحل بادس.

É É É

(2) — لواتة:

وهم أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر  
ابن زحيك. فلوا الأصغر، ونفزاو؛ أخوان.  
يقول ابن خلدون: ((ولوا اسم أبيهم؛ والبربر

إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف، والتاء؛  
فصار لوات. فلما عربته العرب؛ حملوه على  
الإفراد، وألقوا به هاء الجمع<sup>1</sup>). وللوا عدد  
من الأولاد أشهرهم: زاير، وفاصلة أو (ماصلت)،  
وكتوفت، ونيطط. وقد تشعبت أفخاذهم  
جميعا، وتفرقت في الأقطار. وسنكتفي في هذا  
المجال ببعضهم؛ ومن الذين اشتهروا: فاصلة أو  
(ماصلت) فتفرع عنه: أكورة، وجرمانة،  
وعروزة أو (عزوزة)، ثم مغانة. ثم فزاير؛  
ومنه مُزاتة؛ التي تفرع عنها عدد كبير من  
الأحياء؛ أهمها: بلايان، وحمرة، ودكمة، وقرنة،  
ومُجيجة، ومُدَوَّنة؛ وتقع أرض مُزاتة جنوب  
شرقي سطيف؛ وتوجد منهم فئة في إقليم  
الجريد؛ إذ وصل تعدادهم فيه - حسب قول  
الدرجيني - إلى اثني عشر ألف فارس خلا  
الرجالة. أما نيطط؛ فمنهم سدراتة؛ التي  
تنسب إليها المدينة المتواجدة بقرب ورجلاء،  
والمدينة المتواجدة في الشرق الجزائري؛ على  
الحدود التونسية.

وفي عهد الدولة الحفصية برز من بطونهم:  
بنو باديس، وبنو زنجان، وبنو سعادة. وتقول

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 235.

المصادر التاريخية عن لواتة؛ أنه كان منهم من اختار حياة الرحلة؛ طلبا للنجعة في جهات برقة. وكانت للواتة مواقف منحازة لأبي يزيد؛ خلال ثورته على الفاطميين؛ نظرا لانتمائهم للمذهب الخارجي. وقد تذبذب منهم بعض الأحياء في ولائهم للدولة؛ فكانوا أحيانا في خدمتها (فتستعين بهم - خاصة - في جمع المغارم من القبائل المختلفة)؛ وأحيانا أخرى يتحولون إلى قبائل متمردة؛ ثائرة. وحينما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة، واستفحل أمر قبائل بني هلال، وسليم؛ أضحت أحياء من لواتة عرضة لابتزازهم، وضغوطهم؛ وبذلك اندرجوا ضمن القبائل الغارمة<sup>1</sup>.

## ! ! !

— أعيانهم: أنجبت بلاد المغرب الإسلامي رجالا نسبوا إلى لواتة؛ خلفوا ذكرا حميدا، وسمعة مشرفة. غير أن أصول بعضهم يكتنفها شيء من الغموض؛ إذ لا نعرف إن كانوا ينتسبون إلى قبيلة لواتة؛ أم حملوا هذه التسمية نسبة إلى الموضع

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 235 — 238.

المسمى باسم القبيلة؛ سواء كان ذلك ببلاد المغرب أم في الأندلس؛ التي بها أماكن سميت باسم قبائل أمازيغية؛ كانت تسكنها بكثافة. ومع هذا سنعتبر كل من نُسب إلى لواتة؛ عضوا من تلك القبيلة؛ لأننا نؤمن بأن ((النسب القبلي أمر وهمي؛ لا حقيقة له))؛ كما يقول ابن خلدون. ونظرا لكون هدفنا الأساسي هو إبراز دور أبناء المغرب الإسلامي في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي؛ وليست غايتنا هي القبيلة في حد ذاتها؛ وما إتباعنا هذه المنهجية - التي تضعهم في إطار قبلي - إلا وسيلة إيضاح؛ تسمح بتصوير دقيق للمحيط الذي احتضن علماء المغرب؛ ومفكريه؛ كما تسمح هذه المنهجية - أيضا - بإجلاء الحركة الثقافية؛ في الأوساط القبلية بهذه الديار؛ وهذا بالطبع يسوقنا إلى الاستناد إلى القول المأثور: ((النسب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر)). وعليه فمن الذين نسبوا إلى لواتة من العلماء:

- لواب بن سلام بن عمر اللواتي (كان حيا سنة 260هـ/873م)؛ وهو من العلماء الإباضيين؛ ومن مؤلفاته: رسالة عن نشأة

الإباضية، ودخولهم إلى المغرب؛ وهي وثيقة تاريخية لم يسبقه إليها أحد.

— ثم أبد الله السكاك القنطري (القنطري) اللواتي؛ وهو رأس فرقة من الإباضية؛ ولكنها خرجت عن جماعتهم؛ إذ اتبعوا مذهباً أنكره عليهم جمهور الإباضية. وقد ذكرهم الدرجيني في طبقاته بقوله: ((أن السكاك يعرف بأبد الله اللواتي النسب، قنطري المسكن؛ وكان له أب من أهل الصلاح؛ فبلغنا أن أباه توجه إلى الحج قبل أن يولد له أجد الله؛ فلما كان في بعض الطريق رأى في منامه أن قد ولد له شيطان... ويقال سبع مسائل خالف فيها جميع أهل الحق: 1— أبطل السنة، ورأي المسلمين؛ قال... إن الله قد أغنى عنهما... بكتابه العزيز، ...2— قوله إن الصلاة جماعة بدعة، 3— قوله إن الأذان بدعة؛ فإذا سمع هو وأصحابه الأذان قالوا: هيق الحمارة، 4— إن الصلاة عندهم لا تجوز بما لا يعرف معناه، وتفسيره من القرآن، 5— قوله إن بقول الجنات؛ مما ينبت في سماء بني آدم؛ كل ذلك نجس؛ بنجاسة ما نبت عليه، 6— إن الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل، 7— إن بول الدواب

في الأندر حين درسها إياه نجس؛ فلا يظهر ما بالت عليه إلا بالغسل. وجدت عن أبي يعقوب يوسف بن نفاث رحمه الله قال: أدركنا بقية أصحاب أبد الله السكاك؛ إذا قرب وقت الصلاة خرجوا؛ متجنبين عن الناس إلى مفاحص قد هيئوها لأنفسهم؛ فيصلون فيها فرادى. وعنه؛ أدرك جماعة الشيوخ بقسطيلية؛ يصلون على جميع موتى أهل القبلة؛ كلهم؛ من المخالفين، وغيرهم؛ إلا أصحاب السكاك؛ فإنهم من مات منهم؛ جعلوا في رجليه مرابط، وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه. وكان مشائخ السلف تتقارب أقوالهم في السكاك وأصحابه، وتتفاوت؛ فقائل: بشركهم، وقائل بنفاقهم؛ وهذا المذهب قد فني أصحابه؛ فلم تبق لهم بقية<sup>1</sup>.

— ثم أحمد بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

---

<sup>1</sup> ج: 1، ص ص: 118 — 119.



— ثم أخوه أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسى (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن حسين ابن علي اللواتي الفاسي عرف بابن تامتيت؛ فقيه، ومحدث.

— ثم أبو عبد الله محمد بن مخلوف بن جابر اللواتي البنسي؛ نحوي، ومن العارفين بالعربية، وعلومها، وآدابها؛ كما يمتاز بقرض الشعر.

— ثم أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك ابن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي (توفي بطنجة سنة 491هـ/1097م)؛ فقيه، ومقرئ، وشاعر؛ فهو عالم المغرب، وشيخه في وقته؛ كان ملما بعلوم الفقه، والأدب؛ واللغة؛ فصيح اللسان؛ يميل في حديثه وشعره إلى التقيير، والتمسك بالإعراب؛ مع الخاصة، أو العامة؛ قال عنه الشيخ عياض: ((فلا يكاد يؤخذ عليه لحن))<sup>1</sup>. وولي في عهد المرابطين الصلاة، والخطبة، والإفتاء، والأحكام بمدينة طنجة؛ ومن قبلها ولي أيضا الإفتاء، والصلاة والخطبة بسبتة. وأسرة

---

<sup>1</sup> الغنية، ص: 258.

سمجون هذه أنجبت عددا من العلماء؛ عرفوا باسم سمجون الطنجي؛ نسبة إلى مدينتهم؛ سيتأتي الإشارة إليهم تباعا؛ كل في موضع ترتيبه.

— ثم أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي يعرف بابن البيان (توفي بمرسية سنة 496هـ/1102م)؛ كان من المقرئين.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي؛ المعروف بابن الفاسي (توفي بسنة سنة 513هـ/1119م)؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ الذي قال عنه في الغنية: ((كان من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة بالوثائق، والبصر بالأحكام، والتفنن في معارف... وكتب للقضاة بسبته، وشوور في الأحكام؛ ثم قعد عن ذلك، وانقبض عن الناس، واشتغل بنفسه، وطلب الانفراد، والتقلل، والزهد في الدنيا. وقد طلب لقضاء سبته، وولاية خطبتها؛ فامتنع، ولم يجب... صحبته كثيرا، وقرأت عليه غير شيء))<sup>2</sup>.

---

<sup>2</sup> الغنية ، ص ص: 186 — 187.

— ثم أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي (توفي بتلمسان سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء تلمسان.

— ثم أبو محمد عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي (توفي بالمريّة سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء غرناطة، والمريّة؛ فترك أثرا حميدا بين الناس.

— ثم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي (توفي بغرناطة سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه، فاضل، ولي قضاء تلمسان بعد عمه؛ قبل أن ينتقل إلى غرناطة.

— ثم أبو محمد عبد الودود بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه؛ من الرواة.

— ثم أبو القاسم أحمد بن عبد الودود بن عبد الرحمن بن سمجون الطنجي؛ فقيه، وولي القضاء.

— ثم أبو علي الحسن بن مكى اللواتي؛  
فقيهه، وراوية.

— ثم أبو الحسن علي بن جابر بن فتح  
الأنصاري اللواتي الغرناطي؛ من المتكلمين  
الأصوليين.

— ثم أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن  
اللواتي؛ فقيهه من الزهاد الصالحين.

— ثم أبو الحسن علي بن الحسين بن علي  
ابن الحسين اللواتي الفاسي (توفي بفاس سنة  
573هـ/1177م)؛ قل عنه ابن الزبير: ((كان عالما  
بالفرائض، والعقود؛ ومن حفاظ المسائل؛ ممن  
تدور عليه الفتوى)).

— ثم علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن  
علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي  
(توفي بالْمَنَكَب سنة 599هـ/1202م)؛ فقيهه؛ من  
أهل المعرفة، والعلم؛ قال عنه ابن الزبير:  
((كانت له كتب كثيرة))<sup>1</sup>. دون أن يذكرها.

— ثم أبو محمد عبد الله بن علي بن  
عُتْبَة اللواتي (توفي بعد 625هـ/1227م)؛ مقرئ،  
ومحدث.

---

<sup>1</sup> صلة الصلاة، القسم الأخير، ص ص: 147. 117 — 118.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي (توفي حوالي سنة 650هـ/1252م)؛ من علماء اللغة؛ وله إلمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: كفاية المتحفظ، ومختصر في علم الأنساب، ومختصر في الأنواء، وكتابان في العروض.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي (ت: سنة 779هـ/1377م)؛ وهو الرحالة الذائع الصيت المعروف بابن بطوطة. أملى رحلته؛ التي حررها الفقيه الأديب محمد ابن محمد بن جزي الكلبي؛ بأمر من السلطان المريني أبو عنان؛ فكانت أهم، وأثمل رحلة تمت في وقته؛ وترجمت إلى لغات عديدة؛ منها: الإنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والألمانية.



أما اعلام لواتة؛ أصحاب الحكم، والسلطان؛ منهم:

— سلام بن عمر اللواتي؛ ولاء عبد الوهاب ابن رستم على سرت، ونواحيها.

— ثم مبال بن يوسف اللواتي؛ ولاء عبد الوهاب بن رستم على نفاوة.

— ثم أورغ بن علي بن هشام اللواتي؛ أحد القادة في الدولة الفاطمية؛ ولكنه انحاز إلى حميد ابن يسلتن بن حبوس المكناسي (صاحب تيهرت)؛ عند عصيانه للدولة، ومبايعته للأمويين؛ ثم التحق أورغ بعدئذ بالأندلس سنة 336هـ/947م.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن مبال بن يوسف اللواتي (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان جده وزيراً للإمام أفلح بن رستم. وهو من علماء ورجلان الإباضيين.

— ثم مكى بن فراج بن زيادة الله بن أبي الحسن بن محمد بن زيادة الله بن أبي الحسين اللواتي؛ وهو كبير بني مكى رؤساء قابس.

— ثم أبو القاسم عثمان بن أبي القاسم بن مكى اللواتي؛ حليف أبي زكرياء الحفصي؛ إذ تولى أخذ البيعة له من الناس؛ عندما عزم على الاستبداد على الموحدين.

— ثم عبد الملك بن عثمان بن مكى اللواتي؛ الذي انحاز للدعي أبي عمارة.

! ! !

أما أعيان سدراتة؛ وهي بطن من بطون  
لواتة؛ كما سبقت الإشارة إليه؛ فمنهم:

— **عاصم السدراقي** (توفي أمام أسوار القيروان  
سنة 141هـ/758م)؛ وكان من المقربين من أبي  
الخطاب عبد الأعلى بن السمح؛ وهو أحد  
الخمس الذين ذهبوا إلى البصرة طلباً للعلم؛  
لدى أبي عبيدة مسلم الإباضي؛ وكان قد  
شارك أبي الخطاب في الزحف على القيروان،  
أثناء حصار ورفجومة في داخلها.

— ثم **أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن  
سهلون السدراقي** المعروف بالطرفي (من أعلام  
النصف الثاني من القرن الثالث)؛ وهو من  
كبار علماء الإباضية؛ استقر بوارجلان؛ التي  
تولى فيها الفتيا، والقضاء بين الناس؛ تلقائياً؛  
دون تكليف من الحكام.

— ثم **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم  
السدراقي** (ت: سنة 570هـ/1174م)؛ كان له إلمام  
بعلوم شتى منها: علوم القرآن الكريم، واللغة،  
والفقه، والحديث، والفرائض، والكلام، والسير  
والتراجم، والتنجيم؛ إلى جانب أنه كان يقرض  
الشعر. ويقول الدرجيني أن أبا يعقوب تعلم  
هذه العلوم، والفنون بقرطبة؛ عندما ذهب

إليها في صغره؛ طلبا للعلم؛ ومن مؤلفاته: كتاب العدل والإنصاف؛ جزأه إلى ثلاثة أجزاء، وكتاب الدليل لأهل العقول؛ يعالج مواضيع من المذهب الإباضي، وكتاب مرج البحرين؛ في المنطق، والحساب، والهندسة، وكتاب المغرب في تاريخ المغرب، وتفسير القرآن الكريم؛ في سبعين جزءاً؛ قد تصل أوراق الجزء إلى 700 ورقة أحياناً، كما قام بترتيب مسند الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري؛ وسماه الجامع الصحيح؛ وله قصيدة طويلة جداً سماها الحجازية؛ قال عنها الدرجيني: ((أبياتها عدد أيام العام؛ بدأ فيها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان، والتنبيه عن صحبهم في ذلك الركب؛ فذكر الطريق متزلة متزلة في سيرهم؛ حتى وصلوا؛ وذكر المناسك، ثم فعل كذلك حتى خرج؛ ثم خرج إلى شيء من علم الحدثان؛ ثم وعظ أحسن وعظ، وتذكير؛ ففيها ما يشهد له باتساع الفن))<sup>1</sup>. وكان الأندلسيون يشبهونه بالجاحظ؛ ساح في الأرض مدة بين الأندلس، والمشرق الإسلامي؛ وإفريقيا السوداء؛ حتى وصل في رحلته جنوباً إلى حدود

---

<sup>1</sup> طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 494.



خط الاستواء؛ ثم عاد إلى بلده ورجلان؛ أين اعتكف على القراءة، والتأليف حتى توفاه الله فيها.

— ثم ولده أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف السدراقي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أديب، وشاعر؛ إلى جانب إلمامه بالعلوم الشرعية، والنحوية، واللغوية؛ ولكنه دون والده.

— ثم محمد بن أحمد السدراقي (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من الفقهاء، وأهل الفضل.

! ! !

أما مزاتة؛ فهي — بدورها — بطن من بطون لواتة؛ وبرز فيها رجال تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ منهم:

— أبو عثمان الدكمي المزاتي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ استوطن جبل نفوسة؛ حيث عرف فيه باسم باثمان؛ وهو من الزهاد المتصوفين؛ تناقل الناس عنه، وعن ابنته تكفا حكايات عجيبة؛ تدخل في سياق الأساطير.

— ثم أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي (من  
أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛  
له حظ من العلم، والمال الوفير.

— ثم أبو محمد واسلان بن يعقوب المزاتي  
(من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع  
لهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية؛ كان في  
البداية منصرفاً عن العلم إلى الرعي، والطرب؛  
ولكنه تدراك ما ضاع من عمره؛ فانكب  
على العلم حتى اكتسب منه ما أغناه.

— ثم أبو الخطاب عبد السلام بن منصور  
ابن أبي وزجون المزاتي (من أعلام النصف الأول  
من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء  
الإباضية.

— ثم أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي  
(من أعلام النصف الأول من القرن الخامس  
لهجرة)؛ وصفه الدرجيني بقوله: ((رأس من  
رؤوس المذهب، وأعلم علمائه، وشمس من  
شموسه الكاشفة لظلماته؛ العلم والأدب  
حليته))<sup>1</sup>. كان رأس العلماء السبعة؛ الذين  
اعتكفوا في غار ابحاج؛ بغرض تأليف ديوان في

---

<sup>1</sup> طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 409.

الفقه الإباضي؛ وقد تولى كتابته بخطه؛ فنسب إليه؛ بينما هو عمل جماعي.

— ثم أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الزهاد، والصالحين.

— ثم أبو موسى يزيد المزاتي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل العلم، والصلاح، وفعل الخير.

— ثم ولده ضمام بن أبي موسى يزيد المزاتي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ سار على نهج أبيه؛ في فعل الخير؛ قال عنه الدرجيني: ((أن بلاد إفريقية أصابتهَا سنة؛ فاشتدت أحوال أهلها؛ وهدموا القوت؛ حتى ضمت أهل البوادي، وغيرهم إلى بلاد الجريد؛ فانتجعت مزاتة إلى قابس؛ ليمتاروا منها التمر بالدين، والقرض؛ فأتوا ضمام بن أبي موسى؛ يدلون عليه بالقراية، والأخوة؛ وهو حينئذ عند أهل قابس معروف، وبالخير والصلاح موصوف؛ فسألوه أن يستقرض لهم، ويستدين، ويتحمل عنهم... فشاور والده في ذلك... فقال له: هل يعرفهم أحد؟ قال: لا، قال: وأنت؛ هل تعرفك أهل قابس،

ويأمنونك؟ قال: نعم، ولا يعرفون غيري؛ فقال له أبوه: دخولك في شئ يستنقذهم من الجوع إذا فرض من الفروض اللازمة؛ إذ كانوا ينتفعون بجاهك أكثر مما ينتفعون بأموالهم؛ فقضى ما ربههم أجمعين<sup>2</sup>.

— ثم أبو الربيع سليمان بن خلف المزاتي (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ كان ملما بعلمي: الأصول، والفروع؛ وله تصنيف في الأصول؛ من مجلدين.

— ثم أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من الملمين بعلمي الأصول، والفروع؛ وتفرغ للتدريس، والإفتاء؛ ولكنه تعرض لمضايقات من طرف المتزمتين للمذهب الإباضي؛ بعدما لاحظوا أنه يطالع كتباً لعلماء المذاهب السنية؛ غير أنه صمد أمامهم؛ إيماناً برأيه.

---

<sup>2</sup> طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص ص: 421 — 422.

— ثم ميمون بن أحمد المزاتي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي بدرجين؛ ناله — في أواخر أيامه — ضيم، وإهمال؛ وقال فيه الدرجيني: ((طال عمره حتى كف بصره؛ فتخلى عن التشديد، وكان يتمنى أن يلقي من يسأله عن المسألة سؤال مستفيد؛ فقلما يظفر بسائل، أو بقاء عارف أو معترف بما أوتي من الفضائل... وحدثني من لا أتهم؛ عن جدي يخلف أنه كان متى حضرته تحفة ذكر عندها السيخ ميمون بن أحمد؛ وكان يحض على إكرامه ويقول: أكرموا ميمون بن أحمد؛ قد اجتمعت فيه الصفات الثلاث: عزيز ذل، وغني افتقر، وعالم بين جهال))<sup>1</sup>.

\*\*\*

— مواطنهم: من مواطن لواتة التي ينتجعون عبرها؛ هي أراضي برققة؛ وقد تمتد بهم النجعة إلى مصر؛ حيث سكن واحداً عدداً كبير منهم. وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((ومنهم أيضاً بواحات مصر — فيما ذكره المسعودي — أمة

---

<sup>1</sup> طبقات المشايخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

عظيمة بالجيزة؛ التي بينها وبين مصر. وكان لما قرب من هذه القصور؛ شيخهم هنالك بدر بن سالم؛ وانتقض على الترك؛ وسرحوا إليه العساكر؛ فاستلحموا كثيرا من قومه، وفر إلى ناحية برقة؛ وهو الآن في جوار العرب بها... ومنهم أوزاع متفرقون بمصر، وقرى الصعيد؛ شاوية، وفلاحين<sup>2</sup>. وفي جبل أوراس تسكن أمة عظيمة منهم؛ انحازت إلى أبي يزيد في ثورته. وقد استعانت بهم الدولة في جباية الأموال من القبائل الأخرى. ولما ضعفت الدولة الحفصية؛ أصبحت جماعة منهم — يعرفون باسم بني سعادة — في إقطاع الدواودة؛ فاستعملوهم في المهمة التي خصتهم بها الدولة. ومن بقي من أحيائهم: بنو باديس، وبنو زنجان؛ دخلوا في طاعة بني مزني؛ أمراء بسكرة، وأرض الزاب. وكانت لبني باديس إتاوات يتقاضونها من بلدة نقاوس خلال الشتاء؛ عندما ينسحب الأعراب نحو مشاتهم في الصحراء. وإذا ما عادوا إلى مصائفهم؛ انسحبت لواتة إلى معاقلها المنيعة في الجبال.

---

<sup>2</sup> العبر، مج: 6، ص: 238.

وتتواجد أعداد كبيرة منهم — أيضا —  
بضواحي تيهرت؛ حيث كانوا يتنقلون؛ منتجعين  
في تلك المناطق؛ على وادي مينا. وجاء في العبر:  
((يقال أن بعض أمراء القيروان نقلهم معه في  
غزوة، وأنزلهم هنالك. وكان كبيرهم أورغ بن  
علي بن هشام قائدا لعبيد الله الشيعي.  
ولما انتقض حميد بن يصل — صاحب تاهرت  
— على المنصور — ثالث خلفاء الشيعة —  
ظاهروه على خلافه... وأجاز حميد إلى  
الأندلس سنة ست وثلاثين؛ وزحف المنصور  
يريد لواتة؛ فهربوا أمامه إلى الرمال؛ ورجع  
عنهم))<sup>1</sup>. وهذه الفئة من لواتة هي التي حاربها  
بنو وحديجن؛ بسبب إهانة امرأة منهم؛  
متزوجة في لواتة. وقد سبق الحديث عنها.  
ومن جراء تلك الفتنة أجبرت لواتة على  
النزوح عن ديارها؛ حيث استقرت أحياءهم  
خلف الجبل المسمى دارك؛ في التلول، وخلف  
الجبال المطلة على متيجة؛ أين أصبحوا من  
بين القبائل الغارمة. كما توجد فئة منهم —  
أيضا — في الجبال المسماة بهم؛ جنوب قابس،  
وصفاقس. وبنو مكى؛ رؤساء قابس منهم.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 236 — 237.

وفي ضواحي بجاية توجد قبيلة من لواتة؛ تحتل سهل تاكرارت؛ فيتوزعون له قطعاً؛ لزراعتهم، ومراعيهم. ومن رؤسائهم في تلك الجهات؛ بنو راجح بن صواب.

É É É

#### 4 - بنو نفوس:

وهم أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتري. وكانوا من أعظم القبائل الأمازيغية عدداً، وقوة. وهم جميعاً ينتسبون إلى بطن واحد مثلاً بنفوسة. ومن أحيائهم المعروفة: بنو زمور، (وهم غير أبناء زمور البرنسيين). وبنو ماطوسة<sup>1</sup>. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض أحياء نفوسة اندرجوا ضمن قبيلة بني خلفون بالضفة اليمنى لوادي يسر؛ في الجهة الشرقية للجزائر. وبنو مسكور. ويقول عنهم عبد الوهاب بن منصور - كذلك - أن بعضهم مندمجون ضمن قبيلة آيت ونير؛ المتواجدة عند زاكورة بالمغرب الأقصى<sup>2</sup>.

! ! !

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 230.

<sup>2</sup> قبائل المغرب، ج: 1، ص: 308.



— أعيانهم: نفوسة كغيرها من قبائل المغرب الإسلامي؛ أنجبت رجالا عظماء؛ بعلمهم، وبكفايتهم؛ ولكن المصادر التي بين أيدينا شحيحة للغاية؛ وإن أسعفتنا؛ فإنها لا تمدنا بما يفي بالغرض. وعليه فإنه تعذر علينا معرفة أعلام نفوسة بدقة، ووضوح. ومع هذا سنذكر أهمهم؛ كما عرفنا عنهم؛ ولا يفوتنا التذكير؛ بأن جل هؤلاء الأعيان — وإن لم يكونوا كلهم — فهم علماء؛ بالإضافة إلى مناصبهم الزمنية؛ على أن العلوم الغالبة على اهتمام أكثرهم؛ كانت العلوم الشرعية. وهؤلاء الأعيان وهم:

— محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي (من أعلام أوائل القرن الثاني للهجرة)؛ ويعتبر من الرواد النفوسيين الأوائل الداعين للمذهب الإباضي؛ إذ كان قد رحل إلى البصرة؛ أين تلقى العلم من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره؛ ثم عاد إلى جبل نفوسة؛ لنشر ما تعلمه من علم.

— ثم إسماعيل بن زياد النفوسي؛ (الذي تغلب سنة 132هـ/749م)؛ على قابس.

— ثم عمرو بن يَمَكْتَن الأَفَاطَمَانِي النفوسي (توفي سنة 144هـ/761م)؛ مع أبي الخطاب — في وقعة تورغا — أمام جيش ابن الأشعث؛ وكان قد بدأ حياته الأولى معلماً للقرآن؛ ثم أضحى قائداً في جند أبي الخطاب عبد الأعلى؛ ثم ولاه بعد ذلك أعمال سرت، وأطرافها.

— ثم أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ كان من الفرسان الأبطال؛ ولاه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على أعمال جبل نفوسة.

— ثم مَهْدِي الويغوي النفوسي (توفي سنة 196هـ/811م)؛ حينما كان في جيش عبد الوهاب ابن رستم المحاصر لطرابلس. وهو من علماء نفوسة الكبار؛ وكان فقيهاً، ملماً بأساليب الكلاميين؛ وهو الذي تصدى لعالم الواصلية من المعتزلة؛ في المناظرة الشهيرة التي عقدت بتيهـرت.

— ثم أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني  
النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن  
الثالث للهجرة)؛ وهو أحد علماء نفوسة  
الإباضيين؛ ولاءه إمام الدولة الرستمية عبد  
الوهاب — بعد موت أبي الحسن أيوب —  
أعمال جبل نفوسة؛ باقتراح من سكان الجبل؛  
ولكنه — حسبما يقال — رفض المنصب؛ وقال:  
أنا ضعيف؛ الأمر الذي جعل الإمام يصر،  
ويلح عليه؛ قائلاً في رسالته إليه؛ أورد فقرة  
منها؛ علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في  
موكب التاريخ؛ جاء فيها: ((إن كنت ضعيف  
البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفاً في المال  
فبيت مال المسلمين تقويك، وإن كنت ضعيفاً  
في العلم فعليك بأبي زكرياء اللواتي فاستعن  
به فيما يستقبل من أمورك))<sup>1</sup>. فطلب مهلة  
للتفكير، والاستشارة. ومن الطريف إنه التجأ إلى  
امرأة في جبل نفوسة؛ ليستشيرها؛ ويبدو أنها  
كانت من الزاهدات الفاضلات؛ وتدعى مارن؛  
التي تلقب بجدة العلماء؛ والتي تولت مهمة  
التدريس في مدرستها. ولما عرض عليها أبو  
عبيدة مشكلته قالت: ((إن تقدمت فأنت في

---

<sup>1</sup> الحلقة: 2، القسم: 1، ص ص: 90 .

النار، وإن تأخرت فأنت في النار...إن تقدمت وأنت تعرف أن في المسلمين من هو أكفأ منك؛ فأنت في النار، وإن تأخرت وأنت تعلم أنك أكفأ المسلمين؛ فأنت في النار))<sup>2</sup>. بهذه الطريقة جاوبته، وتركت لضميره الخيار؛ ففكر في الأمر ملياً ثم أعلن قبوله بالولاية.

— ثم العباس بن أيوب بن العباس النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة بعد وفاة أبي عبيدة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب؛ وهو ولد أيوب عامل الجبل الأول.

— ثم أبو يونس وسيم بن يونس النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال قنطنار بالجريد من طرف أفلح بن عبد الوهاب بن رستم.

— ثم سعد بن وسيم بن يونس النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولاء أفلح بن عبد الوهاب مكان أبيه كعامل على قنطنار بالجريد.

---

<sup>2</sup> الحلقة: 2، القسم: 1، ص: 92.

— ثم نفاث بن نصر النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ نسب إليه الدرجيني حركة ما أسماه بالافتراق الثالث في الإباضية؛ ومرد ذلك كما يقول: هو حسده لرفيق دراسته؛ سعد بن وسيم؛ الذي فضله الإمام عليه؛ في ولاية قنطنار؛ وبذلك شرع في الإعلان بمخالفته لتصرفات للإمام أفلح؛ ثم أظهر بعض الاجتهادات الفقهية؛ المخالفة لما اتفق عليه.

— ثم أبو ذر أبان بن وسيم النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب. ويعتبر من أنبغ علماء نفوسة، وأبصرهم بالأحكام الشرعية. ومن الأمثلة على سرعة بديهته؛ أنه سُئل يوماً: ما هي فتوى من حلف لزوجته بالطلاق أن لا يزوج ابنتهما للذي يجبانه، أو للذي يكرهانه؟ فأجاب السائل بسرعة: يزوجهما لمن لا يعرفان.

— ثم مجموعة من الأعلام؛ هم: أبو زكرياء التكويتي النفوسي، وأبو مرداس مهاصر النفوسي، وأبو ميمون الجيطالي النفوسي، وأبو المنيب محمد بن يانس النفوسي، وأبو خليل

اليدركلي النفوسي، وأبو مهاصر موسى بن جعفر النفوسي، وأبو مسور يصنيتن النفوسي (كلهم من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهم جميعاً من علماء نفوسة الإباضيين.

— ثم أبو منصور إلياس النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة في عهدي: أبي اليقظان، وأبي حاتم؛ وفي وقته زحف العباس بن أحمد بن طولون على برقة، وطرابلس؛ حيث تصدى له أبو منصور إلياس؛ ضمن مقاتلين من إباضيين نفوسة؛ وذلك في سنة 267هـ/880م؛ بالمكان المعروف بقصر حاتم؛ فتكبد الجيش الغازي هزيمة منكرة.

— ثم أفلح بن العباس بن أيوب بن العباس النفوسي (من أعيان النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي في البداية أعمال نفوسة في عهد أبي اليقظان؛ أقيل مرتين؛ ثم أعيد في كل مرة؛ وفي عهده حدثت وقعة قصر مانو؛ (وهو موقع أثري على ساحل البحر)؛ وذلك في عام 283هـ/896م؛ بين جيش الأغالبة، ومقاتليه من إباضية نفوسة؛ فانتصر فيها إبراهيم بن أحمد

بن الأغلب؛ وكانت هذه الوقعة بداية النهاية لعنفوان نفوسة.

— ثم عمّروس بن فتح المساكين النفوسي (توفي في وقعة مانو سنة 283هـ/896م)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ ولي في منصب قضاء نفوسة؛ في عهد أبي منصور إلياس؛ وله مؤلفات في اختصاصات شتى منها: الفقه، وعلم الكلام، والأصول، وغيره؛ أشهرها كتاب العمروسة.

— ثم أبو محمد عبد الله بن الخير النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ بايعه سكان جبل نفوسة لكي يتولى حكم الجبل؛ بعد سقوط الدولة الرستمية.

— ثم أبو محمد ملي الأيدري النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من الزهاد الصالحين.

— ثم أبو يحيى زكرياء الأرجاني النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ توفي في وقعة تيكرت بالجبل؛ التي انتصر فيها النفوسيون على جيش عبيد الله الشيعي؛ ولكن موته تمت بواسطة طعنة غادرة؛ صدرت من بين صفوف أنصاره.

— ثم أبو زكرياء بن أبي يحيى الأرجاني النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) توفي أثناء عودته من معركة بين نفوسة وبين الأغالبة؛ وبالطريقة نفسها التي قتل بها والده؛ أي بطعنة غادرة.

— ثم زيد بن أفصيت الدرقي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تولى حكم الجبل بوصية من أبي زكرياء.

— ثم أبو يحيى سليمان بن ماطوس الشروسي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مدرسا للعلم في مدرسته التي فتحها لطلاب العلم، والمعرفة؛ وكان مصدرا للفتوى والحكم بجبل نفوسة.

— ثم أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان ملما بعلوم: الأصول، والمنطق، والرياضيات، وكان يقول عن الفقه: "علم العجائز"؛ أسس مدرسة نموذجية في منهجها، وفي محتوى ما تقدمه من علوم.



— ثم أبو الربيع سليمان بن زرقون  
التابديوتي النفوسي (من أعلام النصف الأول من  
القرن الرابع للهجرة) تلقى في البداية العلم عن  
العالم الإباضي المشرقي ابن الجمع؛ الذي التقى  
به في توزر، ورافقه إلى سجلماسة؛ حيث  
استكمل تعليمه في تلك المدينة مع أبي يزيد  
مخلد بن كيداد؛ ولكن اختلفت آراؤهم فيما  
بعد. وسرد الدرجيني بعض الروايات التي  
تظهر تباين أفكارهما؛ من ذلك: ((وحدث  
غير واحد من أصحابنا أن أبا الربيع، وأبا  
يزيد مخلد بن كيداد خرجا ذات مرة في  
بعض شؤونهما؛ فنزلا على حي من أحياء  
الوهيبة؛ فأضافوهم، ولم يحتفلوا بهما كبير  
احتفال، ولا أحسنوا قراهما؛ فوقع من ذلك في  
نفس أبي يزيد شر. ثم مرا بحي من أحياء  
النكارة؛ فأكرموا مثوهم، وأحسنوا قراهما؛  
فقال أبو يزيد لأبي الربيع: "ألا ترى ما بين  
الرجال والرجال؟ فهل لك في الرجوع إلى  
مذهب هؤلاء؟" فقال له أبو الربيع: "لست  
أريد عرض الدنيا؛ فيما هو أجل من هذا؛  
فأبتغيه بديني؛ فكيف بالشيء الحقير أبذل  
بسببه ديني. ولو كان مرادي طلب الأمور

الديوية؛ لنت جليلها بعلمي؛ ولكن الآخرة  
خير لمن اتقى؛ والذي تشير به والله لا  
أفعله أبدا"؛ فافترقا. وانطلق ابن كيداد؛  
فأظهر ما وقع في نفسه؛ من اعتقاد مذهب  
النكارة، وترك مذهب الوهية. فخاب، وخاب  
حوبا كبيرا؛ لما أراد الله من شقاوته؛ فخر  
نفسه، ودينه، وديناه؛ نعوذ بالله من سوابق  
الشقاء<sup>1</sup>). ولما عاد إلى بلاد الجريد تصدى  
للكارة، وحاربهم بالمنطق، والحجة. يقال أنه  
رافق شيخين ورعين؛ في سفر أيام شتاء شديد  
البرد؛ فوصلوا إلى غدير في وقت الصلاة؛  
فتباينت آراؤهم في وجوب التيمم؛ فتوضأ  
أحدهما بالماء البارد؛ بينما اكتفى أبو الربيع  
ابن زرقون، وصاحبه الآخر بالتيمم؛ وبعد مدة  
أصيب ذلك الشيخ — المتمسك بالوضوء — بعلة  
بسبب البرد؛ فقال له ابن زرقون: ((لم تجز  
لنفسك أن تيمم لصلاة واحدة؛ فتيمم الآن  
لصلوات عدة)).

---

<sup>1</sup> طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 111.

— ثم أبو محمد زيد بن أفصيت الدَّرَفِي  
النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن  
الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة بانتخابه من  
طرف أهل العقد.

— ثم أبو عبد الله محمد بن جلداسن  
اللائُوي النفوسي (من أعلام النصف الأول من  
القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل  
العقد.

— ثم أبو زكرياء بن أبي عبد الله التَّنْدَمِيرِي  
النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن  
الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

— ثم أبو هارون موسى بن هارون النفوسي  
(من أعلام النصف الأول من القرن الرابع  
لهجرة) كان مفتياً بجبل نفوسة؛ ثم زكاه  
أهل العقد لتولي حكم الجبل.

— ثم أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي  
النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن  
الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة؛ بانتخابه  
من طرف أهل العقد.

— ثم أبو الفضل سهل النفوسي (من أعلام  
النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من  
حكام جبل نفوسة.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللؤلؤي  
النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن  
الرابع للهجرة) تولى الحكم في جبل نفوسة  
بتزكية من أهل العقد.

— ثم أبو الربيع سليمان بن أبي هارون  
النفوسي (من أعيان النصف الثاني من القرن  
الرابع للهجرة) من الذين حكموا جبل نفوسة؛  
باتفاق أهل العقد.

— ثم أبو سهل النفوسي (من أعلام النصف  
الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ كان مترجماً  
للإمام بتيهت؛ ويعرف بالفارسي لكون أمه  
رستمية؛ أما آخرون فينسبونه إلى الفرس؛ وقال  
عنه الدرجيني: ((غلبت عليه هذه العزوة  
الفارسية؛ وليس بفارسي؛ وإنما هو نفوسي؛ ولا  
شك أن أمه رستمية من بيت الإمامة؛ فغلب  
نسبها عليه، واشتهر به. وقيل هو رستمي  
أبا وأما؛ وأن أباه ولد لميمون بن عبد الوهاب  
رحمه الله؛ تمسك من العلوم بسبب؛ فليس  
برأس فيها ولا ذنب؛ إلا أن الغالب: همل  
الدموع، والتلف على فائت ليس له  
رجوع؛ فجعل هجيره مرثي الدين وأهله،  
والبكاء عليه بوابل الدمع وطله؛ حتى دونت

الدواوين من كلامه، وانتشر في الآفاق حسن نظامه؛ وقد أعجز المراثي بما أوعظ؛ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع، وأوفر حظ. وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان البربر، وأكثره بالصواب حدا؛ فقف على دواوينه تكن عليه مترجما، ولا ترمها إذا لم تجد لها مترجما... وذكر أن قبر أبي سهل بالموضع المذكور [مرسى الدجاج] ويزار؛ حتى أن صنهاجة كانت - حينئذ - تزوره؛ وربما قال قائلهم: انطلقوا إلى قبر النادب ذنبه، ودينه؛ وهذا مما يصحح أنه بجزائر بني مزغنان؛ لأنها بلاد صنهاجة<sup>1</sup>. وتلك الدواوين التي ذكرها الدرجيني مكونة من اثني عشر كتابا باللغة الأمازيغية؛ ألفها للإباضية من بني درجين بالجريد.

- ثم أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من العلماء الذين تحلوا بالعلم، وعمل الخير؛ فكان يدرس للطلبة، ويتكفل بإطعامهم، وكسوتهم من ماله الخاص.

---

<sup>1</sup> طبقات المشائخ، ج: 1، ج: 2، ص ص: 351 — 352.

— ثم أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية بوادي ريغ؛ كما أنه هو مرتب سيرة الحلقة؛ التي تنظم تعليم العزابة.

— ثم يخلف بن يخلف التميمي النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بالجريد؛ ويبدو أنه كان متفتحاً على المذاهب الأخرى، غير متعصب لمذهبه؛ حتى أنه كان مقصوداً من أبناء المذاهب المختلفة؛ طلباً للرأي، والفتوى.

— ثم ولده علي بن يخلف النفوسي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس)؛ وهو من علماء الإباضية المشتغلين بعلوم الدين؛ دون غيره؛ وكان يعاتب بعض أصحابه على ميلهم إلى فنون الأدب، والشعر؛ وقد أورد الدرجيني حكاية وقعت بينه وبين خلف ابن خلف المدعو بالزناد الوارجلاني: ((وعظه يوماً فقال: "أقلع عن هذه الأشعار فقد أكثرت، واشتغل بالفقه"؛ فقال مرتجلاً:

دَعْنِي بِفِقْهِكَ يَا بَنَ يَخْلَفَ إِنِّي  
رَجُلٌ غَدَاً بِفَوَائِدِي الْأَشْعَارِ  
إِنَّ التَّفَقُّهَ وَالتَّنَسُّكَ وَالتُّقَى  
أَنْسَاكَ ذِكْرَ الْخَرْدِ الْأَبْكَارِ

ولا أقول أن هذا في الزناد مجنون، أو نقلته  
مما عبر عنه لسان شجون؛ بل إنما حنينه  
إلى الأدب؛ فجعل له صفات المجنون<sup>1</sup>.

— ثم أبو العباس أحمد بن سعيد بن  
سليمان الدرجيني النفوسي (توفي حوالي سنة  
670هـ/1271م)؛ من العلماء المهتمين بالتاريخ؛ إذ  
ألف كتاب طبقات المشائخ بالمغرب؛ وهو  
خاص بمشائخ الإباضية. وقد نسبته صالح  
باجيه — في أطروحته الجامعية المسماة: الإباضية  
بالجريد؛ في العصور الإسلامية الأولى — إلى نفوسة؛  
وبالتحديد إلى بلدة تيجار؛ ملحقاً إياه بعلي  
بن يخلف ابن يخلف؛ أما محقق كتاب  
الدرجيني المسمى طبقات المشائخ بالمغرب؛  
إبراهيم طلاي؛ فنسبه إلى مزاتة؛ متدرجاً بالنسب  
إلى من يسمى علي ابن يخلف المزاتي. ومن

---

<sup>1</sup> طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 516.

جهة أخرى ذكر الدرجيني اسم يخلف من بين  
أجداده؛ ولكنه لم يحدد أي يخلف يقصده.

\*\*\*

— مواطنهم: يقول ابن خلدون: ((كانت  
مواطن جمهورهم بجهات طرابلس، وما إليها.  
وهناك الجبل المعروف بهم. وهم على ثلاث  
مراحل قبلة طرابلس؛ يسكنه اليوم بقاياهم.  
وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في موطنهم،  
وتعزى إليهم؛ وهي كانت باكورة الفتح لأول  
الإسلام. وخرّبها العرب بعد استيلائهم عليها؛  
فلم يبق منهم إلا الأطلال، ورسوم خافية.  
وكان من رجالهم اسماعيل بن زياد المتغلب  
على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة لأول  
الدولة العباسية. ومنهم لهذا العهد أوزاع  
متفرقون في الأقطار؛ بعمالات مصر،  
والمغرب<sup>1</sup>). ويصف محمد علي دبوز جبل  
نفوسة بقوله: ((إذا جئت غرب طرابلس،  
وصعدت إلى جبال نفوسة الشماء؛ وجدت  
معادن العلم، والعبقريّة... وكان جبل نفوسة  
الأشم يشتمل على مدن كثيرة؛ كانت

---

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 230.



مراكز لنواحيه، وقواعد لجهاثها. وكانت  
عاصمته هي مدينة شَرُوسَ وَجَادُوا؛ ومن مدنه  
الكبرى: نَالُوتَ، وَكَبَاوُ، وَيَفَرْنُ، وَمِيرِي<sup>1</sup>.

هذا ما أمكن معرفته من معلومات  
تتعلق بقبيلة نفوسة. وتجدر الملاحظة — هنا —  
أن أخبارهم وأخبار بني سمكن كلهم؛ يكتنفها  
غموض كثيف. بسبب شح المصادر، وندرتهما  
من جهة؛ والاختلافات المذهبية من جهة  
أخرى. وبهذا.. نكون قد أتممنا الحديث عن  
القبائل البترية؛ وبقي علينا الخوض في أخبار  
القبائل البرنسية.

\*\*\*

هذا ما تيسر من موضوع القبائل  
البترية. وسيلي هذا الجزء الأول من كتاب  
القبائل الأمازيغية — إن شاء الله — الجزء الثاني  
الذي يعالج موضوع القبائل البرنسية..

---

<sup>1</sup> تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 375.

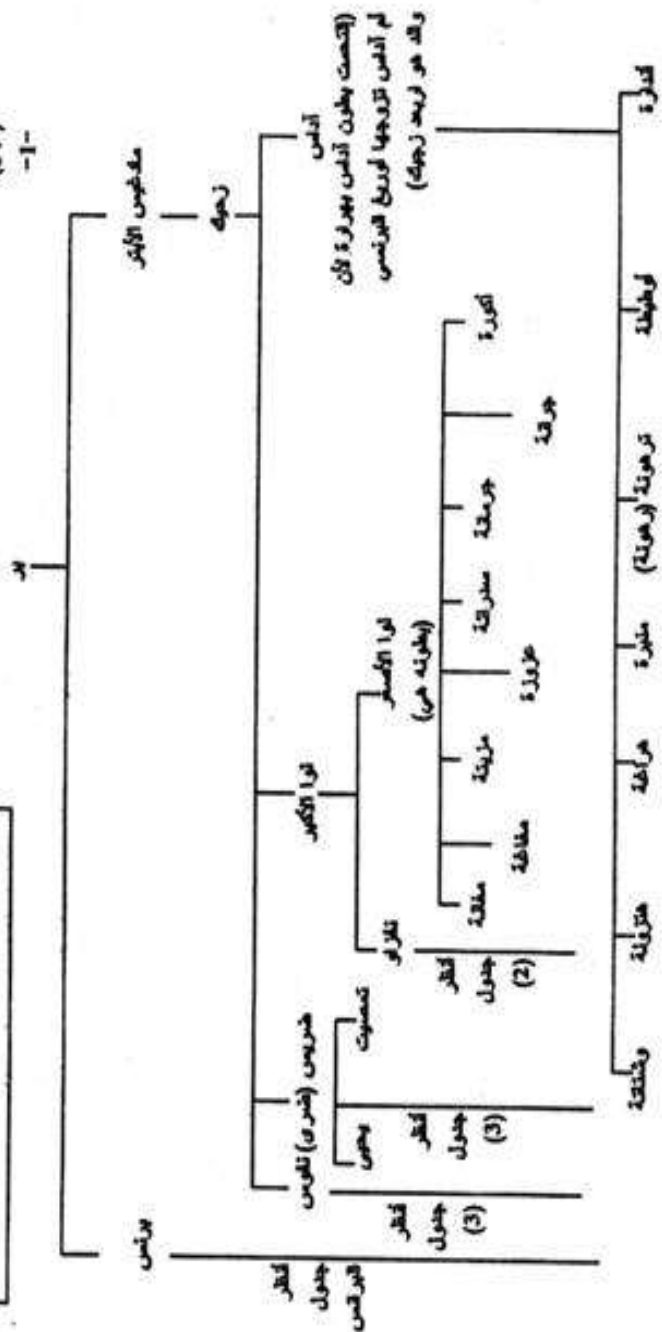
## لوحات توضيحية



خريطة توضح مواقع أشهر الأماكن  
الأثرية في محافظة حماة السورية

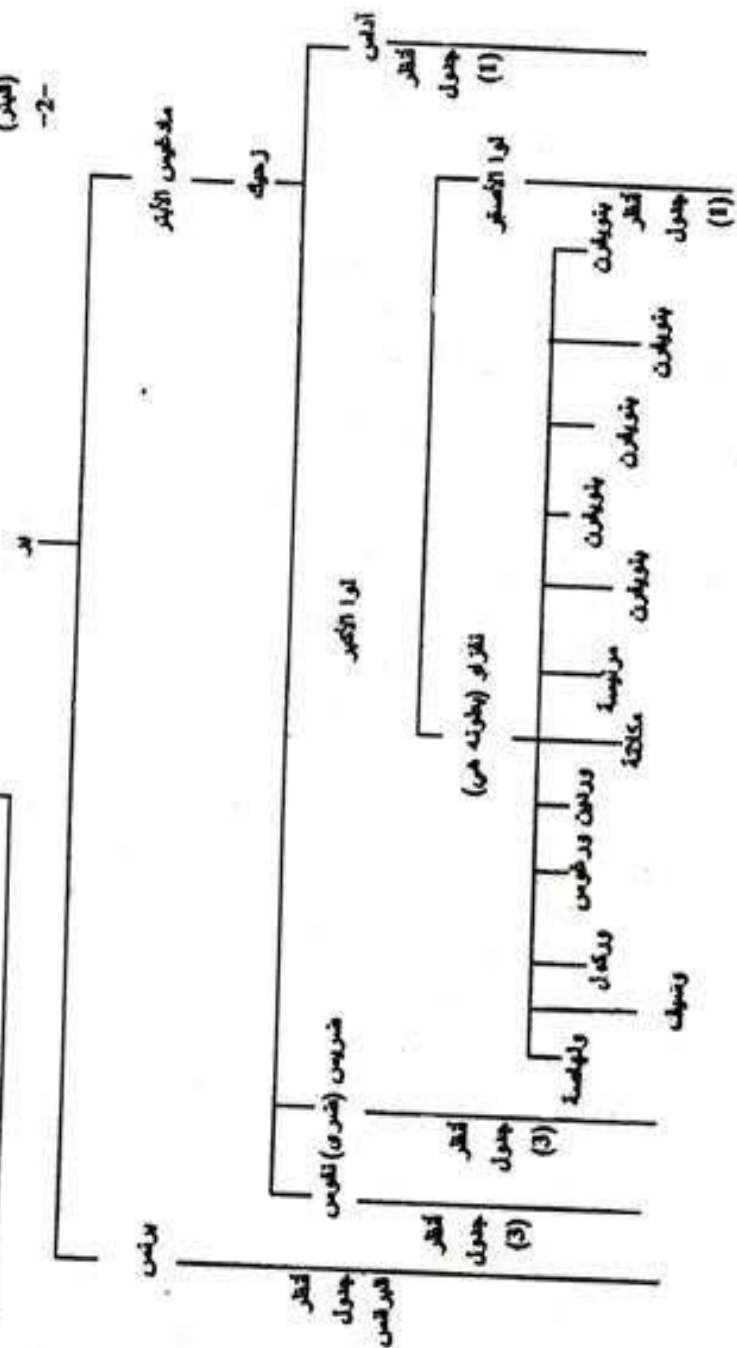
عن كتابي لعمري وابن علقون وكتابي قبائل العرب لعمري  
لعمري ابن منصور.

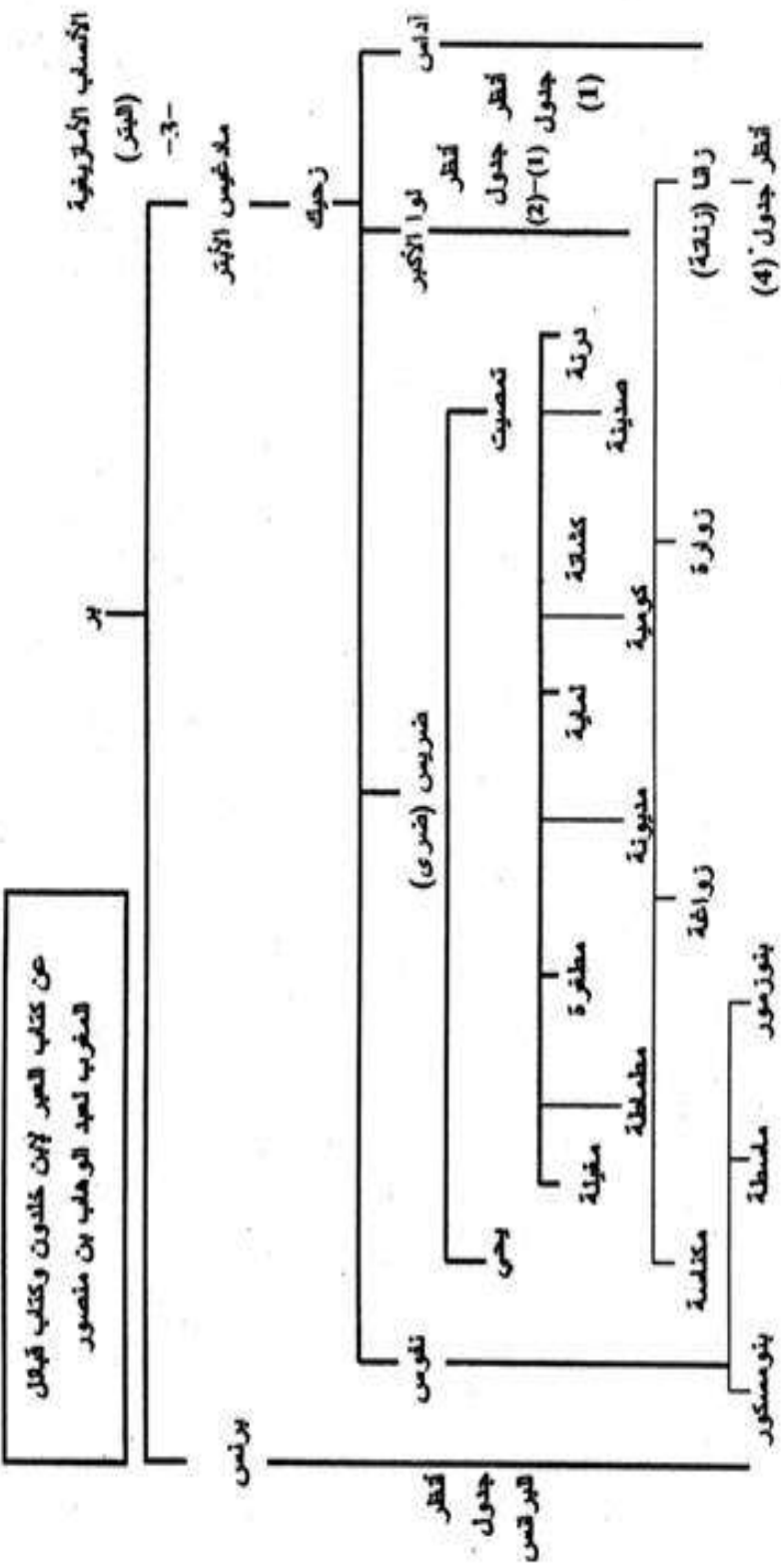
الأكاديمية الأمريكية  
(البيتر)  
-1-



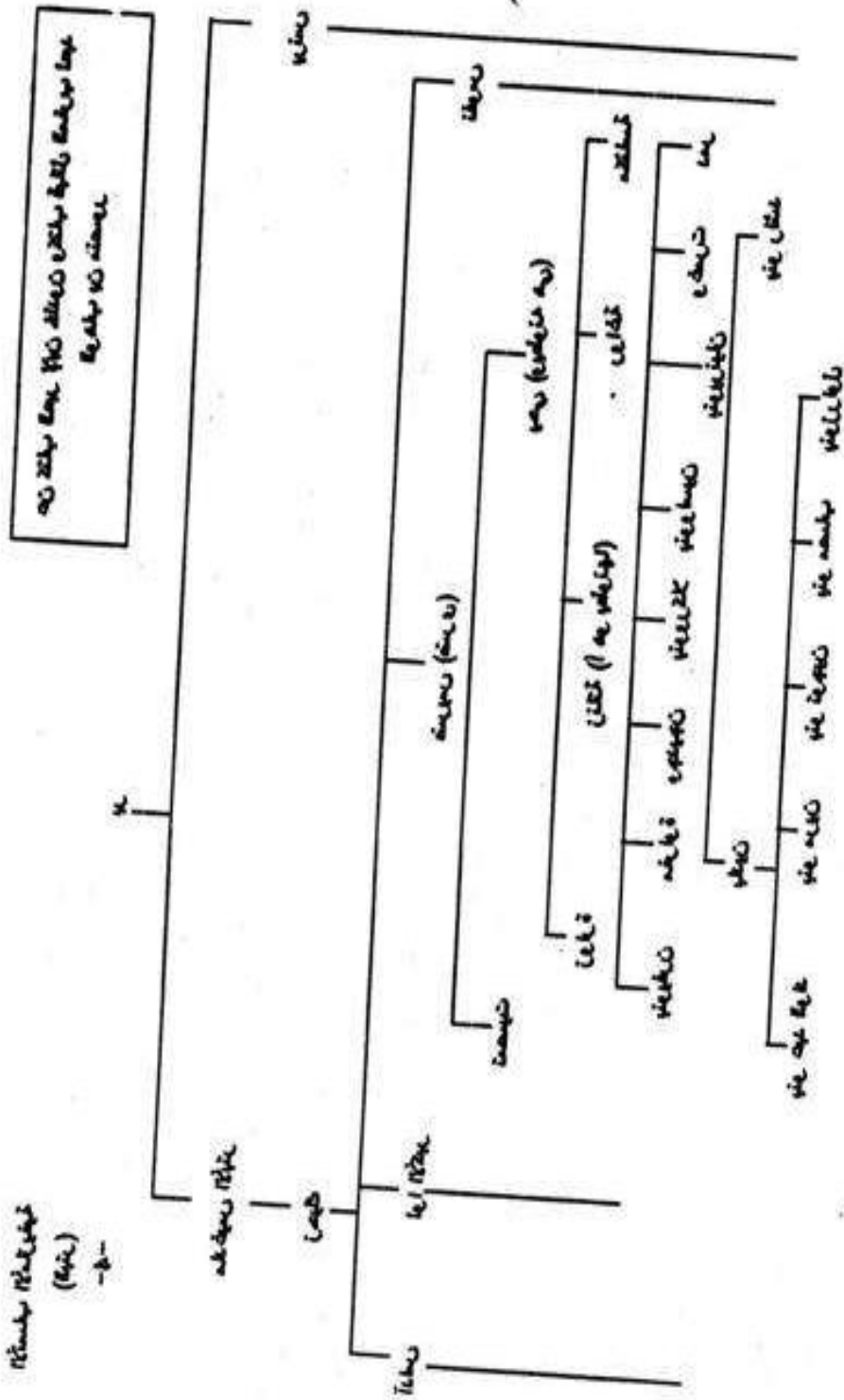
عن كتاب الشعر لابن خلدون وكتاب الفرائد للشرف لعماد  
الدمشقي بن منصور

الأنساب الأمازيغية  
(المتر)  
-2-





(Date)  
 -2-







## فهرس المحتويات

|    |                       |
|----|-----------------------|
| 4  | المقدمة:              |
| 14 | القبائل الأمازيغية:   |
| 14 | البحث عن الجذور:      |
| 15 | تسميات وتعريف:        |
| 20 | الأساطير نصف الحقيقة: |
| 27 | نقد واعتراض:          |
| 42 | حديث الحفريات:        |
| 47 | القول الفصل:          |
| 51 | لغة الأمازيغ وآدابهم: |
| 54 | البديل الأجنبي:       |
| 58 | كتابة سكونية:         |
| 65 | التسامح المطلق:       |
| 67 | الفن الأمازيغي:       |
| 68 | لغة النقوش والرسوم:   |
| 71 | عصر الصيادين:         |
| 73 | عصر الرعاة:           |

|     |                            |
|-----|----------------------------|
| 75  | عصر الحصان:                |
| 76  | عصر الجمل:                 |
| 76  | متحف الشمس والهواء         |
| 79  | الفن والحلي:               |
| 82  | الفن المعماري:             |
| 86  | الموسيقى والغناء والتمثيل: |
| 91  | النظام القبلي:             |
| 106 | الهجرات:                   |
| 106 | الهجرة من وإلى الشرق:      |
| 112 | الهجرة من وإلى الجنوب:     |
| 114 | الهجرة من وإلى الشمال:     |
| 133 | القبائل البترية:           |
| 136 | أداسة:                     |
| 136 | مواطنهم:                   |
| 137 | ضريسة:                     |
| 138 | بنو فاتن:                  |
| 139 | كومية:                     |
| 140 | أعيانهم:                   |

|     |           |
|-----|-----------|
| 174 | لمايعة:   |
| 176 | أعيانهم:  |
| 179 | مواطنهم:  |
| 179 | مديونة:   |
| 181 | أعيانهم:  |
| 185 | مواطنهم:  |
| 186 | مطغرة:    |
| 187 | أعيانهم:  |
| 192 | مواطنهم:  |
| 194 | مطماطة:   |
| 195 | أعيانهم:  |
| 197 | مواطنهم:  |
| 198 | مغيلة:    |
| 199 | أعيانهم:  |
| 215 | مواطنهم:  |
| 216 | بنو يحيى: |
| 216 | ورصطف:    |
| 217 | مكناسة:   |

|     |              |
|-----|--------------|
| 221 | أعيانهم:     |
| 238 | مواطنهم:     |
| 240 | زناتة:       |
| 241 | مدلول زناتة: |
| 243 | أسلوب العيش: |
| 244 | اللهجات:     |
| 247 | مواطنهم:     |
| 248 | جراوة:       |
| 249 | أعيانهم:     |
| 263 | مواطنهم:     |
| 263 | بنو يفرن:    |
| 267 | أعيانهم:     |
| 270 | مواطنهم:     |
| 270 | مغراوة:      |
| 273 | أعيانهم:     |
| 278 | مواطنهم:     |
| 280 | بنو يريان:   |
| 282 | أعيانهم:     |

|     |              |
|-----|--------------|
| 284 | مواطنهم:     |
| 285 | وجديجن:      |
| 287 | أعيانهم:     |
| 288 | مواطنهم:     |
| 288 | واغمرت:      |
| 289 | أعيانهم:     |
| 290 | مواطنهم:     |
| 291 | بنو وار كلا: |
| 291 | أعيانهم:     |
| 292 | مواطنهم:     |
| 293 | بنو دمر:     |
| 294 | أعيانهم:     |
| 302 | مواطنهم:     |
| 303 | بنو وامانوا: |
| 305 | مواطنهم:     |
| 306 | بنو يلومي:   |
| 308 | مواطنهم:     |
| 308 | بنو واسين:   |

|     |           |
|-----|-----------|
| 311 | أعيانهم:  |
| 346 | مواطنهم:  |
| 353 | سكان:     |
| 356 | زواراة:   |
| 358 | زواغة:    |
| 359 | أعيانهم:  |
| 360 | مواطنهم:  |
| 361 | زواوة:    |
| 365 | أعيانهم:  |
| 378 | مواطنهم:  |
| 380 | بنو لـوا: |
| 380 | نفزاوة:   |
| 382 | أعيانهم:  |
| 420 | مواطنهم:  |
| 421 | لواتة:    |
| 423 | أعيانهم:  |
| 439 | مواطنهم:  |
| 441 | بنو نفوس: |

|     |                 |
|-----|-----------------|
| 442 | أعيانهم:        |
| 457 | مواطنهم:        |
| 459 | لوائح توضيحية:  |
| 465 | فهرس المحتويات: |



سلسلة العصبية القبلية

بوزياني الدراجي

# القبائل الأمازيغية



أدوارها مواطنها أعيانها

أدوارها مواطنها أعيانها



دار الكتاب العربي



دار الكتاب العربي  
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر  
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51  
الجوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي  
تصميم الغلاف: لويزة الحسين  
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني: 2007-153  
رسمك: 978-9947-833-00-1-1

بوزياني الدراجي  
القبائل الأمازيغية ج2، تصميم الغلاف لويزة الحسين،  
الإخراج الفني فراس الجهماني. - الجزائر: دار الكتاب  
العربي، 2007. - 263 ص.، 23 سم

بوزيانكي الطراجي

# القبائل الأمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الثاني



دار الكتاب العربي

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

تم إصدار الجزء الأول الذي خصص لبحث الأصول الأولى لسكان بلاد المغرب، وتتبع أحوال أولئك السكان منذ العصور الحجرية الأولى؛ وحتى الفتح الإسلامي، وعليه فمن بين المواضيع التي بحثت في الجزء الأول:

- الجذور الأولى للمجتمع الأمازيغي.
- لغة الأمازيغ وآدابهم.
- الفنون لدى سكان بلاد المغرب قديما.
- النظام القبلي في هذه الديار.
- الهجرات.
- ثم دراسة نشاطات القبائل البترية في بلاد المغرب؛ وذلك من خلال التوسع في معالجة أخبارهم الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ إذ تم التطرق للأدوار المختلفة التي لعبتها تلك القبائل، وتحديد مواطنها الأصلية والانتقالية؛ وبعدها توسع البحث في تعريف وترجمة أهم أعيان وأعلام تلك القبائل البترية؛ مع ذكر كل ما لهم من مواهب وقدرات ثقافية وسياسية وعسكرية. كما ذكرت عينات من مؤلفاتهم وإبداعاتهم الفكرية والدينية والأدبية.

هذا عن القبائل البترية التي شملها الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية. أما الجزء الثاني الذي نضعه أمام القارئ الكريم الآن؛ فيشمل كل ما له علاقة بالقبائل البرنسية. من خلال تتبع أحوالهم الاجتماعية والسياسية؛ وذلك عند الكلام عن نشاطاتهم الحديثة؛ في سبيل إنشاء دول لهم في بلاد المغرب والأندلس.

بالإضافة إلى الإشارة لما حصل من أدوار عسكرية وسياسية كان قد قام بها أبناء تلك القبائل.

وكما جرى في الجزء الأول بالنسبة للقبائل البترية؛ فقد حددت - أيضا - المواطن الأصلية والانتقالية للقبائل البرنسية. بالإضافة إلى ذكر أعيان القبائل البرنسية؛ مع سرد مؤلفاتهم، والإشارة لما أنتجوه من إبداعات، وما أنجزوه من آداب وفنون وعلوم.

هذا وقد ألحقنا بالكتاب - أيضا - بعض اللوائح التوضيحية؛ التي تشير إلى شجرات الأنساب الخاصة بالقبائل البترية والقبائل البرنسية؛ بالإضافة إلى الخرائط التي توضح - جغرافيا - مواطن تلك القبائل في بلاد المغرب كلها.

وفي هذا السياق.. أنتهز الفرصة للتتويه بالعمل الجليل الذي قام به مدير دار الكتاب العربي السيد محمد خير الجهماني وولده: مهند وفراس والرسامة لويضة الحسين؛ حينما سهروا بجدية على إصدار الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية في ذلك الثوب الأنيق المتقن؛ متمنيا أن يواصلوا جهودهم القيمة في سبيل إكمال ما بقي. وأنا على يقين من حبهم لعملهم، ومن حرصهم على إنقائه. كما أقدم شكري الجزيل للصحف الجزائرية التي لم تبخل بالإعلان عن صدور الكتاب وهي: صوت الأحرار، الشعب، كواليس، الخبر، أخبار العاصمة والأصيل.

الجزائر في 2000.05.05

بوزياتي الدراجي

## القبائل البرنسية

مرَّ اسم برانس بالظروف نفسها التي مر بها اسم بتر؛ حيث أصبحت يتردد بين الناس، وبين صفحات الكتب بعد الفتح الإسلامي. ولا يعرف - ييقن - إن كانت هاتان التسميتان من وضع المسلمين؛ أم هي من التسميات التي أطلقها الأمازيغ على أنفسهم، ثم ورثها المسلمون عنهم. غير أن بعضهم قد زعم بأن المسلمين هم الذين ابتكروا الاسم؛ فأطلقوا اسم بتر على القبائل الأمازيغية التي يرتدي أبنائها لباسا قصيرا؛ مبتورا. واسم برانس على أبناء القبائل الذين يرتدون اللباس المسمى بالبرنوس.

ومن جهة أخرى رأى بعض الباحثين أن البرانس هم القبائل الأمازيغية المدرية المتمدينة، والمستقرة بمدن، وقرى إفريقية، والمغربين؛ وعليه.. يصبح البتر هم أبناء القبائل الوبرية؛ ذات النجعة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن القبائل البترية. على أنه يستحسن

التذكير بالظروف التي كانت تحيط بقبائل  
برنسية مثل: ملتونة، ومسوفة، ولطة،  
وهوارة...الخ. وهي التي تعد من بين القبائل  
الموغلة في البداوة، والتي تصنف ضمن القبائل  
الجمالة؛ ذات النجعة البعيدة في أعماق الصحراء.  
وبالمقابل.. نرى بعض القبائل البتيرة قد  
اختارت حياة المدر، والاستقرار في القرى،  
والمدن المتحضرة. مثل قبائل: كومية، ومطغرة،  
ونفوسة، ومغيلة..الخ. ومن هنا تتضح صعوبة  
الجزم بهذا الرأي الأخير بسبب تعذر تعميمه..  
وما يمكن إجماله — هنا — هو أن البرانس  
فئة عظيمة من الأمازيغ. وقد يكون هذا  
الاسم مستمدا من الكلمة اليونانية Baranos  
برانوس؛ التي تمت الإشارة إليها من قبل، أو  
يكون أخذ من اسم شخص معين؛ تنتسب  
إليه هذه الفئة من الأمازيغ؛ التي تضم عددا  
كبيرا من القبائل العظيمة؛ وقد حصرها ابن  
خلدون في عشر كتل؛ هي: ازداجة، وأوربة،  
وأوريغة، وصنهاجة، وعجيسة، وكتامة، وكزولة،  
ولطة، ومصمودة، وهسكورة.<sup>1</sup> وسنكلم عن

<sup>1</sup> ابن حزم؛ الجمهرة، ص ص: 495 — 498. ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص:

هذه القبائل، أو الكتل القبلية في سياق الموضوع؛  
واحدة بعد أخرى.

## É É É

### 1 - ازداجاة:

تعرف - كذلك - باسم وزداجاة. ولم  
تذكر المصادر المتوفرة اسم أيهم، أو سلسلة  
الآباء التي تصلهم ببرنس. ويرى بعضهم أن  
ازداجاة، ووزداجاة قبيلتان متبايتان؛ فالأولى تنسب  
إلى زناتة البترية؛ بينما تنتمي الثانية إلى هواراة  
البرنسية. وكانت ازداجاة - في أول أمرها -  
وافرة العدد، نافذة الشوكة، عزيزة الجانب.  
وسُجلت لأبنائها صولات، وجولات، وفتن،  
وحروب؛ قلصت أعدادهم، وأفنت أبطالهم. وقد  
تمكنت ازداجاة - بعصيتها المتنامية في عصرها  
الذهبي - من تشيد دولتها في نكور؛ بعد  
الإطاحة بدولة بني صالح؛ ولكنها لم تدم  
طويلاً؛ إذ أسقطتها - هي بدورها - جيوش  
لمتونة؛ سنة 460هـ/1067م؛ كما التهمت غيرها  
من الدول.

ومن بطون ازداجة التي ذكرها النسابون:  
 مسطاسة، ومسكن. غير أنهم اختلفوا بخصوص  
 مسطاسة؛ إذ يرى بعضهم أن بني مسطاسة ليسوا  
 من بطون ازداجة؛ وإن كانوا مندرجين معهم؛  
 بحكم الأخوة. أما بنو مسكن فكانت مواقفهم  
 مذبذبة؛ حينما يتعلق الأمر بالولاء للدولة.  
 وبحكم وجودهم بجوار مدينة وهران؛ فقد  
 اشتدت الضغوط عليهم؛ من طرف الطامعين في  
 الاستيلاء على تلك المدينة الهامة. هذا. وقد  
 انتهى الحال بازداجة إلى الشتات، والاندثار؛ بعد  
 أن عانى أبناؤها الذل، والهوان؛ في ظل الدول  
 القوية؛ التي فرضت عليهم الضرائب،  
 والغرامات.<sup>1</sup> ومع ذلك فقد تمكن قبيل ازداجة  
 من إقامة دولة لهم بنكور؛ بعد انتزاعها من  
 بني صالح؛ وذلك عام 410هـ/1019م.

! ! !

<sup>1</sup> - العبر، مج: 6، ص ص: 293 — 295. 444. ابن الخطيب أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص: 179. دور كتامة، ص ص: 68 — 69.



— أعيانهم: من العلماء المعدودين في أزداجة:  
 — أبو علي المنصور الزموري المسطاسي (توفي  
 بآزمور سنة 540هـ/1145م)؛ وهو من الشيوخ  
 الصالحين. وكان قد تلقى علومه بقرطبة.  
 — ثم حفيده الشيخ أبو يعقوب يوسف  
 المسطاسي.

أما زعمائهم وأعيانهم المذكورين؛ فمنهم:  
 — شجرة بن عبد الكريم المسطاسي؛ هكذا  
 سماه ابن خلدون؛ أما صاحب مفاخر البربر  
 فسماه شجرة بن عبد الله (هاجر إلى  
 الأندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة).  
 — ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الله  
 ابن أبي دليم بن خطاب (توفي بقرطبة سنة  
 338هـ). هاجر — هو الآخر — إلى الأندلس من  
 ساحل تلمسان؛ وكان له خلف صالح في  
 تلك الديار؛ منهم الفقهاء؛ الذين تركوا أثرا  
 محمودا. أشار إليهم ابن خلدون بقوله:  
 ((وكان لبنيه بها ذكر، وفي فقهاء قرطبة  
 مكان)).<sup>1</sup> كما أشار إليهم أيضا ابن حزم في  
 الجمهرة.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 294.

— ثم خزرون بن محمد الأزدا جي (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أحد النازحين؛ من زعماء أزدا جة إلى الأندلس؛ بعد نكبة قبيلة أزدا جة، واستلحام أبنائها؛ من طرف يعلى ابن محمد اليفرني سنة 343هـ. وباستقرار خزرون هذا في تلك الديار أصبح من الأصدقاء المقربين للمنصور بن أبي عامر، وولده المظفر.



أما أمراء دولة أزدا جة فهم:

— يعلى بن الفتوح الأزدا جي (ت: سنة 423هـ/1031م)؛ وهو مؤسس الدولة الأزدا جية بنكور. قال عنه ابن الخطيب: ((واستولى عليها [أي نكور] يعلى بن الفتوح الأزدا جي؛ مستظهرا بوفور قبيله من أزدا جة؛ فبايعته قبائل البربر، وقتل من بقي بنكور من أولاد صالح، وجرثم [بن عبد السميع] ، ونفى قوما منهم)).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أعمال الأعلام، ق: 3، ص: 179.

— ثم ولده يوسف بن يعلى بن الفتوح  
الازداجي (ت: سنة 431هـ/1039م).

— ثم عز بن يوسف بن يعلى الازداجي (ت:  
سنة 460هـ/1067م)؛ وفي عهده زحفت جيوش  
المرابطين إلى نكور؛ حيث أطاحت بدولة ازداجة  
القائمة فيها، وقتلوا هذا الأمير؛ وهو آخر  
أمرائها؛ وتم ذلك في السنة المذكورة.

\*\*\*

— **مواطنهم:** لم يذكر ابن خلدون من مواطن  
ازداجة؛ سوى نواحي وهران. ويمكن — هنا —  
إضافة نكور التي أضحت حاضرة لدولتهم. أما  
عبد الوهاب بن منصور فلم يصف شيئاً  
جديداً عما ذكره ابن خلدون؛ بينما أضاف  
لقبال بعض المعلومات التي استقاها من:  
المغرب، والاستبصار، والبلدان، وتحفة الزائر.  
ومفادها وجود مراكز عديدة لأحياء ازداجة  
غير وهران هي: بلدة تانسالمت؛ بجبل كيدر  
القريب من وهران، وسوق عيبدون بن سنان  
الازداجي، وقصر ابن سنان المذكور، وبعض  
القرى المنتشرة ضمن حوض وادي سبو،

ومضارب لمسطاسة متواجدة بين ستة وفاس،  
وحصن مسطاسة الرابض ببلاد غمارة.  
É É É

## 2 - أوربة:

وهم من أبناء أورب بن برنس. كانوا —  
أيام الفتح الإسلامي — من أوفر القبائل  
الأمازيغية عددا. ويقال أن أكبر القبائل البرنسية  
— آنئذ — هي: أوربة، وصنهاجة، وهوارة؛ بينما  
كان التقدم فيهم لأوربة؛ نظرا لتفوقهم في  
العدد، والقوة، وشدة البأس. وتفرعت عنهم  
بطون عديدة؛ أهمها: دقيوسة، ورغوة،  
وزهجوكة، وسطة، ولجاية، مزياتة، ونفاسة،  
ونيجة.

وقد حدث بعض التصحيف في أسماء هذه  
الأحياء؛ فقام عبد الوهاب بن منصور  
بتصحيحها، والتعليق عليها؛ واحدة بعد أخرى.  
فبخصوص رغوة — التي ورد اسمها في العبر  
هكذا — قال ابن منصور أن بقية منها  
موجودة — في الوقت الحاضر، — وبلاسم نفسه  
— في شمال إقليم فاس. كما توجد فئة من  
رغوة مندرجة ضمن قبيلة التلاغمة (دوار راس  
سكين) بالمغرب الأوسط. أما زهجوكة؛ فقد

كتبت في العبر زهكوجة؛ بينما تكلم البكري عن مدينة سماها زهجوكة؛ وقال أنها كانت مقرا للأمير إبراهيم بن محمد وبنيه (من أمراء الأدارسة). وقال ابن منصور أنها حرفت الآن؛ وأصبحت تسمى **جهجوكة**؛ ثم قال أن زهجوكة اسم قبيلة مشهورة بين قبائل جبال؛ عرفت بالرقص، والطرب. أما لجاية فقد وردت مصحفة في العبر؛ إذ كتبت باسم بجاية؛ بينما تنتسب بجاية إلى صنهاجة؛ لا إلى أوربة. وعليه.. فقد قام ابن منصور بتصحيح الخطأ، وقال أن لجاية موجودة الآن بقرب وادي ورغة؛ المتواجد شمال إقليم فاس. أما مزياتة فيقول أنها موجودة — الآن كذلك — بجانب وادي ورغة؛ وهي معروفة باسم مزيات<sup>1</sup>. أما نفاسة، ونيجة؛ فلا يعرف عنهما شيئا حتى الآن.

وعلى الرغم من قوة أوربة، وتأثيرها على القبائل الأمازيغية؛ أثناء الفتح، وبعده؛ فإنها — حسبما يبدو — عجزت عن تشييد دولة بمعنى الكلمة؛ حيث وقفت طموحات أبنائها في حدود الرئاسة، والمشخة. وحتى السنوات الخمس، أو الثلاث التي قضاها شيخهم

<sup>1</sup> أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 296 — 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 — 314. ودور كتامة، ص ص: 72 — 74.

**كسيلة؛** على رأس السلطة في القيروان؛ لا يمكن اعتبارها فترة من عمر الدولة الأوربية؛ لأنها كانت فترة مشتركة؛ بين القبائل الأمازيغية الثائرة كلها. كما كانت فترة انتظار، وتربص حربية؛ لا غير. وقد انتهى الأمر بأوربة - بعد هزيمة الأحلاف الأمازيغية - إلى التشتت، والاضمحلال. ومع هذا ظهرت طائفة منهم في المغرب الأقصى؛ كان لها دور هام في تأسيس دولة الأدارسة.

! ! !

**- أعيانهم:** أنجبت أوربة عددا كبيرا من الأعلام الذين تركوا أثرا محمودا في تاريخ المغرب الإسلامي؛ نبدأ منهم بأصحاب القلم؛ من العلماء، والأدباء؛ ثم نتبعهم بأصحاب السياسة، والسلطان؛ فمن علمائهم:

**- عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي (ت: سنة 353هـ/964م)** وهو من علماء الحديث.

**- ثم ولده أبو ثابت فرح بن عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي (ت: سنة 389هـ/998م)؛** وهو من أهل الصلاح؛ كان محدثا وإماما بمسجد أستجة بالأندلس.

— ثم منذر بن عياش الأوربي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع)؛ كان قد ولي القضاء؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

— ثم أبو موسى عيسى بن حماد بن محمد الأوربي؛ قال عنه يحيى بن خلدون: ((روى بالأندلس عن أبي علي الصدي؛ وكان من أهل الضبط، والإتقان، والزهد، والدين المتين)).<sup>1</sup>

— ثم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي (توفي غريقاً سنة 750هـ)؛ وذلك أثناء عودته مع السلطان أبي الحسن المبريني من تونس؛ بعد نكبة القيروان. وترجم له عبد الرحمن بن خلدون في (التعريف) بقوله: ((وأما السطي واسمه محمد بن سليمان؛ من قبيلة سطة؛ من بطون أوربة بنو يحيى فاس. نزل أبوه سليمان مدينة فاس؛ ونشأ محمد بها... وكان أحفظ الناس لمذهب مالك، وأفقههم فيه؛ وكان السلطان أبو الحسن — لدينه، وسراوته، وبعد شأوه في الفضل — يتشوف إلى تنويع مجلسه بالعلماء؛ واختار منهم جماعة لصحافته، ومجالسته؛ كان منهم هذا الإمام

<sup>1</sup> بغية الرواد، ج: 1، ص: 25.

محمد بن سليمان؛ وقدم علينا بتونس في  
جملته، وشهدنا وفور فضائله؛ وكان في الفقه  
من بينها لا يجارى؛ حفظاً، وفهما... وحضر  
مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان،  
وخلص معه إلى تونس... ثم ركب [السلطان]  
أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة  
خمسین [وسبعمائة] ومر ببجاية؛ فأدركه الغرق  
في سواحلها؛ فغرقت أساطيله، وغرق أهله؛  
وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء  
وغيرهم<sup>1</sup>.

— ثم أحمد بن حاتم السطي (ولد في سنة  
851هـ/1447م)؛ وهو من علماء تلمسان؛ هاجر إلى  
القاهر؛ واستقر بها.



ومن أشهر أعيان أوربة، ورؤسائها  
المعرفين:

— سكرديد بن زوغي بن بارزت بن بارزيات  
الأوربي (ت: سنة 71هـ/690م)؛ قال ابن خلدون:  
((ولي عليهم [أوربة] مدة ثلاث وسبعين سنة،  
وأدرك الفتح الإسلامي، ومات سنة إحدى

<sup>1</sup> التعريف بابن خلدون، ص ص: 31—32.



وسبعين، وولي عليهم بعده كَسيلة بن لزم الأوربي؛ فكان أميراً على البرانس كلهم<sup>1</sup>. ومن هذا القول يتضح بأنه مات بعد كَسيلة؛ وفي هذه الحال؛ يكون كَسيلة مجرد قائد عسكري لأوربة، والبرانس.

— ثم كَسيلة بن لزم الأوربي (ت: سنة 67هـ/686م)؛ وكانت له مواقف مشهورة مع الفاتحين العرب؛ ذلك أنه اعترض طريق أبي المهاجر؛ في زحفه نحو غرب البلاد؛ في جهات تلمسان؛ فتمكن أبو المهاجر من أسره سنة 55هـ؛ فعرض عليه الإسلام؛ فاستجاب له، وصحبه في غزواته، وتمنت العلاقة بينهما. ولما ولي عقبة على جيوش المسلمين؛ أساء معاملته كَسيلة؛ فثار لكرامته، وانتهت ثورته تلك بقتل عقبة، وتغلب كَسيلة بجيوشه الثائرة على القيروان لفترة؛ ربما تكون دامت خمس سنوات، أو ثلاث سنوات.

— ثم إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي (ت: سنة 192هـ/807م)؛ هو الذي ناصر إدريس الأول، وساعده على إقامة دولته في أوليلى؛ مركز قبيلة أوربة. ولكنه قتل بأمر

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 296 — 297.

من ولده إدريس الثاني؛ بعد اتهامه بالتآمر عليه.

ومن أوربة — كذلك — رجال مذكورين،  
وقادة للجيش ظهرُوا في الأندلس؛ مثل:  
— **صبّرون بن شبيب الأوربي** (من أعلام  
النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ — ولي في  
عهد عبد الرحمن الناصر — بعض الولايات  
ببلاد الأندلس.

— ثم ولده **وكيل بن صبّرون الأوربي** (من  
أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛  
ولاه — هو الآخر — عبد الرحمن الناصر بعض  
الولايات كأبيه.

— ثم **صيدون بن وكيل الأوربي** (من أعلام  
النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان  
بدوره قائداً من قادة الجيش؛ في عهد عبد  
الرحمن الناصر.

\*\*\*

— **مواطنهم**: لم يذكر ابن خلدون — هذه  
المرّة كما هي عادته — مواطن أوربة الأولى.  
ولكنه أشار إلى مستقرهم الأخير؛ في أوليلي؛  
حينما تكلم عن لجوء إدريس إليهم؛ في تلك  
المدينة بالمغرب الأقصى. وإن كان قد ذكر —

عرضا — بأن زعيمهم كسيلة قد تصدى — في أول الأمر — لأبي المهاجر في جهات تلمسان. وذكر موسى لقبال — نقلا عن المالكي، والدباغ — بأنهم متفرقون بين أوراس بالمغرب الأوسط، والريف بالمغرب الأقصى. أما دبور فقال أن مواطنهم تتواجد انطلاقا من شمال تاهرت إلى وهران، وفي غرب فاس؛ ومنها سقوط قلعة أوربة، ومدينة أوليلي. على أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات. ومن المعلومات التي ذكرها ابن منصور؛ يمكننا استنتاج بعض المواطن المتبقية لأبناء أوربة إلى الآن. وهذه المواطن موزعة بين الجزائر، والمغرب الأقصى؛ مثل ناحية تازة؛ التي تتواجد بها إلى الآن جماعة تسمى وربة. وتلاغمة، والقصر الكبير، ووادي ورغة.<sup>1</sup>

## É É É

<sup>1</sup> أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 297. 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 — 314. وتاريخ المغرب الكبير، ج: 2، ص: 37. المغرب الإسلامي، ص: 38. ودور كتامة، ص ص: 72 — 74.

### 3 - أوريفغة:<sup>1</sup>

وهم أبناء أوريفغ بن برنس؛ الذي خلف أربعة من الأبناء؛ هم: قلدن، ومغر، وملد، وهوار. وتفرعت عن هؤلاء الأبناء بطون كثيرة. فمن بطون قلدن: بيانة، وفل، وقمصانة، وورسطيف. ومن مغر: زمور، وكبا، وكركودة، وماواس، ومنداسة، وسراي أو (مسات)، وورجين. ومن بطون ملد: أسيل، سطات أو (سطط)، ومليلة، ومساتة، ونيفن، وورفل؛ وهؤلاء جميعهم من أبناء لهان ابن ملد. أما بطون هوار فهم كثيرون؛ وقد التحقت بهم بطون أخرى من اخوتهم؛ أبناء أوريفغ، ومن أقاربهم البتر؛ مثل أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتري؛ بعد أن تزوج أوريفغ أم أداس المسماة تصكي العرجاء. وأهم بطون هواره هي: زكارة، ومجريس، ومسلاتة، وغريان، وورغة، وبنو كسي، ولشوة، وهكارة أو (هقارة)، وهيواره، وورتاكت. وقد اختار بعضهم حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ بينما فضل آخرون حياة البدو، والتجوال في قفار

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 282 — 291. قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 314 — 318. دور كتامة، ص ص: 74 — 79.

إفريقية، والمغرب الأوسط. وقد لعبت هوارا أدوارا هامة في الثورات التي اشتعلت بربروع المغرب مثل: ثورات الإباضية على ولاية القيروان، وثورة أبي يزيد على الدولة الفاطمية. وانتهى بهم الحال؛ بعد مقتل أبي يزيد إلى الشتات، والضياع؛ بسبب حملات الانتقام، والتصفيات التي سلطت عليهم؛ من طرف الدولة الفاطمية.

ومع مرور الزمن.. أضحى بقاياهم في عداد القبائل الغارمة. وفي عهد ابن خلدون كانوا منتشرين في ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط؛ منهم المنتجعون في القفار، ومنهم المستقرون بالأرياف. وذكر ابن خلدون بعض أسماء أفخاذهم؛ في تلك الفترة الزمنية؛ مثل: المثالينة، وقيصرون، ونصورة، وترهونة، وورقلة (وهم غير واركلا)، ومجريس، ومسرارة. ويقول أنهم اختلطوا بعرب سليم، وهلال؛ واندمجوا معهم؛ حتى أصبح من الصعب التفريق بينهم في الزي، واللغة، أو أسلوب العيش. وأضحوا يعمرن ضواحي إفريقية، ويملكون الشاء، والبقر، ويمتطون الخيل. أما علاقتهم بالدولة — آنئذ — فيمكن حصرها في إعطاء الجباية للدولة، وتقديم حصة من المقاتلين؛ المفروضة عليهم

من طرف السلطان. على أنه كان لرؤسائهم كلمة مسموعة؛ في بلاط الدولة؛ كما كان الحال بالنسبة لبقية رؤساء القبائل البدوية الأخرى.

! ! !

— أعيانهم: منحت هواراة للمغرب الإسلامي —  
كغيرها من قبائل هذه الديار — علماء، وقادة، وزعماء؛ فمن بين أهل العلم:  
— أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ من أهل إستجة؛ قال فيه ابن الفرضي: ((رحل في أول خلافة الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ونظراءهما من الأئمة. ولقي الأصمعي، وأبا زيد الأنصاري، وغيرهما من رواة الغريب. وداخل العرب، وتردد في محالها. وقدم الأندلس؛ صادرا من سفره؛ فعطب ببحر تدمير؛ فذهبت كتبه؛ ولما قدم إستجة؛ أتاه أهلها يهنئونه بقدمه، ويعزونهم عن ذهاب كتبه؛ فقال لهم: "ذهب الخرج، وبقي الدرّج". ويعني ما في صدره. وكان فصيحاً ضرباً من الأعراب، وكان حافظاً

للفقه، والتفسير، والقراءات؛ له كتاب في تفسير القرآن قد رأيت بعضه... وقال ابن حارث أن أبا موسى استقضى على إستجة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم<sup>1</sup>.

— ثم أبو سليمان عبد السلام بن السمح ابن نابل بن عبد الله بن يحيون بن حارث بن عبد الله بن عبد العزيز الهواري (ت: سنة 307هـ/919م)؛ من مواطني مورور بالأندلس؛ جال في بلاد المشرق؛ وسكن مدة باليمن؛ وتفقه بمصر للشافعي، حافظاً لمذهبه. وكان يمتاز بالخط الحسن.

— ثم أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري (ت: سنة 317 أو 319هـ/929 أو 931م)؛ وهو من فقهاء المالكية المتمكنين، والمبرزين؛ كان ملماً بعلم الفرائض؛ قال ابن فرحون أنه قليل الكتب؛ علمه في صدره.

<sup>1</sup> تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص ص: 257 — 259.

- ثم أبو بكر يحيى بن خلفون الهواري المؤدب (ت: سنة 347هـ/958م)؛ قال عنه المالكي: ((كان من أقرأ أهل زمانه. وكان فاضلاً)). ومن خلال ما ذكره المالكي؛ يفهم أنه كان حاد الطبع، سريع الانفعال؛ كما عرف بعداوته الشديدة للمذهب الفاطمي الشيعي.
- ثم أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الفاسي الهواري (كان حياً سنة 399هـ/1008م)؛ فقيه، وراوي.
- ثم أبو عبد الله محمد بن سفيان الهواري (توفي بالمدينة المنورة سنة 415هـ/1024م)؛ وهو من المشتغلين بعلوم القرآن؛ وله كتاب الهادي في القراءات، وغيره.
- ثم أبو تمام غالب بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن نُهَيْك الأشوئي الهواري (ت: سنة 440هـ/1048م)؛ كان من العلماء المهتمين بعلم الحساب.
- ثم أبو مسلم مؤمن بن فرج الطرابلسي الهواري (ت: سنة 442هـ/1050م)؛ وهو من أفاضل الفقهاء بطرابلس.



— ثم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج الهواري يعرف بابن جفَاطٍ (من أعيان النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل جزيرة شقر؛ كما أنه ممن لازم أبا سليمان الباجي، وتفقه عنده؛ وكان يميل إلى مذهبه؛ القائل بجواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده. ولكنه تخلص عن هذا الاعتقاد؛ معلنا توبته؛ بعد أن شاهد حلما أفزعته. وحكايته وردت في الغنية، والتكملة، ونفح الطيب.

— ثم أبو الطيب عبد المنعم بن منّ الله ابن أبي بحر القيرواني الهواري (ت: سنة 493هـ/1099م)؛ كان أديبا، وشاعرا.

— ثم ذو الرئاستين حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل بن خلف ابن لب بن رزين الهواري (ت: سنة 496هـ/1102م)؛ اكتفت بعض المصادر بتلقيبه بالبربري لا غير؛ بينما ينسب ابن حزم — في الجمهرة — بني رزين؛ أمراء السَّهْلَة بالأندلس إلى هواره. وكان بنو رزين هؤلاء يستوطنون السهلة التي تمتد بين الثغرين: الأعلى، والأدنى؛ ثم اقتطعوها لأنفسهم، واستبدوا بها أيام

جدهم هذيل بن خلف؛ منتهزين فرصة  
الاضطرابات؛ التي حدثت في أواخر الدولة  
الأموية. وإذا كان هذيل لا يجيد سوى مهنة  
القتال، ولغة السلاح؛ فقد نبغ في ذريته ذو  
الرئاستين أبو مروان عبد الملك؛ الذي أشاد  
بمناقبه الأدباء، والمؤرخون. فمما قاله فيه الفتح  
ابن خاقان: ((ورث الرياسة من ملوك عَصَدُوا  
مُؤَاوَزَهُمْ، وشَدُوا دون النساء مَآزِرَهُمْ، ولم  
يتوشحوا إلا بالحمائل، ولا جنحوا للباس إلا في  
أعنة الصبا والشمائل، وركبوا الصعاب  
فذللوها، وابتغوا سبيل النجوم حتى انتعلوها،  
وملكوا الملك بأيديهم، وعقلوه من النخوة بقيد؛  
وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم، وقطب  
مدارهم؛ شيد بناءهم، وقيد غناءهم؛ رجلا  
اتخذته البسالة قلبا، وضمت عليه شغافا  
وخلبا؛ لا يعرف جبا ولا خوار، ولا يتلو غير  
سور الندى سورا؛ وكانت دولته موقف  
البيان، ومقذف الأعيان... وله نظم ونثر ما  
قصر عن الغاية، ولا أقصر عن تلقي  
الراية)).<sup>1</sup> ومن شعره؛ هذه الأبيات التي بعثها  
إلى الوزير الشاعر ابن عمّار:

<sup>1</sup> قلائد العقيان، ص: 58.

ضَمَّانٌ عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ أُبْلَغَ الْمُنَى  
 إِذَا كُنْتُ فِي وَدِّي مُسْرًّا وَمُعْلَنًا  
 فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَنْ هُوَ مُفْرَدٌ  
 بُوْدُ ابْنِ عَمَّارٍ لَقُلْتُ لَهُ أَنَا  
 فَإِنْ حَالَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
 فَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ أَوْ يَحْسُنُ الْغِنَا

وقال في شمعة:

رُبَّ صَفْرَاءَ تَرَدَّتْ بِرْدَاءِ الْعَاشِقِينَ  
 مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِيهَا تَفْعَلُ الْآجَالُ فِينَا

وله أيضا:

أُتْرَى الزَّمَانُ يَسْرُنَا بِتَلَاقِي  
 وَيَضُمُّ مُشْتَقًا إِلَى مُشْتَقٍ  
 وَتَعْضُ تُفَاحِ الْخُدُودِ شِفَاهُنَا  
 وَتَرَى سَنَا الْأَحْدَاقِ بِالْأَحْدَاقِ  
 وَتَعُودُ أَنْفُسُنَا إِلَى أَجْسَامِهَا  
 مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ عَلَى الْآفَاقِ

وقال كذلك:

وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشَيْئاً مُجَدِّدَا  
 فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنُّفُوسِ وَمُقْعِدَا

إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلْتَ غُصُونَهُ  
 رَوَاقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ الْقُضْبِ مُيِّدَا  
 إِذَا مَا انْسَكَابُ الْمَاءِ عَايَنْتَ خِلْتَهُ  
 وَقَدْ كَسَرَتْهُ رَاحَةُ الرِّاحِ مِبْرَدَا  
 وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ  
 حُسَامًا صَقِيلًا صَافِيَا الْمَثْنِ جُرْدَا  
 وَغَنَّتْ بِهِ وَرُقُ الْحَمَائِمِ حَوْلَنَا  
 غِنَاءٌ يُنْسِيكَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدَا  
 فَلَا تَجْفَوْنَ الدَّهْرَ مَا دَامَ مُسْعِدَا  
 وَمُدَّ إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِهِ يَدَا  
 وَخُذْهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَأَنَّهُ  
 إِذَا مَا سَقَى بَدْرٌ تَحْمَلُ فَرْقَدَا

ومن شعره أيضا:

دَعِ الْجَفْنَ يُفْنِي الدَّمَعَ لَيْلَةً وَدَعُوا  
 إِذَا انْقَلَبُوا بِالْقَلْبِ لَا كَانَ مَدْمَعُ  
 سَرَوْا كَاغْتِدَاءَ الطَّيْرِ لَا الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ  
 جَمِيلٌ وَلَا طُولُ النَّدَامَةِ يَنْفَعُ  
 أَضِيقُ بِحَمْلِ الْفَادِحَاتِ مِنَ النَّوَى  
 وَصَدْرِي مِنَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ أَوْسَعُ  
 وَإِنْ كُنْتُ خَلَا عِذَارَ فَإِنِّي  
 لَبِستُ مِنَ الْعَلِيَاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ

إِذَا سَلَّتِ الْأَلْحَاطُ سَيْفًا خَشِيَّتُهُ  
وَفِي الْحَرْبِ لَا أَخْشَى وَلَا أَتَوَقَّعُ

ومن غريب شعره:

أَخْسِسُ بِمَجْلِسِ مَعْشَرٍ  
مَا فِيهِ إِلَّا الطَّزْبَرُ  
جَلَسَاؤُهُ قَوْمٌ ثَقَا  
لَ كُلُّهُمْ حُبْتُ وَشَرُّ  
مَا فِيهِمْ إِلَّا دَنِي  
أَوْ غَبِيٍّ أَوْ مُضِرُّ  
أَسَدٌ عَلَى ثَلَبِ الْكَرَا  
مَ وَإِنْ وَزَنْتَهُمْ فَذَرُّ  
هَذَا يَغُوثٌ بَلْ أَضَ  
لَ وَذَا يَعُوقُ وَذَاكَ نَسْرُ  
ذَاكَ الْمَحَلُّ كَوَادٍ عَوْ  
فٍ لَيْسَ يَلْقَى فِيهِ حُرُّ

وقال أيضا:

أَقْسَمْتُ بِالْوَرْدِ الْجَنِيِّ  
وَرَنْتِي نَائِي وَعُودِ  
لَأَوَاصِلَنَّكَ بِالرَّضَى  
أَوْ تَأْنَفَنَّ مِنَ الصُّدُودِ

وَلَا شَرِبَنَّكَ بِالْمُنَى  
وَلَا لَثَمَنَّكَ مِنْ بَعِيدِ  
وَلَا رُضِيَنَّكَ إِنْ سَخِطَ  
تَ بِذِلَّةِ الدَّنْفِ الْعَمِيدِ  
وَلَا عَطِفَنَّكَ بِالْخُضُو  
عَ وَبِالْقُنُوعِ وَبِالسُّجُودِ  
فَبَحَقَّ مَا فِي فِيكَ مِنْ  
لَعَسٍ وَمِنْ ثَغْرِ بُرُودِ  
أَدْمِي يَضِيْعُ وَشَاهِدَا  
خَدَيْكَ فِي عَقْدِ الشُّهُودِ

ومن شعره كذلك:

أَدْرِهَا مُدَاماً كَالْعَزَلَةِ مُزَّةً  
تَلِينُ لِرَائِيهَا وَتَأْبَى عَلَى اللَّمَسِ  
وَتَبْدُو عَلَى الْأَبْصَارِ دُونَ تَجَسُّمِ  
عَلَى أَنَّهَا تَخْفَى عَلَى الذَّهْنِ وَالْحِسِّ  
إِذَا شَعَشَعَتْ فِي الْكَأْسِ خِلَتْ حُبَابُهَا  
لِأَلْيَاءِ قَدْ رُفِعْنَ فِي لُبَّةِ الشَّمْسِ  
مُوكَّلَةً بِالْهَمِّ تَهْزُمُ جَيْشَهُ  
بِجَيْشِ الْأَمَانِيِّ وَالْمَسَرَّةِ وَالْأَنْسِ  
فَإِنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أَرْقُ مِنْ الْهَوَا  
وَإِنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أَرْقُ مِنَ النَّفْسِ

وقال أيضا:

يَا رَبَّ لَيْلٍ أَطَالَ الْهَجْرُ لَدَّتْهُ  
فَأَيَّاسَ الْعُمَرِ عَنْ إِدْرَاكِ مُتَّصِفِهِ  
لَيْلٌ تَطَاوَلَ حَتَّى قَدْ تَبَيَّنَ لِي  
عِنْدَ التَّأْمُلِ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ سُذْفِهِ

وله أيضا:

أَنَا مَلِكٌ تَجَمَّعَتْ فِيَّ خَمْسٌ  
كُلُّهَا لِلْأَنَامِ مُخِيٍّ مُمِيتٌ  
هِيَ ذِهْنٌ وَحِكْمَةٌ وَمَضَاءٌ  
وَكَلَامٌ فِي وَقْتِهِ وَسُكُوتٌ

ومن شعره:

تُزْهِدُنِي فِي الزُّهْدِ عَيْنٌ مَرِيضَةٌ  
يُمَرِّضُنِي مِنْ لَحْظِهَا مَا أَعْلَنِي  
وَلَمْ تَبْقَ نَفْسِي غَيْرُ عَطْفَةٍ شَادِنٍ  
عَسَانِي أَفْدِيَهُ بِهَا وَلَعَلَّنِي  
شَكُوتٌ إِلَى فِيهِ الَّذِي بِي مِنَ الظُّمَأِ  
فَأَنْهَلَنِي عَذْبَ الرُّضَابِ وَعَلَّنِي

وقال:

إِذَا زَهَّدْتَنِي فِي الْهَوَى خِيفَةَ الرَّدَى  
جَلَّتْ لِي عَنْ وَجْدٍ يُزْهِدُ فِي الزُّهْدِ

فَلَا دَمْعَ مَا لَمْ يَجْرَ فِي إِثْرِهِ دَمٌّ  
وَلَا وَجْدَ مَا لَمْ يُغْنِ عَنِ صِفَةِ الْوَجْدِ

وقال أيضا:

بَرَّحَ السُّقْمُ بِي فَلَيْسَ صَاحِبًا  
مَنْ رَأَتْ عَيْنُهُ عُيُونًا مَرَضًا  
إِنَّ لِلْأَعْيُنِ الْمَرِاضِ سِهَامًا  
صَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْوَرَى أَغْرَاضًا  
جَوْهَرُ الْحُسْنِ مُنْذُ أُعْرِضَ لِلْقَلْبِ  
بِ ثَنَى الْجِسْمِ كُلُّهُ أَغْرَاضًا

وله:

يَا مُقَلَّةَ الظُّبْيِ الْغَرِيْبِ  
رَ وَوَجَنَةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ  
وَمُصِيبَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ  
بَ بَزَاعِيَّاتِ الْفُتُورِ  
تَالَلَهُ إِنْ لَمْ تَتَّركْ  
عَنْ ذَا الْجَفَاءِ وَذَا النُّفُورِ  
لَأَسْرَحَنَّ لَوَاحِظِي  
فِي ذَلِكَ الْوَرْدِ النَّضِيرِ  
وَلَا كُفْلَنَكَ بِالْمَنَى  
وَلَأَشْرَبَنَّكَ بِالضَّمِيرِ



وقال :

مَنْ كَثَّرَ الْجُنْدَ رَأَى سَعْدَهُ  
يَصْعَدُ حَتَّى يَنْتَهِيَ حَدَّهُ  
وَمَنْ أَذَلَّ الْمَالَ عَزَّتْ بِهِ  
أَيَّامُهُ وَأَنْصَرَفَتْ جُنْدُهُ  
فَاهْدِمِ بِنَاءَ الْبُخْلِ وَارْفُضْ بِهِ  
مَنْ هَدَّمَ الْبُخْلُ بَنَى مَجْدَهُ  
لَا عَاشَ إِلَّا جَائِعًا نَائِعًا  
مَنْ عَاشَ فِي أَمْوَالِهِ وَحْدَهُ

ومما قاله :

شَأَوْتُ آلَ رَزِينٍ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ  
وَهُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ أَفْضَلُ الْأَمَمِ  
قَوْمٌ إِذَا سُئِلُوا أَغْنَوْا، وَإِنْ حَرَبُوا  
أَفْنَوْا، وَإِنْ سُوْبِقُوا جَازَوْا مَدَى الْكَرَمِ  
جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جَوْدَ أَنْمِلِهِمْ  
مَدُّ الْبَحَارِ وَلَا هَطَّالَةَ الدَّيَمِ  
مَا ارْتَقَيْتُ إِلَى الْعُلْيَا بَلَا سَبَبٍ  
هِيَهَاتَ هَلْ أَحَدٌ يَسْعَى بِبَلَا قَدَمٍ  
فَمَنْ يَرُمُ جَاهِدًا إِدْرَاكَ مَنْزَلَتِي  
فَلْيُحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ

وله أيضا:

قَدْ خَرَجْنَا مِنْ أَرْحَامِ الْقَتَامِ  
 كَشْمُوسٍ خَرَجْنَ تَحْتَ الْعَمَامِ  
 وَحَصَلْنَا فِي نُزْهَتَيْنِ وَفِي حُسْنِ  
 نَيْنِ بَيْنَ الْمِيَاهِ وَالْأَكَامِ  
 بَيْنَ رَوْضٍ مُدَبَّجٍ وَغُصُونِ  
 تَشَنَّى كَشَارِبَاتِ الْمَدَامِ  
 غَرَدَتْ فَوْقَنَا الْبَلَابِلُ وَالْوُرُ  
 قُ فَأَرْقَنَنِي وَهَجَنَ غَرَامِي  
 ذَاكَ طَيْرٌ أَطَارَ قَلْبِي شَوْقًا  
 وَحَمَامٌ مُعَرِّدٌ بِحَمَامِ

وقال في جوابه للوزير أبي جعفر بن سعدون:

إِلَيْكَ فَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُنْظَمْ الدُّرُّ  
 وَلَا التَّامُ فِي مَدْحِ نَظَامٍ وَلَا نَشْرُ  
 إِذَا قُلْتَ لَمْ يَنْطِقْ فَصِيحٌ مُذَرَّبٌ  
 وَلَا سَاغَ فِي سَمْعٍ غِنَاءٌ وَلَا زَمَرُ  
 لَكَ السَّبْقُ كَمْ رَوَّضْتَ مِنْ عَاطِلِ الرُّبَى  
 وَحَلَلْتَ مِنْ سِحْرِ وَقْدِ عُدِمِ السَّحَرُ  
 وَلَمَّا مَلَكَتِ الْقَوْلَ قَهْرًا وَعُنْوَةً  
 أَطَاعَكَ جَيْشُ النَّظْمِ وَأَثْمَرَ النَّشْرُ  
 فَلَا نَقْلَ إِلَّا مَا تَقُولُ بَدِيهَةً  
 وَلَا خَمْرَ مَا لَمْ تَأْتِ مِنْ فَمِكَ الْخَمْرُ

وقال ردا على الكاتب أبي الحسن بن سابق؛ الذي تخلى عن ابن لبون؛ والتحق بالمستعين:

هَبُّوا لَنَا حَظَّكُمْ مِنْ آلِ لُبُونٍ  
 كَمْ تَبْخُلُونَ عَلَيْنَا بِالرِّيَاحِينَ  
 لَا تَعْدِلُونَا فَحَقُّ أَنْ نُنَافِسَكُمْ  
 فِي أَكْرَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ  
 ذَاكَ الْوَفِيُّ الَّذِي نَبِطَتْ تَمَائِمُهُ  
 عِنْدَ الْفِطَامِ عَلَى حِلْمِ ابْنِ سِيرِينَ  
 اخْتَرْنَا فَتَخَيَّرْنَاهُ صَاحِبُنَا  
 وَكُلْنَا فِي أُخْيِهِ غَيْرُ مَعْبُونٍ  
 إِنْ كَانَ أَنْشَرَ ذِكْرِي فِي بِلَادِكُمْ  
 لِأَنْ نُشَرَّنَّ لَهُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ  
 وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ حَاطٍ بِحَظْوَتِهِ  
 يَغْشَى الْحَسُودَ بِتَرْفِيعٍ وَتَمْكِينِ  
 حَتَّى تَقُولَ اللَّيَالِي وَهِيَ صَادِقَةٌ  
 هَذَا السَّمَوَالُ فِي هَذِي السَّلَاطِينِ

— ثم أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن مَنَّ الله بن أبي بحر الهواري يعرف بالكِمَاد (كان حيا سنة 527هـ/1132م)؛ كان أحد الرواة؛ وهو من أهل فاس؛ كان أبوه قد

نزع إليها من القيروان، بعد فتنة أعراب بني هلال بها.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الهواري (ت: سنة 533هـ/1138م)؛ وهو من فحول الشعراء، وعلماء اللغة، والأدب؛ قال فيه ابن الأبار: ((إبراهيم... ابن خفاجة الهواري الشاعر، من أهل جزيرة شقر... وكان عالماً بالآداب، صدرًا في البلغاء، متقدماً في الكتاب والشعراء؛ يتصرف كيف يريد؛ فيدع، ويجيد؛ ناظماً، وناثراً، ومادحاً، وراثياً، ومشبهاً، ومشبهاً. كان نزيه النفس؛ لا يكتسب بالشعر، ولا يمتدح رجاء الرفد)).<sup>1</sup> وقال فيه معاصره، وصديقه الفتح ابن خاقان:<sup>2</sup> ((مالك أعنة المحاسن، وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها... تصرف في فنون الإبداع كيف شاء، وأبلغ دلوه من الإجابة الرشاء؛ فشعشع القول وروقه، ومد في ميدان الإعجاز طلقه؛ فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وآنق من الروض البليل... وبلغه عني

<sup>1</sup> التكملة، ج: 1، ص: 143.

<sup>2</sup> قلائد العقيان، ص: 266 — 267 — 268.

ما ذكرته في هذا الكتاب بقيح، وأتيت في  
وصف أيام فتوته بتندير، وتمليح؛ فكب إلي  
يعاتبني:

خُذَهَا يُرْنُ بِهَا الْجَوَادُ صَهِيلاً  
وَتَسِيلُ مَاءً فِي الْحُسَامِ صَقِيلاً  
بَسَامَةً تُصْبِي الْحَلِيمَ وَسَامَةً  
لَوْلَا الْمَشِيبُ لَسُمْتُهَا تَقِيلاً  
حَمَلْتُهَا شَوْقاً إِلَيْكَ تَحِيَّةً  
حَمَلْتُهَا عْتَباً عَلَيْكَ ثَقِيلاً  
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ لَوْ تَدَفَّقَ طَبْعُهُ  
مَاءً لَغَصَّ بِهِ الْفَضَاءُ مَسِيلاً  
إِيهِ وَمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ غَلَّةً  
لَوْ كُنْتُ أَنْقَعُ بِالْعِتَابِ غَلِيلاً  
مَا لِلصَّدِيقِ وَقِيَتْ تَأْكُلُ لَحْمَهُ  
حَيًّا وَتَجْعَلُ عَرْضَهُ مِنْدِيلاً  
أَقْبَلْتَهُ صَدْرَ الْحُسَامِ وَطَالَ مَا  
أَضْفَيْتَهُ دِرْعاً عَلَيْهِ طَوِيلاً  
مَاذَا ثَنَّاكَ عَنِ الشَّاءِ وَنَشْرِهِ  
بُرْداً عَلَى الرَّسْمِ الْجَمِيلِ جَمِيلاً

[إلى قوله:]

وَسَوَايَ يُنْشَدُ فِي سِوَاكَ نَدَامَةً  
"يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيلًا"

أما ابن بسام فيفيض ثناء على ابن خفاجة، ويدرج ضمن كتابه عينات شعرية، ونثرية كثيرة لهذا الأديب الجليل. ومن قوله فيه: ((الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع؛ المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع... نشأ ببلاد الجانب الشرقي من الأندلس؛ فلم يذكر معه هناك محسن، ولا لغيره فيه وقت حسن؛ ولا لأعرفه تعرض للوك الطوائف بوقتنا؛ على أنه نشأ في أيامهم؛ ونظر إلى تماثهم في الأدب، وازدحامهم؛ وهو اليوم بمطلعه من ذلك الأفق؛ يبلغني من شعره ما يطل السحر، ويعطل الزهر؛ وقد أثبت بعض ما وقع من كلامه؛ فتصفحه؛ تعلم أنه بحر النظام، وبقية الأعلام)).<sup>1</sup> ونقل المقرئ في نفج الطيب - أيضا - مقطوعات كثيرة جدا؛ من أشعار ابن خفاجة؛ كان يستشهد بها المرة بعد الأخرى. كما قال فيه: ((وأبو إسحاق

<sup>1</sup> الذخيرة، ق: 3، مج: 2، ص ص: 541 — 542.

ابن خفاجة كان أوحّد الناس في وصف  
الأهّار، والأزهار، والرياض، والحيّاض،  
والرياحين، والبساتين<sup>1</sup>. ((وكان صنّوبري  
الأندلس أبو إسحاق ابن خفاجة؛ وهو من  
رجال الذخيرة، والقلائد، والمسهب، والمطرب،  
والمغرب؛ وشهرته تغني عن الإطناب فيه؛  
مُعَرَّى بوصف الأهّار، والأزهار، وما يتعلّق  
بها؛ وأهل الأندلس يسمّونه الجَنّان؛ ومن  
أكثر من شيء عُرف به<sup>2</sup>). وهذه عينة من  
شعره:

يَا أَهْلَ أَنْدَلَسِ لِلَّهِ دَرْكُكُمْ  
مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ  
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ  
وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ  
لَا تَحْسَبُوا فِي غَدٍ أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا  
فَلَيْسَ تُدْخَلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وأورد المقرّي خبراً مفاده أن رسولا من  
الأندلس مثّل أمام سلطان المغرب الأقصى أبي  
عنان المريّني؛ وألقى أبيات ابن خفاجة هذه

<sup>1</sup> نفح الطيب: ج: 1، ص: 681.

<sup>2</sup> نفسه، ج: 3، ص: 488.

بين يديه؛ على سبيل الافتخار ببلاده الأندلس. فاستنكر أبو عنان وصف الأبيات للأندلس بجنة الخلد؛ التي لو خُير؛ لاختارها؛ فقال أبو عنان: ((كذب هذا الشاعر... وهذا خروج عن رُبقة الدين؛ ولا أقلّ من الكذب، والإغراق؛ وإن جرت عادة الشعراء بذلك الإطلاق". فقال الخليلي [الرسول الوافد من الأندلس]: "يا مولانا؛ بل صدق الشاعر؛ لأنها موطن جهاد، ومقارعة للعدو وجلاد؛ والنبي صلى الله عليه وسلم؛ الرءوف، الودود، الرحيم، العطوف؛ يقول: الجنة تحت ظلال السيوف". فاستحسن منه هذا الكلام، ورفع عن قائل الأبيات الملام))<sup>1</sup>. وفي الوصف يقول:

وَعَشِيٍّ أَنَسْ أَضْجَعْتَنِي نَشْوَةٌ  
فِيهِ تُمَهِّدُ مَضْجَعِي وَتُدَمِّمُ  
خَلَعْتُ عَلَيَّ بِهِ الْأَرَاكَةَ ظِلَّهَا  
وَالْعُصْنُ يُصْغِي وَالْحَمَامُ يُحَدِّثُ  
وَالشَّمْسُ تَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ مَرِيضَةٌ  
وَالرَّعْدُ يَرْقِي وَالْعَمَامَةُ تَنْفُثُ

<sup>1</sup> نفح الطيب: ج: 1، ج: 1، ص: 681.



ويقول أيضا:

لِلَّهِ نَهْرٌ سَالٌ فِي بَطْحَاءٍ  
 أَشْهَى وَرُوداً مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ  
 مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السَّوَارِ كَأَنَّهُ  
 وَالزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجْرٌ سَمَاءٍ  
 قَدْ رَقَّ حَتَّى ظُنَّ قَوْساً مُفْرِغاً  
 مِنْ فِضَّةٍ فِي بُرْدَةٍ خَضْرَاءِ  
 وَغَدَتْ تَحْفٌ بِهِ الْعُصُونُ كَأَنَّهَا  
 هُدْبٌ تَحْفٌ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ  
 وَلَطَالَمَا عَاطَيْتُ فِيهِ مُدَامَةً  
 صَفْرَاءَ تَخْضِبُ أَيْدِيَ النَّدْمَاءِ  
 وَالرَّيْحُ تَعَبْتُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى  
 ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

ويقول كذلك:

حَثَّ الْمُدَامَةَ وَالنَّسِيمُ عَلِيلُ  
 وَالظِّلُّ خَفَّاقُ الرُّوَّاقِ ظَلِيلُ  
 وَالرَّوْضُ مُهْتَزُّ الْمَعَاطِفِ نَعْمَةٌ  
 نَشْوَانٌ تَعْطِفُهُ الصَّبَا فَيَمِيلُ  
 رِيَّانَ فَضْضِهِ النَّدَى ثُمَّ انْجَلَى  
 عَنْهُ فَذَهَبَ صَفْحَتَيْهِ أَصِيلُ

وقال يصف سقوط البرد:  
 أَلَا نَسَخَ اللَّهُ الْقُطَارَ حِجَارَةً  
 تَصُوبُ عَلَيْنَا وَالْغَمَامُ غُمُومًا  
 وَكَانَتْ سَمَاءُ اللَّهِ لَا تَمْطِرُ الْحَصَى  
 لِيَالِي كُنَّا لَا نَطِيشُ حُلُومًا  
 فَلَمَّا تَحَوَّلْنَا عَفَارِيْتَ شِرَّةٍ  
 تَحَوَّلَ شُؤْبُوبُ الْعَمَامِ رُجُومًا

ويقول في وصف شجرة نارنج:  
 أَلَا أَفْصَحَ الطَّيْرُ حَتَّى خَطَبُ  
 وَخَفَّ لَهُ الْعُصْنُ حَتَّى اضْطَرَبُ  
 فَمِلَ طَرَبًا يَبْنَ ظِلُّ هَفَا  
 رَطِيبٌ وَمَاءٌ هُنَاكَ انْتَعَبُ  
 وَجُلُ فِي الْحَدِيقَةِ أُخْتِ الْمُنَى  
 وَدِنْ بِالْمُدَامَةِ أُمُّ الطَّرَبُ  
 وَحَامِلَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْقَنَا  
 أَمَالِيدَ تَحْمِلُ خُضْرَ الْعَذَبُ  
 تُنُوبُ مُورَقَةٌ عَنْ عِذَارِ  
 وَتَضْحَكُ زَاهِرَةٌ عَنْ شَنْبِ  
 وَتَنْدَى بِهَا فِي مَهَبِّ الصَّبَا  
 زَبْرَجْدَةٌ أَثْمَرَتْ بِالذَّهَبِ  
 تُفَاوِحُ أَنْفَاسَهَا تَارَةً  
 وَطَوْرًا تُغَازِلُهَا مِنْ كَثَبِ

فَتَبَسُّمٌ فِي حَالَةٍ عَنْ رَضَى  
وَتَنْظُرُ آوْنَةَ عَنْ غَضَبٍ

— ثم أبو الفضل بن عبد الله بن نزار القابسي الهواري (من أعلام النصف الثاني ما القرن السادس للهجرة)؛ أديب وشاعر؛ وكان في خدمة بني عبد المؤمن؛ إذ ولي خطة الكتابة لديهم. ذكر له الأصفهاني قصيدة قالها في مدح الأمير محمد بن رشيد بن جامع؛ جاء فيها:

لَمْ يَنْقُ لِي بَعْدَ الرَّحِيلِ عَزَاءُ  
بَانَ الْخَلِيطُ وَشَتَّتْ أَهْوَاءُ  
فَاصْرِفْ عَنَّا اللَّوْمَ عَنْ قَلِقِ الْحَشَا  
مُغْرَى فَإِنْ مَلَأْمَهُ إِغْرَاءُ  
فَعَلْتُ بِهِ أَحْبَابُهُ يَوْمَ النَّوَى  
وَالْبَيْنُ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ  
سَارُوا وَلَمَّا يَسْمَحُوا بَوْدَاعِهِ  
فَكَأَنَّ خَالِصَ وَدِّهِ شَحْنَاءُ  
أَتَرَاهُمْ خَالُوا الْوَدَاعَ مُحَرَّمًا  
أَمْ أَجْمَعُوا أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ  
رَقَّتْ مِيَاهُ الْحُسْنِ فَوْقَ خُدُودِهِمْ  
وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَإِنْ جَفَاءُ

إلى أن يقول:

يَا وَيْحَ مَنْ عَبَثَ الْهَوَىٰ بِفُؤَادِهِ  
وَتَحَكَّمَتْ وَقَضَتْ عَلَيْهِ ظَبَاءُ  
مِنْ كُلِّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ لَحَظَاتِهَا  
نَفْسَاتُ سِحْرِ مَا لَهُنَّ دَوَاءُ  
لِلْبَدْرِ سُنَّةٌ وَجْهَهَا، وَقَوَائِمُهَا  
لِلْعُصْنِ، مُخَطَّفَةُ الْحَشَا هَيْفَاءُ  
إِنَّ أَمْتِدَاحِي مَا يُلِمُّ مِنَ الْوَرَى  
إِلَّا لِمَنْ دَانَتْ لَهُ الْعِلْيَاءُ  
مِثْلَ الْمَلِكِ ابْنِ الرَّشِيدِ فَإِنَّهُ  
بَهَرَ الْمُلُوكَ وَحَلَّ حَيْثُ يَشَاءُ  
وَتَشَابَهَتْ آرَاؤُهُ وَسُيُوفُهُ  
كُلُّ بِمَا يَهْوَى لَهُ ضُمْنَاءُ  
لِبَسِ الْجَلَالَةِ حُلَّةُ أَعْلَامُهَا  
حُلْمٌ يُزَيِّنُ ثَوْبَهَا وَحَيَاءُ  
فَهُوَ الْقَرِيبُ تَطَوُّلاً وَتَجَمُّلاً  
وَهُوَ الْبَعِيدُ مَحَلُّهُ الْجَوَزَاءُ  
وَلَهُ الْمَهَابَةُ فِي النُّفُوسِ، وَإِنْ غَدَا  
مُتَوَاضِعاً وَالْعِزَّةَ الْقَعَسَاءُ  
يَا مَنْ شَكََا جَوَرَ الزَّمَانِ وَظَلَمِهِ  
وَأَصَابَهُ مِنْ مَسِّهِ الضَّرَاءُ  
لِذِ بِالْمَلِكِ مُحَمَّدٍ فَبَجَاوِدِهِ  
يَحْيَا السَّمَاحُ وَتُكْشَفُ الْعُمَاءُ

سَلَهُ تَفِدْ، وَأَقْصُدْ تَجِدْ، وَأَشْرَعْ تَرُدْ،  
عَذَبَ النَّمِيرَ وَمَا بِهِ أَقْدَاءُ  
هَذَا الْعِيَانُ يُرِيكَ مِنْ أَوْصَافِهِ  
فَوْقَ الَّذِي أَهْدَتْ لَكَ الْأَنْبَاءُ  
لَوْ نَظَّمِ الْأَمْالِكُ سِلْكَاً لَاغْتَدَى  
لِسَنَاهُ، وَهُوَ الدُّرَّةُ الْغَرَاءُ

— ثم أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري  
(توفي بمراكش سنة 572هـ/1176م)؛ وهو عالم  
وأديب، كان فصيح اللسان، وبليغا.

— ثم أبو علي الحسن بن حجاج بن  
يوسف الهواري (ت: سنة 598هـ/1201)؛ أصله  
من جهات بجاية، ويقيم بمراكش؛ وكان من  
الفقهاء؛ وولي الخطابة بإشبيلية سنة 580هـ/1184م.

— ثم ميمون الهواري (من أعيان القرن  
السادس للهجرة)؛ ذكره ابن الأبار بقوله:  
(من سكان قرطبة؛ كان أديبا فقيها؛ وله  
شعر فيما جرى بين أبي الوليد بن رشد،  
وأبي محمد بن أبي جعفر؛ في التفضيل بين الهيللة  
والحمدلة فضل فيه قول ابن رشد)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> التكملة، ج: 2، ص: 718.

— ثم أبو موسى عمران بن موسى بن ميمون السلاوي الهواري (توفي بسلا سنة 640هـ/1242م)؛ كان من الحفاظ المشتغلين بعلوم التفسير، والعريضة، والنحو، والأدب.

— ثم أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري (توفي بتونس سنة 660هـ/1261م)؛ فقيه، ولي القضاء بطرابلس، وتونس فكان محمود السيرة.

— ثم أبو القاسم بن عمر بن أبي القاسم الهواري الإسكندي (من أعيان النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، وهو أخو وجيه الدين منصور بن العمادية لأمه. وهو ممن أجاز لابن جابر الوادي آشي.

— ثم جمال الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف الهواري المعروف بابن أبي الربيع (توفي بالقاهرة سنة 673هـ/1274م)؛ كان من أفاضل الأدباء؛ له شعر متداول؛ منه:

لَوْلَا التَّطَيُّرُ بِالْخِلَافِ وَأَتَّهَمُ  
قَالُوا مَرِيضٌ لَا يَعُودُ مَرِيضًا  
لَقَضَيْتُ نَحْبِي خِدْمَةً بِفَنَائِكُمْ  
لَأَكُونَ مَنْدُوبًا قَضَى الْمَفْرُوضَا

ويقول أيضا:

أَحْبَابَ قَلْبِي إِنْ تَحَكَّمَتِ النَّوَى  
فِي بَيْنِنَا وَجَرَى الْقَضَاءُ بِمَا جَرَى  
فَلَقَدْ غَضَضْتُ عَنِ الْوَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ  
طَرَفًا يَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ أَنْ لَا يَرَى

ومما قاله كذلك:

سَرَيْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى السُّوَيْدَا  
مَسِيرَ الْبَدْرِ فِي طَرْفِي وَقَلْبِي  
قَضَيْتُ مِنَ النَّوَى وَطَرًا وَهَاقْدُ  
قَضَيْتُ — لَكَ الْبَقَا — فِي الْبُعْدِ نَحْبِي

ويقول في موسى بن يغمور:

لَكَ اللَّهُ يَا مُوسَى فَأَنْتَ مُحَمَّدُ الـ  
صِّفَاتِ وَفِكْرِي فِيكَ حَسَانٌ مَدْحِهِ  
إِذَا مَا دَجَا لَيْلٌ مِنَ الْخَطْبِ مُظْلِمٌ  
فَمِنْ يَدِكَ الْبَيْضَاءُ إِسْفَارُ صُبْحِهِ

وبعث إلى أحد أصدقائه؛ وكان يسمى

الصدر هذه الأبيات:

مَا زِلْتُ فِي بُعْدٍ وَقُرْبٍ صَبًّا إِلَيْكَ وَأَيَّ صَبٍّ  
حُزَّتِ الْقُلُوبُ بِأَسْرِهَا وَالصَّدْرُ مَوْضِعَ كُلِّ قَلْبٍ

وقال فيه أيضا:

وَتَوَسَّوَسْتُ بِاشْتِيَاقِي إِلَى الصَّدِّ  
رِ وَمَا زَالَ مَوْضِعَ الْوَسْوَاسِ

— ثم أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري (ت سنة 682هـ/1283م)، وهو أخو أبو موسى عمران السابق الذكر؛ وكان أبو علي من المستوعبين لعلوم الفقه والأدب، وتعرض في حياته العملية لحن عديدة في ظل الدولة الحفصية؛ وولي خطة القضاء في عهد المستنصر الحفصي، ثم خطة العلامة الكبرى، وخطة الأرفاع، والنظر في خزانة الكتب؛ ولكن السلطان سخطه، ونفاه إلى المهديّة؛ ثم رضي عنه. وله شعر كثير؛ منه:

لَوْ لَا أَحْوَرَارُ جُفُونٍ أودَعَتْ سَقَمًا  
مَا أَمْطَرَتْ سَحْبُ أَجْفَانِي الدُّمُوعَ دَمًا  
وَلَا وَقَفْتُ أَصِيلَانَا بِرَبْعِكُمْ  
وَلَا سَقَيْتُ رَبَاهُ مِنْ دَمِي دِيمَا  
وَلَا نَثَرْتُ عَقِيقَ الدَّمْعِ فِي طَلَلٍ  
مِنْهُ أَذِيعُ الَّذِي قَدْ كَانَ مُكْتَمًا  
الْبَيْنُ يُقْطَعُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّصِلٍ  
وَالشَّوْقُ يُنْثَرُ مِنْهُ كُلُّ مَا انْتَضَمَا



وَالْوَجْدُ شَادَ بِجِسْمِي مَا يُهْدِمُهُ  
 آهِ عَلَى مَا بَنَى فِيهِ وَمَا هَدَمَا  
 مَا خَطَطَ النَّوْمُ فِي جَفْنِي رَسَمَ كَرَى  
 إِلَّا مَحَا السُّهُدُ مَا قَدْ خُطَّ أَوْ رُسِمَا  
 أَنْبِيَكُمْ إِنِّي مِنْ يَوْمٍ بَيْنَكُمْ  
 مَا زِلْتُ لِلْسُّهُدِ وَالتَّذْكَارِ مُتَزِمَا  
 أَرْتَاحُ إِنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابِكُمْ  
 أَوْ لَاحَ بَرْقٌ بِذَاكَ الْأَفْقِ مُبْتَسِمَا  
 أَمَا وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ مُقْتَدِرًا  
 وَحُبُّكُمْ وَكَفَى بِالْحُبِّ لِي قَسَمَا  
 مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَارًا بَعْدَ بُعْدِكُمْ  
 وَلَا تَأْخَرُ بِي مِنْ وَجْدِهِ قَدَمَا

ومن قوله لما شفي المستنصر من مرضه:

اللَّهُ أَنْعَمَ بَعْدَ الْيَأْسِ بِالْفَرَجِ  
 يَا أَرْزَمَةَ الدَّهْرِ عِنْدَ الشَّدَّةِ انْفِرَجِي  
 شُكْرُ الْخَلَائِقِ لَا يَكْفِي لِأَيْسَرِ مَا  
 كَفَى وَسَكَنَ مِنْ هَرْجٍ وَمِنْ رَهَجٍ  
 أَبْقَى الْأَنَامَ بِإِبْقَاءِ الْإِمَامِ فَكُمُ  
 بِصَوْنِهِ صَانٍ مِنْ مَالٍ وَمِنْ مُهْجٍ  
 إِذَا رَعَى اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ رَاعِيَهُمْ  
 لَمْ نَأْسَ مِنْ فَقْدِ ذِي قَدَرٍ وَلَا هَمَجٍ

من شعره أيضا:

أَهَا نُرَدُّدُ لَوْ تَشْفِي لَنَا كَرْبًا  
وَبِالتَّعْلَاتِ نَحْيَا لَوْ قَضَتْ لَنَا أَرْبَا  
وَبِالْأَمَانِي يَنَالُ الْقَلْبُ بُغْيَتَهُ  
وَقَدْ تَحَقَّقَ مِنْ مُعْتَادِهَا كَذِبَا  
يَرْتَاحُ إِنْ لَاحَ بَرْقٌ مِنْ جَهَامَتِهَا  
وَمَا تَرَأَى لَهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا  
يُسَرُّ إِنْ مُدَّ يَوْمًا حَبْلُ مُنْيَتِهِ  
وَمَا تَطَاوَلَ إِلَّا جُذْ وَأَنْقَضَبَا  
إِنْ عَزَّ مَا يَتَغَيَّرُ فَهُوَ فِي هَرَجٍ  
وَيَخْتَشِي الْفَقْدَ إِنْ مَا يَتَغَيَّرُ قُرْبَا  
وَارْحَمَتَاهُ لِقَلْبَيْكُمُ أَجَشَّمُهُ  
أَمْرًا يُذِيبُ مِنَ الْأَصْلَادِ مَا صَلَبَا  
وَكَمْ يُعَانِي مُلِمَّاتٍ بِأَيْسَرَهَا  
يُهَوِّنُ الْمَرْءُ مِنْ دُيَّاهُ مَا صَعَبَا  
وَكَمْ يُلْجَلِجُ فِي أَفْكَارِهِ لُجْجًا  
سُودًا تُؤَجِّجُ فِي أَحْشَائِهِ لَهَبَا  
وَكَمْ تَهْبُ سَمُومٌ مِنْ تَنْفُسِهِ  
لَوْ اسْتَمَرَّتْ لَمَا هَبَّتْ نَسِيمُ صَبَا  
اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَشْكُو الزَّمَانَ وَلَا  
أُبْدِي إِذَا طَرَقَتْ أَحْدَاثُهُ رَهَبَا  
وَلَا أَئِنُّ لِحَظٍّ مِنْهُ أَغْوَزَنِي  
وَلَا أَسْرُ إِذَا مَاءُ الْمُنَى انْسَكَبَا

أَتَى يُسَرُّ لَيْبٌ إِنْ رَأَى حُلْمًا  
وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ حَمَرَ الْفَنَّا شَرِبَا

— ثم أبو الحسن نور الدين علي بن يونس ابن عبد الله التونسي الهواري (ولد سنة 668هـ/1269م)؛ وهو من العلماء الأفاضل، ومن المصنفين؛ شرح أصلي ابن الحاجب.

— ثم منصور بن سليم بن منصور الجزيري الهواري (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه أجاز لابن جابر الوادي آشي في السنة المذكورة.

— ثم أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد بن نبيه الجزيري السبتي الهواري (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ فقيه. وهو من شيوخ محمد الجاري الأندلسي.

— ثم أبو يحيى بن أبي بكر بن برنيق المجريسي الهواري (كان حيا سنة 707هـ/1307م)؛ وهو من سكان طرابلس؛ وكان فقيها؛ له إمام ومشاركة في علوم شتى؛ منها: أصول الدين، والفقه.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهواري (كان حيا سنة 707هـ/1307م)؛ فقيه، وصوفي من سكان تونس؛ له شعر؛ منه

بعض القصائد بعث بعثها للتجاني أثناء رحلته  
مع السلطان ابن اللحياني الحفصي:

مَنْ لِي بِخِلِّ كَانَ يُؤْنِسُ وَحَشَتِي  
وَيُؤْمِنِي بِالْبَشْرِ إِذْ يَلْقَانِي  
صَاحِبَتُهُ فِي اللَّهِ أَحْسَنَ صُحْبَةٍ  
فَشَكَرْتُ مِنْهُ كُلَّ مَا أَوْلَانِي  
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مَوَدَّةَ وَمَحَبَّةَ  
وَفَضَائِلًا زَادَتْ عَلَى الْحُسْبَانِ  
لَا غَرَوْ أَنْ حَازَ الْكَمَالَ فَإِنَّمَا  
وَقَفُ الْكَمَالِ عَلَى بَنِي تَيْجَانِ  
كَمْ زَهْرَةٌ فِي رَوْضَةٍ سَمَحَتْ بِهِ  
فَرَأَيْتُ بُسْتَانًا لَدَى بُسْتَانِ  
فَوَدَادَهُ عِنْدِي نَضِيرٌ دَائِمًا  
وَتَنَازُهُ غَضٌّ بِكُلِّ أَوَانِ  
أَمَقَدَّمِ الْآبَاءِ دُونَ مُنَازَعِ  
وَسُلَالَةِ الْحُسْبَاءِ وَالْأَعْيَانِ  
وَأَجَلَ حَبْرٍ قَدْ سَمَا فِي عَصْرِنَا  
بِالْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْإِنْتِقَانِ  
قَدْ جَاءَنِي مِنْكُمْ كِتَابٌ سَرَّنِي  
بِالْبَشْرِ وَالتَّرْحِيبِ إِذْ حَيَّانِي  
إِنِّي لِأَحْيَا إِذْ سَمِعْتُ بِذِكْرِكُمْ  
فَأَحَالَ قَلْبِي فَاضًا مِنْ أَجْفَانِي

فَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا بِلِقَائِكُمْ  
وَيَزِيدُكُمْ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ  
وَعَلَيْكُمْ مِنِّي سَلَامٌ دَائِمٌ  
مُتَعَطِّرٌ مَا اهْتَزَّ غُصْنُ الْبَانِ

ويقول في قصيدة أخرى أرسلها إلى التجاني  
أيضا:

كِتَابُكُمْ أَهْدَى مِنَ الْوَجْدِ مَا أَهْدَى  
فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي نَقَضْتُ لَكُمْ عَهْدًا  
سَرَى لِي بِسِرِّ مِنْهُ عَرَفٌ مُعَرَّفٌ  
أَفَادَ بِمَسْرَاهُ الصَّبَابَةَ وَالْوَجْدَا  
حَبَانِي بِحُبِّ سَيِّدٍ فِيهِ مَا جَدُّ  
بِهِ شَرَّفَ اللَّهُ السِّيَادَةَ وَالْمَجْدَا  
نَسِيمُ الصَّبَا بِاللَّهِ سِرٌّ بِتَحِيَّةٍ  
فَضَضْتُ بِهَا مِنْ شُكْرِهِ الْمِسْكَ وَالنَّدَا  
كَأَنِّي بِهِ لَمَّا جَرَى الْبَيْنُ بَيْنَنَا  
وَمَدَّ حِجَابَ الْبُعْدِ مَا بَيْنَنَا مَدًّا  
يَقُولُ جَفَا أَوْ مَالٍ أَوْ مَلٍّ أَوْ سَلَا  
وَحَالَ عَنِ الْإِخْلَاصِ أَوْ نَسِيَ الْوُدَّ  
غَرَامِي غَرَامِي بِالْحَبِيبِ وَإِنْ نَأَى  
وَحُبِّي لَهُ حُبِّي دَنَا لِي أَوْ صَدَا  
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ وَصَابِرٌ  
إِذَا لَمْ أَجِدْ مِمَّا أَكَابِدُهُ بُدَا

وَإِذَا خَطَرْتُ ذِكْرَكَ يَوْمًا بِخَاطِرِي  
وَجَدْتُ لِحَرِّ الشَّوْقِ فِي إِثْرِهَا بَرْدًا  
أَلَا نَفْحَةً مِنْكُمْ تُبْرِدُ بَاطِنِي  
فَإِنَّ بَقْلِي مِنْ أَلِيمِ النَّوَى وَقَدْ  
أَلَا مَوْعِدٌ مِنْكُمْ يُعَلِّلُ مُهْجَتِي  
فَأَرْتَاحٌ لِلْقِيَا وَأَسْتَنْجِزِ الْوَعْدَا  
لَئِنْ جَاءَنِي يَوْمًا بِشِيرٍ بِقُرْبِكُمْ  
وَهَبْتُ لَهُ نَفْسِي وَأَهْوَنُ بِهَا نَقْدَا  
وَإِنِّي لَأَسْتَجِدِّي وَدَادَكَ إِنَّهُ  
أَجَلٌ نَفِيسٌ وَالْأَفْضَلُ تُسْتَجَدَا  
وَإِنِّي لَأَسْتَهْدِي سَلَامَكَ جَالِبًا  
بِمَأْتَاهُ أَنْسِي وَالْأَكَارِمُ تُسْتَهْدَى  
وَإِنِّي لَأَسْتَدْعِي جَوَابَكَ رَاغِبًا  
لِيُفْتَحَ بَابُ الْقُرْبِ مِنْ بَعْدِ مَا سُدَّ  
لَقَدْ ضَيَّعَ الْأَصْحَابُ عَهْدِي وَلَا نَوَى  
وَأَنْتَ بظَهْرِ الْعَيْبِ تَحْفَظُ لِي الْوُدَّ  
سَأَشْكُرُكُمْ شُكْرَ الرِّيَاضِ بِسُحْبِهَا  
وَأَنْظِمُ فِيكُمْ مِنْ حُلَى مَجْدِكُمْ عِقْدَا  
وَأَجْهَدُ فِي شُكْرِي لِمَجْدِكُمْ عَسَى  
بِفَضْلِكُمْ أَنْ تَقْبُلُوا مِنِّي الْجُهْدَا

— ثم أبو بكر يحيى بن أبي القاسم بن جماعة التونسي الهواري (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ فقيه.

— ثم أبو علي عمر بن علي بن قداح التونسي الهواري (توفي بعد عام 730هـ/1329م)؛ إمام من أئمة الفقه المالكي؛ ومن المختصين بالفتيا؛ وولي قضاء الجماعة بتونس؛ فكان حميد الذكر؛ قام بإعداد بعض التقييدات في بعض المسائل.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ابن يوسف بن كثير المنستيري الهواري (توفي في تونس بالطاعون سنة 749هـ/1348م)؛ وهو فقيه مالكي، ومن الحفاظ، ضليع في علوم: الأصول، والعربية، والبيان، والحديث، والكلام؛ ولي قضاء الجماعة بتونس، فكان شديدا في أحكامه؛ وأنجز شرحا مفيدا لمختصر ابن الحاجب؛ وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب؛ في فقه، والفتوى.

— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري المعروف بابن جابر (توفي في البيرة سنة 780هـ/1378م)؛ وهو من المريّة. قال فيه ابن الخطيب: ((رجل كفيف البصر، مدلّ على الشعر، عظيم الكفاية والمنّة، على

زمانته. رحل إلى المشرق؛ وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلييري؛ صاراً روحين في جسد؛ ووقع الشعر منهما بين لَحْيَيْ أسد، وثمرًا للعلم وطلبه؛ فكان وظيفة الكفيف النَّظْم، ووظيفة البصير الكَتْب؛ وانقطع الآن خبرهما)).<sup>1</sup> وأضاف المقري إلى هذه الترجمة:<sup>2</sup> ((ودخل مصر والشام؛ واستوطن حلب؛ وهو صاحب البديعة المعروفة ببديعة العميان؛ وله أمداح نبوية كثيرة، وتوالمف؛ منها: شرح ألفية ابن مالك، وغير ذلك، وله ديوان شعر، وأمداح نبوية في غاية الإجمادة)). قام أيضا بشرح ألفية ابن المعطي الزواوي. ومن شعره الذي أثبتته ابن الخطيب في الإحاطة، والمقري في نفح الطيب:

سَلُّوا حُسْنَ ذَاكَ الْخَالِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ  
مَتَى رَقَمُوا بِالْمِسْكِ فِي نَاعِمِ الْوَرْدِ  
وَقُولُوا لِذَاكَ الثَّغْرِ فِي ذَلِكَ اللَّامِ  
مَتَى كَانَ شَأْنُ الدَّرِّ يُوجَدُ فِي الشَّهْدِ  
فَتَاةٌ تَفُتُّ الْقَلْبَ مِنِّي بِمُقْلَةٍ  
لَهَا رَقَّةُ الْغُزْلَانِ فِي سَطْوَةِ الْأَسَدِ

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 2، ص: 330.

<sup>2</sup> نفح الطيب، ج: 2، ص: 664.



فَقُلْتُ أَلَيْسَ الْقَلْبُ عِنْدَكَ حَاصِلًا  
 فَقَالَتْ قُلُوبُ النَّاسِ كُلُّهُمْ عِنْدِي  
 فَقُلْتُ اجْعَلِينِي مِنْ عِبِيدِكَ فِي الْهَوَى  
 فَقَالَتْ كَفَانِي كَمْ لِحُسْنِي مِنْ عَبْدٍ  
 إِذَا شِئْتَ أَنْ أَرْضَاكَ عَبْدًا فَمَتَّ جَوَى  
 وَلَا تَشْتَكِي وَاصْبِرْ عَلَى أَلَمِ الصَّدِّ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّحْلَ يُحْمَلُ ضَرْهَهَا  
 لِأَجْلِ الَّذِي تَجْنِيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهْدِ  
 كَذَلِكَ بَذَلُ النَّفْسِ سَهْلٌ لِذِي النَّهَى  
 لِمَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَرَفِ الْحَمْدِ  
 أَلَسْتَ تَرَى كَفَّ ابْنِ جَانَّةٍ طَالَمَا  
 أَضَاعَ كَرِيمَ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ

وفي قصيدة أخرى يقول:

عَرَّجَ عَلَى بَانَ الْعُذَيْبِ وَنَادِي  
 وَأَنْشَدَ فَدَيْتُكَ أَيْنَ حَلَّ فُؤَادِي  
 وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الْمَنَازِلِ بِالْحِمَى  
 فَاشْرَحْ هُنَالِكَ لَوْعَتِي وَسُهَادِي  
 إِلَيْهِ فَدَيْتُكَ يَا نُسَيْمَةَ خَبْرِي  
 كَيْفَ الْأَحْبَةِ وَالْحِمَى وَالْوَادِي  
 يَا سَعْدُ قَدْ بَانَ الْعُذَيْبُ وَبَائُهُ  
 فَانْزِلْ فَدَيْتُكَ قَدْ بَدَا إِسْعَادِي

خُذْ فِي الْبَشَارَةِ مُهَجَّتِي يَوْمًا إِذَا  
 بَانَ الْعُذَيْبُ وَنُورُ حُسْنِ سَعَادِي  
 قَدْ صَحَّ عَيْدِي يَوْمَ أَبْصِرُ حُسْنَهَا  
 وَكَذَا الْهَلَالَ عَلَامَةُ الْأَعْيَادِ

ويقول في قصيدة مديحية:  
 هَنَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ طَيْبَةٍ قَدْ حَقَّا  
 فَبِالْقُرْبِ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى حُزْتُمُ السَّبْقَا  
 فَلَا يَتَحَرَّكَ سَاكِنٌ مِنْكُمْ إِلَى  
 سِوَاهَا وَإِنْ جَارَ الزَّمَانُ وَإِنْ شَقَا  
 فَكُمْ مَلِكٍ رَامَ الْوُصُولَ لِمِثْلِ مَا  
 وَصَلْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ وَلَوْ مَلَكُ الْخَلْقَا  
 فَبُشْرَاكُمْ نَلْتُمُ عِنَايَةَ رَبِّكُمْ  
 فَهَذَا أَنْتُمْ فِي بَحْرِ نِعْمَتِهِ غَرَقَى  
 تَرُونَ رَسُولَ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
 وَمَنْ يَرَهُ فَهُوَ السَّعِيدُ بِهِ حَقَّا  
 مَتَى جِئْتُمْ لَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَكُمْ  
 وَبَابُ ذَوِي الْإِحْسَانِ لَا يَقْبَلُ الْعَلَقَا  
 بِطَيْبَةٍ مَثْوَاكُمْ، وَأَكْرَمُ مُرْسَلِ  
 يُلَاحِظُكُمْ فَالْدَهْرُ يَجْرِي لَكُمْ وَفَقَا  
 فَلَا تَنْظُرُوا إِلَّا لَوَجْهِ حَبِيبِكُمْ  
 وَإِنْ جَاءَتِ الدُّنْيَا وَمَرَّتْ فَلَا فَرْقَا

وله المقصورة الموصوفة بالفريدة؛ وهي  
منظومة معشرات؛ على حروف المعجم؛ منها  
على حرف الهمزة:

بَادَرَ قَلْبِي لِلْهُوَى وَمَا ارْتَأَى  
لَمَّا رَأَى مِنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأَى  
فَقَرَّبَ الْوَجْدَ لِقَلْبِي حُبَّهَا  
وَكَانَ قَلْبِي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَأَى  
يَا أَيُّهَا الْعَاذِلُ فِي حُبِّي لَهَا  
أَقْصِرْ فَلِي سَمْعٌ عَنِ الْعَذْلِ بَأَى  
لَوْ أَبْصَرَ الْعَاذِلُ مِنْهَا لَمَحَةَ  
مَا فَضَّ بَابَ عَذْلِهِ وَلَا فَأَى  
سَرَّحْتُ طَرْفِي طَالِبًا شَأَوَ الْعُلَا  
وَتَابَعًا فِي حُبِّهَا مَا قَدْ شَأَى  
إِنِّي لَأَرْعَاهَا عَلَى تَتْبِعِهَا  
عَهْدِي، وَمِثْلِي مَنْ وَفَى إِذَا وَأَى  
مَنْ مُنْصِفِي مِنْ شَادِنٍ لَمْ أَرْجُهُ  
لِحَاجَةِ مَنْ وَصَلِهِ إِلَّا زَأَى  
وَإِنْ قَبِضْتُ النَّفْسَ عَنْ سُلْوَانِهِ  
مَدًّا أَدِيمَ هَجْرِهِ لِي وَسَأَى  
لَأَقْطَعَنَّ الْبَيْدَ أَفْرِي حَاذَهَا  
بَضَامِرٍ يَفْرِي الْحَصَى إِذَا جَأَى  
حَتَّى أَرْوَرَ رَبَّةَ الْخِذْرِ وَقَدْ  
ذَادَ الْكَرَى عَنِّي الْوُشَاةَ وَذَأَى

وعلى حرف الباء يقول:

يَا رَبَّ لَيْلَ قَدْ تَعَاظَيْنَا بِهِ  
 حَدِيثَ أَنَسٍ مِثْلَ أَزْهَارِ الرَّبِيِّ  
 فِي رَوْضَةٍ تَعَانَقَتْ أَغْصَانُهَا  
 إِذْ وَاصَلَتْ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَا  
 نَادَمْتُ فِيهَا مِنْ بَنِي الْحُسْنِ رَشَا  
 يَصُبُّو لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ صَبَا  
 حُلُو رَحِيمِ الدَّلِّ فِي أُعْطَافِهِ  
 لَيْلٌ وَفِي الْحَاطِئِ بَيْضُ الظُّلْبَى  
 أَيَّامَ كَانَ الْعَيْشُ غَضًّا حُسْنُهُ  
 عَذَبَ الْجَنَى رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الصَّبَا

وعلى حرف التاء يقول:

تَاللَّهِ لَا أَعْبَا بَعِيشَ قَدْ مَضَى  
 وَلَا زَمَانَ قَدْ تَعَدَّى وَعَتَا  
 مُذْ عَلِقْتُ كَفِّي بِالْهَادِي الَّذِي  
 سَادَ الْوَرَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَفَتَى

وعلى حرف الشاء:

لَوْ لَا اشْتِيَاقِي لِدِيَارِ كَرُمْتِ  
 لِبُعْدِهَا يَرْتِي لَنَا مَنْ قَدْ رَثَى  
 وَمَذْحُ مَنْ أَرْجُو بِأَمْدَاحِي لَهُ  
 إِصْلَاحَ مَا قَدْ عَاثَ مِنِّي وَعَثَا

لَمْ أَجْعَلِ الشَّعْرَ لِنَفْسِي خِلَّةً  
وَلَمْ يَجْشُ فِكْرِي بِهِ وَلَا غَثَا  
فَمَا أَرَى الْأَيَّامَ تَبْدِي مُنْصِفَاً  
وَلَوْ حَكَيْتُ الْمِسْكَ مِنْ حُسْنِ الشَّا  
يَا ضَيْعَةَ الْأَلْبَابِ فِي دَهْرٍ غَدَا  
فِيهِ فَتِيَتْ الْمِسْكَ يَغْلُوهُ الْخَشَى

ومن حرف الجيم:  
لَا أَسْأَلُ النَّذْلَ وَلَوْ أَنِّي بِهِ  
أَمْلِكُ مَا حَازَ النَّهَارُ وَالْدُّجَى  
حَسْبِي بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ بِهِمْ  
يَعْنَى مَنْ اسْتَعْنَى وَيَنْجُو مَنْ نَجَا

ثم من حرف الخاء:  
يَا عَجَباً مِنْ حَاسِدٍ لِي قَدْ زَهَا  
بِعَيْشِهِ الْغَضُّ عَلَيَّ وَأَنْتَخَى  
كَأَنِّي لَمْ أَعْرِفِ الْعِزَّ وَلَا  
صَاحَبْتُ دَهْرِي فِي سُرُورٍ وَرَخَا  
وَأَتَمَّا الدَّهْرُ لَهُ تَقَلُّبٌ  
إِنْ ارْتَخَى شَدَّ وَإِنْ شَدَّ ارْتَخَى

ثم حرف الدال:

إِنْ تَحْسَبَ الرُّسُلَ سَمَاءً قَدْ بَدَتْ  
فَإِنَّهُ فِي أَفْقِهَا نَجْمٌ هَدَى  
وَإِنْ يَكُنْ كُلُّ كَرِيمٍ قَدْ مَضَى  
طَلًّا فَقَدْ أَضْحَى لَنَا غَيْثٌ جَدَا  
وَإِنْ يَكُونُوا أَنْجُمًا فِي فَلَكٍ  
فَإِنَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ بَدْرٌ بَدَا  
وَاسِطَةٌ السُّلُوكِ إِذَا مَا نُظِمُوا  
وَمَلَجَأَ الْقَوْمَ إِذَا الْخَطْبُ عَدَا  
كَالْبَحْرِ بَلْ كَالْبَدْرِ جُودًا وَسَنَا  
فَحَبِّدَا مَنْ اجْتَدَى أَوْ اقْتَدَى  
أَحْسَنَ أَخْلَاقًا مِنَ الرُّوْضِ إِذَا  
مَا اخْتَالَ فِي بُرْدِ الصَّبَا أَوْ ارْتَدَى  
وَسَاقَطَ الْقَطَرُ عَلَيْهِ دَمْعُهُ  
فَاقْتَلْ بُرْدُ الزَّهْرِ مِنْهُ وَأَتَدَى

وهي كما ترى.. تتكون من عشرة أبيات؛  
لكل حرف من الحروف الهجائية. وله أيضا  
المطولة المسماة البديعية؛ التي قال عنها المقرئ:  
((ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة؛ وهي  
المعروفة ببديعية العميان؛ ولو لم يكن من  
محاسنه إلا قصيدته التي في التورية بسور  
القرآن، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم

لكفى؛ وهي من غرر القصائد؛ وكثير من  
الناس ينسبها للقاضي الشهير عالم المغرب أبي  
الفضل عياض؛ وكنت أول الاشتغال ممن يعتقد  
صحة تلك النسبة؛ حتى وقفت على شرح  
البديعية الموصوفة لرفيقه أبي جعفر؛ فإذا هي  
منسوبة للناظم ابن جابر... وقد عارض  
منحاهها جماعة فما شقوا لها غباراً<sup>1</sup>. وهذه

عينة من البديعية المذكورة:

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِلْقَوْلِ مَعْتَبَرٌ  
حَقُّ الشَّاءِ عَلَى الْمَبْعُوثِ أَتَبَقَرُهُ  
فِي آلِ عِمْرَانَ قَدْماً شَاعَ مَبْعُثُهُ  
رَجَاهُكُمْ وَالنِّسَاءِ اسْتَوْضَحُوا خَبَرَهُ  
مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نِعْمَاهُ مَائِدَةً  
عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلَى الْأَنْعَامِ مَقْتَصِرٌ  
أَعْرَافُ نِعْمَاهُ مَا حَلَّ الرَّجَاءُ بِهَا  
إِلَّا وَأَنْفَالُ ذَاكَ الْجُودُ مَبْتَدُوه  
بِهِ تَوَسَّلَ إِذْ نَادَى بِتَوْبَتِهِ  
فِي الْبَحْرِ يُونُسُ وَالظَّلْمَاءُ مَعَكَرَهُ  
هُودٌ وَيُوسُفُ كَمْ خَوْفٌ بِهِ أَمِنَا  
وَلَنْ يَرُوعَ صَوْتُ الرِّعْدِ مِنْ ذَكَرِهِ

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 7، ص ص: 323. 326.

وهي على هذا المنوال في التورية لسور  
القرآن الكريم؛ ونظرا لشهرتها، وطرافتها فقد  
أغرت كثيرا من الناظرين، والناظرين على  
معارضتها بمختلف الأشكال. ولا بن جابر  
الهواري قصائد كثيرة في مختلف الأغراض؛ منها:

وَقَفْتُ لِلْوَدَاعِ زَيْنَبُ لَمَّا  
رَحَلَ الرَّكْبُ وَالْمَدَامُ تُسْكَبُ  
مَسَحَتْ بِالْبَنَانِ دَمْعِي، وَحُلُوْ  
سَكَبُ دَمْعِي عَلَى أَصَابِعِ زَيْنَبُ

كما اشتهرت تميمته التي يقول فيها:

لَمْ يَنْقَ فِيَّ اصْطِبَارُ  
مُذْ خَلَفُونِي وَسَارُوا  
وَلِلْحَبِيبِ أَشَارُوا  
جَارَ الْكَرَامِ فَجَارُوا  
لِلَّهِ ذَاكَ الْأَوَارُ  
بَانُوا فَمَا الدَّارُ دَارُ  
يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي  
كَأَنُوا مَعَ الْوُدِّ أَهْلِي  
مَا عَامَلُونِي بَعْدَ  
أَصَمَّوْا فَوَادِي بَنِي  
يَا بَيْنُ بَيْنَتْ تُكَلِّي  
يَا رُوحَ قَلْبِي قُلْ لِي



أَهُمْ دَعَوْكَ لِقَتْلِي  
وَحَرَّمُوا لَكَ وَصَلِي وَحَلَّلُوا لَكَ هَجْرِي  
حَسْبِي وَمَاذَا عِنَادُ  
هُمُ الْمَنَى وَالْمُرَادُ  
وَإِنْ عَنِ الْحَقِّ حَادُوا  
أَوْ جَامَلُونِي وَجَادُوا  
يَا مَنْ بِهِ الْكُلُّ سَادُوا  
وَالْكُلُّ عِنْدِي سَدَادُ  
فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

— ثم أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري (توفي بوهراَن سنة 843هـ/1439م)؛ وهو الولي الصالح المخصوص بالزيارة في مدينة وهران. ألف منظومة غير معربة عرفت باسم سهو والتنبيه؛ انكب على تصحيحها عروضيا، ولغويا الفقيه أبو زيد عبد الرحمن المقلش؛ ولما أخبر أبو عبد الله الهواري بذلك أجابه: ((هذا السهو يقال له سهو المقلش؛ أما سهوي فهو سهو الفقراء؛ إنما ينظرون فيه إلى المعنى؛ ومن أين العريية، والوزن لمحمد الهواري؛ بل سهوي يبقى على ما هو عليه)).<sup>1</sup> ويفهم —

<sup>1</sup> ابن مريم؛ البستان، ص: 229.

بالطبع - من هذا أنه تعتمد كتابته بهذا الشكل غير المعرب، ولا الموزون؛ لكي تستفيد منه العامة. وله أيضا التسهيل، والتيان، وتبصرة السائل.

- ثم أبو محمد عبد السلام الفاسي الهواري (ت: سنة 1328هـ/1910م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ ولي القضاء؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب شرح وثائق البناي.

- ثم أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الهواري كان فقيها، وراوي، ومحدثا وكاتبا بليغا.



هذا ما أمكن إدراجه عن رجال العلم، والأدب من قبيل هواره أصلا؛ أما أعلام السياسة، والحكم منهم فهم:

- عبد الواحد بن يزيد الهواري (ت: سنة 124هـ/741م)؛ وهو قائد الصفريّة الزاحفين على القيروان؛ في السنة التي ولي فيها حنظلة بن صفوان الكلبي؛ فانتهت ثورته بالفشل، إذ قتل هو، وعدد كبير من أنصاره.

— ثم عياض بن وهب الهواري (كان حيا سنة 196هـ/811م)؛ قاد ثورتين على أمراء القيروان: الأولى سنة 179هـ/795م؛ ضد هرثمة بن أعين، أما الثانية ف ضد الأمير إبراهيم بن الأغلب، وابنه عبد الله.

— ثم مجاهد بن مسلم الهواري (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو أحد قادة عبد الرحمن بن حبيب؛ المتغلب على القيروان.

— ثم أبو يحيى بن قرياس الهواري (ت: سنة 156هـ/772م)؛ ثار على يزيد بن حاتم والي إفريقية؛ ولكنه لم يفلح؛ وقتل مع عدد من أنصاره الهواريين، والزنايين والنفوسيين.

— ثم وزواوة بن نعم الحلفاء الهواري (كان حيا سنة 212هـ/827م)؛ وهو من القادة الذين أرسلوا لغزو صقلية.

— ثم أصبغ بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش (ت: 216هـ/831م)؛ جاء هذا القائد البحري مع رفاق له من متطوعي الأندلس. ولما وصل وجد جيش المسلمين في صقلية في حالة سيئة؛ فكان نجدة إلهية إليهم. وبشروط منه سلمت إليه قيادة المسلمين بالكامل؛ منعاً

للتضارب، والتناقض؛ ولكنه لم يدم طويلاً؛ إذ مات بوباء الطاعون؛ الذي اجتاح صقلية، ومات منه كثير من المسلمين.

— ثم زنون (ذي النون) بن سليمان بن السمح بن وردحيقن الهواري؛ وقد سماه المؤرخون العرب في البداية دنون، ثم ذي النون فيما بعد (توفي بأقلش سنة 274هـ/887م)؛ وهو جد بني ذي النون ملوك طليطلة في زمن الطوائف. كان في بداية أمره بحصن أقلش؛ قاعدة كورة شنتبرية؛ حيث أسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمن بن الحكم إدارة شؤون قومه، ومن سكن كورة شنتبرية. وبهذا بدأ شأنهم في الرياسة والملك. وكان أول من دخل من هذه الأسرة إلى بلاد الأندلس جدهم سليمان بن السمح.

— ثم الأمير موسى بن زنون (ذي النون) بن سليمان بن السمح بن وردحيقن الهواري (ت: سنة 295هـ/907م)؛ يعتبر هو المؤسس الأول لإمارة بني ذي النون في بلاد الأندلس؛ ولي إمارة شنتبرية بعد وفاة أخيه أبي جوشن؛ الذي لم يدم حكمه طويلاً؛ حيث عاجلته المنية. وكان من قبل هو وأخيه رهينتين لدى محمد بن

عبد الرحمن بقرطبة؛ ضمانا لطاعة أبيهما زنون. ولما ولي موسى إمارة شنتبرية؛ شرع في التطلع للاستبداد؛ وانتهاز فرصته في عهد عبد الله ابن محمد الأموي؛ فكان له ذلك؛ وبقي حتى وفاته.

— ثم الأمير الفتح بن موسى بن زنون (ذي النون) بن سليمان بن السمح الهواري (ت: سنة 303هـ/915م)؛ خلف والده في الاستبداد بحصن أقليمش بالأندلس، وقتله واحد من أتباعه؛ غدرا أمام طليطلة.

— ثم يحيى بن موسى بن ذي النون الهواري (ت: سنة 325هـ/926م)؛ كان من ولاية الدولة الأموية؛ ولكنه أخذ في قطع الطرق، والتعرض للناس؛ فأرسل الأمير عبد الله بن محمد الأموي جيشا لمطاردته؛ فقبض عليه؛ ثم صفح عنه الناصر؛ فانصلح حاله.

— ثم الأمير مطرف بن موسى بن ذي النون الهواري (ت: سنة 333هـ/944م)؛ في البداية أقطعه أبوه — الأمير المستبد على بني أمية — حصن وبذة؛ ولما اعتلى عبد الرحمن الناصر لدين الله عرش الخلافة؛ أعلن الأمير مطرف ولاءه؛ فأقره الناصر في إمارته؛ ثم أضاف إليه أغلب

الحصون والقرى في مقاطعة شنتبرية؛ وظل محافظا على العهد، والطاعة إلى يوم وفاته. غير أنه جاء في القطعة التي حققها عبد الرحمن علي الحجي لكتاب المقتبس؛ أن الخليفة المستنصر بالله أقر لمطرف بن إسماعيل إمارة وبذة وبقية الحصون في عام 363هـ/973م؛ مما يعني أن المطرف لم يمت في سنة 333هـ/944م؛ كما ذكرت مصادر أخرى.

— ثم عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ حكم في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر؛ وكان مستبدا بنواحي شنتبرية؛ على نهج أسلافه من بني ذي النون. ولما استنجد به سكان طليطلة؛ لصد جور واليهم عبد الملك بن متيوه؛ بعث إليهم ولده إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون؛ الذي استولى على المدينة، وأحسن السيرة فيهم.

— ثم الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري (ت: سنة 429 أو 435هـ/1037 أو 1043م)؛ سار سيرة حسنة في حكم طليطلة؛ ثم أضيفت إليه قلعة كونكة؛ وقد أخذ عليه ابن حيان — كما نقل صاحب الذخيرة — ميله إلى البخل، ((والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق)) بالإضافة إلى سبقه لإعلان الخلاف والفرقة، والتطرف.

— ثم هذيل بن خلف بن لبّ بن رزين الهواري المعروف بابن الأصلع (من أعلام أوائل القرن الخامس للهجرة)؛ نقل كل من: ابن عذاري، وابن الخطيب عن ابن حيان خبر هذيل هذا بقولهما هو: ((صاحب السهلة؛ متوسطة ما بين الثغرين الأعلى والأدنى؛ من قرطبة. وكان من أكابر برابر الثغر؛ ورث ذلك عن سلفه. ثم سما لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله، والأماراة بجماعته، والتشبه بجاره إسماعيل بن ذي النون؛ في الشروء عن سلطان قرطبة. فاستوى له من ذلك ما أراد؛ هو وغيره؛ إلا أنه كان مع تعززه على هشام؛ لم يخرج عن طاعته؛ ولا وافق منذرا، وأصحابه على التمالؤ عليه؛ إلى

أن ظفر سليمان بهشام المؤيد؛ المخلوع آخر القوم بقرطبة؛ فسلك مسلكهم. ورضي منه بذلك سليمان؛ وعقد له على ما في يده؛ لعجزه عنه... فسلم من معرة الفتنة أكثر وقته، وتخطته الحوادث لقوة سعده؛ واقتصر مع ذلك على ضبط بلده المرسوم بولاية والده؛ وترك التجاوز لحده، والامتداد إلى شيء من أعمال غيره. فاستقام أمره، وعمر بلده، وأنظر بُعد جُمهُور الثوار بالأندلس مدة الحياة. وليس في بلد الثغر أخصب بقعة من سهله المنسوبة إلى بني رزين سلفه؛ لاتصال عمارتهما؛ فكثر ماله؛ إذ ناغى جاره، وشبيهه إسماعيل بن ذي النون في جمع المال؛ ونافسه في خلال البخل، وفرط القسوة... وكان بارع الجمال، حسن الخلق، أرفع الملوك همّة في اكتساب الآلات... وتصير أمره إلى الحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل؛ حسام الدولة. وعندئذ احتفل مجدهم، وبلغ النهاية في الإشراف نَجْدُهُم)).<sup>1</sup> وبعد وفاة هذيل خلفه ابنه عبود بن هذيل؛ ولما توفي ولي بعده عبد الملك.

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 181 — 182. أعمال الأعلام، ص ص: 205 — 206.



— ثم الأمير المأمون أبو زكرياء يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري (ت: سنة 460 أو 467 هـ/1067 أو 1074م)؛ وهو من ملوك الطوائف ببلاد الأندلس؛ تولى — بعد وفاة والده — على طليطلة؛ وتزاحم مع ابن هود على وادي الحجارة؛ فتقاتلا؛ واستعان كل منهما بالنصارى ضد خصمه؛ مما أدى إلى تخریب بلادهما من طرف النصارى. واستمرت الحرب سجالا بينهما؛ حتى وفاة ابن هود. عندها.. تمكن يحيى بن ذي النون من إخضاع شرق الأندلس كله تحت سلطانه؛ إلى أن مات بطليطلة. وقال فيه أبو محمد الحجاري في كتاب المغرب: ((لم يكن فيهم (بنو ذي النون) أعظم قدرا، ولا أشهر ذكرا منه؛ اجتمع في مجلسه أبو عبد الله محمد بن شرف؛ حسنة القيروان، وعبد الله ابن خليفة المصري؛ الحكيم (الشاعر)، وأبو الفضل البغدادي؛ الأديب (محمد بن عبد الواحد الدارمي). ولم يجتمع عند ملك من ملوك الأندلس ما اجتمع عنده من الوزراء والكتاب الجللة؛ منهم: أبو عيسى بن لبون (الأديب الشاعر والوزير القائد)، وابن سفيان

(أبو محمد الشاعر البليغ)، وأبو عامر بن الفرج (الوزير الشاعر)، وأبو المطرف بن مثنى<sup>1</sup>.

— ثم حفيده القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن يحيى بن ذي النون (توفي مقتولا في بلسية سنة 481 أو 485هـ/1088 أو 1092م)؛ لم يسر سيرة أسلافه؛ فكان سيئ الرأي؛ فأنتهى أمره بالقتل؛ والوصول بدولته إلى السقوط في يد المرابطين.

— ثم يعقوب بن يوسف بن حيون الهواري (من أعلام النصف الأول من القرن الثامن للهجرة)؛ ولاه السلطان العبد الوادي أبو حمو الأول سنة 710هـ قائدا على بني توجين؛ بعد إخضاعهم.

\*\*\*

— مواطنهم: يقول ابن خلدون أن مواطن جمهور هوارة؛ في بداية الفتح الإسلامي؛ تمتد من طرابلس إلى برقة. ثم يتابع: ((وكانوا ظواعن، وآهلين. ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر، وجاوزوا لمطة؛ من قبائل الملثمين؛ فيما يلي بلاد كوكو من السودان؛

<sup>1</sup> المغرب في حلى المغرب، ج: 2 ص: 12.

تجاه إفريقية؛ ويعرفون بنسبهم هُكَّارة؛ قلبت العجمة واوه كافاً أعجمية؛ تخرج بين الكاف العربية، والقاف)).<sup>1</sup> وتوجد منهم بعض الفئات بجبل أوراس، وأخرى بمصر، وبعضهم — أيضاً — منتشرون بين برقة، والإسكندرية. ويوجد منهم حي بين تبسة، ومرماجنة، إلى باجة. وآخرون في نواحي الأربس. ثم يضيف ابن خلدون: ((جبل مسلاتة، ويعتمره قبائل هواراة؛ إلى بلد مسراتة، ويفضي إلى بلد سرت، وبرقة؛ وهو آخر جبال طرابلس... وكانت برقة من مواطن هواراة هؤلاء. ومنهم مكان (هكذا) بني خطاب؛ ملوك زويلة؛ إحدى أمصار برقة... ومن قبائل هواراة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة... ومن أشهرهم بالمغرب الأوسط؛ أهل الجبل المطل على البطحاء؛ وهو مشهور باسم هواراة، وأوطنوه؛ وكانت رئاستهم في بني عبد العزيز منهم)).<sup>2</sup>

## É É É

<sup>1</sup> العبر، ج: 6، ص: 286.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص: 290 — 292.

#### 4 - صنهاجة:

فعلى الرغم من الدور الخطير الذي لعبته صنهاجة في تاريخ المغرب الإسلامي؛ فإن المصادر التاريخية لم تتوصل إلى حقيقة نسبهم. وما جاء فيها.. لا يفي بالحاجة؛ وحتى تسلسل الآباء الذي نسبته ابن خلدون إلى ((المحققين من نسابة البربر)) لم يرد فيه اسم برنس (أب البرانس)؛ مع أنهم يقولون بانتسابهم إليهم. وجاءت هذه السلسلة هكذا: صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم ابن حام. فأين إذن برنس إذا كانوا ينتسبون إليه..؟ وهذا ابن خلدون يقول أيضا: ((وأما ذكر نسيهم؛ فإنهم من ولد صنهاج؛ وهو صناك بالصاد المشممة بالزاي، والكاف القريبة من الجيم. إلا أن العرب عربته، وزادت فيه الهاء؛ بين النون والألف؛ فصار صنهاج. وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس؛ من ولد برنس بن بر)).<sup>1</sup> ومع هذا بقيت الحقيقة غائبة. وتعتبر قبائل صنهاجة من أوفر القبائل وأوسعها. حتى أن بعضهم يزعم أنهم

<sup>1</sup> العبر، ج: 6، ص: 309.

يمثلون ثلث الأمازيغ. ويقول ابن خلدون عنهم أيضا في سياق النص السابق: ((هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله. لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط)). وبطون صنهاجة كثيرة جدا. يقول بعضهم أنها تصل إلى سبعين بطنا. اختصرهم ابن خلدون في: أنجفه، وتلكاتة، وشرطة، وكدالة، ولتونة، ومسوفة، ومندلة، وبنو وارث، وبنو يتيسن. ومن أفخاذ أنجفه: بنو سليب، وفشتالة، ومزوارت، وملوانة. ويزعم بعض النسابين أن قبائل: جزولة، ولطة، وهسكوررة اخوة صنهاج من أمهم تاصكي؛ فاندرجوا ضمن بطون صنهاجة؛ بالالتحاق. وصنفهم ابن خلدون إلى ثلاث طبقات حسب ظهورهم تاريخيا:

— **الطبقة الأولى:** تمثلها قبيلة تلكاتة؛ التي تولت حكم إفريقية، والمغرب الأوسط؛ نيابة عن الفاطميين. وهم من أهل المدر. فترأست تلكاتة القبائل الصنهاجية المتواجدة بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكانوا بمثابة الدرع الواقى؛ الذي تصدى للقبائل الزناتية؛ المستميتة في قتال

الفاطميّين. وتدرجت تلكاتة الصنهاجية؛ من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك. فمن مرتبة المشيخة، والرئاسة؛ أصبح أعيانهم قادة، وأمراء؛ في ظل الدولة الفاطمية؛ بعدها أضحوا ولاة، وحكاما في الأقطار؛ ثم انتهى بهم الحال إلى الاستبداد، والسلطان المطلق.

**— الطبقة الثانية:** وتمثلها قبائل: **المتونة، ومسوفة.** وهم من أهل الوبر؛ الذين اختاروا حياة الرحلة، والانتجاع؛ في أعماق الصحراء، وتخوم السودان. وقد تمكنت هذه الطبقة من تشييد دولة عظيمة بالمغربين: الأقصى، والأوسط؛ بفضل **الدعوة الصادقة**، والمؤثرة؛ التي تولى أمرها عبد الله بن ياسين الجزولي، ثم **العصية الصنهاجية** المتماسكة. وقد استطاعوا تحقيق أهدافهم، وإقامة دولتهم بالتدريج؛ كما تقتضيه **سنن العصية**. فبعد إدماج قبائلهم؛ ضمن عصية واحدة كبرى؛ شرعوا في ابتلاع الإمارات، والممالك الشمالية؛ حتى وصلوا في أوج ملكهم؛ إلى إحكام قبضتهم على بلاد الأندلس.

**— الطبقة الثالثة:** فعلى الرغم من وفرة عدد أعضاء هذه الطبقة؛ فإنهم لم يتوصلوا إلى مرتبة الملك. وهم عبارة عن مجموعة كبيرة من

القبائل المتفرقة؛ الذين انتشروا في بعض المناطق من المغرب الأقصى؛ بصورة خاصة. وظلت فئات منهم في عزلة، ومنعة من سلطان الدولة، وقهرها؛ بينما خضعت فئات أخرى لقهرها، وأحكامها؛ فأعطوها - صاغرين - حق الولاء، والطاعة، وانقادوا لمستلزمات الضرائب، والمغارم المفروضة عليهم. وقد صنف صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب؛ المجاورين منهم لمصودة إلى: **صنهاجة القبلة** (أي أهل الجنوب سكان السهوب المجاورة لوادي درعة؛ حيث الشمس الساطعة)، و**صنهاجة الظل** (أي أهل الجبال؛ حيث الظلال). أما ابن خلدون فيصنف هؤلاء المجاورين لمصودة إلى: **صنهاجة البر**؛ بسبب مهنتهم؛ وهي الحياكة. ثم **صنهاجة الذل**؛ بسبب رضوخهم للمغارم. و**صنهاجة العز**؛ نظرا لمنعة جبالهم، واعتزازهم.<sup>1</sup> كما يقول ابن منصور: ((ولا يزال هذا التقسيم جاريا على القبائل التي تدعى صنهاجة بشمال المغرب الأقصى؛ مع تغيير في الأسماء. فهم اليوم يقسمون إلى صنهاجة غدو، وصنهاجة السراير، وصنهاجة مصباح. وهذا

<sup>1</sup> - العبر، ج: 6، ص ص: 425 — 427.

الفريق الأخير يقسم بدوره إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل<sup>1</sup>.

وقام ابن منصور بتحقيق أسماء بعض البطون من صنهاجة؛ تلك التي وردت في العبر؛ منها: أنجفة (وتسمى — أيضا — هنجافة؛ وبالأمازيغية هي أينكفو). وهم بطن كبير يصنف ضمن صنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل؛ وكان ابن خلدون قد ذكر من أفخاذ هذه الطبقة: بني سليب، وفشتالة، وبني مزوارت، وملوانة، ثم أنوغة، وبجاية؛ وهي التي تسمى بها المدينة الساحلية بالجزائر. ويبدو أن أبناء هذه القبيلة ذابوا في قبائل أخرى. ويتساءل ابن منصور عن احتمال انتساب قبيلة بشمال تونس إليهم؛ تسمى بجاوة. ثم بطوية (وتسمى أحيانا بطيوة). وتوجد في الجزائر مدينة باسم بطيوة — وهي منسوبة إليهم — بالقرب من آرزيو. كما توجد بهذا الاسم قبيلة مشهورة بمنطقة الريف؛ بالمغرب الأقصى. وتنقسم قبيلة بطوية إلى ثلاثة بطون؛ هم: بنو ورياغل، وبقوية، وأولاد علي.

---

<sup>1</sup> قبائل البربر، ج: 1، ص: 329.



ومن بطون صنهاجة التي حقق أسماءها ابن منصور: تاركة (تنطق بجيم بدوية)؛ وهم من قبائل اللثام؛ سكان الصحراء؛ بالجزائر، وليبيا. ثم بنو جعد؛ منهم بقية في نواحي البويرة، وعين سام؛ بالجزائر. ثم بنو حميد؛ منهم بقية اندرجوا في قبيلة يسر؛ بدوار يسر الويدان بالجزائر. ثم بنو خليل (ويعرفون الآن ببني خلي)؛ وهم بين بجاية، وتيزي وزو بالجزائر. ثم بنو دركون (بجيم بدوية؛ ويسمونهم — أيضا — بني دركول). وتتواجد بقية منهم بناحية زمورة بجوار غليزان بالجزائر؛ ومنهم جماعة بالمغرب الأقصى.

ثم بنو زروال؛ يتواجدون في الجزائر، وفي المغرب الأقصى. ثم زناكة (يسمون أحيانا إيزناكن، وإيصنهاكن)؛ وتتفرق أحيائهم بين الجزائر، والمغرب الأقصى. ثم زغاوة (من أهل اللثام). ثم كدالة (بجيم بدوية؛ وهم من أهل اللثام). ثم لتونة (بلام أصلية)؛ وهم ملوك المرابطين؛ ومن أهم بطونهم: بنو زمال، وبنو صولان، وبنو ناسجة، وبنو ورتنطق. ثم لمدية (بلام أصلية)؛ وتسمى بهم مدينة في الجزائر. ثم متنان؛ منهم بقية بالقرب من

عين بسام بالجزائر. ثم بنو مزكلدة؛ منهم بقية بين فاس ووزان بالمغرب الأقصى. ثم مزغنة؛ نسبت إليها مدينة الجزائر؛ إذ يقولون جزائر بني مزغنة. وما زالت منهم بقية؛ على الضفة اليمنى لوادي يسر؛ اندرجوا في قبيلة بني سليمان الشراقة. ومنهم أيضا جماعة في مدينة الأربعاء؛ جنوب شرقي مدينة الجزائر. ثم ملوانة (أو إيميلوان)، وهم متفرقون بين قبائل عديدة؛ في الجزائر، والمغرب الأقصى؛ وبهم يسمى حمام ملوان جنوب مدينة الجزائر. ثم مليانة؛ سميت باسمهم مدينة مليانة الجزائرية. ثم مسوفة (من أهل الشام)؛ شاركوا في تأسيس دولة المرابطين. ثم صنهاجة؛ احتفظوا بالاسم الجامع للبطون كلها. وبقيت منهم فئة بين غنابة، وسكيكدة بالجزائر، وفئة أخرى قرب وادي يسر. ثم صنهاجة مصباح؛ متواجدون شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل. ثم صنهاجة غدو؛ يتواجدون شمال إقليم تازة؛ بالمغرب الأقصى. ثم صنهاجة السراير؛ وهم قبيلة كبيرة، تتواجد أحيائها بإقليم الحسيمة؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى سبعة بطون ضخمة؛

هم: بنو أحمد، وبنو بشير، وبنو بوشيت،  
وتغزوت، وبنو خنوس، وبنو زرقت، وكتامة  
وبنو سادات. ثم بنو عمران؛ توجد منهم  
خمسة بطون بالجزائر هم: بنو عمران في  
الساحل الغربي لبجاية؛ بدوار أبراريس. وبنو  
عمران على ضفة وادي يسر، وفي مدينة  
الأربعاء؛ وفي جنوب مدينة الجزائر. وبنو عمران  
بالقرب من برج منايل، وتيزي وزو. وبنو  
عمران؛ وهم جباله. وبنو عمران بالقرب من  
ميناء جيجل. ثم فشتالة (بالأمازيغية إيفشتالن).  
ويتنسبون إلى هنجافة؛ ولهم بقية في شمال إقليم  
فاس؛ بالمغرب الأقصى. ثم بنو سليب؛  
تتواجد فئة منهم بجهات قلعة؛ بالجزائر. ثم  
بنو وارث (بالأمازيغية بنو وارثن)؛ وتوجد بقية  
منهم بقرب بجاية؛ يسمون آيت وارث وعُلي.  
ثم وانوغة (أو أنوغة)؛ يوجد بطن منهم قرب  
يسر؛ وهم ضمن قبيلة بني مكلا. ثم  
وتريككة (من أهل اللثام). ثم ورتنطق (من  
أهل اللثام)؛ ويتنسبون إلى لتونة. ثم بنو  
ورياكل (بجيم بدوية)؛ وهم غير بني ورياغل  
بالغين. يتواجد بنو ورياكل بجهات بجاية؛ إذ  
هم الذين نزل في ضيافتهم ابن تومرت بملالة؛

عند رجوعه من المشرق. ومنهم في وادي ورغة؛  
شمال إقليم فاس جماعة كذلك.

! ! !

— **أعيانهم:** تفيض المصادر التاريخية، والأدبية،  
والدينية بأعيان صنهاجة؛ بطبقاتها المختلفة.  
وستكلم في هذا المجال عنهم بدءاً بأهل الفكر  
منهم:

— **أبو عمرو ميمون بن أبي جميل الصنهاجي**  
(من أعلام صدر الإسلام)؛ وهو ابن أخت  
القائد الفاتح طارق بن زياد النفزي. ذكره  
صاحب مفاخر البربر ضمن فصل: الفقهاء  
والأعلام من البربر؛ نقلاً عن كتاب أعلام  
القبائل للرازي.

— **ثم أبو محمد سرؤاس بن حمود**  
**الصنهاجي** (توفي بطليطلة سنة 391هـ/1000م)؛  
كان من المحدثين، ومعلماً للقرآن بمدينة  
طليطلة.

— **ثم أبو محمد عبد الله بن سلام القرطبي**  
**الصنهاجي** (ت: سنة 402هـ/1011م)؛ كان من  
أهل الصلاح، والزهد.

— ثم أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص  
ابن أحمد بن سليمان بن درّاج القسطلبي  
الصنهاجي (ت: سنة 421هـ/1030م)؛ وهو من  
فحول الشعراء؛ وقد عادله الثعالبي في كتابه  
يتممة الدهر بالمتنبي؛ وساواه ابن حزم بالمتنبي  
وابن تمام. كما أشاد بعلمه وشعره كل  
علماء اللغة والأدب؛ وقال فيه الحميدي: ((وهو  
معدود في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء،  
والمذكورين من البلغاء؛ وشعره كثير؛ مجموع  
يدل على علمه؛ وله طريقة في البلاغة  
والرسائل تدل على اتساعه وقوته. وأول مدح  
من الملوك فالمنصور (هكذا) أبو عامر محمد  
ابن أبي عامر مدبر دولة هشام المؤيد؛ وأول  
شعر مدحه فقله يعارض أبا العلاء صاعد  
ابن الحسن اللغوي بقصيدة أولها:

أضَاءَ لَهَا فَجْرُ النَّهْيِ فَنَهَاها  
عَنِ الدَّنْفِ الْمُضْنَى بَحْرٌ هَوَاهَا  
وَضَلَّلَهَا صَبِيحٌ جَلَّ لَيْلَةُ الدُّجَى  
وَقَدْ كَانَ يَهْدِيهَا إِلَيَّ دُجَاهَا

وهي طويلة، ومستحسنة؛ فسَاء الظن بجودة ما أتى به من الشعر؛ واتهم فيه؛ وكان للشعراء - في أيام المنصور أبي عامر - ديوان يرزقون منه على مراتبهم؛ ولا يخلون بالخدمة بالشعر في مضامها؛ فسعي به إلى المنصور؛ وأنه منتحل سارق؛ لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء؛ فاستحضره المنصور... واختبره، واقترح عليه؛ فبرز، وسبق، وزالت التهمة عنه؛ فوصله بمائة دينار، وأجرى عليه الرزق، وأثبتته في جملة الشعراء؛ ثم لم يزل يسهر، ويجود شعره فيما بعد؛ وفي ذلك المجلس بين يدي المنصور أبي عامر قال القصيدة المشهورة التي أولها:

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي عَتَبَا  
وَعَطْفِ نِعْمَاكَ لِلْحَظِّ الَّذِي انْقَلَبَا

وهي طويلة، حسنة، كرر فيها المعنى الذي استخضر من أجله، وتكذيب الدعوى التي قذف بها؛ منها:

وَلَكُنتُ أَوَّلَ مَنْ أَعْيَتْ بِدَائِعُهُ  
فَاسْتَدَعَتْ الْقَوْلَ مِمَّنْ ظَنَّ أَوْ حَسِبَا

إِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ فِي بَعْضِ لَمْتَهُمْ  
 وَفِي يَدَيْهِ لَوَاءُ الشَّعْرِ "إِنْ رَكِبَا"  
 وَالشَّعْرُ قَدْ أَسْرَ الْأَعْشَى وَقَيْدَهُ  
 دَهْرًا، وَقَدْ قِيلَ: "وَالْأَعْشَى إِذَا شَرِبَا"  
 وَكَيْفَ أَظْمَأَ وَبَحْرِي زَاخِرُ فُطْنَا  
 إِلَى خَيْالٍ مِنَ الضَّحَضَاحِ قَدْ نَضَبَا  
 فَإِنْ نَأَى الشَّكُّ عَنِّي أَوْ فَهًا أَنْذَا  
 مُهَيَّأً لَجَلِي الْخُبْرُ مُرْتَقِبَا  
 عَبْدٌ لِنُعْمَاكَ فِي فَكِّهِ نَجْمٌ هُدَى  
 سَارَ لِمَدْحِكَ يَجْلُو الشَّكَّ وَالرَّيَا  
 إِنْ شِئْتَ أَمْلَى بَدِيعَ الشَّعْرِ أَوْ كَتَبَا  
 أَوْ شِئْتَ خَاطَبَ بِالْمَنْشُورِ أَوْ خَطَبَا  
 كَرُوضَةَ الْحَزَنِ أَهْدِي الرَّشَى مَنْظَرَهَا  
 وَالْمَاءَ وَالزَّهْرَ وَالْأَنْوَارَ وَالْعُشْبَا  
 أَوْ سَابِقِ الْخَيْلِ أَعْطِي الْحَضَرَ مُتِّدَا  
 وَالشَّدَّ وَالْكَرَّ وَالتَّقْرِبَ وَالْحَبِيبَا))<sup>1</sup>.

وله ديوان شعر؛ حققه محمود مكي  
 بدمشق سنة 1381هـ/1961م. ومما قاله في مدح  
 سليمان بن الحكم الأموي:

<sup>1</sup> جذوة المقتبس، ص ص: 110 — 112.

هَنِيئًا لِهَذَا الْمُلْكِ رَوْحٌ وَرِيحَانُ  
وَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا أَمَانٌ وَإِيمَانُ  
فَإِنَّ قَعِيدَ الْحِزْبِ قَدْ ثَلَّ عَرْشُهُ  
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ  
سَمِيَّ الَّذِي انْتَقَادَ الْأَنَامُ لِأَمْرِهِ  
فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الْأَرْضِ إِنْسٌ وَلَا جَانُ  
وَقَامَ فَقَامَتْ لِلْمَعَالِي مَعَالِمُ  
وَلِلْخَيْرِ أَسْوَاقٌ وَلِلْعَدْلِ مِيزَانُ  
وَجَدَّدَ لِلْإِسْلَامِ سُورَ خِلَافَةٍ  
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ وَبُرْهَانُ  
وَأَكْذَهَا عَهْدٌ لِأَكْرَمِ مَنْ وَفَى  
بِعَهْدِهِ، زَكَتْ مِنْهُ عُهُودٌ وَإِيمَانُ  
قَرِيبُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ  
وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدَنَانُ  
وَمَا سَاقَتْ الشُّوْرَى وَأَوْجَبَهُ التُّقَى  
وَأُورِثَ ذُو النُّورَيْنِ عَمُّكَ عُثْمَانُ  
وَمَا حَاكَمَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَحَازَهُ  
إِلَيْكَ أَبُو الْأَمْلَاقِ جَدُّكَ مَرْوَانُ

ويصف المقاتلين في جيشه فيقول:  
وَقَدْ لَمَعَتْ حَوْلَيْكَ مِنْهُمْ أَسِنَّةُ  
تُخِيلُ أَنَّ الْحَزْنَ وَالسَّهْلَ نِيرَانُ



أُسُودُ هِيَاجٍ مَا تَزَالُ تَرَاهُمْ  
 تَطِيرُ بِهِمْ نَحْوَ الْكَرِيهَةِ عِقْبَانُ  
 وَأَقْمَارُ حَرْبٍ طَالِعَاتُ كَأَنَّمَا  
 عَمَائِمُهُمْ فِي مَوْقِفِ الرُّوعِ تِيحَانُ  
 وَكُلُّ زَنَاتِي كَأَنَّ حُسَامَهُ  
 وَهَامَةً مَنْ لَاقَاهُ نَارٌ وَقُرْبَانُ  
 وَأَيَّضَ صِنْهَاجٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ  
 شِهَابٌ إِذَا أَهْوَى لِقِرْنٍ وَشَيْطَانُ

وقال واصفا الصلح، وداعيا إليه:  
 وَقُلْتَ لَعَاءً لِلْعَاثِرِينَ كَأَنَّهُ  
 نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُوا  
 وَقَدْ أَمِنَ التَّشْرِيبَ أَخْوَةَ يُوسُفَ  
 وَأَذْرَكَهُمْ لِلَّهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ  
 وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصُّلْحِ بَكَرٌ وَتَغْلِبُ  
 وَشَفَعَتِ الْأَرْحَامَ عَبَسُ وَذِيَّانُ  
 وَفَارَزَتْ قِدَاحُ الْمُشْتَرِي بِسُعُودِهَا  
 وَسَالَمَ بَهْرَامٌ وَأَعْتَبَ كِيَوَانُ

ومن قصيدة طويلة وحسنة؛ مدح فيها  
 خيران العامري؛ تعرض ضمنها لوصف هول  
 البحر؛ فقال:

لَكَ الْخَيْرُ قَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ خَيْرَانُ  
وَبُشْرَاكَ قَدْ وَافَاكَ عِزٌّ وَسُلْطَانُ  
هُوَ النَّجْمُ لَا يُدْعَى إِلَى الصُّبْحِ شَاهِدُ  
هُوَ النُّورُ لَا يُبْعَى عَلَى الشَّمْسِ بُرْهَانُ  
إِلَيْكَ رَكِبْنَا الْفُلَكَ تَهْوِي كَأَنَّهَُا  
وَقَدْ ذَعَرَتْ مِنْ مَغْرَبِ الشَّمْسِ غُرْبَانُ  
عَلَى لُجَجٍ خُضِرَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا  
تَرَامِي بِنَا فِيهَا ثِيَرٌ وَتَهْلَانُ  
مَوَاتِلَ تَرَعَى فِي ذَرَاهَا مَوَاتِلَا  
كَمَا عُبِدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْثَانُ  
وَفِي طَيِّ أَسْمَالِ الْغَرِيبِ غَرَائِبُ  
سَكَنَ شِعَافَ الْقَلْبِ شَيْبٌ وَوَلْدَانُ  
يُرَدِّدْنَ فِي الْأَحْشَاءِ حَرَّ مَصَائِبِ  
تَزِيدُ ظَلَامًا لَيْلَهَا وَهِيَ نِيرَانُ  
إِذَا غِيَضَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْهَا مَدَدْنُهُ  
بَدَمَعَ عُيُونٌ تَمْتَرِيهِنَّ أَشْجَانُ  
وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهَا الرِّيحُ جَرَى بِهَا  
زَفِيرٌ إِلَى ذِكْرِ الْأَحْبَةِ حَنَانُ  
يَقْلَنَ وَمَوْجُ الْبَحْرِ وَالْهَمُّ وَالْدُّجَى  
تَمْوِجُ بِهَا فِينَا عُيُونٌ وَآذَانُ  
أَلَا هَلْ إِلَى الدُّنْيَا مَعَادٌ وَهَلْ لَنَا  
سِوَى الْبَحْرِ قَبْرٌ أَوْ سِوَى الْمَاءِ أَكْفَانُ

وقال في مدح منذر بن يحيى التحيبي  
صاحب سرقسطة:

يَا عَاكِفِينَ عَلَيِ الْمُدَامِ تَنْبَهُوا  
وَسَلُّوا لِسَانِي عَنْ مَكَارِمِ مُنْذِرِ  
مَلِكٍ لَوْ اسْتَوْهَبْتَ حَبَّةَ قَلْبِهِ  
كَرَّمَا لَجَادَ بِهَا وَلَمْ يَتَعَذِرِ

ويقول فيه حين قدم إليه صاعد بن  
الحسن الربيعي الموصلي اللغوي:

عَلَا فَحَوَى مِيرَاثَ عَادٍ وَتَبَّعَ  
بِهَمَّتِهِ الْعُلْيَا وَنَسَبَتِهِ الدُّنْيَا  
فَأَعْرَبَ عَنْ أَقْوَامٍ يَعْرُبُ وَاحْتَبَى  
فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هُودٍ سَنَاءً وَلَا هَدْيَا  
وَمِنْ حِمِيرٍ رَدَّ الْقَنَا أَحْمَرَ الذَّرَى  
وَمِنْ سَبَأٍ قَادَتْ كَتَائِبُهُ السَّيَا  
وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقُ قَحْطَانَ إِذْ فَدَى  
عُرُوقَ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ الْقَحْطِ بِالسَّقْيَا  
وَمَا أَسْكَنْتَ عَنْهُ السَّكُونُ سِيَادَةَ  
وَلَا رَضِيَتْ طِيٌّ لِرَاحَتِهِ طَيًّا  
وَلَا كَنَدَتْ أَسْيَافُهُ مُلْكَ كِنْدَةَ  
فَيَتْرُكُ فِي أَرْكَانٍ عِزَّتِهَا وَهَيَا

إلى قوله:

وَاهْدَتْ لَهُ بَعْدَادُ دِيوَانَ عِلْمِهَا  
 هَدِيَّةَ مَنْ وَالَى وَتُخْفَةَ مَنْ حَيَّا  
 فَكَانَتْ كَمَنْ حَيَّا الرِّيَاضَ بِزَهْرِهَا  
 وَاهْدَى إِلَى صَنْعَاءَ مَنْ نَسَجَهَا وَشَيَّا  
 وَحَسَبُ رُؤَاةِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَدَارَسُوا  
 مَآثِرَهُ حِفْظًا وَآثَارَهُ وَعِيَا  
 وَيَكْفِي مُلُوكَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ مَفْخَرٍ  
 إِذَا امْتَثَلُوا مِنْ بَعْضِ أَفْعَالِهِ شَيَّا  
 إِذَا لَمَعَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ حَوْلَهُ  
 كِإِضْرَامِ نِيرَانِ الْهُمُومِ حَوَالِيَا  
 وَقَدْ لَاذَ أَبْطَالُ الْجِلَادِ بِعَظْفِهِ  
 كَمَا لَاذَ أَطْفَالُ الْجَلَاءِ بِعِطْفِيَا  
 وَقَدْ قَصَّصَتْ عَنْهُ رِمَاحُ عُدَاتِهِ  
 كَمَا قَصَّصَتْ عَنْهُمْ رِيَاشُ جَنَاحِيَا

إلى أن يقول:

فِيَالِكُ مِنْ ذِكْرِي سَنَاءَ وَرَفْعَةٍ  
 إِذَا وَضَعُوا فِي التُّرْبِ أَيْمَنَ شَقِيَا  
 وَفَاحَتْ لِيَالِي الدَّهْرِ مِنِّي مَيِّتَا  
 فَأَخْزَيْنَ أَيَّامًا دُفِنْتُ بِهَا حَيَّا  
 وَكَانَ ضِيَاعِي حَسْرَةً وَتَنْدُمًا  
 إِذَا لَمْ يُفِدْ شَيْئًا وَلَمْ يُغْنِي شَيْئا

وَأَصْبَحْتُ فِي دَارِ الْغِنَى عَنْ ذَوِي الْغِنَى  
 وَعَوَّضْتُ فَاسْتَقْبَلْتُ أَسْعَدَ يَوْمِيَا  
 سِوَى حَسْرَتِي عَرَضَ وَوَجْهِ تَضَعُّعَا  
 لِقَارَعَةِ الْبَلَوَى وَكَانَا عَتَادِيَا  
 فَيَا عَبْرَتِي سُحِّي لَعَلِّي مُبَلِّلُ  
 بَجْرِيكِ مَا أَنْزَفْتُ مِنْ مَاءِ خَدَّيَا  
 وَيَا زَفَرَتِي هَلْ فِي وَقُودِكِ جَذْوَةٌ  
 تُنِيرُ لَنَا صُبْحًا ثَنَاهُ الْأَسَى مُسِيَا  
 وَيَا خَلَّتِي إِنْ سَوَّفَ الْعَوْتُ بِالْمُنَى  
 وَيَا غَلَّتِي إِنْ أَبْطَأَ الْعَوْتُ بِالسُّقْيَا  
 فَقُومَا إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ فَاسْعِدَا  
 تَقَلُّبَ وَجْهِي فِي السَّمَاءِ وَكَفِيَا  
 عَسَى مَيِّتُ الْأَضْمَاءِ فِي رَوْضَةِ النَّدَى  
 سِيرَجُ عَنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَقَدْ حَيَّا  
 وَيَا أَوْجُهُ الْأَحْرَارَ لَا تَبَدَّلِي  
 بِظِلِّ يَحْيَى بَعْدَ ظِلِّ لَا فَيَّا

وله قصيدة طويلة وبديعة؛ في مدح المنصور  
 ابن أبي عامر؛ عارض فيها قصيدة أبي نواس  
 التي مطلعها:

أَجَارَةَ يَتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ  
 وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ

فقال القسطلبي معارضا:  
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الشَّوَاءَ هُوَ التَّوَى  
 وَأَنَّ بُيُوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورُ  
 تُخَوِّفُنِي طُولَ السَّفَارِ، وَإِنَّهُ  
 لِتَقْيِيلِ كَفِّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرُ  
 ذَرِينِي أَرْدُ مَاءِ الْمَفَاوِزِ آجِنَا  
 إِلَى حَيْثُ مَاءُ الْمَكْرَمَاتِ نَمِيرُ  
 فَإِنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضَمَّنُ  
 لِرَاكِبِهَا أَنَّ الْجَزَاءَ خَطِيرُ

ثم يتطرق فيها لوداع زوجته وابنه  
 الصغير، بأسلوب رائع؛ قال عنه ابن بسام:  
 ((بما لا شبه له، ولا نظير، ولا مثل، ولا  
 عديل)).

وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَفَا  
 بِصَبْرِي مِنْهَا أَنَّهُ وَزَفِيرُ  
 تُنَاشِدُنِي عَهْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى  
 وَفِي الْمَهْدِ مَبْعُومُ النَّدَاءِ صَغِيرُ  
 عَيْيُ بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ وَلَفْظُهُ  
 بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَبِيرُ  
 تَبَوَّأَ مَمْنُوعَ الْقُلُوبِ وَمَهَّدَتْ  
 لَهُ أَذْرُعَ مَحْفُوفَةِ وَنُحُورُ

فَكُلُّ مُفَدَّاةِ التَّرَائِبِ مُرْضِعٌ  
وَكُلُّ مُحْيَاةِ الْمَحَاسِنِ ظِيرٌ  
عَصِيْتُ شَفِيعِ النَّفْسِ فِيهِ وَقَادَنِي  
رَوَاحُ بَدَايِ السُّرَى وَبُكُورِ  
وَطَارَ جَنَاحُ الْبَيْنِ بِي وَهَفَّتْ بِهَا  
جَوَانِحُ مِنْ ذُعْرِ الْفِرَاقِ تَطِيرُ  
لِئِنْ وَدَّعْتُ مِنِّي غَيُورًا فَأَتَّنِي  
عَلَى عَزَمَتِي مِنْ شَجْوَهَا لَعُيُورُ  
وَلَوْ شَاهَدْتُنِي وَالْهَوَاجِرُ تَلْتَطِي  
عَلَيَّ وَرَقَرَأَقُ السَّرَابِ يَمُورُ  
أَسْلَطُ حَرَّ الْهَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا  
عَلَى حُرٍّ وَجْهِي وَالْأَصِيلُ هَجِيرُ  
وَأَسْتَنْشِقُ النَّكْبَاءَ وَهِيَ بَوَارِحُ  
وَأَسْتَوِطِي الرَّمْضَاءَ وَهِيَ تَفُورُ  
وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلُونُ  
وَلِلدَّغْرِ فِي سَمْعِ الْجَرِيِّ صَفِيرُ

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن وزَّمر الحجاري  
السنهاجي (من أعلام النصف الأول من القرن  
الخامس للهجرة)؛ هو جد عبد الله صاحب  
كتاب المسهب الآتي ذكره. وهو من مدينة  
الفرج بوادي الحجاره؛ وقد صنف للأمير  
المأمون بن ذي النون الهواري (الأمير على

طليطلة وشرق الأندلس) كتاب مغنطيس الأفكار  
 فيما تحوي عليه مدينة الفرج من النظم،  
 والنثر، والأخبار. وكان إبراهيم هذا مولعا  
 بالتاريخ، والأدب، وله أشعار متناقلة بين  
 الناس؛ منها:

لِئِنْ كَرِهُوا يَوْمَ الْوَدَاعِ فَإِنِّي  
 أَهْيَمُ بِهِ وَجَدًا لِأَجْلِ عِنَاقِهِ  
 أَصَافِحُ مَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ مُسَاتِرِ  
 وَسِرُّ التَّلَاقِي مُودَّعٌ فِي فِرَاقِهِ

ويقول أيضا:

أَلَا إِنَّهَا وَاللَّهِ إِحْدَى الْكَبَائِرِ  
 تُعْقُونَ أَسْلَافًا لَكُمْ بِالْمَآثِرِ  
 مَتَى كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ لِقَاصِدٍ؟  
 مَتَى كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَهْشُ لِشَاعِرٍ

وفي رد على أبيات لابن عائش؛ في يوم  
 صحو بعد مطر؛ قال:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَلَوْ أَنَّنِي  
 أَسْعَى عَلَى الرَّأْسِ إِلَى مِصْرٍ  
 فَكَيْفَ وَالِدَّارُ جَوَارِي وَمَا  
 عِنْدِي مِنْ شُغْلٍ وَلَا عُذْرٍ



وَلَوْ غَدَا لِي أَلْفُ شُغْلٍ بَلَا  
 عُذْرٍ تَرَكْتُ الْكُلَّ لِلْحَشْرِ  
 وَكُلَّمَا أَبْصَرْتَنِي نَاطِرٌ  
 بِيَابِكُمْ عَظُمَ مِنْ قَدْرِي  
 أَنَا الَّذِي يَشْرِبُهَا دَائِمًا  
 مَا حَضَرَتْ فِي الصَّخْوِ وَالْقَطْرِ  
 وَلَيْسَ نَقْلِي أَبَدًا بَعْدَهَا  
 إِلَّا الَّذِي تَعْهَدُ مِنْ شُكْرِي

ويمدحه بقوله:

لَوْ كَانَ ثَانٍ فِي النَّدَى لَابْنُ عَائِشٍ  
 لَمَّا كَانَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَخُو فَقْرٍ  
 يَهْشُ إِلَى الْأَمْدَاحِ كَالْعُصْنِ لِلصَّبَا  
 وَبَشْرٌ مُحْيَاهُ يَنْوُبُ عَنِ الزَّهْرِ  
 فَيَا رَبَّ زِدْ عُمُرَهُ إِنَّ عُمُرَهُ  
 حَيَاةُ أَنْاسٍ قَدْ كَفُوا كُفَّةَ الدَّهْرِ

— ثم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد  
 القرطبي الصنهاجي المعروف بابن اللبان (ت:  
 سنة 480هـ/1087م)؛ كان من العلماء المستنيرين  
 المتفوقين؛ متمكن من أدوات علمه.

— ثم أبو بكر زاوي بن مناد بن عطية  
ابن المنصور الصنهاجي (من أعلام النصف  
الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو فقيه  
ومحدث؛ ولي خطة القضاء، وله مؤلفات.

— ثم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن  
وَزَمَر الحجاري الصنهاجي (كان حيا قبل  
سنة 480هـ/1087)؛ هو عم عبد الله صاحب  
المسهب؛ له كتاب بعنوان: الحديقة في البديع.  
وكان أديبا، وشاعرا؛ من شعره:

وَشَادِنٍ يُنْصَفُ مِنْ نَفْسِهِ  
أَمَّنِّي مِنْ سَطَوَةِ الدَّهْرِ  
يَنَامُ لِلشُّرْبِ عَلَى جَنْبِهِ  
وَيَصْرِفُ الذَّنْبَ إِلَى الْخَمْرِ

ومما قاله في أبي بكر بن عبد العزيز  
صاحب بلنسية:

رُدُّوا عَلَيَّ رِكَابَهُمْ بِالْأَجْرَعِ  
حَتَّى يَقْضِيَ الشَّقُّوقُ حَقَّ مُودِّعِ  
وَأَبْثُّهُمْ مَا قَدْ أَثَارُوا مِنْ جَوَى  
بِفِرَاقِهِمْ وَاسْتَقْطَرُوا مِنْ أَدْمَعِ

وقوله في فرس:

وَمُسْتَبِقٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهِ  
وَيَسْلَمُ فِي الْكِفَاحِ مِنَ الْجَمَاحِ  
كَأَنَّ أَدِيمَهُ لَيْلٌ بِهِيْمٌ  
تَحَجَّلَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الصَّبَاحِ  
إِذَا احْتَدَمَ التَّسَابِقُ صَارَ جَرْمًا  
تَقَلَّبَ بَيْنَ أَجْنَحَةِ الرِّيَّاحِ

وسأله ابن أخيه عبد الله (صاحب  
المسهب) عن أفضل من لقي من الأعيان؛  
فنه بالوزير أبي بكر بن عبد العزيز، والمعتمد  
ابن عباد. وقال له بأنه قصد ابن عباد؛  
عندما كان يشارك يوسف بن تاشفين غزواته  
ضد النصارى؛ فرفع إليه قصيدة جاء فيها:

لَا رَوْعَ اللَّهُ سِرْبًا فِي رَحَابِهِمْ  
وَإِنْ رَمَوْنِي بِتَرْوِيعٍ وَإِبْعَادِ  
وَلَا سَقَاهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَطَشٍ  
إِلَّا بَبْعُضٍ نَدَى كَفَّ ابْنَ عَبَّادِ  
ذِي الْمَكْرُمَاتِ الَّتِي مَا زَلْتُ تَسْمَعُهَا  
أَنْسُ الْمُقِيمِ وَفِي الْأَسْفَارِ كَالزَّادِ  
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا يَرْتَضِيهِ لِمَنْ  
نَادَاهُ يَا مَوْئِلِي فِي جَحْفَلِ النَّادِي

وقال لابن أخيه: ((وكنت ممن زاره  
بسجنه بأغمات؛ وحملتني شدة الحمية له،  
والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط  
سجنه متمشلا:

فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ  
وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام؛ فوجدت  
تحت البيت: لذلك سجنناه [البيت للمتنبي]:  
وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ فِي الصَّيْدِ بَارِزُهُ  
تَصَيِّدُهُ الضَّرْغَامَ فِيمَا تَصَيِّدَا

فما أدري من جواب بذلك. ثم عدت  
له ووجدته قد محي؛ وأعلمت بذلك ابن  
عباد؛ فقال: صدق المجاب؛ وأنا الجاني على  
نفسه، والحافر بيده لرمسه؛ ولما أردت وداعه  
أمر لي بإحسان على قدر ما استطاع؛  
فارتجلت:

آلَيْتُ لَا أَقْبِلُ إِحْسَانَكُمْ  
وَالدَّهْرُ فِيمَا قَدْ عَرَاكُمْ مُسِي  
فَفِي الَّذِي أَسْلَفْتُمْ غُنْيَةً  
وَأِنْ يَكُنْ عِنْدَكُمْ قَدْ نُسِي

قال: وفيه أقول من قصيدة:  
يا طَالِبَ الإِنصَافِ مِنْ دَهْرِهِ  
طَلَبْتَ أَمْرًا غَيْرَ مُعْتَادٍ  
فَلَوْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي طَبْعِهِ  
لَمَا عَدَا مُلْكُ ابْنِ عَبَّادٍ<sup>1</sup>.

— ثم المظفر بالله عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي (توفي بالسوس الأقصى بعد سنة 483هـ/1090م)؛ خلف جده باديس سنة 460هـ/1067م؛ في إمارة غرناطة، وأسند إمارة مالقة إلى أخيه تميم. وكان عبد الله أديبا بليغا، وشاعرا مطبوعا، وله خط رائع؛ نسخ بخطه الجميل القرآن الكريم، وله أيضا كتاب التبيان؛ هو عبارة عن مذكرات، وتاريخ للأحداث التي عاصرها؛ قام بتحقيقه، وطبعه ليفي بروفنسال بعنوان: مذكرات الأمير عبد الله.

— ثم أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس ابن المنصور التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 501هـ/1107م)؛ وهو من سلاطين الدولة الزييرية بإفريقية. لما انتصب على سدة الحكم؛ وجد

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص ص: 571 — 572.

الدولة تعاني من بعض الاضطراب، والخلل؛ نتيجة لعبث القبائل الهلالية؛ فنهض لإصلاح الحال، وضبط الأوضاع؛ فتم له تحقيق ذلك؛ باستعادة سوسة، وتونس، وصفاقس؛ ولكن شاءت الأقدار أن يهاجمه الإفرنج خلال حملاته الترميمية؛ فلم يتركوا له الوقت الكافي؛ لاستعادة الأنفاس؛ فاستولوا - في عهده - على المهديّة، وصقلية؛ ومع هذا لم تلق عزيمته؛ إذ تغلب - فيما بعد - على حملة شنّها ضده الإيطاليون. وكان - إلى جانب ممارسته للحكم - أديبا، وشاعرا؛ وله ديوان شعر ضخم. هذا وقد طالت فترة حكمه؛ إذ وصلت إلى 46 سنة. وخلف من الأولاد، والأحفاد الذكور حوالي الثلاثمائة. قال فيه ابن عذاري: ((كان رحمه الله شهما، شجاعا، حازما، عازما؛ يستصغر صعب الأمور، ويستهل عظام الخطوب؛ ويغلب عليه شدة البطش، والمبادرة؛ وهو أحد فحول شعراء الملوك؛ وذوي السبق، والتقدم في معانيه، وبدائعه؛ حوى فيه الجودة، والكثرة. وله ديوان كبير من شعره

مشهور)).<sup>1</sup> وقد أورد العماد الأصفهاني مجموعة  
 من أشعاره في كتابه خريدة القصر؛ منها:  
 مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ  
 وَأَنْفَذَ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ  
 إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ سِرٌّ  
 يَحْكُمُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ

ومن شعره أيضا:  
 وَجْهُهُ هُوَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَقَامَةٌ  
 كَالْغُصْنِ مَاسَ نَضَارَةٍ وَشَبَابَا  
 يَسْقِيكَ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ مُدَامَةٌ  
 وَمِنْ الْمُؤَشَّرِ مَسْكَةٌ وَرُضَابَا  
 غَنَّتْ وَكَاسَاتُ الْمُدَامِ مُدَارَةٌ  
 عَذَبَ الْوَصَالُ لَنَا بِهِنَّ وَطَابَا  
 كَأْسٌ مِنَ الذَّهَبِ السَّيْلُ تَضُمُّهُ  
 قَصَبُ اللَّجِينِ تَعَمَّتْ عُنَابَا

ومنه أيضا:  
 سَعَادٌ قَدْ أَلَمَّتْ بِي سَتَمَحُو الْبُعْدَ بِالْقُرْبِ  
 كَبَدْرٌ تَحْتَهُ غُصْنٌ عَلَى حِقْفٍ مِنَ الْكُثْبِ  
 فَحَلَّتْ فِي حِمَى قَلْبِي عَلَى التَّاهِيلِ وَالرَّحْبِ

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 1، ص: 303.

ومنه قوله:

وَجَاهِلَةٌ بِالْحُبِّ لَمْ تَدْرِ طَعْمَهُ  
وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْحُبِّ  
قَامَتْ عَلَى قَلْبِي رَقِيًّا وَحَارِسًا  
فَلَيْسَ لِدَانٍ مِنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي  
أَدْرْتُ الْهَوَى حَتَّى إِذَا صَارَ كَالرَّحَا  
جَعَلْتُ لَهُ قَلْبِي بِمَنْزِلَةِ الْقُطْبِ

وقوله كذلك:

مَا الْعَيْشُ إِلَّا مَعَ التَّهْجِيرِ وَالذُّلْجِ  
أَوْ الْمَدَامِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْمَرْجِ  
وَالشُّرْبُ بَيْنَ الْعَوَانِي وَالْقِيَانِ مَعَا  
فَإِنْ أَوْجَهَهَا تُغْنِي عَنِ السُّرْجِ  
وَالْقَصْرِ وَالْبَحْرِ وَالْبُسْتَانِ فِي نَسَقِ  
وَنَحْنُ فِي مُشْرِفٍ مِنْ مَنْظَرٍ بِهِجِ  
وَالكَأْسُ دَائِرَةٌ فِي كَفٍّ غَانِيَةٍ  
بَيْضَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجِ  
أَقُولُ وَالكَأْسُ تَزْهِي فِي أَنَامِلِهَا:  
رَفَقًا عَلَى هَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَالْمَهْجِ  
اللَّهُ فِي مُدْنِفٍ أَوْدَى بِمُهْجَتِهِ  
طَرَفٌ تَقَلَّبَ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْغَنَجِ  
كَمْ حُجَّةٌ لِي وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْبُلُهَا  
لَوْ كَانَ يَنْتَفِعُ الْمُشْتَاقُ بِالْحُجَجِ



وقال في منافق:

رَأَيْتُكَ قَاعِدًا عَنِ كُلِّ خَيْرٍ  
وَأَنْتَ الشَّهْمُ فِي قَالُوا وَقُلْتُ  
وَطَرَّارًا لَهُ لُطْفٌ وَحِذْقٌ  
وَالْفَاطُ يُنَمِّقُهَا وَسَمْتُ  
وَتَقْتُ إِلَيْهِ مِنْ حَسَبٍ وَيَيْتٍ  
وَلَوْلَا ذَاكَ مِنْهُ مَا وَتَقْتُ  
وَقَدْ يَعِدُ الْوُعُودَ وَلَيْسَ يُوفِي  
وَلَيْسَ بِقَائِلٍ يَوْمًا فَعَلْتُ  
كَخَزِّ الْمَاءِ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ  
يَرُوقُ وَمَالُهُ أَصْلٌ وَتَبْتُ  
كَذَلِكَ زَهْرَةَ الدُّفْلَى تَرَاهَا  
تُشَوِّقُ الْعَيْنَ حُسْنًا وَهِيَ سُخْتُ

وقال:

فَنَادِ بِمَسْمَعِيكَ لِكِي يُغْنُوا  
وَحُثِّ الْعُودَ مِنْ بَمٍ وَزِيرٍ  
وَلَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي  
رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصِّفِيرِ

ويقول أيضا:

إِنْ نَظَرْتُ مُقْلَتِي لِمُقْلَتِهَا  
تَعْلَمُ مِمَّا أُرِيدُ فَخَوَاهُ

كَأَنَّهُا فِي الْفُؤَادِ نَاطِرَةٌ  
تَكْشِفُ أَسْرَارَهُ وَنَجْوَاهُ

ويقول في أخرى:

سَلِ الْمَطَرَ الْعَامَّ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ  
أَجَاءَ بِمِقْدَارِ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْعِي  
إِذَا كُنْتَ مَطْبُوعاً عَلَى الصَّدِّ وَالْجَفَا  
فَمِنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَجْعَلُهُ طَبْعِي

ويقول أيضاً:

وَحَمْرٍ قَدْ شَرِبْتُ عَلَى وَجْهِهِ  
إِذَا وَصِفْتُ تُجَلُّ عَنِ الْقِيَّاسِ  
خُدُودٌ مِثْلَ وَرْدٍ فِي ثُغُورِ  
كَدْرٍ فِي شُعُورٍ مِثْلَ آسٍ

ويقول:

فَكَّرْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَهَوْلِهَا  
يَا وَيْلَتَاهُ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ  
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ خَيْرَ وَسَائِلِي  
يَوْمَ الْمَعَادِ شَهَادَةُ الْإِخْلَاصِ

وقال كذلك:

لَهَا وَجْهٌ لَهَا شَعْرٌ كَمِثْلِ الرُّومِ وَالزُّنْجِ  
لَهَا جَفْنَانِ قَدْ شُحِنَا بِنَبْلِ السَّحْرِ وَالْعُنْجِ

لَهَا ثَغْرٌ لَهَا رَيْقٌ      كَمِثْلِ الْخَمْرِ وَالْبُنْجِ  
لَهَا نَهْدَانِ قَدْ نَجَمَا      كَنَابِي فِيلٍ شِطْرُنْجِ

ومما قال أيضا:

أَيَا مَنْ وَجْهُهُ حُلُوٌ      وَيَا مَنْ قَلْبُهُ خِلُوٌ  
وَيَا مَنْ لَحْظُهُ سُكْرٌ      وَيَا مَنْ لَفْظُهُ صَحْوٌ  
وَيَا مَنْ قَدُّهُ غُصْنٌ      نَمَاهُ الدِّلُّ وَالزَّهْوُ  
لَقَدْ أَصْبَحْتَ ذَا جَوْرٍ      عَلَى مَنْ جِسْمُهُ نَضْوٌ  
وَقَدْ طَالَتْ مَوَاعِيدِي      هَذَا مِنْكَ بِي لَهُوٌ  
فَإِنْ كُنْتُ أَخَا ذَنْبٍ      أَمَا عِنْدَكَ لِي عَفْوٌ

— ثم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم بن وزَّمر الحِجَارِي الصنْهَاجِي (ت: سنة 520هـ/1126م)؛ كان كاتباً ماهراً، وشاعراً مجيداً، يحب الرحلة، والانتقال عبر البلاد، والأوطان. يلقبه أدباء الأندلس ومؤرخوها بحافظ الأندلس، وإمام الأدباء، وبجاحظ الأندلس. ومن مؤلفاته كتاب المُسْهَبُ في فضائل المغرب؛ الذي كان هو الأساس، والقاعدة التي أنجز عليها كتاب المُغْرِبُ في حُلَى المَغْرِبِ. وقد بدأه عبد الله الحِجَارِي بستة أسفار؛ انطلق فيها من أحداث فتح الأندلس؛ إلى عام 530هـ/1135م؛ السنة التي شرع فيها بكتابة الكتاب؛ وكان

تاريخاً للسياسة، والفكر، والأدب، والأعلام؛ وانتهى منه في غرة عام 641هـ/1243م. وكتابه حدثت صدفة؛ بعد أن طلب منه عبد الملك ابن سعيد (صاحب قلعة بني سعيد) أن يصنف له كتاباً يشمل ما يعرفه من التاريخ، والأدب، والأدباء في ديار المغرب، والأندلس؛ فأجيز ذلك المشروع الأدبي الهام؛ فأعجب به عبد الملك؛ وكان لا يترك قراءته أبداً؛ بل أضاف إليه ما يعرفه هو؛ ثم توارثه: ولده، وأحفاده (أحمد، ومحمد، وموسى، وعلي) فكانوا يتولونه بالعناية، والتنقيح، والإضافة؛ طوال فترة زمنية تصل إلى مائة وخمسة عشر عاماً؛ حتى أصبح كما عرفه أهل التاريخ، والأدب؛ في زمن سابق؛ لأن ما هو معروف الآن؛ ليس سوى قسم صغير منه؛ نشرة شوقي ضيف تحت عنوان: المغرب في حُلَى المغرب. وجاء في الأخبار أن عبد الله الحجاري عندما قدم أول مرة على عبد الملك استخف به البوابون وازدروه بسبب زي البداوة التي كان عليه؛ فكتب إليه رقعة طلب فيها المثل بين يديه؛ وسجل فيها مطلع قصيدته التي أراد أن يلقيها أمامه؛ وهي:

## عَلَيْكَ أَحَالَنِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ

ولما قرأ الرقعة، ومطلع القصيدة؛ أمر الحراس بإدخاله. وعندما دخل لم يبادر إلى السلام، والتحية — كما جرت العادة — بل ظل واقفا في صمت؛ يجيل النظر فيهم. وقد وصف المقري ذلك الموقف بقوله: ((فاستثقله الحاضرون، واستبردوا مقصده؛ ونسبوه للجهل، وسوء الأدب. فقال له أحدهم: مالك لا تسلم على القائد، وتدخل مداخل الأدباء، والشعراء؟ فقال: حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع قوم أنذال، وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى؛ فأكون أتقيه إن قدر لي خدمته. فقال له عبد الملك: تأخذنا بما فعل السفهاء منا؟ قال: لا، والله؛ بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع؛ إنما هي أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك؛ أعزك الله تعالى، ويتمكن التأنيس، وينحل قيد الهيبة)).<sup>1</sup> وبعدها أنشده قصيدته المطولة؛ دون ورقة؛ وهي التي يقول فيها:

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 4، ص: 123.

عَلَيْكَ أَحَالَنِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ  
فَجِئْتُ وَمِنْ ثَنَائِكَ لِي دَلِيلُ  
أَتَيْتُ وَلَمْ أَقْدَمْ مِنْ رَسُولٍ  
لَأَنَّ الْقَلْبَ كَانَ هُوَ الرَّسُولُ

إلى أن يقول:

وَوَدَّعْتُ الْحَبِيبَ بَعِيرَ صَبْرٍ  
فَصَحَّ الْعَزْمُ وَأَقْتَضَى الرَّحِيلُ  
وَأَسْبَلْتُ الظَّلَامَ عَلَيَّ سِتْرًا  
وَنَجَمُ الْأَفْقِ نَاطِرُهُ كَلِيلُ  
وَلَمْ أَشْكُ الْمَهِجِرَ وَقَدْ دَعَانِي  
إِلَى أَرْجَائِكَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ

ثم يشير إلى شكله البدوي:

أَجَلَ طَرْفًا لَدَيَّ فَإِنْ عِنْدِي  
مِنْ الْآدَابِ مَا يَحْوِي الْخَلِيلُ  
وَمَثَّلَنِي بَدَنٌ فِيهِ سِرٌّ  
يَخِيفُ بِهِ وَمَنْظَرُهُ ثَقِيلُ

ومن شعره الجيد:

مَلِكُ طُفَيْلِي السَّمَا  
حَ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ

مَا فُرِّجَتْ أَبْوَابُهُ  
إِلَّا تَفَرَّجَتْ الشَّدَائِدُ

ومن شعره أيضا:

كَمْ بَيْتٌ مِنْ أَسْرِ السُّهَادِ بَلِيلَةٍ  
نَادَيْتُ فِيهَا هَلْ لِحُجْحِكَ آخِرُ  
إِذْ قَامَ هَذَا الصُّبْحُ يُظْهِرُ مِلَّةَ  
حَكَمْتِ بِأَنْ ذُبِحَ الظَّلَامُ الْكَافِرُ

ومما قاله في بني سعيد:

زَارَتْكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمُ  
كَالْعُصْنِ يَثْنِيهِ النَّسِيمُ  
سَلَبْتَ ظِلَامَ اللَّيْلِ مَا  
أَبْصَرْتَ فِي الْعَقْدِ النَّظِيمِ  
فَلِذَاكَ أَمْسَى عَاطِـ\_\_\_\_  
لُ الْآفَاقِ مُسَوِّدَ الْأَدِيمِ  
لَوْلَا الْمُدَامُ لَمَا اهْتَدَى  
فِيهِ إِلَى كَأْسٍ نَدِيمِ

ويقول أيضا:

قَوْمٌ لَهُمْ فِي فَخْرِهِمْ  
شَرَفُ الْحَدِيثِ مَعَ الْقَدِيمِ

وَرِثُوا النَّدَى وَالْبَأْسَ وَالـ  
 عَلِيَا كَرِيماً عَنْ كَرِيمٍ  
 مِنْ كُلِّ وَضَّاحٍ بِهِ  
 يُجَلَّى دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ

وقال فيهم أيضاً:  
 وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجِباً خَيْرَ عُصْبَةٍ  
 هُمْ فِي بَنِي أَرْمَانِهِمْ كَالْمَوَاسِمِ  
 مُشْتَفَةِ أَسْمَاعُهُمْ بِفَضَائِلِ  
 مُسَوَّرَةِ أَيْمَانُهُمْ بِالصَّوَارِمِ  
 فَكَمْ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ فَضْلٍ نَائِرِ  
 وَكَمْ لَهُمْ فِي السَّلْمِ مِنْ فَضْلٍ نَاطِمِ

وكتب إلى القاضي أبو عبد الله محمد  
 اللوشي؛ يطلب منه مده بأشعار له؛ لكي  
 يدرجها في كتاب المسهب؛ فلم يلبي طلبه؛  
 فأرسل إليه أبياتاً يلومه فيها:  
 يَا مَانِعاً شِعْرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أَدَبٍ  
 نَائِي الْمَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُعْتَرِبِ  
 يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَجِّهِ  
 كَمَا يَمُرُّ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْعَذَبِ  
 إِنِّي وَحَقِّكَ أَهْلٌ أَنْ أَفُوزَ بِهِ  
 وَاسْأَلْ فَدَيْتَكَ عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أَدَبِي



فأجابه؛ مع ما بعث إليه من أعمال  
الشعرية:

يَا طَالِباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمُ فِي الْأَدَبِ  
مَاذَا تُرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرِ مُتَّخَبِ  
إِنِّي وَحَقِّكَ لَمْ أَبْخَلْ بِهِ صَلَفاً  
وَمَنْ يَضِنُّ عَلَى جِدِّ بِمُخْشَلَبِ  
لَكِنِّي صُنْتُ قَدْرِي عَنْ رَوَايَتِهِ  
فَمِثْلُهُ قَلَّ عَنْ سَامٍ إِلَى الرُّتَبِ  
حُذِّهِ إِلَيْكَ كَمَا أَكْرَهْتُ مُضْطَرَباً  
مُحَلِّلاً ذَمَّ مَوْلَاهُ مَدَى الْحَقَبِ

ولما أراد إبراهيم الحجاري الانتقال إلى جهة  
أخرى من البلاد — لولوعه بالسفر، وحبّه  
للرحلة — عدله عبد الملك عن التحول عنه؛  
فأجابه بأبيات:

يَقُولُونَ لِي مَاذَا الْمَالُ تُقِيمُ فِي  
مَحَلٍّ فَعِنْدَ الْأُنْسِ تَذْهَبُ رَاحِلًا  
فَقُلْتُ لَهُمْ مِثْلُ الْحَمَامِ إِذَا شَدَّ  
عَلَى غُصْنٍ أَمْسَى بِآخِرِ نَازِلًا

وكانت وجهته؛ بعد قلعة بني سعيد (أو  
قلعة يَحْصِب كما تسمى أيضاً)؛ نحو رُوطَة  
حاضرة الأمير المستنصر بن هود. حيث اقتادته

المقادير إلى نكته المعروفة؛ إذ سقط أسيرا في أيدي النصاري؛ عندما شارك في غزوة شنّها ابن هود عليهم. ومن هنا بدأت صفحة جديدة من حياته كأسير في بسقاية؛ فأرسل سيلا من الأشعار إلى ابن هود يستعطفه، ويحثه على خلاصه؛ ولكن دون جدوى. فراسل عبد الملك بن سعيد؛ ومما كتب إليه:

أَرَيْسَ الزَّمَانِ أَغْفَلْتَ أَمْرِي  
وَتَلَذَّذْتَ تَارِكاً لِي بِأَسْرِ  
مَا كَذَا يَعْمَلُ الْكَرَامُ وَلَكِنْ  
قَدْ جَرَى عَلَى الْمَعْوَدِ دَهْرِي

فاستجاب له عبد الملك وافتداه؛ فأضحى بذلك؛ طليق بني سعيد.

— ثم أبو يحيى عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي (ولد بغرناطة سنة 521هـ/1127م)؛ من حفاظ كتاب الله؛ الملتزمين به. اشتهر بالفضل، والزهد، والمعرفة، والأدب.

— ثم أبو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني الصنهاجي (توفي بإشبيلية سنة 530هـ/1135م)؛ كانت له رحلة إلى مكة للحج، والتزود بالعلم؛ وهو من المهتمين برواية الحديث؛ وقد

اشترى صحيح البخار: الأصل الخاص بأبي ذر الهروي؛ من ابنه أبي مكرم بمبلغ كبير من المال؛ وأحضره معه إلى بلاد المغرب.

— ثم أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي (توفي بمراكش سنة 535هـ/1140م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ، وكان عالماً بالمسائل، والأحكام؛ متمكناً من معارفه؛ ولي القضاء بمراكش فكان من أجل القضاة في زمنه.

— ثم أبو عبد الله محمد بن مفرج بن سليمان الصنهاجي (ت: سنة 536هـ/1141م)؛ وهو من الفقهاء.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن يوغان الصنهاج (توفي بتلمسان سنة 537هـ/1142م)؛ وهو من الزهاد الصوفيين.

— أبو بكر بن علي الصنهاجي الملقب بالبيذق (ربما كانت وفاته في حدود سنة 555هـ/1160م)؛ اشتهر من خلال كتابه الذي سرد فيه أخبار المهدي ابن تومرت، وعبد المؤمن بن علي. وكان قد اكتشفه ليفي بروفنسال، ونشره سنة 1347هـ/1928م.

— ثم عز الدين بن محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس (كان حيا سنة 571هـ/1175م)؛ أديب، ومؤرخ؛ من مؤلفاته كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان.

— ثم الأمير عبد الرحمن بن زيدي الصنهاجي (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ أديب وشاعر؛ من شعره هذه القصيدة التي بعثها إلى الأمير ساكن بن عامر بن محمد بن عسكر الهلالي في دمشق؛ وكان ذلك الأمير قد وعده بكتاب:

سَرَى الْبَرْقُ مِنْ عَلِيَا مَعَالِمِ قَابِسِ  
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ لَمَعِ الْبُرُوقِ كَوَامِنُ  
يَذْكُرُنِي عَهْدِي بِهَا وَمَنَازِلِي  
بَسَاحَتِهَا وَالْحَادِثَاتُ سَوَاكِينُ  
وَنَحْنُ عَلَى تِلْكَ الْمَوَاطِنِ وَالرُّبَى  
نُزُولُ وَوَشْكُ الْبَيْنِ بِالْوَصْلِ بَائِنُ  
أَخَادِعُ عَنْ سُكَانِهَا الدَّهْرَ وَحَدَهُ  
كَأَنِّي لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ ضَامِنُ  
وَلَمَّا سَرَى الْبَرْقُ الَّذِي ذَكَرَ الصَّبَا  
تَأَوَّهْتُ شَوْقًا وَالدُّمُوعُ هَوَاتِنُ  
وَنَادَيْتُ مِنْ عَلِيَا هِلَالَ بَنِ عَامِرِ  
فَتَى صَادِقَ الدَّعْوَى إِذَا مَانَ مَائِنُ

نَمَتْهُ رِيَّاحٌ مِنْ صَلِيلَةِ فَادَعٍ  
لَّالٍ عَلَيٍّ وَهُوَ لِلْمَجْدِ صَائِنُ  
وَحَلَّتْ بُنُو دَهْمَانٍ مِنْهُ بَعْشَوَةٌ  
وَعَزَّ بِهِ بَيْنَ الْأَفَاضِلِ ظَاعِنُ  
فَمَا هُوَ إِلَّا فِي ذُرَى آلِ عَسْكَرٍ  
لِعَامِرِهِمْ نَجَلٌ وَذَلِكَ سَاكِنُ

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى  
ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن  
العريف (توفي بمراكش سنة 536 أو 538هـ / 1141م أو  
1143م)؛ وهو من المتصوفين الزهاد بالمرية؛ وكان  
ينعت بشيخ المتصوفة؛ فأمر السلطان علي بن  
يوسف بن تاشفين بالقبض عليه ضمن  
المتصوفين؛ ونقلهم إلى مراكش؛ أين توفي مع أبي  
الحكم ابن برجان. ومن مؤلفات ابن العريف:  
كتاب محاسن المجالس. ومن شعره:

سَلُّوا عَنِ الشَّوْقِ مَنْ أَهْوَى فَإِنَّهُمْ  
أَذْنَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ وَهْمِي وَمِنْ نَفْسِي  
فَمَنْ رَسُولِي إِلَى قَلْبِي لَيْسَ أَلَهُمْ  
عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّبِّ مُلْتَبِسِ  
حَاوُوا فُؤَادِي فَمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطِئُوا  
صَخْرًا جَلَادٍ بِمَاءٍ مِنْهُ مُنْبَجَسِ

وَفِي الْحَشَا نَزَلُوا وَالْوَهْمُ يَجْرَحُهُمْ  
فَكَيْفَ قَرُّوا عَلَىٰ أَذْكَىٰ مِنَ الْقَبَسِ  
لَأَنْهَضَنَّ إِلَىٰ حَشْرِي بِحُبِّهِمْ  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ وَنَسِي

ومن شعره أيضا:

مَنْ لَمْ يُشَاوِرْ عَالِمًا بِأُصُولِهِ  
فَيَقِينُهُ فِي الْمُسْكَلاتِ طُنُونُ  
مَنْ أَنْكَرَ الْأَشْيَاءَ دُونَ تَيَقُّنِ  
وَتَثَبَّتِ فَمُعَانَدُ مَفْتُونُ  
الْكُتُبُ تَذَكُّرَةٌ لِمَنْ هُوَ عَالِمٌ  
وَصَوَائِبُهَا بِمُحَالِهَا مَعْجُونُ  
وَالْفِكْرُ غَوَاصٌّ عَلَيْهَا مُخْرَجٌ  
وَالْحَقُّ فِيهَا لَوْلُؤُ مَكْنُونُ

وقال كذلك:

وَإِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَا  
فَلَا تَجْزَعُ لَهَا جَزَعُ الصَّبِيِّ  
فَإِنَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ عَزَاءً  
بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ فَقْدِ النَّبِيِّ

ومن قوله:

شَدُّوا الرِّحَالَ وَقَدْ نَالُوا الْمُنَى بِمِنَى  
وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ الشَّوْقِ قَدْ بَاخَا  
رَاحَتِ رَكَائِبُهُمْ تَنَدَى رَوَائِحُهَا  
طَبِيبًا بِمَا طَابَ ذَاكَ الْوَفْدُ أَشْبَاخَا  
نَسِيمُ قَبْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى لَهُمْ  
رَاحٌ إِذَا سَكِرُوا مِنْ أَجْلِهِ فَاحَا  
يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ  
زُرْتُمْ جُسُومًا وَزُرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا  
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى شَوْقٍ وَعَنْ قَدَرٍ  
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

ومنه قوله:

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا  
كَيْفَ يَذْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى  
لَوْ تَفَرَّغْتُ لَأَسْتَطَالَةَ لَيْلِي  
وَلِرَعْيِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلًّا  
إِنَّ لِلْعَاشِقِينَ عَنْ قِصْرِ اللَّيْلِ  
سِلٌّ وَعَنْ طُولِهِ مِنَ الْفِكْرِ شُغْلًا

— ثم أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أخو أبي العباس المتصوف السابق الذكر. كان راوية لأخيه؛ إذ كتب عنه مجموعة كبيرة من أشعاره.

— ثم أبو الحسن زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي يكنى — أيضا — أبا بكر، ويعرف بابن تقسوط (توفي بدانية سنة 539هـ/1144م)؛ وهو من مواليد دانية بالأندلس؛ وتعلم بها، وعمرسية، وبقرطبة. كان من أهل العلم، والفضل؛ له إمام بعلم الحديث.

— ثم أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر اللمتوني الصنهاجي (توفي ببياصة سنة 549هـ/1154م)؛ كان — بالإضافة إلى كونه من رؤساء لمتونة، وأعيانها — عالما بالأخبار، والسنن، والآثار؛ ويعد من بين الحفاظ، ورواة الحديث. أما أعماله السياسية؛ فتتمثل في الولاية التي أسندت إليه من طرف يحيى بن غانية؛ الذي ولاه على بلنسية.



— ثم أبو الوليد عبد الملك بن أحمد بن أبي يداس الجياني الصنهاجي (ت: سنة 560هـ/1164م)؛ وهو من علماء اللغة، والقراءات والنحو، والأدب؛ بالإضافة إلى كونه شاعراً؛ ولي الخطابة بجامع شقورة إلى أن وافته المنية.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي المعروف بابن الأشيري (توفي شمالي بعلبك سنة 561هـ/1165م)؛ كان من كتاب البلاط اللمتوني؛ فنكب بعد سقوط الدولة؛ فهاجر إلى الشام؛ وتصدر في دمشق لتدريس الموطأ، وكتب أخرى؛ زار بغداد، وحدث بها، ثم ذهب إلى حلب؛ وتصدر لتدريس الحديث بها. وهو شاعر جيد الصناعة؛ وله شرح على قصيدة الحصري. توفي أثناء عودته من المدينة إلى الشام.

— ثم أبو بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الإشييلي اللمتوني الصنهاجي (ت: سنة 575هـ/1179م)؛ وهو مقرئ، وحافظ للحديث؛ ومستوعب لعلوم اللغة، والأدب؛ وهو موصوف بالدقة، والإتقان، والصدق؛ وعليه فقد كانت كتبه تباع بأغلى الأثمان. ومن مؤلفاته الباقية:

فهرسة جمع فيها مروياته عن شيوخه، وشروح على كتاب صحيح مسلم.

— ثم أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن ابن المعز التلمساني الصنهاجي (توفي بسلا سنة 579هـ/1183م)؛ وهو من الزهاد؛ اشتغل في النسخ؛ ولم يكن يأخذ ثمنا لعمله سوى ما يأخذه العدل.

— ثم أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الجزيري الصنهاجي (ت: سنة 585هـ/1189م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ انتقل من الريف المغربي إلى الأندلس؛ فأُسندت إليه مرتبة القضاء بالجزيرة الخضراء التي أضحي ينسب إليها. من مؤلفاته: كتاب المقصد الحمود في تلخيص العقود؛ المعروف بوئائق الجزيري.

— ثم يحيى بن علم الملك التلكاتي الصنهاجي يعرف بابن النحاس (ت: سنة 589هـ/1193م)؛ وهو من أحفاد السلطان تميم بن المعز. كما كان من بين أمراء الدولة الأيوبية؛ وانتقل مع صلاح الدين إلى الشام. وله أعمال شعرية؛ لم تتوفر الآن.

— ثم أبو بكر عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي المعروف بالفصيح (توفي بمراكش سنة 595هـ/1198م)؛ وهو من القضاة المتفقيين بمذاهب شتى؛ تنقل كثيرا عبر الأقطار؛ فزار مدنا عديدة ببلاد المغرب؛ ثم انتقل إلى بلاد المشرق؛ أين حج، ثم زار بغداد، ومصر. وبعد عودته إلى المغرب، توقف بتونس، وتلمسان؛ حيث عقد حلقات للتدريس بهما؛ ثم أقام بها نهائيا؛ إذ ولي فيها مرتبة القضاء؛ ولكنه صرف عنها؛ بسبب شكاوى الناس. وله شعر جمعه ضمن ديوان؛ وله أيضا تسجيلات كثيرة.

— ثم أبو علي عمر بن العباس التلمساني الصنهاجي المعروف بالحباك (توفي غريقا وهو في طريقه للحج سنة 613هـ/1216م)؛ وتصوف بعد حضوره جنازة أبي مدين شعيب؛ فترك لزوجته كل ما يملك، واختار حياة الزهاد والمتنسين.

— ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي يسمى ابن حمادوه (توفي بمراكش سنة 626 أو 628هـ/1228 أو 1230م)؛ ولد بـيرج حمزة؛ في منطقة البويرة حاليا؛ ثم انتقل إلى قلعة بني حماد؛

القريية من المسيلة؛ للدراسة، ولتحصيل العلم بها؛ ثم ذهب إلى بجاية، ومدينة الجزائر، وتلمسان؛ للغرض نفسه؛ فكان يسعى وراء العلم، والعلماء؛ وبعد ذلك هاجر إلى الأندلس؛ حيث ولي القضاء بالجزيرة الخضراء؛ كما ولي القضاء - أيضا - في سلا بالمغرب الأقصى. وكان عالما في علوم، وفنون عديدة؛ ك: التاريخ، والأدب، وعلوم اللغة والنحو؛ بالإضافة إلى شاعريته المتميزة. وله مجموعة من المؤلفات؛ منها: شرح الأربعين حديثا، شرح كتاب الأعلام بفوائد الأحكام؛ لعبد الحق الإشيلي، وشرح مقصورة ابن دريد، وكتاب النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية، وكتاب ضخيم ضمنه برنامج العلم، وتلخيص كتاب أخبار الرسل والملوك؛ للطبري، وكتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، وكتاب عجالة المودع وعلاله المشيع؛ وهو كتاب أدبي. وديوان شعر. ومن شعره هذه الأبيات التي يصف فيها - متألما - خراب قلعة بني حماد:

إِنَّ الْعُرُوسَيْنِ لَا رَسْمٌ وَلَا طَلَلٌ  
فَأَنْظُرُ هُنَا لَيْسَ إِلَّا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ  
وَقَصْرُ بَلَارَةَ أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ  
فَأَيْنَ مَا شَادَ مِنْهُ السَّادَةُ الْأَوَّلُ

وَمَا رُسُومُ الْمَنَارِ الْآنَ مَائِلَةٌ  
لَكِنَّهَا خَبَرٌ يَجْرِي بِهِ الْمَثَلُ

ثم يقول:  
قَدْ عَفَا قَصْرُ حَمَادٍ فَلَيْسَ لَهُ  
رَسْمٌ وَلَا أَثَرٌ بَاقٍ وَلَا طَلَلُ

وبث شوقه إلى بعض المعالم:  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً  
بَوَادِي الْجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الْجَدَاوِلِ  
وَهَلْ أَرِدَنَّ عَيْنَ السَّلَامِ عَلَى الصَّدَى  
فَأُبْرِدُ مِنْ حَرِّ الضُّلُوعِ النَّوَهِلِ  
وَأَنْظُرُ طَيْقَانَ الْمَنَارِ مُطْلَّةً  
عَلَى الدُّجَنَاتِ الزَّهْرَاتِ الْخَمَائِلِ  
كَأَنَّ الْقِبَابَ الْمَشْرِقَاتِ بِأَفْقِهِ  
نُجُومٌ تَبَدَّتْ فِي سُعُودِ الْمَنَازِلِ  
فَصَبْرًا جَمِيلًا غَيْرَ أَنْ مَا أَصَابَنِي  
سَيِّقَى بَقَاءِ الطَّالِعَاتِ الْأَوَافِلِ

— ثم يوسف بن محمد بن علي بن محمد  
ابن جماعة الصنهاجي المعروف بابن صامد (ت:  
سنة 633هـ/1235م)؛ وهو من سكان مالقة؛  
ويعد من أهل الخير والصلاح؛ وله أعمال،

ومؤلفات جيدة؛ منها: كتاب الإقضاء بسنن الهدى؛ في الفقه، وكتاب المتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين، وكتاب المقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وكتاب المرشد في رواية ورش وقالون.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي المعروف بابن عبد المنعم (ت: بعد سنة 635هـ/1237م)؛ اشتهر بملكة الحفظ القوية؛ ولم يظهر في زمانه من يضاهيه في حفظ، واستظهار مواد اللغة؛ حتى قيل أنه كان يستظهر كتاب التاج للجوهري، وكتباً أخرى؛ فكان معجزة من معجزات عصره في هذا الباب. ويسرد عن ظهر قلب — أيضاً — كتاب سيويه؛ إذ أختبره فيه بعض الفاسيين مرات عديدة. كما أنه فلتة من فلتات زمانه في الشطرنج. وله إلمام بعلم الأصول، وبعض العلوم العقلية؛ مع أنه لم يخرج عن الحدود التي سطرها السنة النبوية.

— ثم أبو عمرو ميمون بن علي بن الخالق الخطابي الصنهاجي المعروف بابن خبازة (توفي برباط الفتح سنة 637هـ/1239م)؛ وهو من الكتاب المترسلين؛ ومن الشعراء والأذكياء؛ ولي بمراكش حسيبة الطعام؛ اتجه في كبره إلى التصوف.

— ثم أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن تورنارت بن تمحليت الصنهاجي (توفي بجيان سنة 640هـ/1242م)؛ وهو من سكان جيان بالأندلس؛ ومن المشتغلين بالقراءات، واللغة، والأدب.

— ثم أبو موسى عيسى بن يوسف بن أبي بكر بن تامجلت (توفي بمراكش سنة 641هـ/1243م)؛ كان متمكنا من الرواية، والآداب، وقرض الشعر، والكتابة المرسلة؛ وله خط جيد، ويتميز بالضبط؛ ولي في خطة الكتابة لدى سلطان غرناطة محمد بن يوسف بن نصر.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الناميسي الصنهاجي (كان حيا سنة 647هـ/1249م)؛ وهو من الرواة، والمحدثين؛ وله مشاركة في علم الكلام.

— ثم أبو إبراهيم عبد الواسع بن عبد السلام الزموري الصنهاجي (توفي بأزمور سنة 667هـ/1268م)؛ وهو فقيه ومقرئ ومدرس؛ تولى الإفتاء.

— ثم أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين البهنسي الصنهاجي الشهير بالقَرَافي (توفي بدير الطين سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من أئمة المذهب المالكي؛ إذ تربع على رأس هذا المذهب في عصره. وإلى جانب الفقه؛ فقد برع في الأصول، والعلوم العقلية، والتفسير؛ وله مؤلفات هامة، ومفيدة؛ منها: كتاب الذخيرة؛ في الفقه المالكي؛ وهو في ست مجلدات، وكتاب الخصائص؛ في قواعد اللغة العربية، وكتاب شرح التهذيب، وكتاب شرح الجلاب، وكتاب شرح محصول الإمام فخر الدين الرازي، وكتاب التعليقات على المنتخب، ومختصر تنقيح الفصول؛ في الأصول، وكتاب شرح تنقيح الفصول، وكتاب الأجوبة الفاخرة في الرد عن الأسئلة الفاجرة؛ في الرد على أهل الكتاب، وكتاب الأمانة في إدراك النية، وكتاب الاستغناء في أحكام الاستثناء، وكتاب الإحكام في تمييز الفتاوى عن



الأحكام وتصرف القاضي والإمام، وكتاب  
اليواقيت في أحكام المواقيت، وكتاب شرح  
الأربعين؛ لفخر الدين الرازي في أصول الدين،  
وكتاب الانتقاد في الاعتقاد، وكتاب المنجيات  
والموبقات؛ في الأدعية وما يجوز منها وما يكره  
وما يحرم، وكتاب الإبصار في مدركات  
الأبصار، وكتاب البيان في تعليق الأيمان، وكتاب  
العموم ورفعته، وكتاب الأجوبة عن الأسئلة  
الواردة على خطب ابن نباتة، وكتاب  
الاحتمالات المرجوحة، وكتاب البارز للكفاح في  
الميدان؛ وكتب أخرى، وكتاب أنوار البروق في  
أنواء الفروق؛ في أربعة أجزاء. ويقول ابن  
فرحون: ((قال الشيخ شمس الدين بن عدلان  
الشافعي: "أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية  
بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر  
أحد عشر علما في ثمانية أشهر؛" أو قال:  
ثمانية علوم في أحد عشر شهرا". وذكر عن  
قاضي القضاة تقي الدين ابن شكر قال: "  
أجمع الشافعية، والمالكية؛ على أن أفضل أهل  
عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر  
القديمة، والشيخ ناصر الدين بن مُيَر  
بالإسكندرية، والشيخ تقي الدين بن دقيق

العيد بالقاهرة المعزية؛ وكلهم مالكية؛ خلا  
الشيخ تقي الدين؛ فإنه جمع بين المذهبين "...  
وَيَلِينُ ... لعلها قبيلة من قبائل صنهاجة))<sup>1</sup>.

— ثم أبو عبد الله عبد الله بن علي  
ابن إسماعيل بن الحسن بن عطية الإسكندري  
الصنهاجي المعروف بالأبياري (كان حيا سنة  
684هـ/1285م)؛ ولاء ناصر الدين قاضيا للقضاة.

— ثم أبو عبد الله شرف الدين محمد بن  
سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله  
الصنهاجي المعروف بالبوصيري (اختلفت المصادر  
في تحديد سنة وفاته؛ بين: 695 أو 696 أو  
697هـ/1295 أو 1296 أو 1297م)؛ وهو من فحول  
الشعراء؛ عرف بطول النفس في النظم؛ فكانت  
ألفاظه عذبة، ونظمه جيد السبك، بديع  
الصياغة؛ وتميز بحسن التصرف؛ اشتهر بقصائده  
في مدح الرسول؛ كقصائد: هجج البردة،  
والهمزية، وغيرهما. وهو في أصوله من قلعة بني  
حماد بالجزائر؛ قد يكون من بطن يعرف ببني  
حبنون الصنهاجيين. ومن شعره المشهور:

فَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَحْدِمِينَ  
فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا

<sup>1</sup> الديباج، ج: 1، ص ص: 238 — 239.

فَقَدْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ  
مَعَ التَّجْرِبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَ  
فَكُتِّبَ الشَّمَالُ هُمْ جَمِيعًا  
فَلَا صَحِبْتُ شِمَالَهُمُ الْيَمِينَ  
فَكَمْ سَرَقُوا الْغِلَالَ وَمَا عَرَفْنَا  
بِهِمْ فَكَأَنَّمَا سَرَقُوا الْعُيُونَ  
وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا لَبَسُوا حَرِيرًا  
وَلَا شَرَبُوا خُمُورَ الْأُنْدَرِينَا  
وَلَا رَبَّوْا مِنَ الْمُرْدَانِ مُرْدًا  
كَأَغْصَانٍ يَقُمْنَ وَيَنْحِنِينَ  
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمْ ذُقُونُ  
وَلَكِنْ بَعْدَ مَا نَتَفُؤْا ذُقُونَا  
وَأَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ جَائِلَاتُ  
كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي لَاعِبِينَ  
وَقَدْ سَاوَقْتُهُمْ حَرْفًا بِحَرْفٍ  
وَكُلُّ اسْمٍ يَخْطُوا مِنْهُ سِينَا  
أَمْوَلَايَ الْوَزِيرُ غَفَلَتْ عَمَّا  
يَتِمُّ مِنَ اللَّئَامِ الْكَاتِبِينَ  
تَنَسَّكَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوا  
مِنَ الزُّهَادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَ  
وَقِيلَ لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابُ  
وَقَدْ مَلَأُوا مِنَ السُّحْتِ الْبُطُونَا

إلى أن يقول:

وَفِي دَارِ الْوَكَالَةِ أَيَّ نَهَبٍ  
فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِبِينَ  
فَقَامَ بِهَا يَهُودِيٌّ خَبِيثٌ  
يَسُومُ الْمُسْلِمِينَ أَذَى وَهُونًا  
إِذَا أَلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ  
تَلَقَّفَتِ الْقَوَافِلَ وَالسَّفِينَا  
وَشَاهِدُهُمْ إِذَا اتَّهَمُوا يُؤَدِّي  
عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةَ وَالْيَمِينَ

وهذه القصيدة طويلة جداً؛ نكتفي منها  
بما تقدم. وله في أغور؛ بإحدى عينيه فص  
أيض، وأسمه عمر:

سَمَّوْهُ غُمْرًا فَصَحَفْنَا اسْمَهُ غُمْرًا  
فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مِنَّا مَوْضِعَ الْعَلَطِ  
فَأَصْبَحَتْ عَيْنُهُ غَيْنًا بِنُقْطَتِهَا  
وَطَالَ مَا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقْطِ

وقال أيضا في من بعينه بياض:

أَنْظُرْ تَجِدْ لِلَّهِ فِي  
عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيَّ سِرِّ  
طَمَسَ الْيَمِينَ بِكَوْكَبِ  
وَسَيَّطَمَسُ الْيُسْرَى بِفَجْرِ

وفي قصيدة أخرى يقول:  
 أهوى والمشيّب قد حَالَ دُونَهُ  
 والتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشْيِبِ رُغُونَهُ  
 أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ  
 إِنَّ جَنِّي لَا يَدْخُلُ الْقَيْنَةَ  
 كَيْفَ أَعْصَى الْهَوَى وَطِينَةَ قَلْبِي  
 بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونَةَ

وكانت لديه أتان؛ فاستعارها منه ناظر  
 الشرقية؛ فأعجبته، وأحب امتلاكها؛ فبعث إليه  
 ثمنها كما قدره؛ وهو مائتي درهم؛ فأجابه  
 بهذه الأبيات على لسان الحمار:

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتُ  
 أَلْفَاظُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ  
 مَا كَانَ ظَنِّي يَبْعُنِي أَحَدٌ  
 قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ  
 لَوْ جَرَّسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ  
 لَقُلْتُ غَيْظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ  
 أَقْصَى مُرَادِي لَوْ كُنْتُ فِي بَلَدِي  
 أُرْعَى بِهَا فِي جَوَانِبِ السَّاحِلِ  
 وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ  
 أَخْذِي لِأَنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلٌ

فلما وصلتته الأبيات ردها إليه؛ ووهبه  
 الدراهم. وقال في الشيخ زين الدين بن الرعاد:  
 لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِّيَّةِ شَاعِرٌ  
 وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَى  
 وَشِعْرِي بِحُرٍّ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ  
 وَلَا يَقْطَعُ الرَّعَادُ يَوْمًا لَهُ لُجَا

ومن أهم قصائده في مدح رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم: القصيدة الهمزية،  
 وقصيدة البردة، والقصيدة التي نظمها على وزن  
 بانث سعاد؛ ومطلعها:  
 إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ  
 وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ

أما الهمزية فطويلة وأبياتها 456 بيتاً؛ وهي  
 عبارة عن ملحمة؛ سجل فيها سيرة الرسول  
 كاملة؛ نختار منها مقدمتها:  
 كَيْفَ تَرْقَى رُقْيَاكَ الْأَنْبِيَاءُ  
 يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ  
 لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عِلَّاكَ وَقَدْ حَا  
 لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ

إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ  
 سَ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ  
 أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْـ  
 دُرُ إِلَّا عَنِ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ  
 لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالَمِ الْعِـ  
 بِ وَمِنْهَا لَادَمَ الْأَسْمَاءُ  
 لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُحْتَا  
 رُ لَكَ الْأَمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ  
 مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا  
 بَشَّرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ  
 تَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو  
 بِكَ عَلِيَاءُ بَعْدَهَا عَلِيَاءُ  
 وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمُ  
 مِنْ كَرِيمِ آبَاؤُهُ كَرَمَاءُ  
 نَسَبُ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ  
 قَلَّتْهَا نُجُومُهَا الْجُوزَاءُ  
 حَبَّذَا عِقْدُ سُودَدٍ وَفَخَارُ  
 أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ  
 وَمُحِيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءُ  
 أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ  
 لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدِّيـ  
 نِ سُرُورُ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ

أما قصيدة البردة التي تعرف أيضا باسم  
الكواكب الدرية؛ فأبياتها 162 بيتا؛ نذكر منها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ  
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ  
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ  
وَأَوْمَضَ الْبَقُ فِي الظُّلَمَاءِ مِنْ إِضْمٍ  
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفِهَا هَمَتَا  
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِيقْ يَهُمِ  
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ  
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ  
لَوْ لَا الْهَوَى لَمْ تُرْقِ دَمْعاً عَلَيَّ طَلَلٍ  
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ  
فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ  
بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ  
وَأُثْبِتَ الْوَجْدُ خَطِيئَةَ عَبْرَةٍ وَضَنِيَّ  
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ  
نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرْقَنِي  
وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ  
يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مَعْدِرَةَ  
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تُلَمِ  
عَدْتُكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَرٍ  
عَنْ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ



مَحَضَّتَنِي النَّصِيحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ  
 إِنَّ الْمَحِبَّ عَنِ الْعُذَالِ فِي صَمَمٍ  
 إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي  
 وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ التُّهَمِ  
 فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا أَتَّعَصْتُ  
 مِنْ جَهْلَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

إلى أن يقول:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ  
 سَيْنَ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ  
 نَبِينَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ  
 أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ  
 هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ  
 لِكُلِّ هَوْلِ مِنْ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

إلى قوله:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكَرَامُ بِهَا  
 فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ  
 فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا  
 يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ  
 أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٍ  
 بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبَشْرِ مُتَّسِمِ  
 كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرْفٍ  
 وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالذَّهْرِ فِي هِمَمِ

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ  
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ

— ثم أبو زيد عبد الرحمن الكيمراني  
الصنهاجي (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ فقيه، ومقرئ،  
ومدرس.

— ثم أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم  
ابن علي الحفوي الصنهاجي والحفوي نسبة إلى  
بطن من صنهاجة (عاش قبل عام  
712هـ/1312م)؛ وهو فقيه عدل.

— ثم أبو عبد الله بن القاضي الصنهاجي  
(عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ كاتب؛ يجيد  
النظم والنثر.

— ثم أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن  
عبد القدوس القرطبي الصنهاجي (عاش قبل  
عام 712هـ/1312م)؛ فقيه، وخطيب جامع قرطبة؛  
وهو المقرئ بها.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محوت  
الصنهاجي (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ فقيه،  
ومفتي.

— ثم أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق الفاسي الخطابي الصنهاجي (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ من الصوفية، ومحدث، ومفتي.

— ثم زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف المراكشي الصنهاجي (ت: سنة 717هـ/1317م)؛ أمام، ومقرئ؛ سنن الإسكندرية.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود ابن آجروم الفاسي الصنهاجي (ت: سنة 723هـ/1323م)؛ ومعنى آجروم بالأمازيغية: الفقير الصوفي؛ وهو من علماء النحو، والأدب، والقراءات؛ وله إمام بعلم الفرائض والحساب؛ وله مؤلفات، وأراجيز عديدة في: النحو، والقراءات، وغيرها؛ واشتهرت منها مقدمة الأجرومية في النحو. قال السيوطي عن مذهبه في النحو أنه على مذهب الكوفيين؛ وبذلك فهو يخالف مذهب البصريين. ويقال بأنه ألف مقدمة الأجرومية أمام الكعبة المشرفة. من شعره في الغربة:

يَا غَائِباً كَانَ أَنْسِي رَهْنَ طَلَعَتْهُ  
كَيْفَ اصْطَبَّارِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا  
دَعَوَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبِي يُعَارِضُهَا  
شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا

— ثم أبو المكارم منديل بن محمد بن محمد  
ابن داود بن آجروم الفاسي الصنهاجي (من  
أعلام النصف الثاني من القرن الثامن)؛ وهو  
ابن صاحب الأجرومية؛ وله شعر جيد؛ منه:

أَيُّهَا الْعَارِفُونَ قَدَّرَ الصَّبُوحُ  
جَدُّدُوا أَنْسَنَا بَيَابَ الْفُتُوحِ

إلى أن يقول:

جَدُّدُوا ثُمَّ أَنْسَنَا ثُمَّ جَدُّوْا  
يَسْرَحُ الطَّرْفُ فِي مَجَالٍ فَسِيحِ  
حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْرًا  
وَتَسَاقَطْنَ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ  
وَبَدَا مِنْهُ كُلُّ مَا أَحْمَرَّ يَحْكِي  
شَفَقًا مَزَقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ  
وَكَأَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ  
نُقْطُ لَحْنٍ مِنْ دَمٍ مَسْفُوحِ  
وَإِذَا مَا وَصَلْتُمْ لِلْمُصَلَّى  
فَلْتَحِلُّوا بِمَوْضِعِ التَّسْبِيحِ  
وَبِطَيْفُورِهَا فَطُوفُوا لِكَيْمَا  
تُبْصِرُوا مِنْ ذُرَاهُ كُلِّ سَطُوحِ  
وَلْتَقِيمُوا هُنَاكَ لِمَحَةِ طَرْفِ  
لِتَرُدُّوا بِهِ ذِمَاءَ الرُّوحِ

ثُمَّ حُطُّوا رِحَالَكُمْ فَوْقَ نَهْرٍ  
 كَلَّ فِي وَصْفِهِ لِسَانُ الْمَدِيحِ  
 فَوْقَ حَافَاتِهِ حَدَائِقُ خُضْرٍ  
 لَيْسَ عَنْهَا لِعَاشِقٍ مِنْ نَزُوحٍ  
 وَكَأَنَّ الطُّيُورَ فِيهَا قِيَانٌ  
 هَتَفَتْ بَيْنَ أَعْجَمٍ وَفَصِيحٍ  
 وَهِيَ تَدْعُوكُمْ إِلَى قُبَّةِ الْجَوْ  
 زِ هَلُمُّوا إِلَى مَكَانٍ مَلِيحٍ  
 فِيهِ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ  
 مُغْلَقٍ فِي الْكِمَامِ أَوْ مَفْتُوحٍ  
 وَغُصُونٍ تَهِيجُ رَقْصاً إِذَا مَا  
 سَمِعَتْ صَوْتَ كُلِّ طَيْرٍ صَدُوحٍ  
 فَأَجِيبُوا دُعَاءَهَا أَيُّهَا السَّرُّ  
 بُ وَخَلُّوا مَقَالَ كُلِّ نَصِيحٍ

ومن شعره الذي قاله لابن مرزوق  
 الخطيب؛ يسليه به؛ عندما سجن بعد موت  
 السلطان المريني أبي سالم:  
 يَا شَمْسَ عِلْمٍ أَفَلْتَ بَعْدَ مَا  
 أَضَاءَتْ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَا  
 حُجِبَتْ قَسْرًا عَنْ عُيُونِ الْوَرَى  
 وَالشَّمْسُ لَا يُنْكَرُ أَنْ تُحْجَبَا

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد الصنهاجي المعروف بابن الحداد (يُحتمل أنه كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من المتصوفين؛ وكان قبل تصوفه شاعرا، ومحدثا ذكيا؛ ولكنه ترك ذلك كله، وانغمس في الصوفية. ويقال أنه كان يستغفر الله عندما يذكره بعضهم بأشعاره، وما كان ينظمها في شبابه؛ بغرض مدح الملوك والأمراء.

— ثم عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي (توفيت بمصر سنة 739هـ/1338م)؛ وهي عالمة فاضلة في علوم الحديث، وراوية له، ومحدثة به.

— ثم وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي (توفي بالإسكندرية سنة 739هـ/1338م)؛ فقيه مالكي، ولي القضاء بالإسكندرية.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي المليكشي الصنهاجي (توف بتونس سنة 740هـ/1339م)؛ وهو من الأدباء العاملين في مجال الكتابة؛ إذ ولي خطة الإنشاء في بلاط الحفصيين بإفريقية. له شعر سلس، ونثر متقن. ونقل ابن الخطيب، والمقري عن صاحب الإكليل الزاهر قوله فيه: ((كاتب الخلافة، ومشعشع

الأدب الذي يزري بالسلافة؛ كان بطل مجال،  
 ورب رواية وارتجال؛ قدم هذه البلاد وقد نبا  
 به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عطنه؛  
 فتلوم تلوم النسيم بين الخمائل، وحل منها  
 محل الطيف من الوشاح الجائل؛ ولبت مدة  
 إقامته تحت جراية واسعة، وميرة يانعة؛ ثم  
 آثر قطره؛ فولى وجهه شطره؛ واستقبله  
 دهره بالإنابة، وقلده خطة الكتابة؛ فاستقامت  
 حاله، وحطت رحاله؛ وله شعر أنيق،  
 وتصوف وتحقيق، ورحلة إلى الحجاز سعيها في  
 الخير وثيق ونسبها في الصالحات عريق<sup>1</sup>.  
 ومن شعره؛ قوله:

رَضِيَ نَلْتِ مَا تَرْضَيْنَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْوَى  
 فَلَا تُوقِفِينِي مَوْقِفِ الذِّلِّ وَالشُّكُوى  
 وَصَفْحاً عَنِ الْجَانِي الْمُسِيءِ لِنَفْسِهِ  
 كَفَاهُ الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلْوى  
 بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خَلْوَةٍ مَعْنَوِيَةٍ  
 أَرَقَّ مِنَ النَّجْوَى وَأَحْلَى مِنَ السَّلْوَى  
 قِفْ فِي أَتَشَكَّى لَوْعَةِ الْبَيْنِ سَاعَةً  
 وَلَا يَكُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ بِالنَّجْوَى

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 2، ص: 563. نفح الطيب، ج: 6، ص: 240.

قَفِي سَاعَةً فِي عَرْصَةِ الدَّارِ وَأَنْظُرِي  
إِلَى عَاشِقٍ مَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْبُلُوَى  
وَكَمْ قَدْ سَأَلْتُ الرِّيحَ شَوْقًا إِلَيْكُمْ  
فَمَا حَنَّ مَسْرَاهُ عَلَيَّ وَلَا أَلُوَى  
فَيَا رِيحُ حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَارُ بِي  
وَيَا نَجْدُ حَتَّى أَنْتِ تَهْوَى الَّذِي أَهْوَى  
خَلِقتُ وَلِي قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّوَى  
وَلَكِنْ عَلَى فَقْدِ الْأَحِبَّةِ لَا يَقْوَى

تعرف صدفة على قينة رائعة؛ فمال  
إليها؛ بعد أن توافقا؛ ولكنه انعطف عنها خوفا  
من السقوط في هواها؛ زهدا، ونسكا؛ ثم  
قال:

لَمْ أَنْسَ وَقَفْتَنَا بِيَابِ الْمَلْعَبِ  
بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَأْسِ مِنْ مُتَجَنِّبِ  
وَعَدَتْ فَكُنْتُ مُرَاقِبًا لِحَدِيثِهَا  
يَا ذُلَّ وَقْفَةٍ خَائِفٍ مُتَرَقِّبِ  
وَتَدَلَّلْتُ فَذِلْتُ بَعْدَ تَعَزُّزِ  
يَأْتِي الْغَرَامُ بِكُلِّ أَمْرٍ مُعْجِبِ  
بَدْوِيَّةَ أَبْدَى الْجَمَالِ بَوَاجِهُهَا  
مَا شِئْتُ مِنْ خَدِّ شَرِيقٍ مُذْهَبِ  
تَدْنُو وَتَبْعُدُ نَفْرَةً وَتَجَنِّيَا  
فَتَكَادُ تَحْسِبُهَا مَهَاةَ الرَّبْرِ



وَرَنْتَ بِلَحْظٍ فَاتِنٍ لَكَ فَاتِرٍ  
 أَنْضَى وَأَمْضَى مِنْ حُسَامِ الْمُضْرَبِ  
 وَأَرْتِكَ بَابِلَ سِحْرَهَا بِجُفُونِهَا  
 فَسَبْتُ، وَحَقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ تَسْتَبِي  
 وَتَضَا حَكَتْ فَحَكَتْ بَنِيْرَ ثَغْرِهَا  
 لَمَعَانَ نُورِ ضِيَاءِ بَرْقِ خُلْبِ  
 بِمُنْظَمٍ فِي عِقْدِ سَمَطِيٍّ جَوْهَرِ  
 عَنْ شِبْهِ نُورِ الْأَقْحُوَانِ الْأَشْنَبِ  
 وَتَمَايَلَتْ كَالْعُصْنِ أَخْضَلَهُ النَّدَى  
 رِيَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيَّةِ مُخْصَبِ  
 تَشِيهِ أَرْوَاحِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا  
 فَتَرَاهُ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُعَرَّبِ  
 أَبَتْ الرِّوَادِفُ أَنْ تَمِيلَ بِمَيْلِهِ  
 فَرَسَتْ وَجَالَ كَأَنَّهُ فِي لَوْلَبِ  
 مُتَوَجِّحاً بِهَالَالِ وَجْهِ لَاحٍ فِي  
 خَلَلِ السَّحَابِ لِحَاجِبٍ وَمُحَجِّبِ  
 يَا مَنْ رَأَى فِيهَا مُحِبّاً مُعْرَماً  
 لَمْ يَنْقَلِبْ إِلَّا بِقَلْبِ قَلْبِ  
 مَا زَالَ مُذْ وَلَّى يُحَاوِلُ حِيلَةَ  
 تُدْنِيهِ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى وَالْمَطْلَبِ  
 فَأَجَالَ نَارَ الْفِكْرِ حَتَّى أَوْقَدَتْ  
 فِي الْقَلْبِ نَارَ تَشْوُقٍ وَتَلْهُبِ

فَتَلَاقَتْ الْأَرْوَاحُ قَبْلَ جُسُومِهَا  
وَكَذَا الْبَسِيطُ يَكُونُ قَبْلَ مُرَكَّبِ

وله أيضا:

أَرَى لَكَ يَا قَلْبِي بِقَلْبِي مَحَبَّةَ  
بَعَثْتُ بِهَا سِرِّي إِلَيْكَ رَسُولًا  
فَقَابِلُهُ بِالْبُشْرَى، وَأَقْبِلْ عَشِيَّةَ  
فَقَدْ هَبَّ مِسْكِي النَّسِيمِ عَلِيلاً  
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْقَطْرِ أَوْ بِلَلِ النَّدَى  
فَأَحْسَنُ مَا يَأْتِي النَّسِيمُ بَلِيلاً

— ثم أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي  
(توفي بقسنطينة سنة 747هـ/1346م)؛ وهو من  
فقهائ الذهب المالكى؛ وكان من أهل الزهد،  
والصلاح.

— ثم أبو محمد عبد العزيز بن صالح  
الساوي الصنهاجي (كان حيا سنة  
763هـ/1361م)؛ وهو من المتصوفين؛ دمث  
الأخلاق، من أهل الخير والصلاح، يعمل  
جاهدا لقضاء حاجات المسلمين. وعندما يحس  
بأن أحدهم أنكر عليه شيئا ينشد قائلا:

وَاحِيرَتِي مِنْ قَلْبِي الْقَاسِي  
 وَمَا جَرَى مِنْهُ عَلَى رَاسِي  
 الْعِزُّ مَوْجُودٌ لِمَنْ يَشْتَرِي  
 وَإِنَّمَا الْمِحْنَةُ إِفْلَاسِي  
 إِنْ أَنْكَرُوا دُفِّي وَشَبَّابَتِي  
 وَهَزَّ عِطْفِي بَيْنَ جُلَاسِي  
 لَا غَرَوْ أَنْ أَفْتَوْ عَلَى عِلْمِهِمْ  
 فَإِنَّهُمْ مَا شَرَبُوا كَاسِي

— ثم حسن بن عبد الله المليكشي  
 الصنهاجي (توفي بالقاهرة سنة 778هـ/1376م)؛  
 وهو من علماء الحديث؛ ومن الفقهاء  
 المالكيين؛ واشتغل في علوم عديدة. وهو من  
 مواليد بجاية؛ رحل إلى مصر؛ حيث تصدر  
 للتدريس في المدرسة الناصرية.

— ثم أبو الحسن علي بن محمد بن منصور  
 ابن علي بن الأشهب التلمساني الصنهاجي  
 (توفي بمكناسة سنة 791هـ/1388م)؛ أستاذ، وراوي،  
 ومن المولعين بالرحلة.

— ثم برهان الدين إبراهيم بن عبد الله  
 ابن عمر الصنهاجي (توفي بدمشق سنة  
 796هـ/1393م)؛ ولي قضاء المالكية بدمشق؛ وهو

من حفاظ الموطأ؛ وكان عالماً بالأصول،  
والفقه، وعلوم العربية، والنحو.

— ثم إبراهيم بن عبد الله بن عمر  
الصنهاجي (توفي بدمشق سنة 798هـ/1395م)؛  
وهو من الفقهاء؛ كان يحفظ الموطأ؛ ولي قضاء  
دمشق؛ فلم يقبل إلا بإلحاح عليه.

— ثم عثمان بن سليمان الجزائري الصنهاجي  
(توفي بالقاهرة سنة 825هـ/1421م)؛ نشأ بمدينة  
الجزائر، وأخذ العلم في تونس، ومصر. يفهم  
من وصف ابن حجر له أنه من فئة  
الأقزام؛ وكان من أصحاب العلم، والفضل.

— ثم أبو الخير خليل بن هارون بن مهدي  
ابن عيسى بن محمد الجزائري الصنهاجي  
(توفي بالمدينة المنورة سنة 826هـ/1422م)؛ وهو  
من فقهاء المالكية؛ درس في مدينة الجزائر، وفي  
تونس، والإسكندرية، ومكة؛ وله مؤلفات؛  
منها: كتاب تذكرة الإعداد لهول يوم الميعاد؛  
في الأذكار، والأدعية، وكتاب مختصر التذكرة،  
وكتاب أشرف مسموع في تحقيق الموضوع.

— ثم أبو العباس أحمد بن عيسى التلمساني البطوي الصنهاجي (كان حيا سنة 843هـ/1439م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ ولي القضاء؛ وصف بالعدل، والتوثيق.

— ثم عثمان بن يوسف بن محمد بن علي الجزائري الصنهاجي (توفي بمكة المكرمة حوالي 863هـ/1458م)؛ وهو من علماء المذهب المالكي؛ نشأ ودرس بالجزائر، ثم رحل إلى المشرق بغرض الحج، وطلب العلم.

— ثم سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي (توفي بدمشق سنة 873هـ/1468م)؛ وهو فقيه مالكي، من الحفاظ، وأصحاب الحديث. ولد بمشدة، وترعرع ببجاية، وأكمل تعليمه بتونس ومصر والحجاز ودمشق. تعرض للأسر من طرف قراصنة النصاري؛ ثم أطلق سراحه. ولي القضاء بدمشق، والقدس؛ فكان حازما، صارما، عادلا، عفيف النفس عزيزها، نزيها في سيرته.

— ثم أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المعروف بالدقون (ت: سنة 921هـ/1515م)؛ أستاذ وخطيب ومحدث وراوي وأديب؛ له معرفة بقرض الشعر؛ ولي الخطابة بالقرويين. كان خفيف الظل؛ وعرف بكثرة المزاح؛ ومما أجاز

به أبا القاسم محمد بن إبراهيم المشرائي قوله  
نظماً:

أَشْهَدُكُمْ يَا مَنْ حَضَرَ أَهْلَ الْبَدَاوَى وَالْحَضَرَ  
أَنِّي أَجَزْتُ قَاسِمًا ابْنَ الْفَقِيهِ الْمُعْتَبَرِ

وفي إجازة أخرى لأبي عبد الله محمد ابن  
أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي قوله:  
أَجَازَ لَكَ الدُّقُونُ يَا نَجْلَ سَيِّدِي  
أَبِي جُمُعَةٍ وَالْآلَ كُلَّ الَّذِي رَوَى  
فَحَدَّثَ بِمَا اسْتُدْعِيَتْ فِيهِ إِجَازَةٌ  
وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ خَافَ النَّفْسَ وَالْهَوَى

— ثم أبو هادي مصباح بن سعد الصنهاجي  
(توفي بقسنطينة سنة 947هـ/1540م)؛ وهو من  
فقهائ المذهب المالكي.

— ثم حمد بن محمد بن عيسى التلمساني  
البطوي الصنهاجي (من أعلام النصف الأول من  
القرن العاشر للهجرة)؛ وهو من فقهاء  
المالكية؛ له إمام بعلم الحديث؛ ويميل إلى  
التصوف؛ هاجر إلى المدينة المنورة، وتوفي بها.

— ثم أبو الشاء محمود بن عمر بن محمد أوقيت الصنهاجي (توفي بتبوك سنة 955هـ/1548م)؛ ولي قضاء تنبكتو؛ فكان حازماً، شديداً، وعادلاً في أحكامه؛ لا يحابي، ولا يجامل أهل الجاه، والسلطان؛ فظهر فضله، وسما شأنه. وكان يقوم بالتدريس إلى جانب عمله في القضاء؛ فتخرج على يديه نخبة من الطلاب، والشيوخ. وله شرح على مختصر خليل؛ في الفقه المالكي؛ وهو في مجلدين، وكتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس.

— ثم أبو عبد الله عبد الخالق الصنهاجي (كان حياً سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من بني أمغار أهل تيط. ذكره ابن القاضي بالسوء؛ إذ قال فيه: ((وهو رأس الطائفة الأندلسية الملعونة؛ ولقد شاهدت بمدينة مكناسة ثُلَمَة عظيمة في الدين: أجلسوه على كرسي بجامعها الأعظم؛ وهو يتكلم في التصوف بزعمه! ويضل العامة بمذهبه الشنيع! أهلكها الله — من طائفة مضرة بالسنة السمحة — بحمده)).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> درة الحجال ج: 3، ص: 168.

— ثم سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي الصنهاجي (ت: سنة 1016هـ/1607م)؛ وهو من العلماء الأفاضل؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: شرح لامية العرب، ونظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر؛ وهو شرح لدرر السمط في مناقب السبط؛ لابن الأبار.

— ثم أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكي الصنهاجي (توفي بتبكتو سنة 1036هـ/1626م)؛ وهو من الفقهاء، والحديثين. نكب عندما عارض حملة سلطان السعديين المنصور؛ الموجهة لاحتلال بلده تنبكتو؛ فأسر، وضاعت كتبه التي تقدر بـ 1600 مجلد. وفي هذه الحادثة نقل مع أسرته إلى مراكش؛ وبعد إطلاق سراحه؛ توجه إلى فاس؛ ثم سمح له بالعودة إلى تنبكتو؛ أين توفي هناك. وكان من أهل العلم، والفضل؛ لا يجامل في الحق، ولا يتساهل فيه. وله مؤلفات عديدة؛ أهمها: كتاب نيل الابتهاج بتطريز الدياج؛ وهو في التراجم، وله أيضا مصنفات تدخل في إطار الحواشي، والمختصرات قد تصل إلى الأربعين؛ وجلها في الفقه والحديث والعريية؛ بقيت كلها ضمن المخطوطات.



— ثم عثمان بن زيان الصنهاجي اشتهر باسم الصنهاجي (من أعلام القرن الحادي عشر للهجرة)؛ وهو من علماء النحو، والفقه؛ توفي ببلدة أولاد علي بن صناج؛ ألف كتابا في النحو، وآخر في التوحيد.

— ثم أبو عبد الله محمد ماني الفاسي الصنهاجي (ت: سنة 1333هـ/1913م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ وله إمام بالإفتاء. ألف بعض الكتب؛ منها: منظومة في البدرين، والتعريف بمعاذ، ومعوذ؛ ابني عفراء المذكورين في الشمائل.



وبعد ذكر العلماء، ورجال الفكر من بني صنهاجة؛ نتكلم الآن عن زعمائهم، ورجال السياسة فيهم؛ وهم:

— ثابت بن وزريون الصنهاجي (كان حيا سنة 127هـ/744م)؛ وهو الذي ثار في باجة على عبد الرحمن بن حبيب (والي القيروان). ولكن مصيره بقي مجهولا؛ بعد إخماد تلك الثورة؛ التي قتل خلالها عبد الرحمن بن حبيب أعدادا كبيرة من الأمازيغ.

— ثم عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي (كان حيا سنة 153هـ/769م)؛ وهو أحد قادة الصفرية؛ الثائرين بإفريقية في عهد والي القيروان عمر بن حفص بن قبيصة؛ كما شارك في الحلف الأمازيغي الذي حاصر عمر بطبنة.

— ثم تيولوتان بن تيكلان اللمتوني الصنهاجي (ت: سنة 222هـ/836م)؛ ملك جميع الصحراء الفاصلة بين الأقطار المغربية بكاملها، وبين بلاد السودان. ويقول صاحب روض القرطاس: أنه في إمكانه حشد مائة ألف مقاتل على النجب؛ وأن أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كانوا تحت سلطانه، ويؤدون إليه الجزية؛ وكانت البلاد الخاضعة لهيئته تمتد لثلاثة أشهر سيرا.

— ثم حفيده الأثير بن يطين (أو بطين) بن تيولوتان بن تيكلان اللمتوني الصنهاجي (ت: سنة 237هـ)؛ ملك مناطق الصحراء — بعد جده — على أحسن وجه.

— ثم تميم بن الأثير بن يطين بن تيولوتان اللمتوني الصنهاجي (توفي مقتولا سنة 306هـ/918م)؛ قتله أشياخ بعض القبائل من

صنهاجة؛ مما أدى إلى افتراق أمرهم؛ وبقائهم على فرقتهم طوال 120 سنة.

— ثم مناد بن منقوش بن صناك الأصغر (من أعلام القرن الثالث للهجرة)؛ كبير قبيل تلكاتة الصنهاجية، وأميرهم في عهد الأغالبة، وبني العباس. كان — في وقته — مواليا لهم، وتابعا لسلطانهم.

— ثم زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 361هـ/971م)؛ وهو الممهد الأول للدولة الصنهاجية بالمغرب الأوسط؛ في ظل الدولة الفاطمية. شيد مدينة آشير الحصينة؛ بجبل تيطري. كما أمر ولده بلكين ببناء: مليانة، ولمدية، والجزائر. وكان له عشرة من الأبناء؛ أصغرهم بلكين. وقُتل زيري في معركة دارت بينه وبين منافسه، وخصمه جعفر بن علي أمير المسيلة. ومن صفات زيري بن مناد؛ أنه — إلى جانب ما عرف عنه من كرم، وشجاعة — فقد كان يميل إلى الوحشية، والقسوة مع أعدائه.

— ثم أبو الفتوح سيف الدولة بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي ويسمى يوسف (ت: سنة 373هـ/983م)؛ هو مؤسس الدولة الزيرية بالمغرب الأوسط وإفريقية؛ بعد أن

استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على تلك الديار. وكانت له حروب حامية ضد قبائل زناتة؛ التي كانت تميل إلى طاعة بني أمية بالأندلس. تميز هو الآخر بالقسوة؛ مثل أبيه.

— ثم أبو الفتح المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 386هـ/1027م)؛ تربع على عرش المغرب الأوسط، وإفريقية بعد موت أبيه؛ فكان شهماً، كريماً، حازماً، شجاعاً؛ عادلاً. من إنجازاته العمرانية: بناء مصلى للعيد برقادة، وتشيد قصر صبرة؛ القريب من القيروان؛ الذي انتقل إليه من بلاده آشير. ويقال أنه أنفق في بنائه ثمانمائة ألف دينار.

— ثم حُباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي (توفي في وقعة رمداي خارج قرطبة سنة 402هـ/1011م)؛ ويعد من الفرسان الأبطال؛ فهو — كما كان يوصف عادة — فارس صنهاجة، وفتاها بدون منازع. والسبب في مماته — كما ذكرت المصادر التاريخية — أنه خاض عباب المعركة التي كانت دائرة خارج قرطبة؛ ونظرا لبعض حركاته الخطيرة؛ من على ظهر حصانه؛ الذي كان عليه سرج طري العمل، متفتح اللبد —

كما قال أبو حيان — فإنه مال به أثناء المزاولة، والمحاولة؛ فسقط؛ فإدركه المدعو النبيه النصراني بطعنة؛ كانت بها نهايته.

— ثم أبو مناد نصير الدولة باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 406هـ/1015م)؛ سلطان إفريقية بالقيروان. حدثت في أيامه فتن؛ بينه وبين قرابته على الحكم؛ فقمع محاولاتهم بشدة. كما ثارت عليه قبائل زناتة؛ فقضى بقية عمره في الحروب ضدهم؛ إذ توفي فجأة بالقرب من المسيلة؛ بينما كان خارجا لملاقاة المتمردين.

— ثم أم ملال السيدة بنت المنصور بن بلكين التلكاتي الصنهاجي (توفيت سنة 414هـ/1023م)؛ وهي من شهيرات النساء بالمغرب الإسلامي؛ شاركت أخاها باديس في الحكم؛ إذ انشغل بالفتن، والحروب، وترك لها تسيير شؤون الدولة؛ ولما مات فجأة؛ تولت الوصاية على عرش ابنه المعز؛ الذي يبلغ لم يبلغ التاسعة من عمره؛ فكانت تتحلى بالحنكة، والحكمة، والحزم؛ وظلت في مهامها إلى يوم وفاتها؛ فراثها أكثر من مائة شاعر.

— ثم حماد بن بلكين بن زيرى بن مناد التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 419هـ/1028م)؛ بدأ يظهر في عهد ابن أخيه باديس بن المنصور؛ الذي ولاه تيهرت؛ ولكن عاد فعزله وولى عمه الآخر يطوفت. وقد اضطر باديس إلى الاعتماد عليه للمرة الثانية؛ ولكن في هذه المرة؛ احتاط حماد لكي يدوم له الأمر؛ ف قضى بقية حياته في صراع حثيث؛ ضد باديس، والمنصور من جهة، وقبائل زناتة من جهة أخرى. وفي سنة 405هـ أسقط دعوة الفاطميين من منابر دولته، وأعلن دعوة العباسيين، وأظهر المذهب السني. وبهذه الخطوة يكون قد سبق المعز في الارتداد عن المذهب الشيعي. ويبدو أن حمادا كان سيئ الحكم، قاسيا على أنصاره، ورعيته؛ بل كان لا يتورع عن الغدر والخيانة؛ إذا لزم الأمر. وقد انتهى ببعض تصرفاته إلى حد الوحشية؛ إذ وصل به الحال إلى قتل حرمه بيديه؛ عند هزيمته أمام ابن أخيه باديس؛ لكي لا تقع في الأسر، ويلحقه منها العار. ومع هذا فقد استطاع بعد إلحاح حثيث، وكفاح شديد؛ من تشيد دولة كبيرة له، ولأبنائه في المغرب الأوسط؛ تميزت — فيما بعد — بازدهار حضاري، وثقافي عظيم؛ تجلى ذلك

في المنجزات العظيمة؛ التي قامت بعاصمة الدولة؛  
المعروفة بقلعة بني حماد. ويشير ابن خلدون إلى  
تلك الإنجازات بقوله: ((تم بناؤها وتمصيرها  
على رأس المائة الرابعة. وشيد من بينها،  
وأسوارها؛ وأستكثر فيها من المساجد،  
والفنادق؛ فاستبحرت في العمارة، واتسعت في  
التمدن؛ ورحل إليها من الثغور، والقاصية،  
والبلد البعيد طلاب العلوم، وأرباب الصنائع؛  
لنفاق أسواق المعارف، والحرف، والصنائع  
بها)).<sup>1</sup>

— ثم أبو مثنى الحاجب المنصور زاوي بن  
زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي (كان حيا  
سنة 420هـ/1029م)؛ هو الذي لجأ مع أنصاره  
من صنهاجة إلى الأندلس أيام ابن عامر؛  
هاربين من باديس بن المنصور. كما أنه  
الممهد الحقيقي لملك بني زيري بالأندلس.  
ولكنه بعد الفتنة الكبرى التي انطلقت من  
قرطبة؛ كره البقاء في الأندلس، وعاد إلى  
القيروان.

— ثم أبو مسعود حبوس بن ماكسن بن  
زيري بن مناد الصنهاجي (توفي بغرناطة سنة

<sup>1</sup> العبر، مج: 6 ، ص: 350.

429هـ/1037م)؛ أقام ملكه بإلبيرة، وغرناطة، وما تبعها؛ وأورثه بنيه.

— ثم محمد بن تيفاف (أو تيفاب) اللمتوني الصنهاجي المعروف بتارسنا (توفي حوالي سنة 429هـ/1037م)؛ تمكن هذا الأمير من جمع شمل صنهاجة الصحراء — من جديد — تحت لوائه. وكان رجلا صالحا؛ ومتدينا؛ قتل في إحدى المعارك الجهادية؛ ضد بعض الفئات من اليهود.

— ثم يحيى بن إبراهيم الجدالي الصنهاجي (توفي بعد عام 440هـ/1048م)؛ وهو صهر محمد ابن تيفاف؛ فأضحى — بعد مماته — زعيما لصنهاجة في الصحراء؛ هو الذي طلب من أبي عمران الفاسي؛ شيخ المالكية بالقيروان — أثناء عودته من الحج — أن يبعث معه فقيها؛ ليعلم قومه شئون دينهم؛ فكتب إلى من يعرفه بالمغرب الأقصى؛ فدلّه على عبد الله بن ياسين الجزولي؛ فأخذه معه، وحمل قومه على طاعته؛ إلى أن مات.

— ثم القائد بن حماد بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 446هـ/1054م)؛ افتتح عهده بصد هجمات زناتة؛ في الوقت الذي



سادت البلاد هدنة حذرة؛ بينه وبين بني عمه في إفريقية. ويقول ابن خلدون أنه أعاد الدعوة للفاطميّين؛ فأتحفوه بلقب "شرف الدولة"؛ وهو اللقب الذي سبق أن منحوه إلى المعز؛ بينما ينفي آخرون ذلك. ويمكن أن يكون هذا قد تم نكايّة في المعز بن باديس الذي أسقط دعوتهم. وقد ورث عن أبيه حماد قسوته، وشراسته؛ إذ قتل ابنه زيري بنفسه؛ ولكنه قاصر عنه في الحنكة السياسيّة، والموهبة الحربيّة. ومع هذا فقد عرفت دولته فترة هادئة، مستقرة.

— ثم محسن بن القائد بن حماد بن بلكين التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 447هـ/1055م)؛ قبل أن يموت والده القائد أوصاه بأمرين: الأول؛ أن يحسن إلى أعمامه؛ خاصة يوسف، وريغلان. والأمر الثاني؛ ألا يخرج من القلعة مدة ثلاث سنين. والغريب في شأن محسن؛ أنه أحل بالوصيتين؛ إمعاناً، وإصراراً. فأساء إلى أعمامه جميعاً؛ بعزلهم من مناصبهم وقتلهم. كما خرج من القلعة لمحاربة عمه يوسف؛ وأثناء ذلك حاول الغدر بعمه الآخر بلكين؛ فانكشفت المكيدة، ودارت عليه الدائرة؛ وقتله بلكين بمساعدة أنصاره من عرب هلال.

— ثم يحيى بن عمر بن تكلاب بن التمتوني الصنهاجي (توفي بجهات درعة سنة 448هـ/1056م)؛ وهو الممهد الأول لقيام الدولة المرابطية. كان مع يحيى بن إبراهيم الدكالي؛ في العودة من الحج، وشاركه في جلب عبد الله بن ياسين إلى الصحراء. ولما تنكرت جدالة؛ خرج مع ابن ياسين إلى جزيرة في نهر السينغال؛ فتنسك معه في رباطه؛ ثم أخذت شلتهم تنامي؛ معتزلين عن خالفهم؛ ولما قويت شوكتهم، وكثرت عصبتهم؛ خرجوا لقتال المخالفين من قومهم، وقتل الوثنيين من السودان. وقتل يحيى بن عمر في بعض الوقائع ضد جدالة ببلاد درعة.

— ثم بلكين بن محمد بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 454هـ/1062م)؛ بتوليته الحكم انتقل الملك من بيت القائد إلى بيت أخيه محمد بن حماد. كان بلكين — كغيره من أمراء تلكاتة — يميل إلى القسوة، وسفك الدماء، والجبروت. فافتتح عهده بقتل وزير سلفه الأمير محسن، ثم قتل جعفر بن أبي رمان صاحب بسكرة، ونكب المدينة، وأثخن في أهلها. ثم توغل غربا؛ في بلاد زناتة، والمناطق الصحراوية؛ طالبا المرابطين؛ دون جدوى.

وامتدت يده الفاتكة إلى زوجته؛ تانميرات بنت عمه عناس بن حماد؛ الأمر الذي دفع بأخيها؛ الناصر بن عناس لرصد الفرصة المواتية؛ للانقضاض على بلكين؛ قاتل أخته؛ فكان له ذلك. وقد ساعدت الأوضاع السياسية المتردية؛ في دولة بني باديس الزيرية بإفريقية - بعد الغزو الهلالي - وتضعضع أحوال زناتة في غرب البلاد - بفعل زحف المرابطين - على ديارهم على تعزيز نفوذ بني حماد، واتساع رقعة دولتهم شرقا، وغربا؛ على حساب الطرفين الضعيفين. وبدأت قوة الحماديين تظهر، وتزداد ظهورا منذ عهد بلكين بن محمد بن حماد؛ ووصلت بعنفوانها في عهد الناصر بن عناس إلى حد كبير.

- ثم شرف الدولة المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي (توفي بالمهدية سنة 454هـ)؛ خلف والده على عرش إفريقية؛ وعمره لم يصل إلى التاسعة. ولما اشتد ساعده؛ أعلن ما يجيش به صدره، وما نشأ عليه خفية؛ فترك - بذلك - أثرا تاريخيا لا يمحي؛ إذ كان أول من تمرد - من بني زيري - على الفاطميين، ومذهبهم الشيعي؛ وشجع رعيته على اعتناق المذهب

المالكي؛ لأن المذهب السني الذي كان معمولاً به؛ إلى جانب الشيعة في إفريقية آنئذ؛ هو المذهب الحنفي. وبهذا فتح المعز على نفسه باب المصائب؛ إذ أرسل الفاطميون إليه قبائل بني هلال، وسليم؛ لتأديبه؛ فعاشت تلك القبائل بالبلاد فساداً؛ وقامت بمهمة تدميرية؛ تعجز عنها الجيوش النظامية.

— ثم سيف الدولة بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي (توفي مسموماً في حياة أبيه سنة 456هـ/1063م)؛ وكان ولياً لعهد أبيه؛ وولاه والده — في البداية — على إمارة مالقة. التي انتقلت إليهم بعد انتزاعها من حكم بني حمود؛ فتحولت إلى كورة من كور غرناطة. وتقول المصادر أن الذي قتله — غدراً بالسم — وزير أبيه: يوسف بن نغالة اليهودي؛ ولكنه حول التهمة — بدهائه — إلى فتيان القصر؛ فانتقم منهم باديس ظلماً. وتقول المصادر — أيضاً — بأنه تأمر على الدولة؛ بمداخلة ابن صمادح؛ أمير المريّة إذ أطمعه في تحويل إمارة باديس إليه. وعندما قرأ الناس في غرناطة — الصنهاجيون منهم على الخصوص — قصيدة الشيخ أبي إسحاق الإلبيري؛

ثاروا على ابن نغالة وقتلوه. ومما جاء في تلك القصيدة التحريضية:

أَلَا قُلْ لِّصَنَهَاجَةٍ أَجْمَعِينَ  
بُدُورُ الزَّمَانِ وَأَسَدُ الْعَرِينِ  
مَقَالَةٌ ذِي مُقَّةٍ مُشْفِقٍ  
يَعُدُّ النَّصِيحَةَ زُلْفَى وَدِينِ  
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً  
تَقَرُّ بِهَا أَعْيُنُ الشَّامِتِينَ  
تَخَيَّرَ كَاتِبُهُ كَافِرًا  
وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَانْتَحَوْا  
وَتَاهُوا وَكَأَنُوا مِنَ الْأُرْذَلِينَ  
وَنَالُوا مِنْهُمْ وَجَازُوا الْمَدَى  
وَقَدْ جَازَ ذَلِكَ وَمَا يَشْعُرُونَ  
فَكَمْ مُسْلِمٍ رَاهِبٍ رَاغِبٍ  
لَأُرْذَلَ قَرْدٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ

— ثم أبو مناد المظفر بالله باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 467هـ/1074م)؛ خلف والده حبوس في إمارة غرناطة؛ في ظل الدعوة لآل حمود بمالقة. وكان طاغية، جبارا، وداهية وشجاعا وحازما وجلدا. وقال ابن خلدون أنه

هو الذي اختط قصبة غرناطة، وشيد قصورها، وأقام حصونها، ومختلف المنشآت التي ظلت إلى عهده؛ وبذلك يكون هو الذي مصرّها. كما زحف على مالقة - بعد ظهور بوادر الضعف عليها - فاحتلها، واكمل بناء قصبتها؛ ثم أسند إمارتها - بعدئذ - لولده بلكين.

- ثم أبو بكر بن عمر اللمتوني الصنهاجي (ت: سنة 480هـ/1087م)؛ عينه عبد الله بن ياسين - بعد موت يحيى بن عمر الجدالي - قائدا للصنهاجيين؛ فتولى إدارة الحرب بينهم بجدارة، وكفاءة عالية؛ إذ تمكن من السيطرة على المناطق الشمالية لبلاهم؛ مثل بلاد فازاز، والسراير ومكناسة، وبرغواطية. ثم وصلتته أخبار باشتعال فتن داخلية بين قبائل صنهاجة في أعماق الصحراء؛ فعاد لإصلاح حال قومه؛ بعد أن أسند أمر جيشه، والمناطق المفتوحة إلى يوسف بن تاشفين؛ الذي استبد بالأمر، وانفرد بالحكم.

— ثم الناصر بن علناس بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 481هـ/1088م)؛ باستيلائه على الحكم؛ يكون الملك قد انتقل إلى بيت ابن ثالث لحما؛ وهو علناس. وكان الناصر — كغيره من بني حماد — شديدا وقاسيا؛ إذ كان لا يتورع عن القتل لأبسط الأسباب. وقد افتتح حكمه بقتل أعيان بسكرة؛ من بني جعفر ابن أبي رمان، وبعض الفئات من صنهاجة، وبعض الموظفين في بلاطه، وكثير من زعماء زناتة. هذا وقد تدغم — في بداية عهده — سلطان الدولة الحمادية؛ التي استفادت من تدهور الأوضاع في دولة بني باديس بالمهدية، وانشغال زناتة في كفاح المرابطين. ولكن لم تدم الأحوال كما كانت؛ إذ ساعدت بذور الفرقة بين بني زيري؛ في إفريقية والمغرب الأوسط على تعزيز نفوذ قبائل بني هلال؛ التي ترصدت الفرص — واحدة بعد الأخرى — لكي تضعف سلطان الدولة ونفوذها؛ وتوسع سلطان القبائل الهلالية وتنشره عبر البلاد كافة بالتدريج؛ شيئا فشيئا؛ حتى أصبحت جل المناطق السهلية، والسهلية خاضعة لنفوذهم. بل أجبروا الناصر بن علناس نفسه على إخلاء قلعته، والهجرة إلى شاطئ البحر؛

حيث شيد مدينة الناصرية (بجاية) واتخذها عاصمة للكه. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((وفي سنة ستين [وأربعمئة] افتتح جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بها الاسم... وهذا القبيل من صنهاجة... فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة، وسمها الناصرية؛ وتسمى عند الناس باسم القبيلة؛ وهي بجاية. وبني بها قصر اللؤلؤة؛ وكان من أعجب قصور الدنيا، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنيها، وانتقل إليها سنة إحدى وستين. وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم، وشغوفه على ملك بني باديس إخوانهم بالمهدية... فبنى المباني العجيبة المؤنقة، وشيد المدائن العظيمة)).<sup>1</sup>

— ثم المنتصر تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس (توفي بمراكش سنة 488 هـ)؛ ولده جده باديس على مالقة؛ تحت وصاية شيخ من صنهاجة؛ نظرا لصغره؛ فكان جريئا، وشهما؛ ولكنه قاسيا وعنيفا. ولما استولى يوسف بن تاشفين على غرناطة؛ اتبعها بمالقة، وألقى القبض على تميم، ثم أرسله إلى السوس؛

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 357.



ولكنه عفى عنه فيما بعد، فاستقر بمراكش حتى مات.

— ثم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي (ت: سنة 488هـ/1095م)؛ وهو مؤسس إمارة بني خراسان بتونس.

— ثم المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد التلكاقي الصنهاجي (ت: سنة 498هـ/1104م)؛ أمه هي بلارة بنت تميم بن العز؛ وهي التي بنى لها زوجها الناصر قصري بلارة: أحدهما بالقلعة، والآخر ببجاية. وورث المنصور عن والده الدهاء، والشجاعة، والحزم. وهو أقل قسوة، ووحشية من أسلافه؛ وإن كان قد قتل زوجته ظلماً؛ بسبب خلاف حدث بينه وبين والدها؛ ماخوخ زعيم بني وامانوا. وسار المنصور على نهج والده في جل الميادين: السياسية، والعسكرية، والحضارية؛ فكان نسخة منه. وعليه فقد قضى جل وقته في مطاردة القبائل الزناتية، وصد أطماع المرابطين، ومواجهة عيث، وفساد قبائل بني هلال، وتأديب الخارجين عن سلطانه من أهل بيته، وعمومته. وكان ولوعاً بالبناء، والعمران، وأسباب الحضارة. وقال ابن خلدون فيه: ((فاتخذ بجاية

هذه معقلا، وصيرها دارا للملكه، وجدد قصورها، وشيد جامعها. وكان المنصور هذا جماعا، مولعا بالبناء؛ وهو الذي حضر ملك بني حماد، وتأنق في اختطاط المباني، وتشيد المصانع، واتخاذ القصور، وإجراء المياه في الرياض، والبساتين؛ فبنى في القلعة قصر الملك، والمنار، والكوكب، وقصر السلم؛ وفي بجاية قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون<sup>1</sup>.

— ثم أبو معبد باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 500هـ/1106م)؛ كان قاسيا شديدا الوحشية. افتتح عهده بقتل وزير أبيه عبد الكريم بن سليمان؛ ثم قتل عامل أبيه على بجاية؛ التي لم ينتقل إليها بعد؛ ثم أساء إلى أخيه العزيز؛ والي الجزائر؛ فعزله، ونفاه إلى جيجل. كما ألقى أحد الصالحين إلى أسد؛ فلم يفترسه الأسد. وبذلك تصبح وحشية الأسد أقل حدة من وحشية باديس بن المنصور. ويقال أن موته حدث بواسطة السم؛ الذي دسسته أمه في طعامه؛ بعد أن توعددها بالقتل.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 358.

— ثم عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي (ت: سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ثاني الأمراء من بني خراسان بتونس؛ وقد اتصف بالضعف.

— ثم أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت اللمتوني الصنهاجي (توفي بمراكش سنة 500هـ/1106م)؛ وهو مُمهد الدولة المرابطية، وباسط سلطانهما في بلاد المغرب والأندلس. شارك ابن عمه أبا بكر بن عمر في فتوحاته، وانتصاراته ببلاد المغرب؛ ولما قرر العودة إلى الصحراء استخلفه على البلاد المفتوحة؛ فنهض بمهمة، وحزم عظيمين؛ فأضاف جزءا كبيرا من البلاد إلى ملكه؛ فاستفحل أمره، وعظم شأنه؛ فلما عاد ابن عمه أبو بكر وجه قد استبد بالملك؛ فتركه وعاد إلى الصحراء؛ متجنباً الفتنة، زاهداً في مغريات الدنيا. وهكذا أضحى ابن تاشفين هو الأمر الناهي؛ فتحول إلى ملك عظيم؛ نشر سلطانه على بلاد المغرب والأندلس. ويتحلى ابن تاشفين بالتدين، والخلال الحميدة، والتفاني في الجهاد، والغيرة على المسلمين.

— ثم سير بن أبي بكر اللمتوني الصنهاجي (توفي قرب إشبيلية سنة 507هـ/1113م)؛ وهو ابن عم يوسف بن تاشفين؛ وكان من الذين يكلفهم بالمهام الكبرى. ويعد من بين القادة الكبار للدولة المرابطية؛ فهو الذي فتح إشبيلية، وقام بنفي المعتمد ابن عباد. وبهذه أسندت ولايتها إليه. كما فتح قرمونة، ولبلة. ومات فجأة؛ أثناء تشييعه لزوجته حواء بنت تاشفين، خلال زفاف ابنته فاطمة.

— ثم مَزْدَلِي بن بُوبْلِنْكَان بن حمي أو (حسن) بن محمد بن تَرْقُوت اللمتوني الصنهاجي (توفي في حصن سطاسة سنة 508هـ)؛ وهو من أعيان المرابطين، وابن عم يوسف بن تاشفين، وعضده الأيمن؛ إذ تولى مهام كبرى في الدولة؛ وهو الذي أعاد فتح بلنسية، وأخرج النصاري منها عام 494هـ/1100م. وولي على تلمسان، وقرطبة، وغرناطة، والمريّة.

— ثم أبو طاهر يحيى بن تميم بن العز بن باديس التلكاتي الصنهاجي (توفي بالمهدية سنة 509هـ/1115م)؛ وهو من سلاطين الدولة الزيرية بإفريقية. تمكن من بناء أسطول غزا به جنوة، وسردانية؛ حيث فرض على أهلها

الجزية. وكان شجاعا، حازما؛ وله اشتغال بالشعر، والأدب؛ ولكنه ترك ذلك بعد اعتلاء سدة الحكم. حدث خلاف بينه وبين بعض إخوته؛ فنفاهم؛ فغدر به بعضهم؛ فطعنوه طعنات؛ أودت بحياته؛ بعد حين.

— ثم أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصنهاجي المعروف بابن تيفلويت (توفي بسرقسطة سنة 510هـ/1116م)؛ وهو صهر علي بن يوسف. كان واليا للمرابطين على غرناطة، ثم سرقسطة؛ كان من أهل الفضل، والجود، والحياء، والشجاعة. ومدح من طرف الفيلسوف ابن باجة، ومن الشاعر ابن خفاجة.

— ثم العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ افتتح عهده؛ بعقد صلح مع زناتة؛ وأصهر إلى أحد زعمائهم؛ فتزوج بنت ماخوخ. وكانت أيامه في غالب أوقاتها آمنة، هادئة؛ باستثناء بعض العمليات القليلة؛ التي اضطرته إليها الظروف؛ مثل: حصاره لجزيرة جربة ثم احتلالها، وإخضاع تونس؛ ومناوشة الأعراب، ومكافحة عيثهم، وفسادهم في القلعة ونواحيها ومنطقة الزاب. ومع هذا فقد كان يعقد مجالس للعلماء، والأدباء؛ بالإضافة إلى

ولوعه بالبناء. وفي عهده مر ابن تومرت بجاية؛ عائدا من المشرق عام 512هـ؛ فاجتهد فيها لتغيير المنكر؛ فرفعت به الشكاوى إلى السلطان عبد العزيز؛ فأمر بإحضاره؛ فهرب إلى بني ورياكل؛ القاطنين في وادي بجاية.

— ثم علي بن يحيى بن تميم بن المعز التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ وهو أحد سلاطين بني زيري بإفريقية؛ كان حازما، وشجاعا؛ قضى فترة حكمه في إخماد الفتن التي يشعلها الأعراب من بني هلال، وسليم. وحاول في آخر أيامه غزو صقلية؛ لكبح عدوان روجر الثاني المتكرر؛ ولكن عاجله القدر؛ فتوفي قبل تحقيق غرضه.

— ثم أبو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي (ت: سنة 520هـ/1126م)؛ كلف بمهام عديدة؛ عسكرية، وسياسية في المغرب، والأندلس. ويبدو أنه لم يحالفه التوفيق في كثير منها.

— ثم أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي المعروف باسم بكور (كان حيا سنة 522هـ/1128م)؛ أسندت إليه ولاية من إشبيلية سنة 518هـ/1124م إلى سنة 522هـ/1106م. وهو أكبر أبناء السلطان علي بن يوسف.

— ثم أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي (ت: سنة 537هـ/1142م)؛ خلف والده يوسف في ملك المغرب، والأندلس؛ فسار على نهجه، واقتفى أثره في مواصلة الجهاد، ونصرة الحق، وإنصاف المظلومين، وكبح الظالمين، والانتصار للدين، والورع، ومخافة الله. وفي عهد ظهرت بوادر الدعوة الموحدية؛ وذلك في سنة 514هـ. وعندما شعر بدنو أجله أوصى بأن يدفن بين عامة المسلمين؛ فكان له ذلك.

— ثم أبو المعز تاشفين بن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني الصنهاجي (توفي في وهران سنة 539هـ/1144م)؛ اشتهر بالشجاعة، والشهامة؛ وكانت له في حياة أبيه ملاحم ضد النصاري بالأندلس؛ إذ فتح مدنا عديدة بها؛ منها: طليطلة، وكركي، وأشكونية، وغيرها. ولما

انتصب على سدة الحكم بمراكش؛ مرت أيام حكمه كلها في حروب، وفتن ضد الموحدين؛ الذين استفحل أمرهم بالمغرب الأقصى. وكانت نهايته في معركة بينه وبين عبد المؤمن بن علي أمام وهران؛ حيث سقط به جواده في هوة؛ مات إثرها.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الصنهاجي (قتل بمراكش سنة 540هـ/1145م)؛ بايعه المرابطون بعد مقتل أبيه بوهران؛ ولكنهم عدلوا عنه بعد أيام؛ وبايعوا عمه إسحاق.

— ثم إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (ت: سنة 541 هـ/1146م)؛ وهو آخر سلاطين الدولة المرابطية؛ وبقتله انتهى أمرها. بويع في مراكش بالملك بعد تنحية ابن أخيه إبراهيم؛ فزحف إليه عبد المؤمن بن علي؛ الذي قتله؛ بعد أن تغلب عليه.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن علي بن غانية المسوفي الصنهاجي (توفي بغرناطة سنة 543هـ/1148م)؛ وهو من الأبطال المعدودين؛ حمل لواء الجهاد بالأندلس؛ فكان من أكفأ الأمراء المسلمين بتلك الديار؛ وكان شهماً، داهية،



حازما، خيرا بفنون الحرب. بدأ حياته السياسية، والعسكرية في ظل أمير قرطبة اللمتوني محمد بن الحاج (زوج أمه، وكفيله بعد أبيه)؛ الذي ولاه مدينة أستجة في البداية؛ واشتهر يحيى تبعا لما أظهره من بسالة، وإقدام، وحنكة عسكرية؛ خاصة عندما هزم ابن رُذْمير (ألفونسو المحارب ملك أرغون). ويقال أنه تزوج امرأة من صنهاجية جميلة، وفاضلة؛ ولكنه طلقها؛ فلما سأله عن سبب طلاقه لها؛ قال: ((والله ما فارقتها عن خلة تَدْمْ؛ ولكن خفت أن أَشْتَغَلَ بها عن الجهاد)). وفي أواخر حياته واجهته ضغوط كثيرة؛ نتيجة لخيانة بعض المسلمين؛ مثل ابن حمدين؛ الذي تحالف مع النصاري، وأدخلهم على ابن غانية بقرطبة؛ فعاثوا بالمدينة فسادا، ونهبوا المسجد، ودنسوه.

— ثم أبو بكر بن إسماعيل بن عبد الحق ابن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي (ت: سنة 544هـ/1149م)؛ وهو رابع أمراء بني خراسان بتونس؛ ولما استولى بنو حماد على تونس؛ نزل أبو بكر هذا بمدينة بنزرت؛ حتى ثار سكان تونس على معد بن منصور الحمادي؛ فاستدعوه للإمرة عليهم؛ وبعد مدة

غدر به ابن أخيه؛ فقتله، ورمى به في البحر؛ مدعيا بأنه غرق.

— ثم محمد بن علي بن يوسف بن غانية المسوفي الصنهاجي (ت: سنة 546هـ/1151م)؛ وهو مؤسس إمارة بني غانية بميورقة؛ انتقل إليها بعد موت أخيه يحيى، وانقرض دولة المرابطين؛ فأنشأ إمارته في تلك الجزر؛ معلنا بالدعوة لبني العباس، وبقي على ذلك الحال حتى مات.

— ثم يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 547هـ/1152م)؛ كان ضعيف الشخصية، مولعا بمجالسة النساء، وبالصيد؛ ولم يخلف أثرا يستحق أن يذكر. وفي هذا يقول ابن الخطيب: ((وكان مولعا بالصيد، مغرما به، كلفا بالملهيين؛ يحضر منهم عنده نحو العشرين؛ بين رجل وامرأة؛ من شيوخ، وعجائز، وحمقى؛ فكان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة الحشايا، ويستدعي المضحكين، وجوارح الصيد؛ فيختبر هذا البازي، ويتفقد هذا الكلب، ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه؛ فيلهيه، ويضحكه. ويجلس أبدا بين أخواته: تقسوط، وأم ملال، وشيلة؛ في زي

العرائس؛ من الحلي، والملابس. فلا يزال كذلك إلى أن ينام. ثم يغتدي إلى الصيد<sup>1</sup>. وانتهى أمره إلى تسليم أمره للموحدين؛ وإنهاء عمر الدولة الحمادية؛ وذلك سنة 547هـ؛ بمبايعته لعبد المؤمن بن علي.

— ثم أبو محمد عبد الله بن فاطمة الصنهاجي (كان حيا سنة 549هـ/1154م)؛ كان من القادة المحنكين في الجيش اللمتوني. شارك في استنقاذ بلنسية من أيدي النصاري. ثم أسندت إليه ولايتها سنة 503هـ/1109م؛ وبعدها كلف بولاية فاس؛ ثم نقل إلى ولاية إشبيلية من سنة 509هـ/1115م إلى سنة 511هـ/1115م.

— ثم علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان الصنهاجي (ت: سنة 555هـ/1160م)؛ وهو آخر أمراء بني خراسان بتونس. اقتحم عليه عبد المؤمن بن علي حاضرة ملكه، ونقله إلى مراكش؛ فتوفي في طريقه إليها.

— ثم الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 563هـ/1167م)؛ هو آخر العقدة من سلاطين

<sup>1</sup> أعمال الأعلام، ق: 3، ص ص: 99 — 100.

الدولة الزيرية بإفريقية؛ تربع على العرش وهو طفل لا يتجاوز عمره الإثني عشر سنة؛ فحكم في ظل الأوصياء؛ فاختل شأن الدولة، وتعرضت لغزو النصارى بقيادة روجار Roger II ملك صقلية؛ الذي استولى على المهدية حاضرة الدولة الزيرية؛ فاستنجد الحسن بعبد المؤمن بن علي؛ فزحف إلى المهدية بجيش الموحيدين فافتتحها، وأخرج منها النصارى، وبقي الحسن في رعاية عبد المؤمن، وابنه يوسف حتى توفي وهو في طريقه إلى مراكش.

— ثم علي بن إسحاق بن محمد بن غانية المسوفي الصنهاجي (ت: سنة 585هـ/1189م)؛ كان أميرا على مايورقة بالأندلس؛ فانتهاز فرصة غفل فيها الموحدون؛ فجهز أسطوله، وغزا به مدينة بجاية. وكانت محاولته هذه شرارة أشعلت — من جديد — نار الثورة، والفتن المتتالية ببلاد المغرب الأوسط، وإفريقية. وكانت نهايته القتل بواسطة سهم في موقعة توزر.

— ثم داود بن عائشة الصنهاجي (ربما كان حيا سنة 585هـ/1189م)؛ وهو من القادة العسكريين الأفذاذ. كان يتحلى بالشجاعة، والعزيمة الفولاذية. فهو الذي أسقط ملك بني

صمادح بالمريّة؛ ثم استولى على مرسية،  
فدانية، فشاطبة؛ فبلنسية، فشنتمرية، فشقورة.

— ثم إبراهيم بن إسماعيل بن علان اللمتوني  
الصنهاجي (ت: سنة 627هـ/1229م)؛ شيخ  
اللمتونيّين في حامية تلمسان؛ حاول الاستيلاء  
عليها — أيام المأمون الموحيدي — بعد نزوة  
من نزوات العصبيّة؛ فتصدى له بنو عبد  
الواد، وقتلوه؛ فكان سببا غير مباشر؛ لتدرج  
بني عبد الواد نحو ملك تلمسان.

— ثم أبو علي عمر بن يحيى بن مُحَلَّى  
البطوي الصنهاجي (توفي مقتولا سنة  
785هـ/1383م)؛ تجمعته مع أبي يوسف سلطان بني  
مريّن قرابة خؤولّة؛ أهله لكي يتولى — من  
طرفه — أعمال مالقة؛ التي خرجت من أيدي  
بني اشقيلولة؛ في جوازه الثاني للأندلس. ولكنه  
خان الأمانة؛ بتخليه عنها لأبن الأحمر؛ مقابل  
بعض المغريات؛ دون الرجوع إلى صاحب العهدة؛  
سلطان بني مريّن. ومع هذا لم تدم علاقته  
الحميمة مع ابن الأحمر؛ إذ فسد الجو بينهما؛  
فنشبت فتن متتالية بينهما؛ حتى عاد سلطان  
بني مريّن مرة أخرى إلى الأندلس؛ فقبض  
عليه، وأرجعه إلى المغرب؛ أين أطلق سراحه  
بعد مدة. ولما مات أبو يوسف عاد عمر

هذا إلى الأندلس؛ طلبا للمغامرة؛ ولكنه - هذه المرة - انقاد إلى مصيره المحتوم؛ إذ قتل في النهاية بأيدي أبناء أبي العلاء المريني اللاجئين ببلاد الأندلس؛ ثأرا منه في دم عمهم؛ مقتول أييه.

- ثم طلحة بن يحيى بن مُحَلَّى البطوي الصنهاجي (توفي مقتولا سنة 786هـ/1384م)؛ وهو مثل أخيه عمر؛ يستند إلى القرابة التي تربطه بالسلطان يعقوب بن عبد الحق. ويعد طلحة هذا من بين الأبطال المشهورين؛ إذ استعانت الدولة المرينية بخبرتهم في بداية تكوينها؛ إلا أنه شارك أخيه في خيائته للدولة فيما بعد؛ سواء في الأندلس؛ حيث قاسم أخاه عمر الفوائد التي اتفق عليها مع ابن الأحمر؛ أو في ديار المغرب؛ حيث ثار على السلطان، وأعلن العصيان. هذا وقد انتهى به الأمر إلى القتل في إحدى المعارك.

- ثم محمد بن علي بن مُحَلَّى البطوي الصنهاجي (ت: سنة 787هـ/1385م)؛ ولاء السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق على أعمال مراكش كافة سنة 768هـ/1366م؛ بعد افتكاكها من أيدي الموحدين. وكانت ولايته محمودة، إذ

سار في الأمر سيرا حسنا؛ وبقي فيها إلى عام 787هـ/1385م؛ السنة التي هلك فيها بحبسه.

\*\*\*

— مواطنهم: يقول ابن خلدون عن شعب صنهاجة: ((وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله؛ لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط)).<sup>1</sup> وينقسم الصنهاجيون؛ حسب مواطنهم، ونظام حياتهم؛ إلى فئتين عظيمتين: صنهاجة الشمال (سكان التلول، والجبال)؛ ومن أهم قبائلهم تلكاتة؛ ويسكنون بيوت الطين والحجر. وصنهاجة الجنوب (سكان الصحراء)؛ وأعظم قبائلهم هي: لتونة، ومسوفة، وكدالة. وتمتد مواطنهم جنوب المفازة الصحراوية الكبرى؛ وحتى بلاد السودان. وهم من أهل الوبر.

فأما قبائل صنهاجة الشمال فهم على طبقتين: إحداهما تمثلها قبيلة تلكاتة؛ من أهل المدر. والأخرى تتكون من القبائل الصنهاجية التي اختارت العيش في الأرياف، والجبال؛ حيث انتشرت جماعاتهم في شمال المغرب؛ بعد سقوط

<sup>1</sup> العبر، مج: 6 ، ص: 309.

دول صنهاجة؛ وظلت على حالها حتى عصر ابن خلدون. وهذه الطبقة لم تتوصل إلى إقامة إمارات، وممالك؛ على الرغم من ضخامة هياكلها، وتعدد قبائلها. ومواطن هذه الطبقة مجاورة لمواطن قبائل مصمودة؛ حيث تتواجد فئات منهم بجبل درن، ثم إلى الشرق منه؛ في المحيط الذي تربض فيه: تازي، وتادلا، ومعدن بني فازان، وآكرسلوين، ودرعة، وضواحي السوس الأعلى ومدنه مثل: تارودانت، وإفري، وفونان<sup>1</sup>. إلخ. أما تلكاتة فهم مديون. وقد تمكنوا من تأسيس دول هامة في إفريقيا، والمغرب الأوسط، والأندلس. وتتواجد أوطانهم الأولى بالمغرب الأوسط؛ من المسيلة، إلى الجزائر، ثم لمدينة، ومليانة. وأوطانهم هذه هي التي تغلبت عليها — فيما بعد — قبائل الثعالب، وزغبة، ك: بني يزيد، وحصين، العطاف<sup>2</sup>. أما صنهاجة الجنوب فتمكنوا — بدورهم — من تشييد دولة عظمى؛ وهي دولة المرابطين. وثمة نص لابن خلدون يصفهم، ويصف أوطانهم بقوله: ((وهذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون الموطنون بالقفر؛ وراء الرمال الصحراوية

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 425 — 427.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص: 309 — 316.



الجنوبية؛ أبعادوا في المجالات هنالك؛ منذ دهور  
 قبل الفتح؛ لا يعرف أولها؛ فأصحروا عن  
 الأرياف، ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول،  
 وجفوها؛ واعتاضوا منها بألبان الأنعام،  
 ولحومها؛ انتبأذا عن العمران، واستثناسا  
 بالإنفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة، والقهر.  
 فترلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما  
 بين بلاد البربر، وبلاد السودان حجزا،  
 واتخذوا اللثام خطاما؛ تميزوا بشعاره بين  
 الأمم؛ وعفوا في تلك البلاد، وكثروا؛  
 وتعددت قبائلهم من: كدالة، فلمتونة،  
 فمسوفة، فوتريكة، فتاركا، فزغاوة، ثم لمطة  
 اخوة صنهاجة؛ كلهم ما بين البحر المحيط  
 بالمغرب، إلى غدامس؛ من قبلة طرابلس،  
 وبرقة<sup>1</sup>.

## É É É

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 370 — 373.

## 5- عَجِيسَة:

لم تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات كافية؛ تخص بطون عَجِيسَة، وتسلسل أنسابها؛ كما جرت العادة مع غيرها من القبائل. وكل ما وصلنا عنهم؛ هو عبارة عن لحات عامة؛ سردها ابن خلدون؛ في جمل خاطفة؛ تبعث على الحيرة، والاستفسار. من ذلك قوله: ((وأما عَجِيسَة: وهم بطون البرانس من ولد عَجِيسَة من برنس؛ ومدلول هذا الاسم البطن؛ فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس؛ بالبدال المشددة؛ فلما عربتها قلبت دالها جيمًا مخففة؛ وكان لهم بين البربر كثرة، وظهور)).<sup>1</sup> ويبدو أن كثرتهم انتهت إلى التقلص والانكماش؛ في عهد الدولة الزيرية؛ التي سلطت عليهم آلة الانتقام الجهنمية؛ نتيجة للضعف، والهوان الذين أصبحا يخيمان عليهم؛ بعد القضاء على ثورة أبي يزيد؛ التي تورطوا فيها؛ حين أجاروه ضد الدولة الفاطمية.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 295 — 296.

ولما اختار حماد بن بلكين أرضهم لبناء قلعه العتيقة؛ نشبت مناوشات عديدة بينهم وبين الدولة؛ فانتهى بهم الحال إلى القتل، والتشرد في الأقطار. ثم أضافت عشائر عياض الهلالية ما كانت قد تعففت عنه الدولة الحمادية. وهكذا هلكت أحياء عَجيسة، وتفرقت عبر بلاد المغرب، وإفريقية. وبمرور الزمن؛ ذاب أبناء عَجيسة ضمن قبائل أخرى مجاورة لمواطنهم الأصلية؛ مثل: كتامة، وصنهاجة، وزواوة. وقد بقيت منهم بعض الفئات التي احتفظت باسم القبيلة الأول؛ من بينها: قبيلة عَجيسة المتواجدة على بعد 26 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة بجاية الجزائرية. ثم قبيلة أخرى باسم عَجيسة؛ متواجدة في الحاضرة الشرقية؛ ضمن دوار الجزار؛ بجوار مدينة بريكة الجزائرية. كما توجد قرية باسم عَجيسة — أيضا — ضمن أرض بني تيلان؛ بين مدينتي: قسنطينة، والقل. وقد اندمجت بعض البطون من عَجيسة ضمن قبيلة الأعراش (دوار رأس تالا تينزار — الكركور)، ثم قبيلة الساحل القبلي (دوار ذرا قبيلة — الكركور) بالمغرب الأوسط.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> قبائل المغرب، ج: 1، ص: 336. دور كتامة، ص ص: 70 — 71.

ويبدو أن بعض الفئات منهم اختارت الهجرة إلى بلاد الأندلس.

! ! !

— أعيانهم: نبغ من عَجيسة رجال علم وفقه ذاع صيتهم؛ في المغرب، والمشرق؛ من بينهم أسرة بني مرزوق الشهيرة؛ منهم:

— أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العجيسي الشهير بالخطيب (توفي سنة 781هـ/1379م)؛ وهو من أعلام الفقه المالكي؛ وله عناية بالأدب، وعلوم الدين، وفنون أخرى. وصل عدد مؤلفاته حوالي 17 كتابا؛ في الفقه، والفتوى، والتوحيد، والتفسير، والحديث الشريف، والتاريخ، والتراجم، والخطابة، والأدب، والشعر، والتنجيم، وغير ذلك من الفنون. ولاه السلطان أبو الحسن المريني الخطابة بمسجد العباد بتلمسان؛ ثم نقله قربه بالمغرب؛ حيث ولاه الخطابة؛ كما كلفه ببعض السفارات. أما السلطان أبو عنان فقد حاول في البدء تقريره إليه؛ وبعثه في سفارة إلى تونس؛ ولكنه اهتمه — فيما بعد — بالتآمر؛ فسجنه، ثم أطلق سراحه. وبعد مدة رحل إلى تونس؛ ثم إلى

القاهرة؛ التي استقر بها حتى وافته المنية. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون؛ كـ: الفقه والتوحيد والفتاوى والتفسير والحديث والمنطق والعروض والقوافي والشعر، وغيره من الفنون المختلفة. منها: كتاب عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من الشيوخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز، وكتاب تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام؛ وهو في خمسة أجزاء، وكتاب شرح الأحكام الصغرى؛ وهو شرح لكتاب عبد الحق الإشبيلي، وشرح كتاب الشفاء للقاضي عياض؛ لم يكتمل، وإزالة الحجاب عن فروغ ابن الحجاب، وتحفة الطرف إلى الملك الأشرف، والمسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، وكتاب الإمامة، وكتاب إيضاح الرشيد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وشرح صحيح البخاري، والإمامة، وشرح البردة، وديوان خطب وقصائد، وكتاب في التنجيم، وكتاب جني الجنتين في فضل الليلتين؛ وهما ليلي: القدر، والمولد، وكتاب الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر. وقد أورد له ابن الخطيب، ومن بعده المقرئ؛ بعض المقطوعات

الشعرية القليلة؛ منها هذه القصيدة الطويلة؛  
التي سنشتها هنا كاملة؛ لأنها تكاد تكون  
الوحيدة؛ مما وصل إلينا من شعر ابن مرزوق  
الخطيب؛ باستثناء أبيات قليلة؛ استشهد بها ابن  
الخطيب - أيضا - في بعض المواضع، وفي  
مناسبات مختلفة. أما القصيدة الكاملة فنظمها  
عن الحج، وزيارة الديار المقدسة؛ وقرئت  
بمناسبة ليلة المولد عام 763هـ/1361م.

|                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| [أيا نسيم] <sup>1</sup> السحر | بالله <sup>2</sup> بلغ خبر |
| إن أنت يوماً بالحمى           | جررت فضل المئزر            |
| ثم حثت الخطو من               | فوق الكثيب الأعفر          |
| مستقرباً في عشبه              | خفي <sup>3</sup> وطء المطر |
| تروي عن الضحك في الر          | وض حديث الزهر              |
| مخلق الأذيال بال              | عبير أو بالعنبر            |
| وصف لجيران الحمى              | وجدي بهم وسهري             |
| وحقهم ما غيرت                 | ودي صروف الغير             |
| لله عهد فيه قضا               | يت حميد الأثر              |

<sup>1</sup> في النفج: ((قل لنسيم)).

<sup>2</sup> نفسه: ((الله)).

<sup>3</sup> نفسه: ((مخفي وطء)).

أيامه هي التي      أحسبها من عمري  
وباليل فيه ما      عيب بغير القصر  
العمر فينان ووجـ      ه الدهر طلق الغرر  
والشمل بالأحباب منـ      ظوم كنظم الدرر  
صفو من العيش بلا      شائبة من كدر  
ما بين أهل تقطف الـ      أنس جني الثمر  
وبين آمال تنبيـ      ح القرب صافي الغدر<sup>1</sup>  
يا شجرات الحي حيـ      اك الحيا من شجر  
إذا أجال الشوق في      تلك المغاني فكري  
خرجت من خدي حديـ      ث الدمع فوق الطرر  
وقلت يا خدُّ أرؤِ منـ      دمعي صحاح الجوهر  
عهدي بحادي الركب<sup>2</sup> كالـ      ورقاء عند السحر  
والعيس تجتاب الفلا      واليَعْمَلَاتُ<sup>3</sup> تَنْبَرِي<sup>4</sup>  
تخبط بالأخفاف مظـ      لوم البرى<sup>5</sup> وهو برى<sup>6</sup>  
قد عطفت عن مـيدٍ      والتفت<sup>7</sup> عن حور  
قسيُّ سيّرٍ ما سوى الـ      عزم لها من وتر  
حتى إذا الأعلام حلـ      لَت لحفي البشر

<sup>1</sup> مفردها غدير: وهو النهر، أو بقية من الماء يتركها السيل.

<sup>2</sup> أي الذي يتغنى بالحداء لتتشيط حرطة الإبل في سيرها.

<sup>3</sup> مفردها يعملة: وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل.

<sup>4</sup> أي تباري بقية الإبل في السرعة.

<sup>5</sup> البرى هنا: التراب.

<sup>6</sup> أي برىء؛ وقد خففت الهمزة واكتفي بالياء.

<sup>7</sup> في النفح: ((والتفتت))؛ وهو أسلم.

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| قرب ونيل الوطر                | واسبتشر النازح بالـ             |
| فُر <sup>1</sup> نجاح السفر   | وعين الميقات للـ                |
| بالحج أو معتمر                | والناس <sup>2</sup> بين محرم    |
| له الخلق باري الصور           | لبيك لبيك إلـ                   |
| ت الله ذات الأثر              | ولاحت الكعبة بيـ                |
| أمن عند الذعر                 | مقام إبراهيم <sup>3</sup> والمـ |
| ف القادم المبتدر <sup>4</sup> | واغتتم القوم طوا                |
| عي استلام الحجر <sup>5</sup>  | وأعقبوا ركعتي السـ              |
| ت كل عرف أذفر <sup>6</sup>    | وعرفوا في عرفا                  |

<sup>1</sup> أي للمسافرين.

<sup>2</sup> في النفج: ((فالناس)).

<sup>3</sup> مقام إبراهيم: هو الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام. وضعه وضعه له ابنه إسماعيل؛ ليقف عليه؛ وهو يرفع الحجارة على الكعبة؛ فأنطبع أثر قدميه عليه بشكل غائر. وبقي هذا الحجر ملتصقاً بحائط الكعبة؛ إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ الذي فصله عن البيت، وأخره بضعة أمتار؛ لئلا يشغل المصلين والطائفين. وما تزال أثر قدمي إبراهيم الخليل ظاهرة على الحجر إلى الآن. وقد أحيط بغطاء زجاجي ماطر بدعائم مذهبة لحمايته من التأثيرات المناخية.

<sup>4</sup> أي المبادرة بسرعة والشروع في طواف القدوم.

<sup>5</sup> أي استلام الحجر الأسود؛ سواء بالمسح عليه أو بتقبيله.

<sup>6</sup> أي: كل ذي رائحة طيبة.



ثم أفاض الناس سعيـاً في غد للمشعر<sup>1</sup>  
فوقفوا وكبروا قبل الصباح المسفر  
وفي منى نالوا المنى وأيقنوا بالظفر  
وبعد رمي الجمرات كان حلق الشعر  
أكرم بذاك الصحب<sup>2</sup> والـ له وذاك النفر<sup>3</sup>  
يا فوزه من موقف يا ربحه من متجر  
حتى إذا كان الوداع وطواف الصدر<sup>4</sup>  
فأي صبر لم يخن أو جلد لم يغدر  
وأي وجد لم يصل وسلوة لم تهجر  
ما أفجع البين لقلـ ب الواله المستغفر<sup>5</sup>  
ثم ثنوا نحو رسو لـ الله سير الضمر  
فعاينوا في طيبة<sup>6</sup> لألاء نور نير

<sup>1</sup> هو المشعر الحرام؛ بين عرفات ومنى؛ يسمى مزدلفة. وفيه قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 198. وقد اختلف في تحديد مكان المشعر بالضبط؛ فمن قائل في جبل قزح الرابض في آخر مزدلفة؛ وقائل ما بين الجبلين. ولكنهم أجمعوا على المزدلفة كلها. وجاء في الأثر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم ((صلى الفجر بالمزدلفة، ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام؛ فدعى وكبر وهلل؛ ولم يزل واقفاً حتى أسفر)).

<sup>2</sup> في النفح: ((السفر)).

<sup>3</sup> نفسه: ((السفر)).

<sup>4</sup> طواف الصدر: هو طواف الوداع؛ (الطواف الأخير)؛ ومنه يتجهز الناس للعودة إلى بلدانهم.

<sup>5</sup> في النفح: ((المستغفر)).

<sup>6</sup> طيبة: أحد أسماء المدينة المنورة.

زاروا رسول الله واسـ تشفعوا بلأثم الجدر  
نالوا به ما أملوا وعرجوا في الأثر  
على الضجيعين أبى بكر الرضا وعمر  
زيارة الهادي الشفيـ ع جنة<sup>1</sup> في المحشر  
فأحسن الله عزا ء قاصد لم يزر  
ربع ترى مستنزل الـ آي به والـ سور  
ولتقى جبريل بالـ هادي الزكي العنصر  
وروضة الجنة بـ ين روضة ومنبر<sup>2</sup>  
منتخب الله ومخـ تار الوري من مضر<sup>3</sup>  
والمنتقى والكون من ملابس الخلق عري  
إذ لم يكن في أفق من زحل أو مشتري<sup>4</sup>  
ذو المعجزات<sup>5</sup> الغرّ أمـ ثال النجوم الزهر  
يشهد بالصدق له منها انشقاق القمر  
والضرب والظبي إلى نطق الحصى والشجر  
من أطعم الألف بصا ع في صحيح الخبر

<sup>1</sup> أي وقاية.

<sup>2</sup> الروضة الشريفة: تقع وسط، وفي مقدمة المسجد النبوي؛ وملاصقة لبیت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره. قال فيها عليه الصلاة والسلام: ((ما بين منبري وبين روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على حوضي))؛ وفي رواية: ((ومنبري على ترعة من ترع الجنة)).

<sup>3</sup> مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبو عرب الشمال.

<sup>4</sup> في النفح: ((ومشتري)).

<sup>5</sup> سيذكر - فيما يلي - بعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنها: انشقاق القمر، وكلام: الضرب والظبي والحصى والشجر، وإطعام الجيش بصاع، واتجاج إيوان كسرى، وانطفاء نار المجوس... إلخ.

والجيش رواه بما  
يا نكتة الكون التي  
يا حجة الله على الـ  
يا أكرم الرسل على الـ  
يا من له التقدم الـ  
يا من لدى مولده  
أيوان كسرى ارتج إذ  
وموقد النار طفا  
يا عمدتي يا ملجئي  
يا من له اللواء والـ  
يا منقذ الغرقى وهم  
إن لم تحقق أملي  
صلى عليك الله يا  
يا ويح نفسي كم أرى  
واحسرو<sup>4</sup> من قلتي الـ  
يحجني والله بالـ  
يا حسنهما من خطب  
يا حسنهما من شجر

ء الراحة المنهمر  
فاتت منال الفكر  
رائح والمبتكر  
له وخير البشر  
حق على التأخر  
المقدس المطهر  
ضاقت<sup>1</sup> قصور قيصر  
كأنها لم تسعر<sup>2</sup>  
يا مفزعي يا وزري  
حوض وورد الكوثر  
رهن العذاب الأكبر  
بُؤْتُ بسعي المخسر  
نور الدجا المعتكر  
من غفلتي في غمر<sup>3</sup>  
زَّاد وبعد السفر  
برهان وعظ المنبر  
لو حركت من نَظَرٍ<sup>5</sup>  
لو أوركنت من ثمر

<sup>1</sup> في النفح: ((ضاعت)).

<sup>2</sup> جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا:

((وموقد النار طفى كأنه لم يسعر)).

<sup>3</sup> ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((في غفلة من عُمرِي)).

<sup>4</sup> في النفح: ((واحسرتي))؛ وهو أصوب.

<sup>5</sup> في النفح: ((نظري)).

أومل الأوبة والـ أسوَّفُ العزم بها<sup>1</sup>  
 من صفر لرجب من صفر لرجب  
 ضيعت في الكبرة ما ضيعت في الكبرة ما  
 وليس ما مرَّ من الـ وليس ما مرَّ من الـ  
 وقلَّ ما أن حمدت وقلَّ ما أن حمدت  
 ولي غريم لا يني ولي غريم لا يني  
 يا نفس جدي قد بدا الـ يا نفس جدي قد بدا الـ  
 واتعظي بمن مضى واتعظي بمن مضى  
 ما بعد شيب الفود من ما بعد شيب الفود من  
 أنت وإن طال المدى أنت وإن طال المدى  
 وليس من عذر يقيـ وليس من عذر يقيـ  
 يا ليت شعري والمنى يا ليت شعري والمنى  
 هل ارتجي من عودة هل ارتجي من عودة  
 فأبرد الغلة من فأبرد الغلة من  
 مقتدياً بمن مضى مقتدياً بمن مضى  
 نالوا جوار الله وهـ نالوا جوار الله وهـ  
 أرجو بإبراهيم مو أرجو بإبراهيم مو

أمر بكف القدر من شهر لشهر  
 من رجب لصفر أعددته في صغري  
 أيام بالمنتظر سلامة في غرر  
 عن<sup>2</sup> طلب المنكسر صبح ألا فاعتبري  
 وارتدي وازدجري مرتقب فشمري  
 في قلعة<sup>3</sup> أو سفر<sup>4</sup> م حجة المعتذر  
 تسرق طيب العمر أو رجعة أو صدر  
 ذاك الزلال الخـ<sup>5</sup> من سلف ومعشر  
 —و الفخر للمفتخر لانا بلوغ الوطر

<sup>1</sup> في النفج: ((به)).

<sup>2</sup> نفسه: ((في)).

<sup>3</sup> أي في انتقال.

<sup>4</sup> في النفج: ((وسفر)).

<sup>5</sup> أي العذب البارد.

|                                    |                                  |
|------------------------------------|----------------------------------|
| فوعده لا يمتري                     | في الصدق منه الممتر <sup>1</sup> |
| فهو <sup>2</sup> الإمام المرتضى    | والخير ابن الخير                 |
| أكرم من نال المنى <sup>3</sup>     | بالمرهفات البتر                  |
| ممهد الملك وسيـ                    | ف الحق والليث الجري              |
| خليفة الله الذي                    | فاق بحسن السير                   |
| وكان منه الخُبرُ في الـ            | علياء وفق الخبر                  |
| فصدق التصديق من                    | مرآه للتصور                      |
| ومستعين الله في                    | ورد له وصدور                     |
| فاق الملوك الصيد <sup>4</sup> بالـ | مجد الرفيع الخطر                 |
| فأصبحت ألقابهم                     | منسية لم تذكر                    |
| وحاز منهم <sup>5</sup> أوحد        | وصف العديد الأكثر                |
| برأيه المأمون أو                   | عسكره المظفر <sup>6</sup>        |
| بسيفه السفاح أو                    | بعزمه المقتدر                    |
| بالعلم المنصور أو                  | بالذابل المستنصر <sup>7</sup>    |
| بابن <sup>8</sup> الإمام الطـ      | اهر البر الزكي السير             |

<sup>1</sup> في النفح: ((ممتري)). والممترى: هو الذي يشك في شيء ما.

<sup>2</sup> نفسه: ((وهو)).

<sup>3</sup> نفسه: ((الغلا)).

<sup>4</sup> في النفح: ((الصيدا)).

<sup>5</sup> نفسه: ((منه)).

<sup>6</sup> سيشير فيما يلي بتورية إلى بعض الخلفاء العباسيين.

<sup>7</sup> في النفح: ((المنتصر)).

<sup>8</sup> نفسه: ((يا ابن)).

مدحك قد علم نظـم      م الشعر من لم يشعر<sup>1</sup>  
 جهد المقل اليوم من      مثلي كوسع المكثـر  
 فإن يقصر ظاهري      فلم يقصر مُضمري

كما أورد ابن الخطيب له هذه الأبيات؛  
 حين قال: ((ركب مع السلطان [ابن الأحمر]  
 خارج الحمراء؛ أيام ضربت اللوز قبأها  
 البيض، وزينت الفحص العريض، والروض  
 الأريض؛ فارتجل في ذلك:

[أنظر إلى النوار في أغصانه

يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك<sup>2</sup>

حيا أمير المسلمين وقال قد

عميت بصيرة من بغيرك مثلك<sup>3</sup>

يا يوسفاً حزت الجمال بأسره

فمحاسن الأيام تومي هيت لك<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نظم ابن مرزوق هذه الأبيات الأخيرة؛ بغرض إلقائها في المولد النبوي؛ أمام السلطان المريني أبي سالم إبراهيم بن علي؛ ولكن هذا الأخير لقي مصرعه قبل المولد النبوي في سنة 762هـ/1360م.

<sup>2</sup> سقط هذا البيت في الإسكوريال.

<sup>3</sup> أي عميت بصيرة من زعم أن لك مثيلاً.

<sup>4</sup> أي: هلم تعالى. وجاء هذا القول في الذكر الحكيم: ﴿وَعَلَّقَ الْأُبُورَ وَقَالَ هَيْتَ لَكَ﴾؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23. وقد أوردنا الآية كاملة من قبل.

أنت الذي صعدت به أوصافه  
فيقال فيه ذا ملوك أو ملك<sup>1</sup>

ومما قاله عند وداعه لأهل تونس:  
أودَّعُكُمْ وَأُثْنِي ثُمَّ أَثْنِي  
عَلَى مَلِكٍ تَطَاوَلَ بِالْجَمِيلِ  
وَأَسْأَلُ رَغْبَةً مِنْكُمْ لِرَبِّي  
بِتَيْسِيرِ الْمَقَاصِدِ وَالسَّبِيلِ  
سَلَامُ اللَّهِ يَشْمَلُنَا جَمِيعاً  
فَقَدْ عَزَمَ الْغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيلِ

وحليت بعض المراسلات؛ المتبادلة بين ابن  
الخطيب وابن مرزوق؛ بمقطوعات شعرية؛ منها  
هذه القطعة لابن مرزوق؛ التي رحب فيها  
بمقدم صديقه إلى مدينة فاس؛ للمثول بين يدي  
السلطان أبي عنان المريني:

يا قادمًا وافى بكل نجاح  
أبشر بما تلقاه من أفراح  
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها  
تتل المنى وتفز بكل سماح

<sup>1</sup> اقتبس هذا من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.  
سورة يوسف؛ من الآية: 31. وقد سبق إثبات الآية كاملة.

معنى الإمام أبي عنان يمين  
تظفر ببحر في العلى<sup>1</sup> طفاح  
من قاس جود أبي عنان ذي الندى<sup>2</sup>  
بسواه قاس البحر بالضحضاح<sup>3</sup>  
ملك يفيض على العفاة نواله  
قبل السؤال وقبل بسطة راح  
فلجود كعب وابن سعدى<sup>4</sup> في الندى  
ذكر محاه من نداه ماح  
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله<sup>5</sup>  
من أريحي للندى مرتاح  
بسط الأمان على الأنام فأصبحوا  
قد ألحفوا منه بظل جناح  
وهمى على العافين سيب نواله  
حتى حكى سح الغمام الساح  
فنواله وجلاله وفعاله  
فاقت وأعيت ألسن المداح

<sup>1</sup> في الاستقصا: ((بالندا)).

<sup>2</sup> في النفح: ((في الندى)).

<sup>3</sup> الضحضاح: الماء القليل.

<sup>4</sup> يقصد بكعب: كعب بن مامة بن عمرو الإيادي الذي يضرب المثل بجوده؛ أما ابن سعدى؛ فهو: أوس بن خالد ابن حارثة بن لام الطائي. يضرب به المثل في الجود والفضل.

<sup>5</sup> في النفح: ((ما إن سمعت ولا رأيت بمثله)).



وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت  
كل المنى تنقاد بعد جماح  
من كان ذا ترح فرؤية وجهه  
متلافة الأحزان والأتراح  
فانهض أبا عبد الإله تقز بما  
تبغيه من أمل ونيل نجاح  
لا زلت ترتشف الأمانى راحة  
من راحة المولى بكل صباح

— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن  
محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي  
بكر بن مرزوق التلمساني العجيسي المعروف  
بالحفيد (توفي بتلمسان سنة 842هـ/1438م)؛ وهو  
حجة في الفقه المالكي؛ ومن علماء النحو  
والأصول والحديث والتفسير وفنون أخرى؛ كما  
أنه ينظم الشعر. ومن مؤلفاته: كتاب المفاتيح  
المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا  
الخزرجية؛ وهو في العروض والقوافي، وكتاب  
إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم،  
وكتاب المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطسية،

وكتاب المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج؛ وخصصه لإجابة ابن سراج في بعض المسائل النحوية والمنطقية، وكتاب الروضة؛ وهو رجز في علم الحديث، وكتاب مختصر الحديقة؛ وهو مختصر مرجوز لألفية العراقي في علم الحديث؛ وكتاب المقنع الشافعي؛ أرجوزة في الميقات تحتوي على 1700 بيت، وأرجوزة في ألف بيت على الشاطبية، وأرجوزة في تلخيص المفتاح، وأرجوزة في تلخيص ابن البناء، وأرجوزة في جمل الخونجي، وكتاب نهاية الأمل في شرح الجمل؛ وهو في المنطق، وأرجوزة؛ اختصر بها ألفية ابن مالك، وكتاب اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة؛ وهو في الفقه والتفسير، وكتاب نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين، وكتاب الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي، وكتاب النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال للناقص؛ وهو في سبعة كراريس؛ رد فيه على فتوى الإمام قاسم

العقباني، ومختصر كتاب الحاوي في الفتاوى؛ لابن عبد البر التونسي، وكتاب الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الإنصاف، وكتاب الروض البهيج في مسألة الخليج، وكتاب أنوار الدراري في مكررات البخاري، ورسالة في ترجمة إبراهيم المصمودي، وكتاب برنامج الشوارد، وكتاب تفسير سورة الإخلاص؛ اتبع فيه طريقة الحكماء، وشرح على ابن الحاجب، وشرح على التسهيل، وثلاثة شروح على البردة: الأول عرف بالأكبر؛ هو إظهار صدق المودة في شرح البردة؛ كل بيت يشتمل على سبعة فنون، والثاني عرف بالأوسط، الثالث عرف بالأصغر؛ وهو الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب. وله أيضا بعض الكتب لم يتمكن من إكمالها؛ وهي: روضة الأريب في شرح التهذيب، والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل، وإيضاح المسالك في شرح ألفية ابن مالك، وعقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد، والآيات

الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدليل  
الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، وشرح  
صحيح البخاري؛ بعنوان المتجر الرياح والمسعى  
الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق  
السميح في شرح الجامع الصحيح؛ وهو في  
جزأين. ومما قاله عن تلمسان نظما:

بَلَدُ الْجِدَارِ مَا أَمَرَ نَوَاهَا  
كَلَفَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا  
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا  
يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَا

وقال فيها أيضا ضمن أرجوزة في علم  
الحديث:

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ ذَكَاءٍ وَفِطْنٍ  
فِي رَابِعٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ قُطْنٍ  
يَكْفِيكَ أَنَّ الدَّأُودِيَّ بِهَا دُفْنٍ  
مَعَ ضَجِيعِهِ ابْنُ غَزَلُونِ الْفِطْنِ

— ثم أبو زكرياء شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي ابن عمر بن عَقِيل الزرمانى العَجِيسى (توفي بالقاهرة سنة 862هـ/1457م)؛ فقيه مالكي، وعالم في النحو، وعلوم العربية، وتاريخ الصحابة؛ كما أنه مشارك في علوم أخرى كثيرة. رحل إلى القاهرة سنة 804هـ/1401م؛ وولي تدريس المذهب المالكي بالشيخونية، وجامع ابن طولون، والأشرفية القديمة، والخروبية. من مؤلفاته: شرح على ألفية ابن مالك؛ في أربعة مجلدات؛ بالإضافة إلى بعض الشروح الأخرى على الألفية أيضاً، وشرح على البخاري؛ لم يكتمل، وكتاب التذكرة.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب التلمساني العَجِيسى الشهير بالعبادي (توفي بتلمسان سنة 868هـ/1463م).

— ثم بدر الدين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العَجِيسى (ت: سنة 871هـ/1466م)؛ فقيه مالكي، ونحوي؛ اشتغل في تدريس الفقه بمصر؛ في جامع ابن طولون، والأشرفية، والخروبية.

— ثم سليمان بن صالح بن علي بن حسن ابن علي البجائي العجيسي (توفي بمكة سنة 884هـ/1479م)؛ فقيه مالكي، له مشاركة في علوم عديدة؛ رحل إلى الحج؛ واختار الإقامة بمكة المكرمة.

— ثم ولده محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العجيسي؛ المعروف بالكفيف (توفي بالقاهرة سنة 901هـ/1495م)؛ وهو ولد ابن مرزوق الحفيد؛ كان من أعلام الفقه المالكي. له مؤلفات عديدة؛ منها: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب، ورورضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين: الهواري، والتازي، وأبركان، والغماري، ثم كتاب تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

— ثم محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى ابن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العجيسي؛ المعروف بالسيط؛ لأنه سبط ابن مرزوق الحفيد) كان حيا سنة 920هـ/1514م)؛ وهو فقيه، ومحدث.

000

أما أهل السيف، والسياسة من العجيسيين؛ فلم تشر إليهم المصادر المتوافرة حتى الآن؛ ولا يوجد تفسير لهذا الصمت؛ سوى أن هذا القبيل كانت له اهتمامات أخرى غير الحرب والسياسة؛ تبعاً لما كان عليه حالهم من الضعف ووهن الشوكة. غير أن هناك استثناء واحداً ويتمثل في شخص:

— داود بن إبراهيم العجيسي (كان حياً سنة 323هـ/934م)؛ ولي على تيهرت؛ أيام الدولة الفاطمية.

\*\*\*

— مواطنهم: كانت مواطن عجيسة مجاورة لمواطن قبيلة تلكاتة الصنهاجية؛ بالمغرب الأوسط. ويقول ابن خلدون أن بقاياهم — في وقته — كانوا متواجدين في ضواحي تونس، وفي الجبال المشرفة على المسيلة. أما مواطنهم الأولى فهي في الجبل الذي بنيت فيه قلعة بني حماد؛ قرب المسيلة. وقد تغلبت عليه قبائل عياض الهلالية؛ حتى أصبح يسمى باسمهم. ويقول موسى لقبال أن اسم عياض حرفته العامة؛ حتى صار معضادا، ومعاضيد؛ كما

يسمون في الوقت الحاضر. وعليه فقد أصبح  
 جبل عجيسة، أو عياض — بعد ذلك — يسمى  
 جبل المعاضيد.<sup>1</sup>

## É É É

### 6 — كتامة:

وهم أبناء كتام أو (كتم) بن برنس.  
 وقد اختلفت الآراء حول الأصل الأول لكلمة  
 كتامة؛ فمن قائل.. بأنها اسم علم؛ لشخص  
 ينتسب إليه أبناء هذه القبيلة. وقائل بعلاقتها  
 بمعنى الكتمان. وقائل آخر بعلاقتها — بشكل  
 ما — مع كلمتي: الكتيم؛ التي أطلقها ابن  
 خلدون على سكان إيطاليا؛ عند احتكاكهم  
 بالقرطاجيين. أو القطيم؛ التي ترمي إلى معنى؛  
 ينسجم مع الشذوذ الخلقي. وقد قام الدكتور  
 موسى لقبال بتحليل هذه الآراء كلها؛ ثم ركز  
 على النقوش البيزنطية؛ المكتشفة في مواطن كتامة  
 القديمة؛ (في فج فيدول Col de fedoules)؛ بين ميله،  
 وجيجل. تلك النقوش التي وردت فيها عبارتان  
 هامتان؛ هي: Ucutamii أو Ucutumani والعبارة الأخيرة  
 وضعت في صيغة الجمع؛ لدى اللاتينيين؛ وهي  
 تقابل كلمة كتاميين العربية. ومن هنا ننضم

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 295 — 296. دور كتامة، ص ص: 70 — 71.



إلى رأي لقبال؛ الذي يميل إلى وجود اسم كتامة؛ قبل الفتح؛ حيث كان يدل على مجموعة من الناس؛ يعيشون في ظل نظمهم الخاصة؛ بالمناطق المعروفة الآن كمواطن لكتامة.<sup>1</sup> وبطون كتام جميعها تجتمع في ولديه الاثنين: غرسن، ويسودة. وعنهما تفرعت بطون كتامة كلها؛ فمن بطون غرسن: إيان وقلان وماوطن مُصالة ومَعَاذ ويناوة وينطاسن. وتفرع عن إيان: ملوسة. أما يناوة فتفرع عنهم بطون: جيملة ووهيصة ومسالتة. وينطاسن — هم الآخرون — تفرع عنهم: إجانة وأوفاس وغسمان. أما بطون يسودة بن كتام؛ فهم: دُهاجَة وفلاسة ومَتَوَسَة ووريسن. ويقول ابن خلدون أن قصور كتامة بالمغرب — في وقته — تنسب إلى دُهاجَة. وهذه أهم بطون كتامة؛ التي اتفق عليها النسابون. ولكن.. نلاحظ — خلافا لما اتفق عليه نسابة الأمازيغ كلهم — فابن حزم ينسب زواوة إلى كتامة. وكما يقول ابن خلدون أيضا؛ أن ((البرابرة)) ينسبون: بني

<sup>1</sup> دور كتامة، ص ص: 93 — 97.

قَنْسِيلَة وَمَصَالَة وَهَشْتِيَوَة إِلَى كَتَامَة. وَرَبْعَا  
يَقْصِد بِعِبَارَة ((الْبَرَابِرَة)) نَسَابَتَهُمْ.<sup>1</sup>

وَيَسْتَحْسِنُ الْإِسْتِعَانَة - فِي هَذَا الْبَاب - بِمَا  
قَامَ بِهِ مُوسَى لِقِبَالِ مَنْ تَحْقِيقَاتُ تَتَعَلَّقُ  
بِطَوْنِ كَتَامَة. مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ تَفَرَّعَ عَنْ إِيَّانِ  
ابْنِ غَرْسَن: قَبِيلَة مَلُوسَة؛ الَّتِي تَنْسَبُ إِلَيْهِمْ  
بَلَدَة مَلُوزَة الْجَزَائِرِيَّة؛ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ. وَقَبِيلَة  
مَلُوسَة أَوْ مَلُوزَة مَا زَالَتْ مَعْرُوفَة؛ وَهِيَ مُتَوَاجِدَة  
قَرَبَ الْمَسِيلَة؛ بِالْجَزَائِرِ. كَمَا تَوْجَدُ بَقِيَّةُ مِنْهُمْ؛  
ضَمَّنَ قَبِيلَة أَنْجَرَة؛ الْمُسْتَقَرَّةَ بَيْنَ سَبْتَة، وَطَنْجَة؛  
حَيْثُ تَوْجَدُ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ بَلَدَة سَمَاهَا  
الْبَكْرِي مَلُوثَة؛ وَمِنْهُمْ - أَيْضًا - فَرْعُ بَنِي  
زَلْدَوِي الْمَوْجُودُونَ بِالْجِبَالِ الْمَشْرِفَةِ عَلَى  
قَنْسَطِينَة؛ وَيَعْرِفُونَ بِ- بَنِي زُونْدَاي؛ حَيْثُ  
كَانَتْ تَقَامُ بَيْنَهُمْ سُوقُ زَنْدَاي؛ فِي أَيَّامِ الْجُمُعَة  
مِنْ كُلِّ أَسْبُوع؛ وَقَدْ اشْتَهَرُوا بِالشَّدَّةِ،  
وَالْخِلَافِ، وَالتَّمَرْدِ، وَتَعَدَّدَ الْفِتَنُ فِيمَا بَيْنَهُمْ.  
وَمِنْ مَلُوسَة جَمَاعَاتُ أُخْرَى؛ أَنْدَرَجُوا ضَمَّنَ  
قَبِيلَة أَوْلَادِ عَبْدِ النُّورِ؛ إِلَى الشَّرْقِ مِنْ جَبَلِ  
غَرْوس؛ ثُمَّ إِنْ مَدِينَة تَامَالُوس؛ الْقَرْيَة مِنْ  
الْقَلِّ تَنْتَمِي هِيَ الْأُخْرَى إِلَى مَلُوسَة. وَعَنْ قَلَانِ

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 302.

ابن غرسن؛ يقول موسى لقبال أن بلدة قلال القرية من سطيف لها علاقة ما؛ بهم؛ وإن تعرض الاسم للتصحيف. كذلك ماوطن بن غرسن؛ وهم بنو ماوطن؛ الذين ينتسب إليهم كادو بن مُعارك الماوطي؛ ذلك الصبي الذي نصبتة جماعة من كتامة بمثابة الإله؛ إذ اتخذوه قبله يصلون إليه، وكتبوا صفحات زعموا أنها نزلت عليه؛ ثم سموه المهدي؛ كل هذا بسبب العصبية الكتامية؛ التي تحركت في داخلهم؛ بعد أن فاض مرجلها، وتململت من سباتها؛ غيرة على أبناء العم المقتولين بالقيروان. ثم مُصالة بن غرسن؛ وهو الذي يرجع إليه - حسبما يبدو - فج مصالة أو فج مزالة؛ المعروف حالياً. ثم معاذ بن غرسن؛ الذي يبدو أن بني معاذ - القرية من المليية - تنتسب إليه. أما يناوة بن غرسن؛ فأهم بطونهم هي: قبيلة جيملة؛ وهم موجودون - في هذه الأيام - على ضفاف وادي جندين؛ إلى جوار جيجل؛ وقد يمتد انتشار أحيائهم حتى نواحي العلمة. ويطلق اسم هذه القبيلة - بعد تصحيفه - على المدينة الرومانية الأثرية Cuiculum المعروفة حالياً بـ جيملة. ثم قبيلة

**مسالقة؛** التي توجد بقية منهم؛ يدعون بهذا الاسم؛ وهم مندرجون ضمن قبيلة الساحل القبلي بدوار (تالا إفاسين)؛ هم بين آقبو، وسطيف؛ بالجزائر؛ وربما سمي باسمهم وادي **مسالقة** الواقع بين مدينتي: قالمه، وعزابة؛ بعد أن صحفته ألسن العامة. ثم لهيصة؛ التي لم يبق منهم أثر يذكر؛ على الرغم من ظهورهم، ونشاطهم؛ أيام الدعوة الفاطمية. أما ينطاسن بن عرسن؛ فمنهم: قبيلة إجانة؛ التي تكون بقاياهم موجودة بين الملية، والطاهير؛ وبين جبل سادات، والمسيد؛ حيث تعرف تلك المنطقة — بعد تصحيفها — بـ **أرجانة**؛ كما يسمى أحد أودية تلك الجهة بوادي أرجانة. وربما انتسبت إليهم فئة تسمى **ورجانة**؛ وهي متواجدة في جهات جبل شلية بالأوراس؛ وتتواجد فئة أخرى في محيط سدراتة. أما **أوفاس**؛ فلا نعرف عنهم — في الحاضر — سوى اسم **تالا إفاسين**؛ بين آقبو وسطيف؛ والتي سبق ذكرها عند الكلام عن **مسالقة**. أما **غسمان**؛ فوردت في بعض المصادر — أيضا — **عثمان**؛ وربما كانت التسمية الأخيرة هي الصحيحة؛ بدليل وجود حي بهذا الاسم؛ قرب

فج مزالة؛ في سفح جبل الحلفا؛ كما توجد مدينة باسم العثمانية؛ وتقع على وادي العثمانية أيضا؛ وهي قرية من قلعة تازروت؛ موطن قبيلة عثمان قديما؛ وإلى هذه القبيلة ينسب بنو عثمان؛ ويوجدون في حوز مكناسة بالمغرب الأقصى.

هؤلاء هم أبناء غرسن بن كتام؛ أما أبناء يسودة بن كتام فهم: **دهاجة** أبناء **يسودة**؛ ومنها بطن بالاسم نفسه؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة زردازة (دوار بوطيب)؛ المتواجدة بين سكيكدة، وعنابة؛ حيث يوجد سد زردازة؛ كما كان يوجد بالقرب من سكيكدة ميناء باسم دهاجة؛ ذكره اليعقوبي في كتاب البلدان. وذكر النعمان قبيلة باسم دهاجة؛ بين قبائل ميلة. ونسب إليهم البكري موزعا سماه قصر دهاجة؛ قال أنه بالقرب من جبل صرصر؛ بالمغرب الأقصى. أما **فلاسة** أبناء **يسودة**؛ فلا نعرف عنهم شيئا. أما **متوسة** أبناء **يسودة**؛ فهم معروفون الآن؛ بالقرب من مدينة عين البيضاء الجزائرية؛ حيث اندمج أبناؤهم ضمن قبيلة الحراكتة؛ كما يوجد بطن منهم يدعى متوسين؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة جيملة السابقة الذكر؛ بالقرب من بجاية؛ توجد قرية

بقيت إلى اليوم؛ تسمى متوسة. أما وريسن أبناء يسودة؛ فمن آثارهم قرية الوريسية؛ القرية من إيكجان؛ يبدو أن لها علاقة ما باسم وريسن. وثمة قبيلتان من كتامة؛ ولكن.. لا يُعرف تسلسل نسبهم؛ في أبناء كتام؛ مع أن جل النساين، والمؤرخين يعدونهم من بين قبائل كتامة؛ وهاتان القبيلتان هما: بنو ثابت، وسدويكش.<sup>1</sup>

وقد أزال موسى لقبال بعض الغموض الذي يكتنف هاتين القبيلتين؛ حين قال عن سدويكش أنهم اختاروا الحياة في التلول والسهول؛ من مواطن كتامة القديمة. وأبناء هذه القبيلة عُرفوا لدى العامة؛ بقبائل الحدره. وكلمة الحدره — هنا — صُحفت؛ بسبب لهجة سكان المنطقة؛ من كلمة حضره؛ بمعنى حاضرة؛ أي مدينة؛ إلى كلمة حدره. وكما هو معروف؛ فإن لهجة أبناء المنطقة تنطق الذال دالا. أما بنو ثابت فقد ظلوا في مواطنهم الجبلية الأولى. وعليه.. يمكننا — بواسطة هذا التفسير — كشف اللغز الذي تسبب في حيرة ابن خلدون؛ حين قال أنه يجهل إلى أي القبائل من

<sup>1</sup> أنظر دور كتامة، ص ص: 98 — 111.

كتامة تنتمي هاتان الفئتان (سدويكش وبنو ثابت)؛ وإن كان متيقنا من انتسابهما إلى كتامة. والحقيقة هي أنهما عبارة عن تجمعات قبلية؛ شملت بقايا البطون الكتامية؛ السابقة الذكر؛ فأضحت جميعها تسمى بهذين الاسمين المستحدثين؛ بعد أن أضحوا ينفرون من نسبتهم القديمة لكتامة؛ كما ذكر ابن خلدون: ((وهم ينتفون من نسب كتامة، ويفرون منه؛ لما وقع منذ أربعمئة سنة؛ من النكير على كتامة؛ بانتحال الرافضة، وعداوة الدول بعدهم؛ فيتفادون بالانتساب إليهم. وربما انتسبوا إلى سليم؛ من قبائل مضر؛ وليس ذلك بصحيح. وإنما هم من بطون كتامة)).<sup>1</sup> وجملة القول.. تعتبر قبائل كتامة من أشهر القبائل الأمازيغية، وأوفرها عدداً، وأمضاها عصبية. وهم من أهل المدر المستقرين في بيوت مبنية بالطين والحجر. مع بعض الاستثناءات الطفيفة؛ التي تخص جماعات من بني سدويكش؛ التي اختارت حياة البدو، والانتجاع. كما تعتبر كتامة من أهم القبائل الأمازيغية التي تركت أثراً بارزاً في تاريخ المغرب

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 304.

الإسلامي؛ بل تركت أثرا عظيما في التاريخ الإسلامي ككل؛ في المغرب والمشرق. وعلى الرغم من كون هذه القبيلة العظيمة لم تتوصل - منفردة - إلى إقامة دولة خاصة بأبناء كتامة؛ إلا أنها تمكنت - بفضل تضحيات أبنائها، وأبناء صنهاجة - من تشييد إمبراطورية إسلامية عظمى للفاطميين؛ أحفاد علي بن أبي طالب.

وإذا كانت عشائر بني سدويكش قد اختارت حياة البدو، بسكنى الخيام، وامتلاك الأغنام، والبقر، والجمال؛ فإن إخوانهم من بني ثابت ظلوا على عادات أسلافهم؛ في سكنى المدر، والاعتزاز بجبالهم الوعرة الشاهقة. وكانت للبطنين المذكورين ارتباطات طاعة، وخضوع نحو دول المنطقة؛ إذ التزمت عشائريهم جميعا؛ بإعطاء الضرائب المستحقة. وقد تولى بعض أبناء بني ثابت مهام سامية في الدولة الحفصية؛ منهم حسن بن ثابت الذي تولى منصب الحجابة؛ في ديوان السلطان أبي يحيى زكرياء الحفصي. ويبدو أن مهام موظفي الدولة من بني ثابت؛ انحصرت في أعمال الجباية، وجمع المغارم. وقد بقي بنو ثابت على هذه الحال؛ انطلاقا من عهد عبد المؤمن ابن علي؛



وحتى عهد أبي العباس الحفصي؛ الذي أزال  
مشيخة بني ثابت، وأدجهم في عداد جنده،  
وحاشيته.

! ! !

— أعيانهم: أما رجالات كتامة، وأعيانها؛ فهم  
كثيرون؛ في مختلف العهود؛ ظهر أكثرهم بدءاً  
بالعهد الفاطمي. ونبدأ — هنا — بالحديث عن  
علمائهم، ثم ننتقل إلى زعمائهم السياسيين،  
والعسكريين:

— أبو علي حسن بن سعد بن إدريس  
خلف بن رزيق بن كسلة بن مليكة  
القرطبي الكتامي (ت: سنة 332هـ/942م)؛ فقيه؛  
من أهل الصلاح؛ رحل مرتين إلى المشرق؛  
فزار مصر، ومكة، واليمن، وبغداد. قال عنه  
ابن الفريسي: ((وكان يذهب إلى النظر، وترك  
التقليد؛ ويميل إلى قول محمد بن إدريس  
الشافعي. وكان يحضر الشورى؛ ولما رأى الفتيا  
دائرة على مذهب المالكيين؛ ترك شهودها،  
ولزم بيته... وكان شيخاً صالحاً؛ لم يكن  
بالضابط جداً)).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> تاريخ علماء الأندلس، ص: 110.

— ثم أحمد بن عبد الله بن موسى الكتامي المعروف بابن العجوز (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان فقيهاً، وشاعراً؛ وهو من بيت علم في المغرب.

— ثم أبو زيد عبد الرحمن بن مسعود الكتامي المعروف بابن عامر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه مالكي.

— ثم أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد ابن عبد الرحمن السبتي الكتامي المعروف بابن العجوز (ت: سنة 418هـ/1027م)؛ مفتي، وفقيه؛ عالم بالمذهب المالكي؛ له رواية واسعة بإفريقية، والأندلس ومفتي.

— ثم أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الطنجي الكتامي المعروف بابن أبي الربيع (توفي قبل 440هـ/1048م)؛ من المتخصصين في القراءات؛ قام بإقراء الناس في بيجانة، والمريّة بالأندلس. وله رحلة إلى المشرق.

— ثم عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد السبتي الكتامي المعروف بابن العجوز (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ فقيه، ومفتي؛ كان من أهل الفضل، والاستقامة.

— ثم عبد الواحد بن فتوح الزواق الكتامي المعروف بالمنبز (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ قال عنه ابن رشيقي: ((وهو كتامي؛ نشأ بتونس؛ وبها تأدب. وهو شاعر مفلق؛ قوي أساس الشعر، وأركانه؛ وثيق دعائمه وبنياته؛ كأنه أعرابي بدوي؛ يركب ظهر الشعر؛ ويخوض بحر الفكر. يتكلف بعض التكلف؛ وفي قصائده طول. عريان الظاهر من حلية الأدب؛ لغفلة في طبعه، وثقل في سمعه)).<sup>1</sup> من شعره؛ ما قاله في وصف ديك:

وَهَبَّ لِلْأَطْيَارِ ذُو خَبْرَةٍ  
عَنْهُ بِمَا يُعْرَبُ عَنْ خُبْرَهَا  
فَنَصَّ جِيدًا وَرَقَى مَنَبْرًا  
دَارَ الَّذِي عَوَّدَ مِنْ خِدْرَهَا

<sup>1</sup> الأتموزج، ص: 226.

وَاسْتَفْتَحَ الصَّوْتَ بِتَصْنِيقِهِ اسْمَ  
 تَفْتَحَ ذَاتِ الطَّارِ فِي شَعْرِهَا  
 فَبَلَّلَ الْبُلْبُلَ فِي غَصْنِهِ  
 وَأَرَقَّ الْوَرَقَاءَ فِي وَكْرِهَا  
 كَأَنَّمَا تُوجَّحُ يَاقُوتَةٌ  
 فَأَتَّخَذَ الشَّنْفَيْنِ مِنْ شَطْرِهَا  
 كَأَنَّمَا يَخْطُرُ فِي حُلَّةٍ  
 مِنْ عَدْنِي الْوَشْيَ لَمْ يَشْرِهَا

وله أيضا:

وَمَلَاةَ زَنْجِيَةٍ كَبُطُونِ الْـ  
 رَّاحِ مَرَّتْ بَعِيدَةَ الْأَرْجَاءِ  
 قَدْ تَجَشَّمْتُ هَوْلَهَا وَدَجَى اللَّـ  
 سِيلِ كَذِيلِ الْغِفَارَةِ السَّوْدَاءِ

ويصف فرس؛ فيقول:

مُحْلَوْلُ الصَّهْوَةِ مِثْلَ الْمَدْوَكِ  
 يَعْدُو وَمُعْدِيهِ بِلَا تَحَرُّكٍ  
 كَأَنَّهُ فَوْقَ مَهَادٍ مَّتَّكٍ  
 يَضْحَكُ لِلْعَيْنِ وَلَمَّا يَضْحَكُ  
 ذُو مُقْلَةٍ تَنْظُرُ فِي مُحْلَوْلِكَ  
 كَأَنَّهَا فِلْذَةُ قَلْبِ الْمَشْرِكِ

وعن وصفه للحمّام الداجن؛ قال ابن  
رشيّق: ((لا أعرف أحدا وصفه بمثل هذه  
الصفة))؛ إذ قال:

يَجْتَابُ أَرْدِيَةَ السَّحَابِ بِخَافِقِ  
كَالْبَرْقِ أَوْ مَضَ فِي السَّحَابِ فَأَبْرَقَا  
لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ الْجَنُوبَ لِغَايَةِ  
يَوْمًا لَجَاءَكَ مِثْلُهَا أَوْ أَسْبَقَا  
يَسْتَقْرِبُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ مَذْهَبًا  
وَالْأَفَقَ ذَا السَّقْفِ الرَّفِيعَةِ مُرْتَقَى  
وَيَظِلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَاءَ بِخَافِقِ  
فِي الْجَوِّ تَحْسِبُهُ الشَّهَابَ الْمُحْرِقَا  
قِسُّهُ بِأَعْتَقِ كُلِّ حَامِلٍ رِيشَةٍ  
مِمَّا يَطِيرُ تَجَدُّهُ مِنْهُ أَعْتَقَا  
يَبْدُو فَيَعْجَبُ مَنْ يَرَاهُ لِحُسْنِهِ  
وَتَكَادُ آيَةُ عِتْقِهِ أَنْ تُنْطَقَا  
مُتَرَقِّقَا مِنْ حَيْثُ دُرْتُ كَأَنَّمَا  
لَبَسَ الزُّجَاجَةَ أَوْ تَجَلَّبَبَ زُبُّقَا

وقال في القاضي جعفر بن عبد الله  
الكوفي:

حُرُّ الْمُرُوءَةِ وَالْأُبُوءَةِ سَيِّدُ  
يَنْمِي لِأَشْرَفِ سَادَةِ أَخْيَارِ

الْقَاطِعِينَ نِيَاطَ كُلِّ مُبَالِغٍ  
 فِي الْمَدْحِ تَحْتَ دَقَائِقِ الْأَفْكَارِ  
 كَأَنُورًا إِذَا بَخَلَ السَّحَابُ بِمَائِهِ  
 وَهَبُوا سَحَائِبَ فَضَّةٍ وَنُضَارِ  
 يَا صَيْرُفِيَّ بَنِي الزَّمَانِ أَمَا تَرَى  
 عِزَّ الْفُلُوسِ وَذِلَّةَ الدِّينَارِ  
 وله في العتاب:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ عَلِيِّنَ مَنَزَلَتِي  
 فِي وَدَّكُمْ وَإِذَا بِي أَسْفَلَ الدَّرَكِ  
 يَا حُسْنَ وَدِّي لَوْ أَنِّي نَعِمْتُ بِهِ  
 فِيكُمْ وَفُزْتُ بِحُظٍّ غَيْرٍ مُشْتَرِكِ  
 يَا رَوْضَةَ شَائِنَهَا فِي عَيْنِ زَائِرِهَا  
 وَقَدْ نَزَّهَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَسَكِ

— ثم إبراهيم بن يعقوب السبتي الكتامي  
 (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس  
 للهجرة)؛ فقيه.

— ثم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن  
 جراح السبتي الكتامي (توفي حوالي عام  
 470هـ)؛ فقيه، وعالم بالتوحيد، والاعتقاد؛ كما  
 اشتهر بالقدرة على الحفظ. وهو من أصحاب  
 أبي الوليد الباجي؛ حتى أنه كان يستخلفه في  
 تدريس طلابه عندما يسافر.

— ثم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم  
ابن أحمد الكتامي المعروف بابن العجوز  
(توفي بفاس سنة 474هـ/1081م)؛ فقيه من بيت  
علم؛ ولي قضاء فاس.

— ثم أبو طاهر جعفر بن علي بن دواس  
الكتامي المعروف بقمر الدولة (توفي بعد عام  
500هـ/1106م)؛ وهو من مواليد مصر؛ ثم نشأ  
بطرابلس الشام. له شعر عذب الإنشاد، حسن  
المعاني، رشيق الألفاظ؛ كما كان يعزف على  
العود، ويجيد الغناء؛ وله أسلوب حسن في  
ذلك؛ انتقل إلى بغداد؛ حيث لقي بها حفاوة؛  
تليق به. من شعره:

إِنْ صَارَ مَوْلَايَ ذَا يَسَارٍ  
فَإِنِّي ذَلِكُ الْمُقِلُّ  
كَالشَّمْسِ إِنْ زِيدَتْ ارْتِفَاعاً  
يَقْصُرُ فِيءُ لَهَا وَظِلُّ

وله أيضاً:

لَمَّا رَأَيْتُ الْمَشِيبَ فِي الشَّعْرِ الْأَسَدِ  
— وَدَقْدَ لَاحَ صَحْتُ وَاحْزَنِي  
هَذَا وَحَقُّ الْإِلَهِ أَحْسَبُهُ  
أَوَّلَ خَيْطِ سُدِّي مِنَ الْكَفَنِ

وقال كذلك:

أَنَا مِمَّنْ إِذَا أَتَى صَاحِبُ الْبَيْتِ لِلْكَرَى  
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ كُلُّ وَقْتٍ عَنِ الْكَرَى

وقال:

لَا يَظُنُّ الْعَدُوُّ أَنَّ انْحِنَائِي  
كِبَرًا عِنْدَمَا عَدِمْتُ شَبَابِي  
ضَاعَ مِنِّي أَعَزُّ مَا كَانَ مِنِّي  
فَأَنَا نَاطِرٌ لَهُ فِي التُّرَابِ

وقال أيضا:

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا  
لَا تَعْجَبِي فَطُلُوعُ الْبَدْرِ فِي السَّدَفِ  
وَزَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ  
وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنْ الدُّرَّ فِي الصَّدَفِ

— ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن  
عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد  
الكتامي المعروف بابن العجوز (ت: سنة  
515هـ/1121م)؛ وهو من الذين سمع منهم الشيخ  
عياض. وقال فيه: ((من بيت علم وجلالة.  
فقيه ابن فقيه ابن فقيه ابن فقيه؛ خامس



خمسة. وعبد الرحيم أكبرهم في العلم، والجلالة، والأمانة؛ وهو المنتقل إلى سبتة من أصيلا؛ وأصلهم من بلدهم: كتامة... كان يميل إلى النظر، والحجة؛ ودرس الفقه ببلدنا. وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، ثم خلافة القضاء بالحضرة؛ وتوفي مصروفا عن ذلك<sup>1</sup>.

— ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الإشبيلي الكتامي (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ فقيه، وراوي. — ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسى الكتامي المعروف بابن المدرة (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من سكان قصر عبد الكريم؛ كان من أصحاب أبي العباس ابن العريف، وكان له عناية، واهتمام بالآداب.

— ثم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون البياسي الكتامي (توفي بعد عام 560هـ/1164م)؛ تصدر للإقراء، والخطبة، والصلاة في بياسة؛ كما ولي القضاء بها.

<sup>1</sup> القنية، ص ص: 69 — 70.

— ثم أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي (توف بتلمسان وهو في طريقه إلى مراكش سنة 584هـ/1188م)؛ عالم في الفقه والنحو والأدب؛ ولي قضاء بلنسية بالأندلس؛ فترك أثرا محمودا؛ ودرس بها الأصول فاستنفع الناس به؛ ثم ولي القضاء ببجاية أيضا.

— ثم محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد القسنطيني الكتامي المعروف بابن الشمني (ولد بقسنطينة سنة 593هـ/1196م)؛ وهو عالم في الحديث، والفقه. رحل إلى مصر؛ أين تصدر لتدريس الفقه، والحديث بجامعها؛ كما تولى خطة الشهادة بين الناس.

— ثم أبو علي حسن بن عمر القسنطيني الكتامي الشهير بابن الفكون (كان حيا سنة 602هـ/1205م)؛ وهو شاعر المغرب الأوسط في وقته؛ بدون منازع. قال فيه الغبريني: ((من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم؛ غزير النظم، والنثر؛ وكأهما أنوار الزهر. رحل إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز... وهو من الفضلاء، النبهاء؛ وكان مرفع المقدار، ومن له الحظوة والاعتبار.

وكان الأدب له من باب الزينة والكمال؛ ولم يكن يحترف به لإقامة أود، أو إصلاح حال<sup>1</sup>.

أما ابن القنفذ فذكر في الفارسية؛ بأن ابن الفكون مدح الناصر الموحي؛ عند وصوله إلى قسنطينة ((بقصيدة عظيمة)). ومن مؤلفاته: الرحلة؛ التي سجل فيها مشاهداته خلال تنقله من قسنطينة إلى مراكش، ثم ديوان شعر قال فيه الغبريني: ((وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم)). وهذه عينات من شعره؛ نبدأ بمقطع رائع تغنى فيه ببجاية:

دَعِ الْعِرَاقَ وَبَغْدَادَ وَشَامَهَا  
فَالنَّاصِرِيَّةَ مَا إِنْ مِثْلَهَا بَلَدُ  
بَرْ وَبَحْرٌ وَمَوْجٌ لِلْعُيُونِ بِهِ  
مَسَارْحُ بَانَ عَنْهَا الهمُّ وَالنَّكَدُ  
حَيْثُ الْهَوَى وَالْهَوَاءُ الطَّلُقُ مُجْتَمِعٌ  
حَيْثُ الْغِنَى وَالْمُنَى وَالْعِشَّةُ الرَّغْدُ  
وَالنَّهْرُ كَالصَّلِّ وَالْجَنَّاتُ مُشْرِفَةٌ  
وَالنَّهْرُ وَالْبَحْرُ كَالْمِرْآةِ وَهُوَ يَدُ

<sup>1</sup> عنوان الدراية، ص: 334.

فَحَيْثُمَا نَظَرْتَ رَاقَتْ وَكُلُّ نَوَا  
 حِي الدَّارِ لِلْفِكْرِ، لِلْأَبْصَارِ تَتَقَدُّ  
 إِنْ تَنْظُرِ الْبَرَّ فَالْأَزْهَارُ يَانَعَةُ  
 أَوْ تَنْظُرِ الْبَحْرَ فَالْأَمْوَاجُ تَطَّرُدُ  
 يَا طَالِبًا وَصَفْهَا إِنْ كُنْتَ ذَا نَصْفِ  
 قُلْ جَنَّةُ الْخُلْدِ فِيهَا الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

ثم قوله في بعض سادات بني عبد المؤمن؛  
 حيث تعض لجمال قصر الربيع:  
 عَشَوْنَا إِلَى نَارِ الرَّبِّيعِ وَإِنَّمَا  
 عَشَوْنَا إِلَى نَارِ النَّدَى وَالْمَحَلِّقِ  
 رَكِبْنَا بَوَادِيهِ جِيَادَ زَوَارِقِ  
 نَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنْ ضَوَامِرِ سُبُقِ  
 وَخُضْنَا حَشَاهُ وَالْأَصِيلُ كَأَنَّهُ  
 بَصْفَحَتِهِ تَبَدَّى مُرَوِّقِ زَبَقِ  
 وَسَيِّدُنَا قَدْ سَارَ فِيهِ لِأَنَّهُ  
 بِزَوْرِقِهِ إِنْسَانٌ مُقْلَةٌ أَزْرَقِ  
 فَقُلْتُ وَطَرْفِي يَجْتَلِي كُلَّ عُبْرَةٍ  
 وَزَوْرِقُهُ يَهْوِي بِهِ ثُمَّ يَرْتَقِي  
 أَيَا عَجَبًا لِلْبَحْرِ عَبَّ عُبَابُهُ  
 تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي بَطْنِ زَوْرِقِ

وَلَمَّا نَزَلْنَا سَاحَةَ الْقَصْرِ رَاعِنَا  
 بِكُلِّ جَمَالٍ مُبْهِجٍ الطَّرْفِ مُرْتَقٍ  
 فَمَا شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَرَيْفٍ وَجَدُولٍ  
 وَرَوْضٍ مَتًى تَلَمَّ بِهَ الرِّيحُ يَعْبِقُ  
 وَشَادِي مَعَانِي الْحُسْنِ فِي نَعْمَاتِهِ  
 يُطَارِحُهُ هَذِرُ الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ  
 فَيَا حُسْنَ ذَاكَ الْقَصْرِ لَا زَالَ أَهْلًا  
 وَيَا طَيْبَ رِيًّا نَشْرِهِ الْمُتَنَشِّقِ  
 رَتَعْنَا بِهِ فِي رَوْضَةِ الْأُنْسِ بَعْدَمَا  
 هَصَرْنَا بِهِ غُصْنَ الْمَسْرَةِ مُورِقِ  
 وَيُضْحِكُنَا طُولَ الْوَصَا وَرُبَّمَا  
 يَمُرُّ عَلَى الْأَوْهَامِ ذِكْرُ التَّفَرُّقِ  
 فَتَضْحَى مُوصُونَاتُ الدُّمُوعِ هَدَالَةَ  
 وَنَحْنُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدَّهْرِ أَبْلَقِ  
 لِمِثْلِهِمَا مِنْ مَنْزِهِ وَنَزَاهَةِ  
 يُجَرِّرُ ذَيْلَ الذَّيْلِ كُلِّ مُوَفَّقِ  
 فَلِلَّهِ سَاعَاتٌ مَضِيئِينَ صَوَالِحُ  
 عَلَيْنَهُنَّ مِنْ زِيِّ الصَّبَا أَيُّ رَوْنَقِ  
 خَلَعْنَا عَلَيْهَا النُّسْكَ إِلَّا أَقْلَهُ  
 وَإِنْ عَاوَدَتْ، نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِيَ

ثم يكمل قوله نثراً، ويتبعه بالشعر:

"ولما نضب ماء الأصيل، ورق نسيمه  
الليل، وهم العشي بالانصرام، وودع النهار  
بسلام، وأرخى الليل فوقنا سدوله، وجرر على  
الأفق ذيوله؛ عدنا إلى زورقنا ذلك، ومُحَيَّا  
الجو غير محتجب، ووجه الأفق غير متلفع  
بثوب الغمام ولا منتقب، وقد تشكلت  
الكواكب في الماء؛ فكأنما يجري بنا زورقنا في  
السماء. فأمرُوا أعزهم الله بوصف تلك الحالة؛  
فبادرهم بهذه العجالة":

وَلَيْلٍ مَسْرَّةٍ مَا زِلْتُ مِنْهَا  
أَمْرٌ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
لَبِسْتُ ثِيَابَهُ عِزًّا إِلَيَّ أَنْ  
تَحَدَّرَتِ النُّجُومُ مِنَ النُّجُومِ  
فَنَهَرٌ كَالسَّجَنَجَلِ قَدْ تَرَاءَتْ  
عَلَى شَطِئِهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ  
يَسُرُّ النَّفْسَ فِي نَظَرٍ وَشَيْمٍ  
مِنَ الْمَرَأَى الْوَسِيمِ أَوِ النَّسِيمِ  
تَشَكَّلَتْ الْكَوَاكِبُ فِيهِ حَتَّى  
جَرَتْ فِي قَعْرِهِ شُهُبُ النُّجُومِ

وَأَشْكَلَ مَنَظَرًا عُلُوءًا وَسُفْلًا  
 مِّنَ الْفَلَكَ الْأَثِيرِ إِلَى التُّخُومِ  
 فَمَا تَمْتَازُ أَرْضٌ مِّنْ سَمَاءٍ  
 وَحُوتُ الْمَاءِ مِّنْ حُوتِ النُّجُومِ

وهذه القصيدة أوردتها العبدري في رحلته؛  
 كما نقلها المقرئ في كتابه نفح الطيب؛ بعد  
 أن مهد لها بقوله: ((قصيدة مشهورة عند  
 العلماء بالمغرب؛ وهي من در النظام، وحر  
 الكلام؛ وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها  
 في ارتحاله من قسطينة إلى مراكش؛ وأولها:)).<sup>1</sup>

أَلَا قُلْ لِلْسَّرِيِّ ابْنِ السَّرِيِّ  
 أَبِي الْبَدْرِ الْجَوَادِ الْأَرِيحِيِّ

ومنها:

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا  
 سِوَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو غَيْرَ شَيْءٍ  
 فَلَمَّا جِئْتُ مِيلَةَ خَيْرِ دَارٍ  
 أَمَلْتَنِي بِكُلِّ رِشَا أَبِي

<sup>1</sup> ج: 2، ص: 483.

وَكَمْ أَوَّرَتْ ظِلَاءُ بَنِي وَرَارٍ  
 أَوَارَ الشَّوْقَ بِالرَّيْقِ الشَّهِيٍّ  
 وَجِئْتُ بِجَايَةٍ فَجَلْتُ بُدُورًا  
 يَضِيقُ بِوَصْفِهَا حَرْفُ الرَّوِيِّ  
 وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي  
 بِمَعْسُولِ الْمَرَاشِفِ كَوَثَرِيٍّ  
 وَفِي مِلْيَانَةٍ قَدْ ذُبْتُ شَوْقًا  
 بِلَيْنِ الْعُطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِيِّ  
 وَفِي تَنْسٍ نَسِيتُ جَمِيلَ صَبْرِي  
 وَهَمْتُ بِكُلِّ ذِي وَجْهِ وَضِيٍّ  
 وَفِي مَازُونَةٍ مَا زِلْتُ صَبًّا  
 بِوَسْنَانِ الْمَحَاجِرِ لَوْدَعِيٍّ  
 وَفِي وَهْرَانٍ قَدْ أُمْسَيْتُ رَهْنًا  
 بِظَامِي الْخَصْرِ ذِي رِدْفٍ رَوِيٍّ  
 وَأَبَدْتُ لِي تِلْمَسَانُ بُدُورًا  
 جَلَبْنَ الشَّوْقَ لِلْقَلْبِ الْخَلِيِّ  
 وَلَمَّا جِئْتُ وَجْدَةً هَمْتُ وَجْدًا  
 بِمُنْخَنَثِ الْمَعَاطِفِ مَعْنَوِيٍّ  
 وَحَلَّ رَشَا الرِّبَاطِ رَشَا رِبَاطِي  
 وَتَيَّمَنِي بِطَرْفِ بَابِلِيٍّ



وَأَطْلَعَ قُطْرُ فَاسٍ لِي شُمُوساً  
 مَغَارِبَهُنَّ فِي قَلْبِ الشَّجِيِّ  
 وَمَا مَكْنَسَةً إِلَّا كِنَاسٌ  
 لِأَحْوَى الطَّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَنِيٍّ  
 وَإِنْ تَسْأَلُ عَنْ أَرْضٍ سَلَا فِيهَا  
 ظَبَاءٌ كَاسِرَاتٌ لِلْكَمِيِّ  
 وَفِي مَرَاكِشٍ يَا وَيْحَ قَلْبِي  
 أَتَى الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرِيِّ  
 بُدُورٌ بَلْ شُمُوسٌ بَلْ صَبَاحٌ  
 بَهِيٌّ فِي بَهِيٍّ فِي بَهِيٍّ  
 أَبْحَنَ مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ لَمَّا  
 سَعَيْنَ بِهِ فَكَمْ مَيْتٍ وَحَيٍّ  
 بِقَامَةٍ كُلُّ أَسْمَرَ سَمْهَرِيٍّ  
 وَمُقْلَةٍ كُلُّ أَيْضَ مَشْرِفِيٍّ  
 إِذَا أَنْسَيْنَنِي حُسْنًا فَلِئَنِّي  
 أَنْسِيَهُمْ هَوَى غِيلَانَ مَيٍّ  
 فَهَا أَنَا قَدْ تَخَذْتُ الْغَرْبَ دَاراً  
 وَأَدْعَى الْيَوْمَ بِالْمَرَاكِشِيِّ  
 عَلَى أَنْ اشْتِيَاقِي نَحْوَ زَيْدٍ  
 كَشَوْقِكَ نَحْوَ عَمْرٍو بِالسَّوِيِّ

تَقَسَّمَنِي الْهَوَى شَرْقاً وَغَرْباً  
 فَيَا لِلْمَشْرِقِيِّ الْمَغْرِبِيِّ  
 فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ عَانٍ  
 وَجَسْمٌ حَلَّ بِالْغَرْبِ الْقَصِيِّ  
 فَهَذَا بِالْغُدُوِّ يَهِيْمُ غَرْباً  
 وَذَاكَ يَهِيْمُ شَرْقاً بِالْعَشِيِّ  
 فَلَوْلَا اللَّهُ مَتُّ هَوَى وَشَوْقاً  
 وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيِّ

— ثم أبو بكر محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون البياسي الكتامي (ت: سنة 604هـ/1207م)؛ أخذ القراءات عن أبيه وآخرين؛ ولي الصلاة، والخطبة ببلده بياسة. ويعتبر من القراء الماهرين؛ ومن أصحاب الضبط المحققين، وكان صحيح الرواية.

— ثم أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن خلصة القرطبي الكتامي (توفي بقرطبة في حدود عام 609هـ/1212م)؛ وهو أستاذ، وعالم في القراءات؛ ولي الخطابة بقرطبة، وقام بتدريس علوم العربية، وآدابها، والقراءات.

— ثم أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى القرطبي الكتامي المعروف بابن القطان (توفي بسلماسة سنة 628هـ/1230م)؛ وهو من علماء الحديث. كان بارعا في التمهيد، والنقد؛ مهتما بالضبط، والتقييد؛ عارفا بعلل الحديث؛ حريصا على ذكر الرجال، والتاريخ. ولي القضاء بسلماسة. ومن مؤلفاته: كتاب الوهم والإيهام الواقعيين على كتاب الأحكام؛ وهو نقد لأحكام أبي محمد عبد الحق بن الخراط الإشيلي، وله أيضا مقالة في الأوزان، وكتاب النظر في أحكام النظر، وبرنامج؛ ذكر فيه شيوخه، ونظم الجمان في أخبار الزمان.

— ثم أبو محمد عصام بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن يحيى بن خلسة القرطبي الكتامي (توفي بقرطبة سنة 631هـ/1233م)؛ متمكن من علوم اللسان؛ سواء كانت نحو أو لغة أو أدبا؛ وله إمام بالتاريخ؛ كما خلف أباه في الخطابة، والإقراء.

— ثم أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني الكتامي (توفي بمليانة سنة 644هـ/1246م)؛ عالم في العربية، والفقه، وأصول الدين؛ كما كان يميل إلى التصوف، وينكب على العبادة؛ له تقييدات على كتاب التلقين لمحمد بن علي المازري. وقد علق على ذلك الغبريني بقوله: ((وكان له في "التلقين" تقدم، ونظر لم يكن لغيره، ولم يكن مثل في غيره من الكتب؛ وإن كان الرجل إماما في الفقه؛ ولكنه في هذا الكتاب أجل من غيره من الكتب؛ وله عليه تقييد فيه تنبيهات خفيفة؛ سمعت أنه كمل بعض ما فات المازري على التلقين)).<sup>1</sup>

— ثم أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة السطيفي الكتامي (توفي ببجاية سنة 677هـ/1278م)؛ وهو صوفي؛ رحل إلى المشرق، وعاد؛ حيث استقر ببجاية. له كتاب في شرح أسماء الله الحسنى، وله أيضا تقييد في التصوف؛ وكان ينظم الشعر الصوفي؛ منه:

<sup>1</sup> عنوان الدراية، ص: 188.

أَتَتْ وَاللَّيْلُ مَمْدُودُ الْجَنَاحِ  
 تَعُودُ مُسْهَدًا رَطَبَ الْجِرَاحِ  
 فَقَالَتْ: كَيْفَ أَنْتَ وَلَا جَنَاحَ؟  
 فَقُلْتُ: الْعُودُ يَذْهَبُ بِالْجَنَاحِ  
 فَوَالْهَيْفَى عَلَى الشَّكْوَى لِسَارِ  
 وَوَاخْزَعِي لِإِعْجَالِ الصَّبَاحِ

— ثم أبو الحسن علي بن محمد بن علي  
 ابن يوسف الإشبيلي الكتامي المعروف بابن  
 الضايغ (ت: سنة 680هـ/1281م)؛ كتب عنه ابن  
 الخطيب نقلاً عن أبي جعفر بن الزبير: ((قال  
 الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: بلغ [ابن  
 الضائع] الغاية في الفن النحوي، وفاق أصحاب  
 الأستاذ أبي علي الشلوبين بأسرهم؛ وله في  
 مشكلات الكتاب العجايب. وقرأ ببلده أيضاً  
 علم الكلام، وأصول الفقه؛ وكان متقدماً في  
 هذه العلوم الثلاثة، متصرفاً فيها. أما فن  
 العربية، وعلم الكلام؛ فلم يكن في وقته من  
 يقاربه في هذين العلمين. أما فهمه، وتصرفه في  
 كتاب سيويه؛ فما أراه يسبقه في ذلك أحد.  
 وله إملاء على طائفة كبيرة من إضاح  
 الفارسي. وكان له اعتناء كبير بكلام

الفارسي على الجملة... وكان بالجملة إماما في هذا كله؛ لا يجارى)).<sup>1</sup> من مؤلفاته: شرح جمل الزجاجي؛ الكبير، والصغير، وكتاب شرح سيويه، والرد على ابن عصفور. وفيه يقول ابن الأزرق الوادي آشي:

بَضَائِعُكَ ابْنَ الضَّائِعِ النَّدْبَ قَدْ أَتَتْ  
بَحْظَ مَنْ التَّحْقِيقِ وَالْعِلْمِ مَوْفُورِ  
فَطِرْتَ عُقَاباً كَاسِراً أَوْ مَا تَرَى  
مَطَارَكَ قَدْ أَعْيَا جَنَاحَ ابْنِ عُصْفُورِ

— ثم أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن إسحاق الكتامي (توفي بأزمور سنة 693هـ/1293م)؛ وهو فقيه صالح.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الضرير التلمساني الكتامي المعروف بابن الخضار (ت: سنة 727هـ/1229م)؛ فقيه، ومن علماء الحديث.

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 4، ص: 120.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد عيسى الزنديوي (الكتامي) (ت: سنة 882هـ/1477م)؛ فقيه، ومفسر؛ ولي القضاء بمدينة قسنطينة في سنة 839هـ/1435م.

— ثم أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني (أو الغسماني) الكتامي (توفي بفاس سنة 929هـ/1522م)؛ فقيه؛ ولي الإمامة، والخطابة بجامع القرويين؛ كما كان شيخا للجماعة بفاس. وله مشاركة في التاريخ؛ من مؤلفاته: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. وفهرست بعنوان: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والنادي.

— ثم قاسم بن يحيى بن محمد الفكون القسنطيني الكتامي (ت: سنة 965هـ/1557م)؛ فقيه مالكي، ومفسر؛ له مشاركة في علوم عديدة؛ ولي القضاء، والإمامة بقسنطينة.

— ثم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني الكتامي (توفي في قسنطينة بالطاعون سنة 1073هـ/1662م)؛ وهو عالم المغرب الأوسط في وقته. كان أديبا ونحويا، وعالما في الحديث؛ جمع بين: علمي الظاهر، والباطن. وكان أميرا للحج؛ فهو الذي يقود

حجاج الجزائر إلى الديار المقدسة. تصوف؛ فأضحى منقبضا، ومترويا عن الناس؛ وترك كثيرا من العلوم الدنيوية التي كان — من قبل — مهتما بها، وكان إماما يقتدي الناس به فيها، وتعددت تأليفه عنها؛ وشهد له بالتقدم على أهل عصره فيها. ولما تذكر أعماله في تلك العلوم أمامه؛ يقول: "قرأتها لله، وتركتها لله". من مؤلفاته: شرح على البسط والتعريف في علم التصريف؛ للمكودي، وشرح على شواهد الشريف على الأجرومية، ورسالة محدد السنان في نحرور إخوان الدخان؛ وهي في تحريمه، وديوان في مدح النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ رتبته على حروف المعجم، وشرح جمل الجراد ومخارج الحروف من الشاطبية، وتأليف في حوادث فقراء الوقت؛ ربما كان هو منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية. هذا ونشر له المقرئ خطا بأرسله إليه، مع قصيدة؛ منها:

لَا زِلْتَ بَحْرًا بِكُلِّ فَنٍ  
يَرْوِي بِهِ الطَّالِبُونَ غَايَةَ



لَقَدْ تَصَدَّرْتَ فِي الْمَعَالِي  
 كَمَا تَعَالَيْتَ فِي الْعِنَايَةِ  
 مِنْ فِيكَ تُسْتَنْظَمُ الْمَعَانِي  
 بُلَّغْتَ فِي حُسْنِهَا النَّهَايَةَ  
 رَقَّاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَرْقَى  
 تَحْوِي بِهِ الْقُرْبَ وَالْوَلَايَةَ  
 أَعْجُوبَةُ مَا لَهَا نَظِيرٌ  
 فِي الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْهِدَايَةِ  
 بِجَاهِ خَيْرِ الْعِبَادِ طُرَا  
 وَالْآلِ وَالصُّحْبِ وَالنُّقَايَةِ  
 صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُهُ تَتَرَى  
 نُكْفِي بِهِ الشَّرَّ وَالْغَوَايَةَ

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم  
 ابن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني  
 الكتامي (توف بعد عام 1073هـ/1662م)؛ خلف  
 والده في إمارة الحج. وكان عالما في الفقه  
 المالكي.

ooo

هؤلاء بعض علماء، وأدباء كتامة؛ وبقي  
الآن الحديث عن رجال كتامة؛ ممن تخصص في  
فن السيف والسياسة. من هؤلاء:

— مهدي بن كناوة (أو أبي كناوة) اللهيصي  
الكتامي (توفي مقتولا بعد عام 288هـ/900م)؛  
وهو شيخ لهيصة، وزعيمها. كان فارسا  
مقداما، ومقاتلا شجاعا. عارض الدعوة الفاطمية  
منذ البداية؛ وظل في موقفه المعادي لأبي عبد  
الله الداعي؛ حتى قتله أخوه أبو مديني ابن  
كناوة؛ الذي كان متحمسا للدعوة الشيعية.  
وقد سجل القاضي النعمان خبره؛ فقال:  
(وكان جميع المؤمنين أنصار غشمان (أو  
غسمان أو عثمان)، والجماعة المخالفون أنصار  
لهيصة؛ وكان صاحب أمرهم مهدي بن أبي  
كناوة؛ وكان أخوه أبو مديني قد دخل  
الدعوة، وصار إلى أبي عبد الله مهاجرا؛  
وكانت له بصيرة ونية ونجدة. وكان أخوه  
مهدي من أشد فارس كان (هكذا) في  
عصره، وأهوله منظرا. يقال أنه كان أشعر  
البدن كله؛ هائل المنظر، شديد الضربة.  
فيقال: أن الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك  
الحروب؛ وقد زحف إليهم، والتحم القتال؛

وفي موضع المعركة مقبرة فيها قبور محجر عليها؛ فأدخلوا له رجالا من أشد من قدروا عليه في ذلك التحجير؛ وقدموا إليه فارسا ليجره إليهم؛ فشتمه، وأغضبه؛ فحمل عليه؛ وانجر له الفارس إلى موضع الرجالة؛ فرماه مهدي برمح؛ فأصابه؛ فأنفذه، وسقط الرمح بين يدي الفارس؛ وظن الناس أنه قد أخطأه؛ فما علموا أنه أصابه حتى رأوه قد سقط عن برذونه؛ وخرج الرجال على مهدي؛ فأخذوا عنانه، وأحاطوا به؛ وحملت الخيل عليه؛ فضرب في الرجالة؛ ففرقهم؛ وحمى نفسه من الخيل؛ وخلص منهم. فكان من شأنه من يومئذ أعجوبة؛ لم ير الناس مثلها)).<sup>1</sup> وهكذا لما عجز الآخرون عن قتل الخصم العنيد للدعوة؛ مهدي ابن كناوة؛ تولى أخوه أبو مديني المهمة. فتم له ذلك بواسطة مكيدة، وخيانة. وموت مهدي توحيد الحيان: غسمان ولهيفة؛ في ظل الدعوة الشيعية.

<sup>1</sup> رسالة افتتاح الدعوة، ص ص: 106 — 107.

— ثم فتح بن يحيى المسالتي الكتامي المعروف بالأمير (توفي مقتولا سنة 293هـ/905م)؛ وهو من أعيان كتامة المواليين للأغالبة. بقي على عدائه للشيعة حتى قتله أبو عبد الله الداعي؛ عندما فتح طبنة.

— ثم لاوه بن صوحان اللهيصي الكتامي (كان حيا سنة 288هـ/900م)؛ لم تشر إليه المصادر بعد عام 288هـ/900م. وهو العام الذي تأمر فيه مع أبي مديني لقتل أخيه مهدي. وقد ذكر القصة النعمان؛ فقال: ((وطالت الحرب بين الفريقين (قبيلة غسمان المناصرة للداعي، وقبيلة لهيصة المعادية له)؛ ينتصف بعضهم من بعض؛ فلما نظر أبو مديني إلى تمادي أخيه مهدي في غيه، وإصراره؛ اغتم لذلك وساءه؛ وكان ربما وقف إليه؛ فوعظه، ودعاه إلى الله، وخوفه، وحذره عقابه؛ فلا يزداد على ذلك إلا غيا، وتماديا. فلما رآه لا ينصرف عن ذلك؛ اجتمع مع فتى من لهيصة؛ كان قد صار إلى الدعوة، وهاجر إلى تازروت في من هاجر من المؤمنين؛ يقال له لاوة بن صوحان؛ وكان له شدة، ونجدة. فقال له أبو مديني؛ وقد خلا معه: "ويحك فقد ترى

تمادي مهدي؛ وما أكسبنا من العار، وأدخل  
لهيصة فيه؛ من الخلاف، والعصيان. ولو قد  
أراح الله منه لافترق أمر الهيصة، وصاروا إلى  
الدين. فقد رأيت أن وصاروا إلى الدين. فقد  
رأيت أن نجتمع؛ أنا وأنت؛ إذا التقينا، ونخرج  
ناحية إليه؛ على حسب ما كنت أفعله؛  
لنعظه، ونكلمه؛ فإذا أمكننا؛ رميناه جميعاً؛  
برمحين في ساعة واحدة؛ فإن اتقى؛ فلعله أن  
يتقي أحدهما؛ ولعل الله أن يريح منه، ويقطع  
أثره. فاتفقا على ذلك، وتعاقدا عليه. فلما  
التقوا للحرب؛ خرجا ناحية، ودعوا به؛  
فأقبل إليهما؛ وكلمه أخوه أبو مديني؛ بمثل  
ما كان يكلمه؛ حتى أنس إليه؛ ثم ضرباه  
جميعاً ضربة رجل واحد؛ فاختلف رمحاهما  
فيه؛ فسقط إلى الأرض. وحمل الأولياء عليه؛  
وحملت الهيصة؛ فاستنقذته، وحملته؛ فمات من  
جراحته تلك؛ بعد أن وصل إلى موضعه.  
وتفرق أمر الهيصة من بعده، وأقبلوا إلى  
الدعوة؛ واصطلح غشمان، وهيصة، وتآلفوا  
على الدين)).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> رسالة افتتاح الدعوة، ص ص: 107 — 108.

— ثم أبو مديني بن كناوة اللهيصي الكتامي (كان حيا سنة 296هـ/908م)؛ انضم إلى الدعوة الشيعية منذ بدايتها. وقد وصل تعصبه للدعوة؛ انه قتل أخاه مهدي؛ بعد استدراجه؛ وخيانة ثقته فيه. وقد أضحى منذ ذاك التاريخ محل ثقة أبي عبد الله الداعي؛ الذي كان يكلفه في المهام الصعبة؛ على رأس جيشه.

— ثم أبو زاكي تمام بن معارك بن ضبارة (أو دبّارة) الأجاني الكتامي (توفي مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من القادة الكتاميين الذين قامت على كاهلهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. وهو ممن يثق فيهم الداعي؛ إذ كان يوليه المهام الكبرى عند الحاجة. تأمر مع أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس على نقض طاعة عبيد الله الشيعي. فلما انكشف أمرهم قتلهم؛ وكان مقتل تمام بواسطة عمه ماقنون؛ الذي كان واليا على طرابلس؛ إذ بعثه إليه عبيد الله برسالة حملها معه؛ ولما فتحها عمه؛ وجد بها الأمر بقتل تمام. ولما عرضها قنون على ابن أخيه أجابه: "يا عم؛ نفذ ما أمرت به!" فنفذ فيه الأمر.

— ثم هارون بن يونس المسالتي الكتامي المعروف بشيخ المشائخ (ت: مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. قتله عبيد الله الشيعي بتهمة التآمر عليه مع عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس.

— ثم أبو حميد دواس بن صولات اللهصي الكتامي (توفي مقتولا بعد عام 299هـ/911م)؛ وهو من قادة كتامة الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية. ولاه أبو عبد الله الداعي تيهرت؛ بعد فتحها، وإسقاط الدولة الرستمية.

— ثم كادو بن معارك الكتامي المعروف بالمارطي (توفي مقتولا سنة 300هـ/912م)؛ كان صغير السن عندما قدمه قومه الكتاميون عليهم، وادعوا أنه المهدي الحقيقي. وفي هذا يقول ابن عذاري: ((ولحق من كان حوالي رقادة من كتامة ببلادهم. فلما حصلوا بها؛ أظهروا الخلاف على عبيد الله؛ وقدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطي؛ واسمه كادو ابن معارك، وجعلوه قبلة يصلون إليه؛ وزعموا أنه المهدي المنتظر؛ وكتبوا كتابا فيه شريعة؛ زعموا أنها نزلت عليه. فتغلب على

جميع الزاب؛ وقوي أمره، واشتدت شوكته. فأخرج إليه عبيد الله قواد؛ حاربوهم. وهرب إليهم أحد القواد؛ وهو صولات ابن جندة؛ في نحو مائتي رجل. ثم أخرج عبيد الله ابنه أبا القاسم إلى بلد كتامة؛ لمحاربة المارطي... وكانت له على المارطي وقائع. وهرب من قواد أبي القاسم إلى المارطي رجال؛ ثم أمنهم أبو القاسم، ولاطفهم حتى انصرفوا إليه<sup>1</sup>. ويبدو أن كلمة مارطي هي نتيجة للتصحييف الذي لحق كلمة ماوطي؛ نسبة إلى فخذ ماوطننت؛ التابع لبطن غرسن؛ من كتامة. هذا وقد تم قتل المارطي (أو بالأحرى ماوطي)، وأنصاره؛ بعد أسرهم، ونقلهم إلى رقادة.

— ثم حباسة بن يوسف الملوسي الكتامي (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ وهو أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وممن قامت على عاتقهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. كما تولى مهمة فتح سرت، وأجدابية، وبرقة؛ ونكل بأهلها؛ بوصية من أبي عبيد الله الشيعي؛ لسوء معاملتهم له عند قدومه من

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 166 — 167.



المشرق. وكان أيضا هو فاتح الإسكندرية؛ إلى جانب أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي سنة 302هـ/914م، ثم انتقل أبو القاسم إلى الفيوم؛ وهنا حدث الخلاف بينهما؛ إذ أرسل إليه أبو القاسم أبو فريدن القائد ليخلفه؛ على أن يلحق به حباسة إلى الفيوم؛ فغضب حباسة وقال: "لما أشرفت على أخذ البلد؛ يفوز أبو فريدن بخيره وذكره"؛ ثم ركب مع ثلاثين فارسا من كتامة، وعاد إلى المغرب؛ قاصدا تيهرت؛ حيث كان أخوه عروبة واليا عليها؛ ولكن قبض عليه في الطريق، وقتل مع أخيه عروبة. وهكذا انتهت هذه الحملة على مصر بانضمام أبي القاسم، وعودته إلى رقادة.

— ثم أبو ميمون عروبة (أو غرويه) بن يوسف الملوسي الكتامي (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. عين واليا على تيهرت. وهو الذي نفذ أمر عبيد الله الشيعي في أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس؛ إذ قتلتهما قائلا لأبي عبد الله "أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته، وانخلعت له من الملك بعد توطئته"؛ ثم طعنه. وذكر ابن

عذاري نادرة؛ جاء فيها: ((وحدث الثقة أن  
أبا عبد الله نام يوما بحضرة أصحابه.  
وعنده جماعة من دعاة كتامة؛ فتحرك في  
نومه؛ فانكشفت سوءته؛ فنظر بعضهم إلى  
بعض؛ ولم يقدموا أن يستروه؛ فمد عروبة  
ابن يوسف يده إلى الملحفة التي كانت عليه؛  
فستره بها. وانتبه أبو عبد الله؛ فقال: "  
من سترني إذا انكشف؟" فقالوا له: "عروبة"؛  
فقال: "هو والله قاتلي". فجعل عروبة يكي  
بين يديه، ويقول: "يا سيدي مر بقتلي"؛  
فقال له: "لا سبيل إلى ذلك؛ لكنك والله  
قاتلي)).<sup>1</sup> ومع هذا فقد دارت الدوائر على  
عروبة؛ بعد خروج أخيه حباسة عن طاعة  
الدولة؛ فحاول الهرب؛ ولكن قبض عليه؛  
وأعدم مع أخيه. وجاء في المصادر التاريخية؛ أن  
رأسيهما عرضا على عبيد الله الشيعي؛ فقال  
عند مشاهدتهما: "ما أعجب أمور الدنيا!  
هذه الرؤوس ضاق بها المشرق والمغرب؛  
وحملتها هذه القفة".

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 1، ص: 164.

— ثم أبو حدو الكتامي (كان حيا سنة 303هـ/915م)؛ وهو من القادة الكتاميين الذين كانوا ضمن الجيش الفاطمي الزاحف على مصر. انتهز فرصة ما؛ وهرب إلى الجيش العباسي؛ فاستقبل بحفاوة؛ ثم أرسل إلى بغداد؛ أين بقي في خدمة الخلافة العباسية.

— ثم أبو مدين بن فروخ اللهيصي الكتامي (توفي ببرقة سنة 306هـ/918م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. أعاد فتح برقة؛ بعد خروجها عن الطاعة؛ ثم أسندت إليه ولايتها حتى مماته.

— ثم أبو معلوم فحلون الكتامي (توفي مقتولا سنة 310هـ/922م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب؛ بعثه عبيد الله إلى جبل أوراس؛ قصد إخضاع سكانه؛ فأساء السيرة فيهم؛ فقتلوه، وممن معه من جند كتامة كافة.

— ثم معلى بن محمد الملوسي الكتامي الداعي (توفي مقتولا سنة 315هـ/927م)؛ وهو من الدعاة للمذهب الشيعي؛ في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. أرسله أبو القاسم بن عبيد الله مقيدا إلى أبيه برقادة؛ فأمر بقطع رأسه.

— ثم أبو مالك بن يغمراسن بن شُحمة  
اللهيصي الكتامي (كان حيا سنة 323هـ/934م)؛  
ولي على تيهرت في ظل الدولة الفاطمية؛ فقام  
عليه أهلها؛ وأخرجوه منها سنة 223هـ/934م.

— ثم موسى بن محمد الكتامي (كان حيا  
سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الجيش في  
الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

— ثم أبو يوسف ماقنون (أو ماكنون) ابن  
ضبارة (أو دبارة) الأجاني الكتامي (كان حيا  
سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الدولة  
الفاطمية بالمغرب؛ ممن أقاموها، ووطدوا أركانها.  
والي طرابلس، ثم ميله في عهد الفاطميين.

— ثم يعقوب الكتامي (كان حيا سنة  
349هـ/960م)؛ كان رئيسا للبحر في الدولة  
الفاطمية ببلاد المغرب. وكان موصوفا  
بالشجاعة، والإقدام؛ قاد النجدة البحرية؛ التي  
وجهت إلى الإسكندرية؛ لدعم أبي القاسم بن  
عبيد الله عام 306هـ/918م؛ ولكن الحملة  
فشلت، وأسر يعقوب؛ وأرسل إلى بغداد؛ ولكنه  
تمكن من الهرب، والعودة إلى إفريقيا.

— ثم أبو علي جعفر بن فلاح بن مرزوق  
الكتامي (توفي مقتولا بالشام سنة 360هـ/970م)؛  
وهو أحد القادة الكبار في جيش الدولة  
الفاطمية. جهزه المعز لدين الله الفاطمي مع  
جوهر الصقلي لفتح مصر؛ ولما تحقق لهما  
ذلك؛ وجهه جوهر على رأس جيش لفتح  
الشام؛ فتم له ذلك. ولما زحف إليه الحسن  
بن أحمد القرمطي؛ كان آنئذ جعفر مريضا  
على نهر يزيد؛ فخرج إليه بعلته فظفر به  
القرمطي، وقتله. وعنه يقول ابن خلكان:  
(قال بعضهم: قرأت على باب قصر القائد  
جعفر بن فلاح المذكور؛ بعد قتله؛ مكتوبا:

يَا مَنْزِلًا عَبَثَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ  
فَأَبَادَهُمْ بِتَفَرُّقٍ لَا يُجْمَعُ  
أَيُّنَ الَّذِينَ عَهْدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً  
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ  
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ  
وَبَقِيَ الَّذِينَ حَيَاتُهُمْ لَا تَنْفَعُ

وكان جعفر المذكور رئيسا جليل القدر؛  
 ممدوحا؛ وفيه يقول أبو القاسم محمد بن  
 هاني الأندلسي الشاعر المشهور:  
 كَأَنْتَ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي  
 عَنْ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ أَطِيبَ الْخَبَرِ  
 حَتَّى التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ  
 أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي)).

والناس يرون هذين البيتين لأي تمام في  
 القاضي أحمد بن داود؛ وهو غلط.))<sup>1</sup> ولا بد  
 من التنبيه إلى سقوط البيت الثالث من النسخة  
 التي حققها إحسان عباس؛ وهي التي تشير إلى  
 ما كتب على باب قصر جعفر؛ بينما أثبتته  
 ابن العماد الحنبلي؛ حين نقل الأبيات إلى  
 كتابه شذرات الذهب.

— ثم أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح  
 ابن مرزوق الكتامي (توفي مقتولا بالقاهرة  
 سنة 409هـ)؛ وهو أحد أكابر الوزراء في الدولة  
 الفاطمية بمصر؛ فلقب بوزير الوزراء؛ ذي  
 الرياستين الأمر، المظفر، قطب الدولة؛ وكان  
 له النظر في شئون الدولة كلها. كما يعد

<sup>1</sup> — وفيات الأعيان، ج:1، ص ص: 361 — 362 شذرات الذهب، ج: 3 ص: 29.

من قادة جيوشها الكبار؛ إذ قاد الجيوش الفاطمية نحو الشام. ولما مرض سنة 406هـ؛ ذهب الحاكم بأمر الله إلى داره لعيادته. وتم مقتله بمؤامرة؛ إذ قتل بواسطة فارسيين متنكرين.

— ثم سيف الدولة حسين (أو طليب) بن دواس الكتامي (ت: سنة 411هـ)؛ كان من كبار القادة في الدولة الفاطمية بمصر. وهو الذي دبر مقتل الحاكم بالله الفاطمي؛ بإيعاز من أخته ست الملك. وكانت العلاقة قد ساءت بينه وبين الحاكم؛ فاستدعاه مرة إلى قصره؛ فلم يجبه؛ ولما التقيَا في بعض المناسبات؛ سأله عن عدم تلبية طلبه؛ فأجاب: "لأن تقتلني في داري أحب إلي من أن تقتلني في قصرك". واستغلت ست الملك تغير الحال بينهما؛ فأوعزت إلى ابن دواس بقتل أخيها؛ على أن تطلق يده في شئون الدولة بعده؛ ولكنها خانتها؛ بعد استكمال مهمته؛ وأمرت من قتله.

— ثم أبو محمد سند الدولة الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي (توفي بحلب سنة 415هـ/1024م)؛ أمير من أمراء الدولة الفاطمية؛ ولي على حصن أفامية بالشام، ثم ولي على

حلب. كان هو الذي أرسل إليه أبو العلاء المعري "الرسالة السّندية" وهي في مجلد واحد. — ثم أبو محمد عبد الله بن شعيب أبي مدين بن مخلوف الغشماني (العثماني) الكتامي (توفي مقتولا سنة 709هـ)؛ وهو من الفقهاء المنحدرين من بيت علم وورع؛ ولي خطة الكتابة، والعلامة في الدولة المرينية؛ ولكنه تعرض لمؤامرة من بعض اليهود؛ الذين بثوا الضغينة عليه؛ في قلب السلطان المريني؛ فقتله ظلما؛ ولكنه اكتشف الدسيصة — فيما بعد — ففتك بالمتآمرين من اليهود.

\*\*\*

— مواظنهم: تمتد مواطن كتامة من تخوم بجاية غربا، إلى بونة شرقا، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى جبل أوراس جنوبا. قد لخصها ابن خلدون بقوله: ((وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة؛ أكثرها لهم، وبين ديارهم، ومجالات تقلبهم؛ مثل: ايكجان، وسطيف، وباغاية، ونقاوس، وبلزمة، ويتكست، وميلة، وقسنطينة، والسيكرة، والقل، وجيجل؛ من حدود جبل أوراس، إلى سيف البحر؛ ما



بين بجاية، وبونة... وكان من هذه البطون  
(الكتامية) بالمغرب الأقصى كثير منتدبون عن  
مواطنهم، وهم بها إلى اليوم<sup>1</sup>.  
É É É

## 7- كزولة:

لا يوجد الكثير مما يمكن أن يقال بخصوص  
كزولة أو (جزولة). وكل ما هناك؛ أن جدهم  
غير معروف؛ وأنهم اخوة لصنهاجة ولطة  
وهسكورة؛ من أمهم المسماة تصكي العرجاء  
بنت زحيك بن مادغيس الأبتري. ويقال أنها  
تزوجت — بعد ذلك — من أوريغ؛ فولدت  
له هوار؛ وهكذا يصبح — بدوره — أخا لهم  
من أمهم تصكي. ويقول ابن خلدون أن  
بطون كزولة كثيرة. وهم ظواعن؛ ينتجعون  
بأنعامهم في بلاد السوس. ومن أفخاذ كزولة  
فخذ يسمى يزدكتن؛ ببلاد السوس. وبعد  
دخول عرب المعقل إلى تلك الديار؛ تغلبوا  
على بطون كزولة، وأدرجوهـم ضمن رعاياهم.<sup>2</sup>

! ! !

<sup>1</sup> العبر مج: 6، ص: 301.

<sup>2</sup> العبر مج: 6، ص ص: 419 — 420.

— **أعيانهم:** اشتهر من هذه القبيلة عدد من العلماء؛ الذين خلفوا أثرا محمودا في بلاد المغرب كلها. من هؤلاء:

— **عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير علي بن ياسين الجزولي** (توفي بتامسنا سنة 451هـ/1059م)؛ كان فقيها مالكيا؛ درس العلم بالسوس؛ على واجاج بن زلو اللمطي. ولما وصل خطاب أبي عمران الفاسي إلى واجاج؛ طالبا فيه البحث عن فقيه؛ يتوجه مع زعيم صنهاجة إلى بلده في الصحراء؛ لكي يعلمهم دينهم. وقع اختياره على عبد الله بن ياسين؛ فأرسله معهم. فكان بينهم بمثابة ابن تومرت بين الموحدين؛ إذ أضحى زعيما روحيا لديهم؛ يطيعه الكبير والصغير فيهم. وكانوا لا يقدمون إلى إمامة الصلاة بينهم إلا من صلى خلف عبد الله بن ياسين. وكان يرافق الجيوش المرابطية في الغزوات. وتوفي مقتولا في إحداها.

— **ثم أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى بن يوماريلى اليزدكّني المراكشي الجزولي** (توفي بمراكش غير أن الآراء اختلفت في سنة الوفاة: 606 أو 607 أو 610 أو 616

أو 617هـ/1209 أو 1210 أو 1213 أو 1219 أو 1220م)؛ وهو من علماء اللغة، والنحو. كما كان إماماً في القراءات. رحل إلى المشرق؛ حيث حج؛ ثم انتقل إلى مصر؛ أين درس فيها على ابن بري الجمل؛ وقام بالتعليق عليها في تسجيلاته. ثم عاد إلى المغرب؛ حيث تصدر لتدريس النحو مدة طويلة في، والجزائر، والمريّة. كما وُلّي خطة الخطابة بمراكش. من مؤلفاته: رسالة في النحو بعنوان: الجزولية، وشرح قصيدة بانة سعاد، وكتاب الأمالي في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي؛ وهو كتاب الفسّر. قال عنه ابن خلكان: ((كان إماماً في النحو؛ كثير الإطلاع على دقائقه، وغريبه، وشاذه. وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون؛ ولقد أتى فيها بالعجائب؛ وهي في غاية الإيجاز؛ مع الاشتغال على شيء كثير من النحو؛ ولم يسبق إلى مثلها؛ واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها؛ ومنهم من وضع لها أمثلة... وكان إماماً في القراءات، والنحو، واللغة. وكان يتصدر في الجامع للإقراء؛ وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير؛ أتى فيه بغرائب، وفوائد. وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده

ليقرأ عليه قراءة أبي عمرو؛ فقال بعض الحاضرين: "أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو؟" قال: فقلت: "لا". قال: فسألني آخر كذلك. فقلت: "لا"؛ فأنشد الشيخ، وقال: "قل لهم: لَسْتُ لِلنَّحْوِ جُنُكُمَ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ خَلَّ زَيْدًا لِسَانِهِ أَيْنَمَا شَاءَ يَذْهَبُ أَنَا مَا لِي وَلَا مَرِيءٍ أَبَدَ الدَّهْرُ يَضْرِبُ" <sup>1</sup>.

— ثم أبو فارس عبد العزيز بن تليلا الجزولي الشهير بالجزولي (توفي بأزمور سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه مالكي، ومفتي؛ تصدر للتدريس بأزمور. ثم اتجه نحو التصوف، وكان معظماً من طرف السلطان أبي الحسن المريني.

— ثم أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي (توفي بفاس سنة 741 أو 744هـ/1340 أو 1343م)؛ وهو من كبار العلماء في الفقه المالكي. قيد طلبته نقلاً عنه ثلاثة شروح على رسالة أبي زيد؛ أولها في سبعة مجلدات، وثانيها في ثلاثة مجلدات، وثالثها في مجلدين اثنين.

<sup>1</sup> وفيات الأعيان، ج: 3 ص ص: 488 — 490.

— ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي المعروف بابن الحاج (توفي بفاس سنة 758هـ/1356م)؛ عالم متفنن؛ له اهتمام بفنون عديدة. كان خطيباً بليغاً، وكاتباً بارعاً، وأديباً محنكاً. ولي الخطابة والقضاء بفاس زمننا.

— ثم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود الجزولي (ت: سنة 863هـ/1458م)؛ وهو من علماء الفقه، والعريية، والحساب. مات أبوه وهو في الثامنة تقريباً. فتجول رفقة أخيه عيسى بمراكش؛ وبعدها رحل من بلاد جزولة — بعد أن تلقى بها شيئاً من العلم — قاصداً فاساً، ثم تلمسان؛ أين تلقى علوماً مختلفة بهما؛ ثم توجه إلى تونس، فالقاهرة؛ للغرض نفسه. وبعدها ذهب إلى الديار المقدسة؛ حيث زار المدينة؛ ثم استقر بمكة؛ أين تصدر للتدريس، والإفتاء بها. قال عنه القرافي: ((كان بارعاً في الفقه، والأصليين؛ متقدماً في العريية)).<sup>1</sup>

— ثم محمد بن سليمان الجزولي (توفي مسموماً بآفغال سنة 870هـ/1465م)؛ وهو فقيه من أهل الصلاح. من مؤلفاته دلائل الخيرات،

<sup>1</sup> توشيح الديباج، ص: 206.

وحزب الفلاح، وحزب الجزولي؛ وهو بالعامية. وله أتباع يدعون "الجزولية" وهم على الطريقة الشاذلية.

— ثم أبو الحجاج يوسف التغائني الجزولي (توفي في حدود سنة 900هـ/1494م)؛ فقيه؛ له شرح على ابن الحاجب.

— ثم أحمد بن موسى الجزولي (ت: سنة 927هـ/1520م)؛ فقيه جزولة في وقته؛ ووصفه صاحب درة الحجال بـ ((عمدة بلاد جزولة)).

— ثم عبد المسيح (أو عبد السميع) بن محمد القنيسي الجزولي (توفي بعد عام 940هـ/1533م)؛ فقيه بلاد جزولة في وقته.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الجزولي (ت: سنة 986هـ/1578م)؛ فقيه؛ له اهتمام ومشاركة في الأصلين؛ وكان يستظهر مختصر خليل بالكامل.

— ثم محمد بن محمد بن علي التافجروني الدرعي الجزولي (توفي بفاس سنة 988هـ/1580م)؛ فقيه؛ رحل إلى مصر وحج؛ ثم عاد؛ بعد تزوده بالعلم.

\*\*\*

— **مواطنهم:** يمكن تحديد مواطن كزولة بأرض السوس؛ حيث ينتقلون في ربوعها؛ طلبا للكأ. وهم بذلك يجاورون قبيلة لمطة؛ التي تناصبهم العداء؛ إذ كانت تنشب بينهم الفتن؛ بين الحين والآخر. كما أنهم موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط. إذ ينسب إليهم جبل كزول؛ القريب من تيهرت.<sup>1</sup>

## 8 — لمطة:

فالذي قيل عن قبيلة كزولة يصدق قوله على قبيلة لمطة. فهم — بدورهم — لا يعرف اسم أبيهم؛ أما أمهم فهي **تصكي العرجاء**؛ تلك الأم الأسطورية؛ المشتركة بينهم، وبين كل من: **صنهاجة**، **وكزولة**، **وهسكورة**، **وهوارة**. حتى وإن كان بعضهم ينسب **صنهاجة** إلى **عاميل بن زعزاع**، **وهوارة** إلى **أوريغ بن برنس**؛ فإن **أباء**: **لمطة**، **وكزولة**، **وهسكورة** غير معروفين. وعلى الرغم من قول ابن خلدون بكثرة شعوب لمطة؛ فإنه لم يذكر سوى

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 419، 420.

قبيلتين اثنتين؛ هما: قبيلة زكن، وقبيلة لخس.  
وقد أضحت هاتان القبيلتان في عداد قبيلة ذوي  
حسان الهلالية؛ بينما ظل الآخرون من أبناء  
لمطة في أعماق الصحراء؛ بين المثلثين من  
صنهاجة.<sup>1</sup>

! ! !

— أعيانهم: ومن أعيان لمطة وعلمائها  
المذكورين:

— واجاج (واكاك) بن زلو اللمطي (كان  
حيا سنة 440هـ/1048م)؛ وهو من سكان  
السوس الأقصى؛ انتقل إلى القيروان؛ حيث تلقى  
العلم بها عن أبي عمران الفاسي؛ وبعد عودته  
إلى السوس؛ شيد داراً سماها: "دار المرابطين"؛  
وخصصها لطلبة العلم، وقراءة القرآن الكريم.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 420.



— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد بن وقاص الميورقي اللمطي (توفي مقتولا بميورقة سنة 580هـ/1184م)؛ فقيه، ومفتي ميورقة؛ ولي الخطابة والصلاة بجامعها أيضا. كان قد رحل إلى المشرق، وحج.

— ثم علي بن اللمطي (توفي مقتولا سنة 602هـ/1205م)؛ كان كاتباً ليحيى بن غانية. وقتل في وقعة تاجرا بين ابن غانية، وجيش الموحيدين؛ بقيادة عبد الواحد بن أبي حفص.

— ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن وقاص الميورقي اللمطي (توفي في حدود سنة 618هـ/1221م)؛ فقيه، ومحدث؛ ولي الصلاة، والخطبة بجامع ميورقة. قال فيه ابن الأبار: ((وكان خطيباً مصقعا؛ بليغا مفوها؛ يقرض سيرا من الشعر؛ أخذ عنه)).<sup>1</sup>

— ثم مجير الدين عمر بن عيسى بن نصر ابن محمد بن علي بن اللمطي (توفي بقوص سنة 721هـ/1321م)؛ وهو من أصدقاء أبي حيان النفزي؛ قال فيه محمد ابن شاكر الكتبي: ((كان صحيح الود، حافظ العهد حسن الصبغة)).<sup>2</sup> اشتغل — بعض الوقت — كاتباً

<sup>1</sup> التكملة، ج: 2، ص: 608.

<sup>2</sup> فوات الوفيات، ج: 3، ص: 139.

لدى ابن دقيق القشيري؛ القاضي بمصر. له اهتمام بعلوم العربية؛ وله أشعار مدحها أبو حيان، ووصفها بالجيّدة؛ وكان قد نقلها عنه من شعره:

أَبَى الدَّمْعُ إِلَّا أَنْ يَفِيضَ وَأَنْ يَجْرِي  
عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُدَّةِ النَّأْيِ مِنْ عُمْرِي  
وَمَالِي إِنْ كَفَفْتُ مَاءَ مَحَاجِرِي  
وَقَدْ بَعُدْتُ دَارَ الْأَحْبَةِ مِنْ عُذْرِي  
أَمَّا إِنَّهُ لَوْ لَا اشْتِيَاقِي لِذِكْرِهِمْ  
وَلَا شَوْقَ إِلَّا مَا يُهَيِّجُ بِالذِّكْرِ  
لَمَا شَاقَنِي نَظْمُ الْقَرِيضِ وَلَا صَبَا  
فَوَادِي عَلَى الْبُلُوَى إِلَى عَمَلِ الشَّعْرِ  
وَكَانَ لِمِثْلِي عَنْ أَفَانِينَ مَنْطِقِي  
هُنَالِكَ مَا يُلْهِي عَنْ النَّظْمِ وَالنَّشْرِ

وله أيضا:

جَفَنُ قَرِيحٍ بِالْبُكَاءِ مُوَكَّلُ  
فَعَلْتُ بِهِ الْعَبْرَاتُ مَا لَا يُفْعَلُ  
وَجَوَانِحُ مَنِّي عَلَى شَحَطِ النَّوَى  
أَضَحَتْ تُمَزَّقُ فِي الْهَوَى وَتُوصَلُ

عَجَباً لِحُكْمِ الْحُبِّ فِيَّ، فَلَيْتَهُ  
يَوْمًا يَجُورُ بِهِ وَيَوْمًا يَعْدِلُ  
إِنِّي وَإِنْ أَمْسَى يُحْمِلُنِي الْهَوَى  
مِنْ ثِقَلِهِ فِي الْحُبِّ مَا لَا يُحْمَلُ  
فَلَقَدْ حَلَتْ مِنْهُ مَرَارَاتُ الْجَوَى  
عِنْدِي وَخَفَّ لَدَيَّ مَا يُسْتَقَلُ  
لَا يَطْمَعُ اللَّوَامُ فِي تَرْكِ الْهَوَى  
إِنْ كَثُرُوا مِنْ لَوْمِهِمْ أَوْ قَلَّلُوا  
لَهْفِي عَلَى زَمَنِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى  
وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَجَدِّي مُقْبِلُ  
مَا كَانَ أَهْنَا الْعَيْشَ فِيهِ فَلَيْتَهُ  
لَوْ دَامَ مِنْهُ رَيْثَمَا أُتَامَلُ

وله كذلك:

وَزَهَّادَنِي فِي الْخِلِّ أَنْ وَدَادَهُ  
لِرَهْبَةِ جَاهٍ أَوْ لِرَغْبَةِ مَالٍ  
فَأَصْبَحْتُ لَا أُرْتَاحُ مِنْهُ لِرُؤْيَا  
وَلَا أُرْتَجِي نَفْعاً لَدَيْهِ بِحَالٍ

— ثم عبد العزيز بن محمد البوفرجي اللمطي (توفي بفاس سنة 899هـ/1493م)؛ فقيه، وخطيب القرويين.

— عبد العزيز بن عبد الواحد الميموني اللمطي (توفي بالمدينة المنورة سنة 980هـ/1572م)؛ ورد هذا التاريخ في درة الحجال؛ لابن القاضي؛ بينما أرخ الزركلي وفاته في سنة 880هـ/1475م. وهو من الفقه، والنحو؛ ألف ألفية في النحو تضاهي ألفية ابن مالك، كما أعد تقييدا على مختصر خليل، وكتاب منهج الوصول، وكتاب مهيع السالك للأصول، ونظم جواهر السيوطي؛ في علم التفسير، وكتاب درر الأصول، وكتاب نتائج الأنظار، وكتاب نخبة الأفكار، وكتاب الجدل، وكتاب نزهة الألباب؛ في الحساب وغيره.

— ثم إبراهيم بن أحمد اللمطي (ت: سنة 988هـ/1580م)؛ كان أستاذا؛ وكان يعلم الصبيان؛ فانتفع به عدد كبير من الناس.

— ثم أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الميموني اللمطي (توفي بالجزائر سنة 988هـ/1580م)؛ وهو من علماء الفقه،

والفرائض، والنحو. رحل من فاس إلى الجزائر؛ أين استقر بها، وتوفي فيها.

— ثم أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الواحد الميموني اللمطي (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ كان يستظهر مختصر ابن الحاجب؛ وهو أستاذ في النحو؛ أخذ علومه عن والده أبو عمر عثمان اللمطي، وابن غازي.

\*\*\*

— **مواطنهم:** ذكر ابن خلدون أن مواطن لمطة؛ تمتد بجوار مواطن المثلثين الصنهاجيين؛ وأكثر أحياء لمطة طواعن؛ يرتحلون طلبا للنجعة؛ وهم بذلك يصنفون ضمن أهل الوبر. وتتواجد قبيلتان منهم ببلاد السوس؛ هما: زكن، ولخس. منهم من اختار الصحراء موطنًا، ومنهم من ساح في السهوب الجنوبية لتلمسان، وإفريقية. ولهم بقية — الآن — مستوطنة بجبل زالغ المشرف على فاس.<sup>1</sup>

É É É

<sup>1</sup> أنظر العبر، مج: 6، ص: 420. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 332.

## 9 - مصمودة:

يكتنف نسب مصمودة بعض الغموض؛  
 فبينما يتجاهل ابن حزم ذكر تسلسل نسبهم؛  
 مخالفًا - بذلك - عادته؛ التي اتبعها مع جل  
 القبائل البترية؛ نراه - مع ذلك - يتطرق إلى  
 نتفة من نسبهم بشيء من الاحتشام،  
 والاضطراب معاً؛ حين يقول: أنهم أبناء  
 مصمود بن يونس بن بربر. ثم يتخلص  
 حين ينتقل مباشرة إلى تعداد قبائلهم؛ إذ يقول  
 أنهم: بطون برغواطية، وغمارة، وأهل جبل  
 درن. وفي الفصل المخصص لأهل جبل درن؛ يذكر  
 أسماء قبائل مصمودة؛ وهي: آصادن وتينملل  
 وحاحة ودكالة وركراكة وغمارة وكدميوة  
 وكنفيسة وهرغة وهزميرة وهنتاة وهيلانة  
 ووريكة وواوزكيت. وفي مواضع أخرى يضيف  
 إليهم: برغواطية وكلاوة وهزرجة. علماً بأنه  
 يصر على كون برغواطية قبيلة مصمودية.<sup>1</sup>

وبمقابلة أسماء القبائل المصمودية التي وردت في  
 العبر؛ مع ما جاء في المقتبس من كتاب  
 الأنساب في معرفة الأصحاب، وما ورد في كتاب  
 قبائل المغرب؛ يتضح الآتي: فبالنسبة إلى قبيلة

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 427 — 428. 460 — 471.

اصادَن؛ يذكر ابن خلدون من بطونهم: مسفاوة، وماغوس؛ مع احتمال انتساب غمارة، ورهون، وأمول إليهم أيضا. أما صاحب كتاب الأنساب؛ فيصنفهم مرة ضمن هسكورة الظل؛ باسم آيَصَاد(صادة)، ومرة أخرى ضمن فقرة القبائل باسم آصَادَن (صادة). وإليهم تنسب المدينة الأزلية اصادة؛ التي قال البكري: أنها تقع جنوب مدينة يُحاجين؛ التابعة لبني مسارة من مصمودة. أما قبيلة تينملل؛ فذكر منها صاحب كتاب الأنساب إحدى عشر فخذًا. وتكاد منزلة قبيلة تينملل — بين الموحيدين — تساوي منزلة هرغة؛ قبيلة المهدي؛ بسبب أسبقيتهم في نصرة الدعوة، ولجوء المهدي إليهم، وبناء مسجده، ومثله بينهم. وقد لحق بهم ما لحق بهرغة من الفناء، والاندثار؛ بعد أن أكلتهم الأقطار، والحروب. وأضحت بقاياهم في حكم غيرهم من المصامدة. ويقول ابن منصور أنهم أصبحوا يعرفون بأهل وادي نفيس؛ الذين يتواجدون — الآن — في الجهة الجنوبية الغربية من مراکش؛ إلى جوار قرية أميزميز. أما قبيلة حاحة؛ فلم يرد اسمهم بين قبائل الموحيدين في كتاب الأنساب؛

ولكنهم ذكروا في بعض المواضع من كتاب أخبار المهدي؛ كمخالفين للموحدين. ويقول ابن خلدون أن بطني: زكن، وولخص البدويان من حاحة. وهم ضمن حلف ذوي حسان بالسوس. وقال عنهم ابن منصور أن قبائلهم عديدة؛ ويحملون الاسم القديم نفسه، ويسكنون بمواطنهم الأولى؛ على ساحل البحر؛ بين أكادير، والصويرة.

وأما قبيلة دكالة؛ فهي الأخرى لم تكن ضمن الحلف الذي يجمع قبائل الموحددين؛ وإن أشار إلى اسمها صاحب كتاب الأنساب بوجود بعض الفئات منهم ضمن قبيلة كدميوكة كمهاجرين. أما غالبيتهم فقد انحازوا إلى المرابطين. ويبدو أن موقفهم هذا.. أوهم النساين بانتمائهم إلى صنهاجة. ومواطنهم في ساحة الجبل من جهته الشمالية؛ ومن مراکش إلى البحر المحيط غربا. وهناك يوجد رباط آسفي؛ الذي اشتهر بأحد بطون دكالة؛ وهم بنو ماكر. وتجاوزهم في تلك الجهات قبيلة حاحة. وتوجد بآخر أوطانهم؛ وإلى الجنوب منها؛ بلدة دنست؛ التي يستقر فيها رؤساء دكالة؛ الذين ينتسبون إلى بطن منهم اسمه مغراوة. وبالطبع.. فهم ليسوا من مغراوة



الزناتية. ومن أولئك الرؤساء: إبراهيم بن حسين بن حماد بن حسين، ثم ابنه محمد ابن ابراهيم، ثم ابن عمهم خالد بن عيسى ابن حماد. وكانوا جميعهم في عهد بني مرين. واشتهرت دكالة بوفرة جبايتها، واتساع مغارمها. ويقول ابن منصور أنها بقيت إلى الآن في مواطنها الأولى؛ في السهول الساحلية؛ بين وادي أم الربيع، ووادي نسيفة (تنسيفت). وأن قبائلهم كثيرة؛ اختلطوا مع العرب الهلاليين، واندمجوا فيما بينهم. ومنذئذ انقسمت دكالة إلى قسمين: **دكالة الحمراء**؛ المتمركزة جنوباً؛ حول آسفي؛ وهي معروفة — الآن — باسم **عبدة**، ثم **دكالة البيضاء**؛ المتمركزة شمالاً؛ وقد احتفظت باسم **دكالة**. وأما قبيلة **ركراكة**؛ فيقولون أنها أسبق قبائل المغرب الأقصى إلى الدخول في الإسلام؛ وذكرهم صاحب كتاب الأنساب ضمن فقرة القبائل. يقول صاحب قبائل المغرب: أن مواطنهم الأولى كانت على ضفتي وادي نسيفة (تنسيفت)؛ وبالتحديد.. عند مصبه في البحر. ومن بقي منهم؛ اندرجوا ضمن قبائل أخرى.

أما قبيلة غمارة؛ فلهم شهرة خاصة؛ بسبب دورهم المتميز بين قبائل مصمودة؛ إذ كانوا السباقيين لإقامة الدول المصمودية. كما ساهموا في صنع الأحداث التاريخية ببلاد المغرب. وهم أبناء غمار بن مصمود. وربما غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود. أو غمار بن أصاد بن مصمود. لهم بطون كثيرة جدا؛ وذكر منها ابن خلدون: أغصاوة وبني حميد وبني زروال ومتيوة ومجكسة وبني نال. ومواطنهم الأولى كانت في جبال الريف المغربي؛ وتمتد على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وحتى ساحل المحيط الأطلسي؛ مشتملة على: غساسة، فنكور، فبادس، فتيكيساس، فتيطاوين، فسبته، فالقصر؛ حتى طنجة. ثم تنحدر أوطانهم إلى بسائط قصر كتامة، ووادي ورغة؛ وتمتد إلى حدود تامسنا؛ أين تتواجد برغواطة.

أما قبيلة كدميوة؛ وهم من قبائل الموحيدين؛ فيقول عنهم صاحب كتاب الأنساب: أنهم يتفرعون على 46 فحذا. وصنفهم إلى صنفين: كدميوة الجبل، وكدميوة الفحص. ويتواجدون في المناطق الجنوبية من مراكش؛

حيث تقع قرية أميزميز. والجبل الذي يسكنون فيه بجوار جبل هنتاتة. من رؤسائهم أيام الموحدين؛ بنو سعد الله. وفي عهد بني مرين خالفهم شيخ كدميو؛ يحيى بن سعد الله؛ بامتناعه عن دفع الضرائب؛ فانتهى أمره إلى الهلاك. ثم تقلد رئاسة كدميو - لفترة قصيرة - أحد المنافسين ليحيى وهو عبد الكريم بن عيسى؛ ولكنه قتل بدوره من طرف المرينيين. وبعده عادت رئاستهم إلى أسرة بني سعد الله.

أما قبيلة كلاوة؛ فلا نعرف عنها ما يكفي؛ سوى أنها تنقسم إلى فرعين: كلاوة شمالية؛ في دائرة أولاد آيت ورير، وكلاوة جنوبية؛ في دائرة وزرزازات. وهم جميعا بالجهة الجنوبية الشرقية من مراكش. أما قبيلة كنفيسة؛ فهي - أيضا - من قبائل الموحدين. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم 22 فخذاً. أما ابن خلدون فاكتفى بذكر بطن واحد منهم؛ أعطاه مرتبة قبيلة؛ هي سكسيوة أو (سكساوة)؛ التي قال أن موطنهم: ((بأمنع المعقل من هذا الجبل. يطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة؛ وعلى ساحل

البحر المحيط من الغرب؛ ولهم بمنعة معقلهم ذلك؛ اعتزاز على أهل جلدتهم<sup>1</sup>. أما قبيلة هرغة (أرغن)؛ فهي قبيلة المهدي؛ وعليه.. فلها منزلة خاصة بين قبائل الموحيدين. إذ كانت من بين أولى القبائل تعصبا للدعوة الموحدية. وقد ذكر صاحب كتاب الأنساب من أفخاذهم حوالي 15 فخذاً؛ دون المضافين إليهم. ولكنهم فنوا، واندثروا؛ وفي عهد ابن خلدون لم يبق منهم سوى أخلاط، وأوشاب؛ في حكم غيرهم من المصامدة. أما قبيلة هزميرة؛ فلم يكونوا ضمن حلف قبائل الموحيدين؛ وكل ما نعلمه عنهم أنهم تعرضوا للتصفية من طرف جيوش الموحيدين. وأنهم كانوا يسكنون حوز مراکش.

أما قبيلة هنتاتة (ينتي)؛ فتأتي في المرتبة الثالثة؛ بعد هرغة، وتينملل. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم تسع أفخاذ. وكانت مواطنهم في جبل درن المتاخم لمراكش. ومن أهم شيوخهم؛ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ صاحب المهدي، وجد ملوك الدولة الحفصية بتونس. ثم أبو محمد بن يونس؛ وهو من

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 462.

وزراء الدولة الموحدية. ومنهم — أيضا — علي ابن محمد، وموسى بن علي بن محمد، وعبد العزيز بن محمد؛ وكلهم من أسرة أولاد يونس؛ الذين اضطلعوا بخدمة الدولة المرينية؛ منذ انخيازهم إلى أصحابها؛ في أواخر الدولة الموحدية؛ بعد الجفاء الذي حصل بين سلاطين الدولة الموحدية، وبين الهنتاتيين؛ في آخر عمرها. أما قبيلة **هيلانة** (إيلانة)؛ فجاء في كتاب مفاخر البربر: أنهم ينتسبون إلى إيلان بن مصمود؛ ثم ينقل عن أبي عبد الله بن أبي المجد؛ صاحب كتاب الأنساب؛ زعمه بكون إيلانة من أصول عربية. ومواطنهم كانت بجوار مراکش؛ وبهم يسمى باب إيلان بتلك المدينة، كما تنسب إليهم أغمات إيلان. ويبدو أنهم اندثروا الآن. ومنهم الفقيه المؤرخ أبو علي صالح بن الشيخ الولي أبي صالح عبد الحليم الإيلاني نزيل نفيس (كان حيا سنة 712هـ/1312م).

أما قبيلة **وريكة** (ايوريكن)؛ فهم بجوار هنتاتة؛ وكانت بينهم — في القديم — فتن، واقتتال دائم. ولما قامت الدولة الموحدية؛ تعزز نفوذ الهنتاتيين؛ وقويت شوكتهم بالولاية؛ فخضعت إليهم وريكة، وصارت في جملتهم.

ومواطنهم معلقة في الجبال الشاهقة؛ المطلّة جنوب مراکش؛ على أطراف الوادي المنسوب إليهم. أما قبيلة **وازكيتة** (واوزكيت)؛ ذكرهم صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ضمن أهل تينملل. ويقول ابن منصور أنهم — الآن — يتواجدون في مواطنهم الأولى بالقرب من مراکش؛ وهم على فرعين: فرع **وزكيتة**؛ بجوار آسني، وفرع **آيت واوزكيت**؛ بجوار ورزازات؛ ويتكونون من 25 قبيلة؛ كما اندرجت بعض أفخاذهم ضمن قبائل أخرى.

أما **برغواطية**؛ فقد اختلف المؤرخون، والنسابون في تحديد نسبهم؛ فبعضهم يعيلون إلى الاعتقاد بأنهم خليط من قبائل عديدة؛ بترية، وبرنسية؛ تجمعوا في حلف يسمى **برغواطية**؛ نسبة إلى قرية **برباط** في الأندلس؛ حيث نشأ صالح ابن طريف؛ مؤسس دولتهم؛ ومن هؤلاء: البكري، وصاحب كتاب مفاخر البربر، ولسان الدين بن الخطيب. أما الآخرون فيرون بأن **برغواطية** قبيلة من قبائل **مصمودة**؛ وينكرون هذه الرواية؛ وأبرز هؤلاء ابن خلدون؛ الذي يستند — كعادته — إلى حجة الموطن الذي يجاور **مصمودة**. ويقول: ((وقد

يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء؛ فيعدهم في قبائل زناتة، وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي؛ من ولد شمعون بن يعقوب... وقيل له برباطي؛ نسبة إلى الموطن الذي نشأ به؛ وهو برباط؛ وادٍ بفحص شريش من بلاد الأندلس؛ فعربت العرب هذا الاسم؛ وقالوا برغواط. ذكر ذلك كله صاحب نظم الجواهر، وغيره من النسابين للبربر. وهو من الأغاليط البينة. وليس القوم من زناتة؛ ويشهد لذلك كله موطنهم، وجوارهم لإخوانهم المصامدة. أما صالح بن طريف؛ فمعروف منهم؛ وليس من غيرهم. ولا يتم الملك، والتغلب على النواحي، والقبائل لمنقطع جذمة، دخيل في نسبه. سنة الله في عباده. وإنما نسب الرجل في برغواطة؛ وهم شعب من شعوب المصامدة معروف<sup>1</sup>. ونلاحظ — هنا — كيف يعلل ابن خلدون موقفه بأمرين: الموطن، والنسب. وكلا الأمرين؛ فيهما قول. فبالنسبة للموطن؛ فقد سبق أن أشرنا إلى شواهد أخرى؛ تثبت أن كثيرا من القبائل المتباينة الأنساب؛ تعيش في موطن قريبة،

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 434 — 435.

ومتداخلة مع بعضها. وأبرز مثال - في هذا المجال - اختلاط قبائل مصمودة، مع قبائل صنهاجة وغيرها؛ في موطن واحد؛ كـ: كزولة ولمطة وهسكورة. ومن جهة أخرى؛ فمواطن برغواطة - في الأصل - هي مواطن لزناتة وزواغة؛ وليست لمصمودة فحسب.<sup>1</sup> أما قضية النسب؛ فابن خلدون بنفسه؛ وضع بعض الاستثناءات في نظريته عن العصبية إذ يقول: ((أنه يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية)).<sup>2</sup> وصالح بن طريف كما نعلم؛ من أهل النصاب الملكي؛ نظرا لمرتبة والده بين الأمازيغ الثوار؛ على الحكم الأموي. أما قبيلة هزرجة (إيليزركن)؛ فقد ورد اسم هذه القبيلة في كتاب الأنساب؛ ضمن فقرة القبائل. ويعتقد ابن منصور أن قبيلة الزرقيين؛ المتواجدة في جنوب وادي درعة؛ ممن تبقى من هزرجة.

<sup>1</sup> أنظر البكري؛ المغرب، ص: 135. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 323.

<sup>2</sup> المقدمة، ج: 2، ص: 635.



وقد تركت قبائل مصمودة أثرا كبيرا في تاريخ دول المغرب الأقصى. فمنذ الفتح الإسلامي برزت منهم غمارة؛ بشمال المغرب الأقصى؛ حيث شيدت إمارة غمارية بجدة في سبتة؛ عرفت بدولة بني عصام، ثم إمارة أخرى في حمايتهم وحماية صنهاجة؛ في نكور؛ كان يتأمر عليها عربي؛ هو صالح بن منصور الحميري. هذا بالإضافة إلى البدع التي ظهرت في أوساط تلك القبيلة؛ مثل: تنبؤ حاميم بن من الله بن حريز الغماري، وتنبؤ عاصم بن جميل اليزدجومي الغماري. ويخالف ابن خلدون من سبقه؛ بخصوص برغواطة؛ كما سبقت الإشارة إليه. وإن صح ما يزعم ابن خلدون؛ في كون برغواطة من مصمودة. عندئذ تضاف بدعة أخرى إليهم؛ تتمثل في النحلة البرغواطية. تلك النحلة التي يزعم أصحابها أن صالحا نبي يوحى إليه. والفرق بين غمارة، وبرغواطة؛ يكمن في أن برغواطة تمكنت من الصمود بنحلتها؛ زمنا أطول بكثير مما عرفته غمارة. ومع هذا فقد انتهى أمرهما جميعا إلى الفشل، والاندثار. وأهم الأدوار التي قامت بها قبائل مصمودة؛ يمكن إجمالها في وقوفها وراء نشأة الدولة الموحدية، والتمكين لها

في البلاد. وقد تحققت تلك الملحمة بفضل عدد من قبائلهم؛ هي: هرغة، تينملل، وهنتاة، وكنفيسة، وكدميوقة. بالإضافة إلى قبائل حليفة من غيرهم؛ مثل: كومية، وصنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل.<sup>1</sup>

! ! !

— أعيانهم:

لمصمودة علماء كبار، ورجالات عظماء؛ تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ كما خلفوا آثارا جليلة ببلاد المغرب الإسلامي؛ منهم:

— أبو العلاء عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي الثقفي الجزيري (من أعلام النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة)؛ عاش في عهد الحكم بن هشام في الأندلس. انتقل إلى المشرق في صغره رفقة والده؛ فتقى علومها كثيرة ثم عاد إلى الأندلس؛ حيث أسند إليه الأمير الحكم خطة القضاء بشذونة والجزيرة الخضراء. وكان عالما في اللغة والفقه، وشاعرا مجيدا. وقال فيه ابن الفرضي: ((فلقي الأصمعي

<sup>1</sup> للتوسع أنظر: أنظر إبراهيم الهرغي؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص: 33 — 49. وابن خلدون؛ العبر؛ مج: 6، ص: 427 — 446. 460 — 472. وابن منصور؛ قبائل المغرب، ج: 1 ص: 321 — 328.

وغيره من علماء البصريين والكوفيين... ثم إن العباس بن ناصح انصرف إلى الأندلس فلم يزل مترددا على الحكم ابن هشام بالمديح، ويتعرض للخدمة. فاستقضاه على شذونة والجزيرة. وولي القضاء بعده ابنه عبد الوهاب ابن عباس؛ وكان شاعرا. ثم ابن ابنه محمد ابن عبد الوهاب بن عباس؛ وكان شاعرا؛ فهم ثلاثة قضاة في نسق، وثلاثة شعراء في نسق. وكان عباس من أهل العلم باللغة العربية. وكان جزل الشعر؛ يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة. وكان له حظ من الفقه والرواية؛ لم تشهر عنه لغلبة الشعر عليه. وقرأت في كتاب محمد بن أحمد بخطه: عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي<sup>1</sup>. ومن الحكايات التي ذكرها عنه المقرئ: أن عباسا قدم من مدينة الفرّج بوادي الحجارة إلى قرطبة. ولما مثل أمام الحكم ابن هشام أخبره بما قام به النصاري من فساد وعيث في ديار المسلمين؛ وذكر له أنه سمع امرأة تقول: "واغوّثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى

<sup>1</sup> تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص ص: 296 — 297.

كَلَبَ الْعَدُوَّ عَلَيْنَا، فَأَيْمِنَا وَأَيْتَمِنَا" ثُمَّ أَنْشَدَ  
أَمَامَهُ قَصِيدَةَ أَوْلَهَا:

تَمَلَّمْتُ فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُسْهَرًا  
أَرَاعِي نُجُومًا مَا يُرْدُنَ تَغَوُّرًا  
إِلَيْكَ أَبَا الْعَاصِي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي  
تَسِيرُ بِهِمْ سَارِيًا وَمُهَجَّرًا  
تَدَارِكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِنَصْرَةٍ  
فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تَغِيثَ وَتَنْصُرَا

فلما سمع الحكم قوله؛ نادى - في الحال -  
إلى الجهاد، وخرج بعد أيام ثلاثة. فأتخن في  
ديار العدو، وأعاد للمسلمين حقهم، وخلص  
النساء من الأسر. ثم طلب تلك المرأة  
فمثلت بين يديه. فقال للعباس سلها: هل  
أغاثها الحكم؟ فأجابت المرأة: والله لقد شفى  
الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف؛ فأغاثه  
الله، وأعز نصره. فارتاح لقولها، وظهر  
السرور على محياه؛ ثم أنشد:

أَلَمْ تَرِ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا  
عَلَى الْبُعْدِ أَقْتَادُ الْخَمِيسِ الْمُظْفَرَا  
فَأَدْرَكْتُ أَوْطَارًا وَبَرَدْتُ غُلَّةَ  
وَنَفْسْتُ مَكْرُوبًا وَأَغْنَيْتُ مُعْسِرَا

وهذه الحكاية شبيهة بحكاية المرأة المستنجدة بالخليفة العباسي المعتصم من عمورية في المشرق؛ وعلى الرغم من قدم القصة الأندلسية وأسبقيتها - زمنيا - إلا أنها لم تشتهر؛ بسبب ما كان يغلف التراث الأندلسي من إهمال.. فالقصة الأندلسية حدثت سنة 194هـ/809م، بينما تكون القصة المشرقية وقعت في سنة 224هـ/838م. وأبطال القصة الأندلسية هم: الأمير الحكم بن هشام، والشاعر الفقيه عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي، والمرأة المستنجدة بالأمير في الثغر. أما القصة المشرقية فأبطالها هم: الخليفة العباسي المعتصم، والشاعر العباسي أبو تمام، والمرأة المستنجدة في عمورية بندائها: "وامعتصمًا".<sup>1</sup>

— عبد الوهاب بن عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو فقيه وقاضي؛ ومن شعراء الأندلس. خلف والده في قضاء شذونة والجزيرة.

<sup>1</sup> أنظر القصة في نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 343 — 344.

— محمد بن عبد الوهاب بن ناصح بن تلتيت المصمودي (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ فقيه وقاضي خلف أباه أيضا في منصب القضاء بشوذنة والجزيرة. ويعد أيضا من بين شعراء الأندلس. كما كان عليه والده وجده.

— أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا القرطبي المصمودي الشهير بالليثي (ت: سنة 233هـ/944م)؛ جده كثير المكنى بأبي عيسى هو الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد. وهو من مصمودة طنجة رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة؛ فسمع من مالك بن أنس؛ ثم حج. كما سمع في مكة من سفيان بن عيينة؛ وفي مصر من الليث ابن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم؛ وتفقه بالمدينة، وبمصر من علماء الفقه المالكي. ومن النوادر التي نقلها المؤرخون؛ أنه كان يوما في مجلس مالك؛ فسمعوا بعضهم يقول: قد حضر الفيل؛ فانفض المجلس من الطلاب؛ حبا في مشاهدة الفيل؛ ولم يبق مع ملك إلا يحيى؛ فقال له مالك: "مالك لا تخرج فتراه؛ لأنه لا

يكون بالأندلس؟" فأجابه يحيى: "إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك، وعلمك؛ ولم أجيء لأنظر إلى الفيل". فاستحسن مالك جوابه؛ وسماه عاقل أهل الأندلس. وعاد إلى الأندلس بعد ذلك. ثم كانت له رحلة ثانية إلى المشرق؛ فوجد مالكا مريضا؛ وتوفي أثناء وجوده بالمدينة؛ فحضر جنازته. وبعدها لقي عددا من أصحاب مالك؛ فاستفاد منهم بعلم غزير.

— ثم حاميم بن منّ الله بن حرير بن عمر بن رحفو المجكسي الغماري المصمودي (توفي مقتولا سنة 315هـ/927م)؛ ادعى النبوة، وابتدع نخلة، وانتحل نصوصا؛ زعم — باطلا — بأنها أوحيت إليه من الله. وأورد صاحب مفاخر البربر بعض أخباره؛ فقال: ((وحاميم ابن منّ الله الملقب بالمفتري؛ ادعى النبوة ببلاد غمارة سنة 310هـ/922م؛ وشرع ديانة تشبه ديانة برغواطية؛ في الضلالة، والكفر؛ وهي صلاتان: صلاة عند شروق الشمس، وأخرى عند غروبها. وفرض صوم يوم الاثنين، والخميس، وعشرة أيام من رمضان. وأحل لهم الأنثى من الخنازير؛ وقال: "إنما حرّم في

قرآن محمد الذكر!" وجعل الحوت لا يؤكل إلا  
 بذكاة، وحرم رأس كل حيوان. ونحو هذا  
 من الضلالة، والكفر. فبعث إليه الأمير  
 الناصر الأموي - من قرطبة - عسكرا  
 ضخما؛ فالتقوا معه في قصر مصمودة؛ بمقربة  
 من طنجة؛ فقتل، ورجع أصحابه للإسلام<sup>1</sup>.  
 وأورد ابن خلدون عينات من النصوص التي  
 ادعى بأنها وحي؛ فقال: ((وصنع لهم قرآنا كان  
 يتلوه عليهم بلسانهم؛ من كلامه: "يا من  
 يخلي البصر، وينظر في الدنيا، خلني من  
 الذنوب. يا من أخرج موسى من البحر؛  
 آمنت بحاميم، وبأبيه أبي خلف من الله.  
 وأمن رأسي، وعقلي، وما يكنه صدري،  
 وأحاط به دمي، ولحمي؛ وآمنت بتابعيت عمه  
 حاميم؛ أخت أبي خلف من الله<sup>2</sup>. وكانت  
 عمته هذه تشتغل بالسحر، والكهانة. ويلجأ  
 إليها الناس في الحروب، وسنوات القحط؛  
 مستغيثين بها. وفي ذلك قال بعض الشعراء:  
 وَقَالُوا افْتَرَاءً: إِنَّ حَامِيمَ مُرْسَلٌ  
 إِلَيْهِمْ بَدِينٍ وَاضِحَ الْحَقِّ بَاهِرٍ

<sup>1</sup> مفاخر البربر، ص: 77.

<sup>2</sup> العبر، مج: 6، ص: 446.



فَقُلْتُ: كَذَبْتُمْ! بَدَّدَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ!  
 فَمَا هُوَ إِلَّا عَاهِرٌ وَابْنُ عَاهِرٍ!  
 فَإِنْ كَانَ حَامِيْمُ رَسُوْلًا، فَإِنِّي  
 بِمُرْسِلِ حَامِيْمِ لِأَوَّلِ كَافِرٍ!  
 رَوَوْا عَنْ عَجُوْزِ ذَاتِ إِفْكٍ بِهِيْمَةٍ  
 تَجَاوَزَ فِي أَسْحَارِهَا كُلِّ سَاحِرٍ  
 أَحَادِيثُ إِفْكٍ حَاكَ إِبْلِيسُ نَسْجَهَا  
 يُسْرِوْنَهَا وَاللَّهُ مُبْدِي السَّرَائِرِ!

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن هارون بن  
 خلف بن عبد الكريم بن سعيد الأشبوني  
 المصمودي المعروف بالزاهد (ت: سنة  
 360هـ/970م)؛ أقام بقرطبة في طلب العلم مدة  
 أربعين سنة قال فيه ابن الفريسي: ((كان  
 ضابطاً لما كتب؛ ثقة فيما روى)).<sup>1</sup>

— أبو الأصبغ عيسى بن عبد الرحمن بن  
 حبيب بن واقف بن يعيش بن عبد الرحمن  
 ابن مروان بن سكثان الشذوني المصمودي  
 (توفي بأشونة سنة 366هـ/976م)؛ رحل إلى  
 مصر، ومكة؛ أين سمع على عدد من

<sup>1</sup> تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص: 17.

العلماء، ثم عاد إلى الأندلس؛ حيث ولاه المستنصر بالله الأموي قضاء أشونة وما يتبعها. — ثم يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن سلاس بن شمل بن منقايا المصمودي (ت: سنة 367هـ/977م)؛ كان من أفاضل الفقهاء؛ وله مرتبة جلييلة بين قضاة الأندلس. ولي قضاء إلبيرة، وبجانة، وجيان، وطليطلة.

— ثم أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب المصمودي (ت: سنة 404هـ/1013م)؛ وهو من علماء النحو، واللغة.

— ثم أبو الزبير طلحة بن الزبير بن سليمان بن تميم الحاحي المصمودي (توفي في العشر الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الأدباء؛ وله تأليف بعنوان: الترجيح والتنقيح في النسخ والمنسوخ. وقال صاحب مفاخر البربر: أنه ليس من تأليفه؛ وإنما رواه عن صاحبه أبي علي الكفيف المجري.

— ثم أبو القاسم خلف بن تامصت بن يحيى البرغواطي المصمودي (كان حيا سنة 467هـ/1074م)؛ وهو عالم بالقراءات.

— ثم محمد بن عبد الله بن وُجَلِيد بن تامصال بن حمزة بن عيسى الهرغي المصمودي الشهير بابن تومرت والمدعو المهدي (ت سنة 522 أو 524هـ/1128 أو 1129م)؛ اختلف الناس في نسبه، وفي أسماء أسلافه. وهناك من ينسبه إلى سليمان بن عبد الله حفيد علي بن أبي طالب. غير أن بعض المحققين ينفون هذا النسب. ونشأ ابن تومرت في بيت نسل، وعبادة. وكان محبا للعلم، حريصا على المعرفة، ساعيا للتزود بها؛ حيثما توفرت؛ وعليه فقد سافر للمشرق — بعد مرره ببلاد الأندلس — طلبا للعلم. فكانت وجهته الأولى — بعد الأندلس — الإسكندرية، ثم الحجاز؛ بغرض أداء فريضة الحج؛ ثم انتقل إلى العراق؛ أين لقي جملة من العلماء الأفاضل؛ منهم الإمام الغزالي؛ فتلمذ عليه. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((ولقي جملة العلماء يومئذ، وفحول النظار. وأفاد علما واسعا. وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يديه؛ لما كان الكهان، والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب. ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي، وفاوضه بذات صدره في ذلك؛ فأراد عليه؛ لما كان

فيه الإسلام يومئذ بأقطار المغرب من اختلال الدولة، وتقويض أركان السلطان الجامع للأمة، المقيم للملة؛ بعد أن سألته عمن له من العصابة، والقبائل؛ التي تكون بها الاعتزاز، والمنعة، وبشأنها يتم أمر الله في درك البغية، وظهور الدعوة. وانطلق هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا؛ منفجرا من العلم، وشهابا واريبا من الدين. وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم، واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية، والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور أهل البدعة. وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث... وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة. وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله: "أعز ما يطلب". وصار هذا المفتاح لقبا على ذلك الكتاب. واحتل بطرابلس؛ أول بلاد المغرب؛ مفتيا بمذهبه ذلك، مظهرا النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه. وأخذ نفسه بتدريس العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما استطاع؛ حتى لقد

لقي - بسبب ذلك - إذيات في نفسه؛  
 احتسبها من صالح أعماله<sup>1</sup>. من منظومه:  
 أَنِّي وَفِي النَّفْسِ أَشْيَاءُ مُخَبَّاءُ  
 لَأَلْبَسَنَّ لَهَا دِرْعاً وَجَلْبَاباً  
 وَاللَّهِ لَوْ ظَفِرْتُ كَفِّي بُبُغْيَتِهَا  
 مَا كُنْتُ عَنْ ضَرْبِ أَعْنَاقِ الْوَرَى آبِى  
 حَتَّى أَطَهَّرَ هَذَا الدِّينَ مِنْ نَجَسٍ  
 وَأَوْجِبُ الْحَقَّ لِلْسَّادَاتِ إِيْجَاباً  
 وَأَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ  
 جُوراً وَأَفْتَحُ لِلْخَيْرَاتِ أَبْوَاباً

وله أيضاً:

أَخَذْتُ بِأَعْضَادِهِمْ إِذْ نَأَوْا  
 وَخَلَّفَكَ الْقَوْمُ إِذْ وَدَّعُوا  
 أَخَذْتُ بِأَعْضَادِهِمْ إِذْ نَأَوْا  
 وَخَلَّفَكَ الْقَوْمُ إِذْ وَدَّعُوا  
 فَكَمْ أَنْتَ تَنْهَى وَلَا تَنْتَهِي  
 وَتُسْمِعُ وَعَظْماً وَلَا تَسْمَعُ  
 فَيَا حَجَرَ الشَّحْدِ حَتَّى مَتَى  
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 465 — 467.

ومما كان يردده في مدح عبد المؤمن بن علي:

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصَتْ بِهَا  
فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِطٌ  
السَّنُّ ضَاحِكَةٌ، وَالْكَفُّ مَآنِحَةٌ  
وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ، وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

ولابن تومرت مؤلفات عديدة؛ في الأصول والفقه؛ أهمها: كتاب أعز ما يطلب؛ سمي بهذا؛ تبعا للجملة الأولى التي ابتدأ بها الكتاب. وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل التي تعالج مواضيع أصولية وفقهية وسياسية وجهادية وأحاديث للرسول. ثم كتاب موطأ الإمام المهدي؛ ويسمى في الأصل "محاذي الموطأ"؛ وهو - في الحقيقة - موطأ الإمام ملك برواية يحيى بن بكير؛ تم اختصار السند فيه. ثم كتاب مختصر صحيح مسلم. ثم مجموعة من الرسائل الأخرى، وبعض الأدعية، والخطب؛ التي لم ترد في كتاب أعز ما يطلب؛ وقد نشر بروفنسال أربع رسائل في كتاب أخبار المهدي. كما كتب باللسان الأمازيغي المصمودي رسائل أخرى منها: السبعة أحزاب، و(الدواتر)؛ وهو الطهارة، وعلامة المنافق،

و(أبحانت أكوصلت)، و(تازكوت أن تيتار) (أو تبحار)، و(نوفنا درا أن يا العالمين).<sup>1</sup>

— ثم أبو الربيع بن جابر الدكالي المصمودي (توفي في العشر الأول من السنة السابعة للهجرة)؛ وهو فقيه، وراوي.

— أبو سعيد بن تونارت الدكالي المصمودي (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي. كان مستوعبا للفقهاء، وممكنا من مواضيع المدونة؛ تولى التدريس ببجاية.

— ثم عبد الله بن ياسين الرجراجي المصمودي (ت: سنة 624هـ/1226م)؛ فقيه، ومفتي.

— ثم أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري المصمودي (كان حيا سنة 654هـ/1256م)؛ وهو فقيه؛ رحل من المغرب إلى المشرق؛ ولما مر بطرابلس؛ أطلال الإقامة فيها؛ حيث أسمع لطلاب العلم كتابه في الفرائض، وكتب أخرى. وكان هذا في السنة المذكورة آنفا.

<sup>1</sup> يمكن التوسع من خلال مراجعة كتاب أعز ما يطلب الذي حققه عمار طالبى. وكتاب المهدي بن تومرت لعبد المجيد النجار.

— ثم أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري المصمودي (كان حيا سنة 658هـ/1259م)؛ وهو فقيه، وولي القضاء بطرابلس في السنة المذكورة.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن مناد البرغواطي المصمودي (توفي بسبنة سنة 670هـ/1271م)؛ وصفه صاحب مفاخر البربر بـ ((الفقيه البارع، والأديب المتفنن)).

— ثم أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري المصمودي (توفي بتونس سنة 682هـ/1283م)؛ وهو فقيه مالكي، وقاضي. جمع بين علوم: الفقه، وأصول الدين؛ وبين فنون الأدب. وكانت له عناية بالتنقيح، والمنهج المفيد.

— ثم أبو عبد الله محمد بن علي الغماري المصمودي (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه مالكي.

— ثم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز البرغواطي المصمودي (توفي بأزمور سنة 688هـ/1289م)؛ هو فقيه من أهل الفضل.

— ثم أبو بكر بن فتح الغماري المصمودي (كان حيا سنة 706هـ/1306م)؛ وهو فقيه، وأديب من سكان نفزاوة؛ بالجنوب التونسي. قال فيه التجاني: ((وهذا الفقيه أبو بكر بن



فتح له من الأدب، ولطافة الشعر ما تراه؛ وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع؛ وله التقدم في حسن الخط؛ وهو انفراد فيه بطريقة اختراعها؛ لم تعرف قط في أنواع الخط المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه<sup>1</sup>. ومن شعره قصيدة طويلة مدح بها ابن اللحياني؛ منها الأبيات التي تعرض فيها لذكر التجاني؛ كاتبه:

هَذَا أَنْتَصَابُ الْعَبْدِ خِيفَةَ نَاقِدٍ  
أَوْ ذِي مَعَارِفٍ يَسْتَطِيلُ بَيَّانِي  
لَا سِيَّما وَلَدَيْكَ جَهْدُ نَقْدِهَا  
وَالْوَبْلُ مَنْ تَحَاجَّهَا التَّيَّجَانِي  
الْفَاضِلُ الْفَطْنُ الْمُجَلِّي فِي الْمَدَى  
وَالْأَخْصَلُ الْمُخْتَارُ خَصْلُ رِهَانِ  
بِأَبِي مُحَمَّدٍ اسْتَقَلَّ رِوَاؤُهَا  
وَشَفَى الرَّوَى مِنْهَا صَدَى الضَّمَّانِ  
غَوَاصُ لُجَّتِهَا وَمُخْرَجُ مَا بِهَا  
مِنْ لَوْلُؤٍ رَطَبَ وَمِنْ مَرَجَانِ  
وَمُقَلَّدِ الْأَجْيَادِ كُلِّ سَنِيَّةٍ  
أَرَبْتُ عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَّانِ

<sup>1</sup> الرحلة، ص: 153.

وَلَرَبَّمَا أَهْدَى إِلَيَّ جَمِيلَ مَا  
 مِنْهُ بَظَهَرَ الْغَيْبَ قَدْ أَوْلَانِي  
 فَلَا جَعْلَنَ مِمَّا عَنَانِي شُكْرُهُ  
 وَأَسَجَّلَنَ فِيهِ هُمُومَ عِنَانِي  
 وَأَعُوذُ مَنْ بَاعَ ذَوِي قَرِيحَةٍ  
 خَمَدَتْ بِحُكْمِ طَوَارِقِ الْأَزْمَانِ  
 وَمَا كَتَبَهُ لِلتَّجَانِي أَيْضًا:

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ وَالْمُسْتَفَادُ  
 جَوْهَرَةَ أَحْسَدُ فِيهَا الْعِبَادُ  
 خَاطَبْتُ ذَاكَ الْمَجْدُ أَثْنَاءَ مَا  
 رَفَعْتُ لِلْمَوْلَى الْأَجَلَ الْعِمَادُ  
 وَإِنْ عَلَيَّ أَنَّهُ صَائِرٌ  
 إِلَيْكَ تَقْرِيرًا عَنِ الْاعْتِمَادُ

إلى أن يقول:

مُنْتَظِرًا عَنْهُ الْجَوَابَ الَّذِي  
 أَنَا الثَّرَى وَهُوَ أَنْسَكَابُ الْعِهَادُ  
 مُسَافِرًا مِنْهُ تَزَوَّدْتُ مِنْ  
 رِضَاهِ زَادًا مَالَهُ مِنْ نَفَادُ  
 وَأَنْتَ زَوَّدَنِي مُقِيمًا فَلِي  
 مِنْ فَضْلِ سَعْيِي صَالِحِ خَيْرِ زَادُ  
 زَادَانِ ذَا يُعْنِي لِأَدْنَى مَدَى  
 وَذَاكَ يَبْقَى ذُخْرَةَ لِلْمَعَادُ

وَدُمَ لِعَيْنِ الْأَدَبِ الْمُتَّقَى  
قَرِيرَ عَيْنٍ قُرَّةٍ فِي السَّوَادِ

وكتب جوابا على أبيات بعث بها  
التجاني إليه:

أَرَا حَاةَ غِبٍّ أَلِيٍّ الْعَنَّا<sup>م</sup>  
أَمْ سِنَةٌ مِنْ بَعْدِ طُولِ الشُّهَادِ  
أَمْ فَجَاءَ الْوَصْلُ عُقَيْبَ الْجَفَا  
أَمْ مُسْتَطَابُ الرَّيِّ بَعْدَ الْحِرَادِ  
أَمْ رِقْعَةٌ مِنْ بَهَا سَيِّدُ  
طَابَتْ بِهَا الْأَذْكَارُ فِي كُلِّ نَادِ  
أَشْعَرَنِي الْبُشْرَى وَحَسْبِي بِمَا  
قَرَّرَ مِنْ وَدٍّ وَحُسْنِ اعْتِقَادِ  
أَيَّتَهَا النَّفْسُ اتَّكَالًا عَلَى  
مَنْ رَفَعَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ الشَّدَادِ  
وَفِعَلَ مَوْلَى شَدَّ رُكْنَ الْعُلَى  
مُطَرِّزًا أَعْلَامُهَا بِالْجَهَادِ  
أَيَّدَهُ اللَّهُ بِأَيْدٍ لَهُ  
فِعَلَ الْعَوَالِي وَالسُّيُوفِ الْحِدَادِ  
وَأَنْتَ يَا أَفْضَلَ مَنْ يُرْتَجَى  
لِفَضْلِ سَعْيِ صَالِحٍ مُسْتَفَادِ  
دَارَكَكَ اللَّهُ بِالْطَّافِهِ  
مُقَرَّبًا شَمْلَكَ بَعْدَ الْبَعَادِ

صَابِرْ لَكَ الْخَيْرُ ضُرُوبَ النَّوَى  
 وَأَقْطَعِ مَسَافَاتِ الرَّبِّى وَالْوَهَادُ  
 فَعَنْ قَلِيلٍ سَوْفَ تُلْفِي الْأَلَى  
 مُحْضَتُهُمْ مِنْكَ صَرِيحِ الْوِدَادُ  
 قَرِيرُ عَيْنٍ بِالَّذِي شِئْتَ مِنْ  
 قُرْبَ وَسَادٍ بَعْدَ طُولِ السُّهَادُ  
 وَفَضْلُ نُعْمَى بَرْدُهَا سَابِغُ  
 مَا انْهَلَّ قَطْرٌ فَوْقَ قَطْرِ وَجَادُ  
 وَصَلِّ صَلَاةَ اللَّهِ لِلْمُصْطَفَى  
 خَيْرَ شَفِيعٍ ضَامِنِ الْخُلْدِ هَادُ

وأرسل إليه أرجوزة مداعبا؛ نذكر منها:  
 إِرْبَاءُ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ عَنْ ذِكْرِ مَا  
 يُبْلِلُ الْبَالَ لِسُكَّانِ الْحِمَى  
 وَعَدٌّ عَنْ رِقَةٍ طَبَعَ عُذْرِي  
 فَمَا لِذِي عَقْلٍ بِهِ مِنْ عُذْرٍ  
 وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ بِالشَّهَامَةِ  
 فَدُمُ بِهَا حَفَّتْ بِكَ الْكَرَامَةُ  
 وَاحْتَمَلَ الْقِسْوَةَ وَالْبَدَاوَةَ  
 وَأَهْلَهَا مَا دُمْتَ فِي نَفْزَاوَةِ  
 طَبَعَ الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ وَالْبَلَدِ  
 لَدَا عَائِذَا بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ

إِنَّ هِيَ إِلَّا سَفَرَةٌ سُسْفِرُ  
 عَنْ حُسْنِ عُقْبَى مَعَ وَفَرٍ يَفِرُ  
 لَوْ بَعْتَ فِي أَثْنَائِهَا دُنْيَاكَ  
 وَأَنْتَ ذُو مُلْكٍ وَمَا أَذْرَاكَ  
 بِجَلْسَةٍ بَيْنَ يَدَيَّ عِمَادٍ  
 وَقِيَتْ فِيهَا أَعْيُنَ الْحُسَّادِ  
 وَنَظْرَةَ لَوَجْهِهِ مُشْتَقَّةَ  
 مِنْ نَظْرَةِ النَّعِيمِ فاعْلَمْ وَأَفْقَهُ  
 كُنْتُ عَلَى مَا بَعْتَ مِنْهُ رَابِحًا  
 فَاضْمُمْ عَلَى يَقِينِكَ الْجَوَانِحَا  
 زَهْرَ التُّجُومِ حَاسِدَاتٍ مَوْضِعَكَ  
 إِيَّيَّ وَالَّذِي بِفَضْلِهِ قَدْ رَفَعَكَ  
 وَأَنْتَ بِالْتَّمِيزِ جَدِّ عَالِمِ  
 يَبْنِي الَّذِي رَأَيْتَ مِنْ عَوَالِمِ  
 فَاحْكُمْ بِعَقْلِ رَاجِحٍ وَفَهْمِ  
 تَجِدْكَ فَرَزْتَ بِأَجَلٍ سَهْمِ  
 فَاشْكُرْ يَزِدُّكَ اللَّهُ مِنْ إِكْرَامِهِ  
 وَالْحَسَبُ الْمَرْضِيُّ مِنْ إِمَامِهِ  
 بِأَفْضَلِ الْخِصْلَةِ وَالْمَرَاتِبِ  
 أَضْحَى لَكَ الْخَيْرُ وَيُؤْمِنُ رَاتِبِ  
 صَابِرٍ عَلَى التَّأْوِيلِ وَالْإِدْلَاجِ  
 وَدَائِمِ الْإِلْجَامِ وَالْإِسْرَاجِ

وَاقْطَعْ مَدَاهَا فَذَفْدَاً فَذَفْدَاً  
وَاصْغِ لِحَادٍ فِي مَرَايِهَا حَدَاً  
وَاشْرَبْ زُلَالاً لَا زُعَاقاً آسِنَ  
وَعَدِّ عَنْ تَعْتِيقِ كُلِّ مَا جِنَ  
كَذَاكَ حَتَّى تُبْصِرَ الْمَعَالِمَا  
مِنْ دَارِ تَرْشِيشَ صَحِيحاً سَالِمَا

— ثم أبو زيد عبد الرحمن بن الهزميري المصمودي (توفي بفاس سنة 706هـ/1306م)؛ وهو من الصوفية.

— ثم أبو محمد عبد الجليل بن ويجلان الدكالي المصمودي (توفي بأغمات قبل عام 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومن الزهاد الصالحين.

— ثم أبو علي عمر بن أبي العباس أحمد ابن سلكو الدكالي المصمودي (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، وولي القضاء.

— ثم أبو عيسى الدكالي المصمودي (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الزهاد، والصوفية؛ من مؤلفاته: كتاب تلقين المريدين.

— ثم أبو يعقوب الحساني الغماري المصمودي (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوي.

— ثم أبو عبد الله بن أبي علي عمر بن  
مخلد الدكالي الحاحي المصمودي (توفي قبل  
سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه ابن فقيه.

— ثم أبو العباس حميد بن قاسم الحاحي  
المصمودي (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه،  
من أهل الصلاح.

— ثم أبو علي صالح بن أبي صالح عبد  
الحليم الإيلاني المصمودي (كان حيا سنة  
712هـ/1312م)؛ كان مقيما بنفيس. وهو فقيه،  
وتاريخي.

— ثم أبو زيد عبد الرحمن الرجراجي  
المصمودي (ت: سنة 718هـ/1318م)؛ وهو من  
فهاء المالكية؛ ومن الحفاظ. كان يعلق في  
دروسه على المدونة في مسجد الطاعة بفاس.

— ثم أبو القاسم بن محمد الغماري  
المصمودي (كان حيا سنة 720هـ/1320م)؛ وهو  
فقيه مالكي، ومحدث؛ اشتغل في تدريس المدونة  
بمسجد زنقة حمامة. كان متفوقا في حفظ  
المدونة، وتحصيل مسائل المذهب؛ ومعتزف له  
بالعلم. ومن أنشاده:

قَنُوعُ النَّفْسِ يَغْقِبُهَا رَوَاحاً  
وَجَرَّصُ النَّفْسِ يُدْنِي لِلتَّوَانِي

وَلَيْسَ بِزَائِدٍ فِي الرِّزْقِ حِرْصٌ  
وَلَيْسَ بِنَاقِصٍ مِنْهُ التَّوَانِي  
إِذَا مَا اللَّهُ سَبَبَ رِزْقَ عَبْدٍ  
أَتَى لَكَ بِالتَّوَانِي وَالتَّدَانِي

— ثم أبو محمد عبد الكريم بن الحسين ابن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تادررت اليدرأزتيي الواغديني التيمالي المصمودي (توفي بجهات غرناطة سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من الفقهاء، والعلماء؛ ذوي الفضل، والصدق. ولد ببجاية، ثم انتقل إلى غرناطة؛ فولي القضاء ببعض جهاتها؛ مثل ما كان يعرف باسم شالش؛ التابعة لغرناطة. من مؤلفاته: كتاب المعاني المبتكرة الفكرية في ترتيب المعالم الفقهية، وكتاب الإيجاز في دلالة المجاز، وكتاب نصرة الحق ورد الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحية، وكراس المباحث البديعة في مقتضى الأمر من الشريعة.

— ثم أبو عمران موشى المصمودي (توفي بتلمسان سنة 730هـ/1329م)؛ هكذا جاء اسمه في درة الحجال؛ بالشين؛ وقال ابن القاضي — في جملة مقتضبة — أنه فقيه، وتوفي بتلمسان.



ولسنا ندري الأسباب التي جعل المصادر الأخرى  
تصمت عنه.

— ثم يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى  
المصمودي (توفي في سجنه بالمطبق سنة  
768هـ/1366م)؛ وهو من أهل أنفا. انقطع  
لمعاشرة السائرين في طريق الصوفية؛ من الفقراء،  
والصالحين؛ ثم ذهب إلى الأندلس؛ دون أن يتخلى  
عن تعبدته؛ فنزل برباط السودان؛ خارج مالقة.  
وهناك اشتهر أمره، وتزاحم عليه الناس من  
كل مكان. قال فيه ابن الخطيب: ((هذا  
الرجل نسيج وحده في الكفاية، وطلاقة  
اللسان؛ مدل على أغراض الصوفية، حافظ  
لكل غريبة من غرائب طريقتهم؛ متكلم في  
مشكلات أقوالهم، قايم على كثير من  
أخبارهم؛ يستظهر حفظ جزأي إسماعيل  
الهروي؛ المسمى بـ: منازل السائرين إلى الحق،  
والقصيدة الكبيرة لابن الفارض. عديم النظير في  
ذلك كله؛ مليح الملبس، مترفع عن الكدبة،  
عزيز النفس، قليل الإطراء، حسن الحديث،  
عذب التجاوز فيه، على سنن من السداجة،  
والسلامة، والرجولة، والحمل؛ صاحب شهرة  
قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين. وعلى

ذلك فمغضوض منه، محمول عليه؛ لما جيل عليه من رفض الاضطلاع، وترك السمات، واضطراح التغافل، وولوعه بالنقد، والمخالفة في كل ما يطرق سمعه؛ مرشحا ذلك بالجد المبرم؛ ذاهبا أقصى مذاهب القحة؛ كثير الفلتات. نالت بسبب هذه البلية محن كثيرة؛ أفلت منها بجريعة الذقن؛ ووُسِمَ بالوَهْنِ في دينه؛ مع صحة العقل... وأفضى به الهوى، وتسور حمى السياسة؛ والإغياء في ميدان القحة إلى مصرع السوء؛ فجلد جلدا عنيفا بين يدي السلطان؛ كان سبب وفاته في المطبق<sup>1</sup>). له مؤلفات عديدة؛ منها: نسبة الذنب إلى الذاكر؛ وصف بأنه جزء نبيل وغريب المأخذ، وفيما أشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ، كتاب في الاعتقاد؛ وهو في مجلد كبير؛ وقد اشتمل على كثير من الأقوال، والحكايات؛ كان قد استحسنه عبد الله بن المقرئ؛ ولم يعجب تلميذه ابن الخطيب.

<sup>1</sup> الإحاطة، ج: 4، ص ص: 427 — 428.

— ثم أبو عبد الله محمد بن موسى بن عابد الغماري المصمودي (كان حيا سنة 780هـ/1378م)؛ رحل إلى مكة، واستقر بها في السنة المذكورة. وهو من الزهاد، والعباد.

— ثم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الركراكي (الرجراجي) المصمودي (توفي بجمص الشام سنة 793هـ/1390م)؛ عاش في مصر، والشام. وهو فقيه مالكي، وعالم بالأصول، والمعقول؛ فاتهم من جراء آرائه؛ وسجن، ثم نفى إلى الشام. وبعدها ولاه الظاهر القضاء؛ إلى أن مات. وقد رثاه حجاج بن عيسى بقوله:

لَهْفِي عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ مُحَمَّدٍ  
أَلَفَ الْعُلُومَ الْفَارِسَ الرَّكْرَاكِي  
قَدْ كَانَ رَأْسًا فِي الْقَضَاءِ فَلَأَجَلَ ذَا  
أَسَفْتُ عَلَيْهِ عَصَابَةَ الْأَثْرَاكِ

ومما قاله القرافي بخصوصه: ((من المائة الثامنة قدم من الغرب؛ وقد راهق، أو بلغ الحلم. فلأزم الاشتغال على مشائخ عدة من أبناء العرب والعجم؛ ومهر في المعقول، وقرأ الأصليين، والعريية؛ وكان غاية في الذكاء؛ وحصل من الفقه طرفا جيدا. فأول ما

اشتهر أمره أن نازع البرهان الأخنائي في تدريس المنصورية. وكان كثير الاستهتار بالكبار، والاستهزاء بالصغار. فكتبوا فيه محاضر؛ ونسبوه إلى العمل بالنجوم، والسحر؛ فخلعه أكمل الدين. ثم ولاه بدر الدين الأخنائي مدرس الحجازية، وتصدر بالجامع الأزهر، ثم شغل درس الفقه بالشيخونية؛ فقرره فيه الأكمل. ثم درس بالقمحية بمصر؛ واتصل بالملك الظاهر؛ فراح عليه، وأجلسه عنده يوم المحاكمات<sup>1</sup>.

— ثم شمس الدين محمد بن محمد بن علي ابن عبد الرازق الغماري (توفي بمصر سنة 802هـ/1399م)؛ فقيه وعالم في النحو، وكان عارفاً باللغة العربية؛ وكان من الحفاظ؛ فيستظهر كثير من الشعر؛ وله مشاركة جلييلة في فنون الأدب.

— أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المصمودي (توفي بتلمسان سنة 805هـ/1402م)؛ نشأ وترعرع في بلاد صنهاجة؛ قرب مكناسة؛ إذ تلقى تعليمه الأول بتلك الديار، ثم أكمل تعليمه بفاس؛ وبعدها انتقل إلى تلمسان؛ أين استقر حتى وفاته. وهو من شيوخ ابن مرزوق الحفيد،

<sup>1</sup> توشيح الديباج، ص: 255.

ومحمد المجاري الأندلسي. غلب عليه الاتجاه الصوفي. وصفه المجاري بقوله: ((قرأت عليه في بيته جميع البرهانية في أصول الدين؛ تفقهها بلظي. وكان - رحمه الله - صائم الدهر، شديد الانقباض عن الناس. وكان بيته في غاية الضيق؛ كانت له فيه سجادة يصلي عليها، وعليها ينام؛ إذا غلبه النوم، ويتوسد حجرا، ولباسه كساء. وبالجملة إني لم ألق مثله؛ من جمع العلم، والعبادة... وكان شيخنا الإمام أبو عثمان العقباني رحمه الله يحدث له تردد في بعض المسائل؛ في أصول الدين؛ فيعثنني إليه أسأله عن نظره فيها، وأرد عليه الجواب؛ فإذا أخبرته بما عنده فيها استحسنه غاية)).<sup>1</sup>

- ثم أبو حفص عمر الرجراجي المصمودي (توفي بفاس سنة 810هـ/1407م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ يميل إلى الزهد، والورع؛ وكان متقدما في الفقه. ولي إمارة جامع الأندلسيين بفاس.

<sup>1</sup> برنامج المجاري، ص: 133.

— ثم أبو وكيل ميمون بن مساعد المصمودي (توفي جوعاً في تلمسان سنة 816هـ/1413م)؛ وهو من علماء النحو، والعريية؛ توفي مع جماعة من الفقهاء؛ من جراء المجاعة التي انتشرت بتلك الديار في السنة المذكورة. من مؤلفاته: كتاب الدرّة، وكتاب التحفة، ونظم الأجرومية.

— ثم أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي (ت: سنة 823هـ/1420م)؛ وهو ينسب إلى قصر كتامة؛ أين يتواجد قومه؛ من مصمودة الهبط. وهو فقيه مالكي؛ له تعليق على مختصر ابن عرفة.

— ثم محمد بن يعقوب الغماري المصمودي (من أعلام النصف الأول من القرن التاسع للهجرة)؛ فقيه مالكي، وعالم في الأصول، والفروع.

— ثم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان الهزميري المصمودي (من أعلام القرن التاسع للهجرة)؛ نزيل مصر. وهو من علماء اللغة، والنحو، والفقهاء.

— ثم أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو إمام جامع القرويين؛ ولي القضاء؛ وكان زاهدا، ورعا. وله تعليق على مختصر ابن عرفة.

— ثم أبو محمد الهنتاقي المصمودي (توفي بتونس سنة 833هـ/1429م)؛ وهو من كبار الفقهاء؛ اشتهر بالتحقيق. ولي من طرف أبي فارس في خطة القضاء. وله تأليف في الرد على البرزلي؛ بخصوص العقوبة بالمال؛ التي كان البرزلي يجيزها؛ هذا وقد رد عليه البرزلي بدوره. ونقل عنه الونشريسي بعض فتاويه في المعيار.

— ثم أبو عبد الله محمد الحسين بن أحمد الحفصي الهنتاقي المصمودي (ت: سنة 839هـ/1435م)؛ وهو أخو السلطان أبي فارس عبد العزيز. كان من كبار الفقهاء بتونس. وهو مفتي العسكر بالدولة الحفصية.

— ثم عبد الله بن أبي البركات الغماري المصمودي (توفي مقتولا في السجن سنة 853هـ/1449م)؛ فقيه؛ ولي حجابة أبي العباس أحمد ابن أبي حمو الزياني، وكان صاحب أشغاله أيضا. أمر بقتله خنقا في محبسه.

— ثم أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن البجائي الغماري (توفي بتونس سنة 862هـ/1457م)؛ وهو فقيه وأديب؛ ولي القضاء بتونس؛ كما أسند إليه السلطان المستنصر الحفصي مهمة السفارة؛ مرات عديدة.

— ثم أحمد بن الحسن التلمساني الغماري المصمودي (توفي بتلمسان سنة 874هـ/1469م)؛ وهو من الصوفية، والزهاد الصالحين.

— ثم بدر الدين الغماري (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ ولي القضاء بدمشق.

— ثم محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي (توفي بفاس سنة 885هـ/1480م)؛ كان فقيها مالكيا؛ ولي القضاء بفاس؛ فكان محمود السيرة.

— ثم الحسين بن علي الشوشاوي الرجراجي المصمودي (توفي في آخر المائة التاسعة للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ قام بإعداد شرح على كتاب مورد الضمان، وشرح على تنقيح القرافي، وله أيضا نوازل في الفقه المالكي.



— ثم أبو مالك عبد الواحد بن الحسن الجرجاني المصمودي (توفي في حدود عام 900هـ/1494م)؛ تصدر للإقراء؛ وله مؤلفات؛ منها: في طاعات القرآن، وطاعات القرآن، وذالات القرآن، وذالات القرآن.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم الفاسي المصمودي (توفي بفاس سنة 912 أو 913هـ/1506 أو 1507م)؛ وهو من علماء الفرائض، والحساب.

— ثم شمس الدين محمد بن علي المصمودي (ت: سنة 915هـ/1509م)؛ فقيه مالكي. قال فيه ابن العماد: ((كان فقيها فاضلا؛ ناب عن العفيف بن حنبل قاضي المالكية بحلب؛ وكتب بها على الفتوى)).<sup>1</sup>

— ثم أبو محمد عبد الحق المصمودي (ت: سنة 955هـ/1548م)؛ وهو فقيه مالكي؛ متمكن من الفرائض، والحساب.

— ثم أحمد بن علي بن عرضون الغماري المصمودي (توفي بعد عام 970هـ/1562م)؛ وهو فقيه، ومحاسب، وفرضي.

<sup>1</sup> شذرات الذهب، ج: 8، ص: 72.

— ثم مبارك بن علي بن إبراهيم التورختي المصمودي (ت: سنة 980هـ/1572م)؛ فقيه مالكي؛ سماه ابن القاضي "شيخ الجماعة".

— ثم إبراهيم بن الحسن المصمودي (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من الفقهاء، والنحويين؛ ولي إمامة جامع علي بن يوسف بمراكش.

— ثم عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الرجراجي المصمودي (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة في علوم أخرى.

— ثم أبو عبد الله محمد بن الحسن (أو الحسين) بن عرضون الرجني الغماري المصمودي (ت: سنة 1012هـ/1603م)؛ وهو فقيه، ونحوي؛ له دراية جيدة بألفية ابن مالك؛ كما أنه متمكن من علوم العروض، والأصليين، والمنطق، والبيان؛ وله أيضا نظم حسن. ولي خطة قاضي القضاة بشفشاون. ومن شعره قوله لرفيق له؛ يجرضه على مواصلة العادة في الخروج لوادي ويسلان للتنزه:

إِذَا الْقَلْبُ مِنِّْي دَهَاهُ شَجَنُ  
وَأَجْفَانُ عَيْنِي جَفَهَا الْوَسَنُ

وَجَمْرُ الْعَضَا فِي الْحَشَا قَدْ أَضَا  
 حَشَّتْ الْمَطِيَّ إِلَى وَيَسْلَنُ  
 فَسَرَّحْتُ طَرْفِي وَأَجَرَيْتُ طَرْفِي  
 وَمَسَّتْ فَشَاهَتْ وَجُوهُ الْحَزَنُ  
 كَتَائِبُ نُورٍ رَكَائِبُ طَيْرٍ  
 أَمِيرُ الْجَمِيعِ ذُرَاهُ سَكَنُ  
 وَهَذَا الْخَمِيسَ إِلَّا نُزْهَةً  
 بِيْطَحَائِهِ يَا سَلِيلَ الْحَسَنِ  
 نَدِيرُ كُتُوسًا نُسَلِّي نُفُوسًا  
 بَتَرْجِيْعٍ أَوْتَارِ أُمِّ الْحَسَنِ

"وأم الحسن" هو طائر العنديل أو الشحرور؛  
 عند أهل المغرب. ومن شعره أيضا:  
 أَجَنَّةُ الْخُلْدِ هَذِي يَابْنَ عَدْنَانَ  
 أَجِبْ هُدَيْتَ أَرَوْضُ لَابْنَ رَضْوَانَ؟  
 أَمَا تَرَى الطَّيْرَ فِي الْأَدْوَا حِ سَاجَعَةً  
 أَدَمْتُ أَنَا مِلْهًا أَوْتَارَ عِيدَانَ؟  
 تَحْكِي مَزَامِيرَ مَنْ لَانَ الْحَدِيدَ لَهُ  
 تَشْدُو الزُّجَّيْلَ فِي رَصْدٍ وَزِيدَانَ  
 تَنْفِي عَنِ الصَّبِّ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ كَرْبٍ  
 بَلْ تَتْرُكُ الصَّبَّ فِي تِيهِ الْهَوَى عَانَ

وإن أردت من الأوصاف صفوتها  
فانظر لمائدة حفت بالوان  
لا يستطيع لسان وصف لهجتها  
على الكمال ولو لسان سبحان

وله كذلك:

يا واهماً نحو المصلى هائماً  
بالله فاصعد على سنام المنبر  
وانظر إلى الثور المنير كائنه  
دُرر ثُرن على أديم أخضر



الكلام السابق يتعلق بأهل العلم من بني  
مصمودة؛ وبقي الآن التطرق لأهل السيف  
والسلطان والسياسة منهم؛ وهم:

— سفيان بن عبد ربه المصمودي (ت: سنة  
211هـ/826م)؛ وهو حاجب الدولة الأموية  
بالأندلس؛ أيام عبد الرحمن بن الحكم. كان  
قبل وصوله إلى هذه المرتبة المكلف بالخزانة  
الكبرى. وقال فيه ابن حيان: ((كان من  
أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة المستقلين  
بأعبائها؛ ممن جمع إلى الغناء، والكفاءة، والعفة،  
والأمانة. قد تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام

الأمير الحكم؛ وهو أول من استخزن بالأندلس؛ وحل هذا الاسم الذي اعتور من عمل عمله إلى اليوم... ولم يزل يتنقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة. ومن ولده الأديب أبو الأسود؛ وكان ذا وجهة عند الناس؛ حدثا، مؤنس الجليس، ممتعا؛ توفي في أيام الخليفة الناصر لدين الله رحمه الله<sup>1</sup>.

— ثم محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودي (توفي مقتولا في جليقية سنة 225هـ/839م)؛ قاد ثورة سنة 213هـ/828م ضد الأمير الأموي؛ عبد الرحمن بن الحكم؛ فاستبد بماردة؛ فلم يتمكن عبد الرحمن من إخراجه منها حتى عام 215هـ/830م. ولكنه نقل ثورته إلى، وعصيانه إلى حصن منت شلوط؛ القريب من بطليوس؛ فأخذ — من هناك — يشن الغارة تلو الأخرى على مدن الدولة الأموية؛ المجاورة لحصنه. فلاحقه عبد الرحمن بصوائفه، وطاولته حتى اضطرته إلى اللجوء إلى ملك جليقية؛ الذي منحه قلعة في شمال البرتغال سنة 223هـ/837م. ومع هذا لم يهنأ باله في الغربة؛ فأرسل إلى الأمير عبد الرحمن؛ طالبا الأمان؛

<sup>1</sup> المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ص: 25 — 26.

بغرض العودة؛ ولكن أمره اكتشف؛ فهاجمه ملك جليقية؛ قبل تحقيق بغيته؛ فقتل في معركة دارت بنه وبين النصاري؛ قتل فيها. وذلك أن جواده اصطدم في شجرة بلوط — نتيجة لجموحه — فسقط محمود قتيلا. ويقال: أنه بقي مجدلا على الأرض مدة؛ دون أن يجرأ أحد من أعدائه الاقتراب منه؛ خوفا أن تكون مكيدة منه.

— ثم منصور البرغواطي المصمودي (توفي مقتولا بسفاقص سنة 451هـ/1059م)؛ كان من صنائع الزيريين، وقادتهم البارزين. وقد اشتهر بالشجاعة، والإقدام. أسند إليه المعز ابن باديس أعمال سفاقص؛ فأغرته نفسه بالاستبداد، فشرع في مفاوضة أحياء بني هلال؛ المتغلبين على ضواحي تلك الجهات؛ فواعدوه بالمساندة. ولكن ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي غدر به قبل تحقيق هدفه؛ وقتله في الحمام؛ وانتصب بدلا منه في حكم سفاقص، والاستبداد بها. وعندما وصل الأعراب؛ حلفاء منصور؛ عرض عليهم بعض المال في مقابل تأييده؛ بدلا من ابن عمه؛ فقبلوا، ووقفوا إلى جانبه.

— ثم سَوَّجَات البرغواطي الشهير بسقوت (توفي في معركة بينه وبين المرابطين سنة 471هـ/1078م)؛ كان مولى ليحيى بن علي بن حمود؛ اشتراه من حداد؛ سبق أن حصل إليه من سبي برغواطة. ونظرا لكفاءته، ونباهته؛ ولاه — مع فتى آخر يسمى رزق الله — سبتة؛ وانتقل هو إلى الأندلس. وفي سنة 453هـ/1061م انقض سوجات على زميله رزق الله، وقتله؛ ثم استقل بملك سبتة، وطنجة؛ مستبدا على الحموديين. وبعدها تسمى بالمنصور؛ كما أورث إمارته ابنه العز بن سواجات؛ الذي عرف بالحاجب. وأورد ابن عذاري خبرا طريفا قال فيه: ((وذكر عن أبي الوليد بن جهور؛ صاحب قرطبة أنه قال: "وردت علي من الكتب في يوم واحد: كتاب من ابن صمادح؛ صاحب المرية؛ يطلب جارية عوادة، وكتاب من ابن عباد؛ يطلب جارية زامرة، وكتاب من سواجات؛ صاحب سبتة؛ يطلب قارئاً يقرأ القرآن". فَوَجَّهَ إليه من طلبه قرطبة رجلا يعرف بعون الله بن نوح.

وعجب أبو الوليد من ذلك؛ وقال: "جاهل يطلب قارئاً، وعلماء يطلبون الأباطيل"<sup>1</sup>.

— ثم المعز بن سواجات (سقوت) المعروف بالحاجب (توفي قتيلاً في سبتة سنة 476هـ/1083م)؛ خلف والده في الإمارة؛ بعد مقتله في موقعة ضد المرابطين. وبقي يقاوم تحرشات المرابطين مدة؛ حتى اشتد حصارهم لسبتة من جهة البحر. وهكذا انتهت معركته ضدهم؛ بسقوط سبتة، وقتله في السنة المذكورة آنفاً.

— ثم حمو بن مليل البرغواطي المصمودي (توفي بعد عام 493هـ/1099م)؛ كان من أتباع منصور البرغواطي؛ المتغلب على سفاقص؛ فانتهاز فرصة سنحت؛ فغدر به؛ في الحمام، وقتله في عام 451هـ/1059م، ثم استولى على مقاليد الأمور في تلك المدينة؛ وتآمر مع الأعراب ضد دولة المعز بن باديس. ولما مات المعز، وخلفه ابنه تميم؛ كانت بينهما أحداث ووقائع عديدة؛ انتهت باستعادة سفاقص من طرف تميم سنة 493هـ؛ فهروب حمو إلى قابس؛ أين أجاره أميرها مكن بن كامل الدهماني؛ فبقي عنده حتى مات.

<sup>1</sup> البيان المغرب، ج: 3، ص: 250.



— ثم إسماعيل بن يسألٍ (يحيى) الهزرجي المصمودي (توفي قتيلاً سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أصحاب العشرة بين الموحدين. سماه صاحب المعجب إسماعيل بن يحيى؛ وكان المهدي أذن له بالقضاء بين الناس؛ ونسب إليه صاحب المعجب مواقف سامية في الفداء، والتضحية؛ منها أنه نبه المهدي عندما أنصار الدولة المرابطة قتله؛ إذ سأله عن إعراب الآية: ((إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين)). فانتبه المهدي للخطر المحقق به؛ ورحل. والموقف الثاني حدث له مع عبد المؤمن؛ حينما علم بالمؤامرة التي دبرت لقتله من طرف أقرباء المهدي؛ طلب من عبد المؤمن أن يترك له فراشه تلك الليلة؛ فلبى عبد المؤمن طلبه؛ معتقداً أن نفسه هوت ذلك؛ ولما نام فيه وقع قتل خطأ بدل عبد المؤمن.

— ثم عمر بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي (توفي قتيلاً سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أهل الخمسين في النظام الموحد؛ الذي أحدثه ابن تومرت. تركه عبد المؤمن بن علي والياً على مراکش. ولما أراد أقرباء

المهدي (بنو أمغار) الثورة بها قتلوه؛ لأنه عارضهم.

— ثم محمد بن عبد الكريم الرجراجي (الركراكي) المصمودي (توفي بسجن المهديّة سنة 597هـ/1200م)؛ وهو من قادة الموحدين؛ الموصوفين بالشجاعة، والإقدام. نشأ بالمهديّة؛ بين جند الموحدين؛ إذ كان أبوه منهم. وقد قدم محمد هذا للدولة، وسكان المهديّة خدمات جليّة؛ في مكافحة الأعراب، ومطاردتهم في تلك النواحي؛ إذ كان الولاة بتلك المناطق قد أطلقوا يده، وفوضوا له أمر مكافحة الفساد؛ دون أن يحاسبوه على شيء؛ فتمكن من كبّح، الأعراب، وأزاله فسادهم، وعيَّتهم من تلك الجهات؛ فانتشر الأمن، وازدهرت الأوضاع الاقتصادية. ولم تكن قبائل الأعراب تجرؤ على الانتجاع في الأراضي التي في حماه إلا بإذنه؛ فنوه بذكره الناس، واشتهرت مزاياه بينهم؛ حتى أنهم كانوا يدعون له في المساجد؛ بعد كل صلاة. ولما استبدل الوالي الموحي في إفريقية؛ وقدم إليها الشيخ أبو سعيد المؤمني؛ أحضر معه أخاه أبا علي، وأسند إليه أعمال المهديّة؛ تراجع عما جرت عليه العادة مع ابن عبد الكريم؛ وطالبه بأسهامه فيما يغنمه

خلال غزوه للأعراب؛ فأبي، وطلب مجاراته على ما سبق مع الولاة السابقين. فقبض عليه أبو علي، وامتحنه، وأهانته. فاستنجد ابن عبد الكريم بأبي سعيد؛ الوالي على إفريقية؛ فلم يلتفت إليه. وخلال هذه الأحداث؛ بدأ الفساد في الانتشار عبر الطرقات، وفي البراري، وفي الساحل؛ حيث استفحل شأن الأعراب من جديد؛ بسبب الفراغ الأمني. فطلب الناس من أبي علي إطلاق سراح ابن عبد الكريم؛ فرفض؛ وكادت أن تنشب فتنة؛ جراء ذلك؛ فاضطر إلى إطلاق سراحه؛ طلبا منه الخروج للأعراب. وبدلا من توجهه إلى الأعراب؛ فقد اختار الهجوم على القصر، واعتقال أبي علي. وتم له ذلك، ثم استبد بالمهدية؛ بعد ثورته تلك؛ ولم يطلق أبا علي إلا بفدية ثقيلة. وكانت نهايته بسقوط المهدية؛ في برائن ابن غانية؛ فمات مسجوناً لديه.

— ثم سبع بن منخفاد الغماري المصمودي (توفي مقتولا سنة 562هـ/1166م)؛ وهو الذي تزعم الثورة ضد الموحيدين بجمال غمارة. هذا وقد انتهت ثورته بالفشل؛ وقتل ثم صلب.

— ثم أبو عبد الله محمد بن يغمور الهنتاقي المصمودي (كان حيا سنة 603هـ/1206م)؛ وهو من شيوخ الموحدين؛ ولاء الناصر الموحدي المهدية؛ بعد إخراج ابن غانية منها.

— ثم أبو محمد عبد الواحد أقوسقور (أقسجور) بن أبي حفص عمر الهنتاقي المصمودي (توفي بتونس سنة 618هـ/1221م)؛ وهو من شيوخ الموحدين. أسند إليه الناصر الموحدي أعمال إفريقية؛ ومطاردة ابن غانية في أطرافها. فتدعم بواسطته سلطان الموحدين بتلك الربوع. وبوجوده في تلك الديار مهد لأبنائه التعرف عليها، والتطلع للبقاء فيها.

— ثم أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ابن أبي حفص عمر الهنتاقي المصمودي المعروف بـ عبو (كان حيا سنة 625هـ/1227م)؛ ولاء العادل الموحدي إفريقية؛ فبقي بها؛ حتى خلعه أخوه أبو زكرياء بإيعاز من المأمون الموحدي؛ ثم سجنه بقصر من قصور تونس.

— ميمون بن موسى الهنتاقي المصمودي (كان حيا سنة 626هـ/1228م)؛ ولي خطة الوزارة في عهد أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه نكبه فيما بعد؛ واستصفى أمواله، ثم نفاه إلى الإسكندرية.

— ثم أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ابن محمد الهرغي المصمودي (توفي قتيلا سنة 639هـ/1241م)؛ اشتهر بالشجاعة والأقدام. وكانت تجمعته بالجوهري؛ صاحب الأشغال في الدولة الحفصية صداقة؛ ولما سمع بمقتله؛ خاف أن يأتي دوره بعده؛ فحاول الشروع في الثورة في طرابلس، والاستبداد على السلطان أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه مني بالفشل منذ البدء؛ إذ قبض عليه من طرف أعيان طرابلس، ثم جاءهم الأمر بقتله، وصلبه؛ فتم ذلك.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي (توفي خارج بونة سنة 647هـ/1249م)؛ هو المؤسس الأول للدولة الحفصية بتونس؛ بعد أن فصلها عن سلطان الدولة الموحدية سنة 627هـ/1229م. وقام بعد الاستبداد بتدعيم سلطانه، وتوسيع نفوذه بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكان متقشفا، جماعا للمال، محبا للعلم، للعلماء. وكان أديبا، وينظم الشعر؛ من شعره ما قاله في الجوز:

تَفْضَلُ بِطَعْمٍ لَهُ مَلْبَسٌ  
صَلَابَةٌ وَجْهٌ لَيْمٌ حَكِي

إِذَا بَزَّ عَنْ جِسْمِهِ ثَوْبُهُ  
أَتَاكَ كَمَا يُمَضَّغُ الْمُصْطَكِيُّ

وفي وصفه للرمح يقول:  
وَأَسْمَرَ غُرٌّ شَيْبَ النَّقْعِ رَأْسُهُ  
أَلَا إِنَّمَا بَعْدَ الْقَشِيبِ مَشِيبُ  
مَدَدْتُ بِهِ كَفِّي إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُ  
رِشَاءٌ وَمِنْ قَلْبِ الْكَمِيِّ قَلِيبُ

وله أيضا:  
أَمَّا لِكَتِي قَلْبَ الْكَيْبِ تَعَطُّفًا  
بَسَا كِنَتِي رُبْعَ الضُّلُوعِ تَرْحُمَا  
عَلَى هَائِمٍ أَعْيَاهُ حَمْلُ غَرَامِهِ  
وَأَعْقَبَهُ فَرَطُ الْغَرَامِ تَأْلُمَا  
فَلَمْ يُبْقِ فِيهِ الْبَيْنُ إِلَّا تَنْفَسَا  
وَلَمْ يُبْقِ فِيهِ الشَّوْقُ إِلَّا تَوَهُمَا

— ثم أبو يحيى زكرياء بن يحيى بن عبد  
الواحد بن أبي حفص الهنتاتي المصمودي (توفي  
ببجاية سنة 646هـ/1248م)؛ وهو ولي عهد أبي  
زكرياء؛ ولكنه توفي في حياته؛ حينما كان  
ببجاية؛ واليا عليها؛ من طرف أبيه.

— ثم أبو عبد الله المستنصر بالله محمد ابن أبي زكرياء يحيى الحفصي الهنتاقي المصمودي (ت: سنة 675هـ/1276م)؛ في عهده أسقط المغول الخلافة العباسية ببغداد؛ فانتهز هذه الفرصة؛ فأعلن نفسه خليفة للمسلمين؛ وبالفعل وصلته بيعة نيلبة عن أهل مكة؛ خصه بها عبد الحق بن سبعين. ويبدو أنه كان متقلب المزاج؛ فكان سرعان ما ينقلب على المقربين منه. وهو الذي أمر بقتل ابن الأبار؛ بسبب بعض الوشائيات في حقه؛ فعذب قبل قتله، وأحرقت كتبه، ومؤلفاته؛ ويقال أنها كانت نحو خمسة وأربعين تأليفاً.

— ثم أبو زكرياء الوثائق يحيى بن محمد المستنصر الحفصي الهنتاقي المصمودي (توفي بعد 678هـ/1279م)؛ افتتح عهده بإطلاق المساجين، ورفع المظالم كافة، وإلغاء المكوس، والسعي لبناء، وترميم المساجد؛ ومنها جامع الزيتونة؛ والإحسان إلى الجند. ولكن اتضح فيما بعد أنه كان ضعيفاً، وخاملاً؛ فترك شؤون دولته بيد كاتبه وصاحب علامته الفقيه يحيى بن أبي مروان فاستبد عليه. وكان مكروهاً؛ فأساء لنفسه، وللسلطان الوثائق؛ فكان سبباً في تحول الناس عنهما؛ والتطلع إلى الأمير أبي إسحاق؛

الموجود بالأندلس؛ فراسله بعضهم؛ طالبين إليه المسير إليهم؛ وإنقاذ الدولة. فلم يتردد أبو إسحاق في ذلك؛ وهو المعارض؛ واللاجئ السياسي لدى ابن الأحمر؛ فسارع بالذهاب إلى إفريقية؛ بمساعدة سلطان تلمسان؛ فأسقط الوثائق، واعتقله، وعذب حتى مات.

— ثم أبو محمد عبد الحق بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي (كان حيا سنة 681هـ/1282م)؛ وهو من شيوخ الموحدين في تونس. أسند إليه الدعي مهمة تأديب الأعراب؛ فأتمها.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاقي المصمودي (توفي مقتولا سنة 682هـ/1283م)؛ بعد أن أسقط الوثائق؛ نكل به، وبأسرته، وحاشيته؛ فهرب من بينهم أحد فتيان المستنصر إلى المغرب؛ حيث تأمر مع مغامر من أهل بجاية يدعى ابن أبي عماره؛ وعرف — فيما بعد — بالدعي. وقد تسببت هذه المؤامرة في قتل أبي إسحاق ببجاية، وهلك أبنائه. ويبدو أنه غير صالح للحكم؛ فمما قاله ابن القنفذ: ((وكان الأمير أبو إسحاق فيه غلظة، وشجاعة، وخفة،



وغيبة عن مجلسه؛ في لهوه، وأنسه. وكان ل ينظر في عواقب الأمور... واستولت العرب في أيامه بتونس على القرى، والمنازل، ونهبوا الأموال، والحريم. وهو أول من كتب البلاد الغربية للعرب بالظواهر؛ وزاد في العوائد؛ ليجد الراحة في لذاته؛ بعد تقدم غزواته؛ وقلت المجابي، في أيامه، وكثر الإخراج والإنفاق<sup>1</sup>.

— ثم أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاقي المصمودي (ت: سنة 694هـ/1294م)؛ كان عاقلاً، وحليماً، وكرماً؛ ويعظم العلماء؛ اشتهر خلال عهده بالتسامح، وعدم إراقة الدماء. ومع اتصاف أيامه بالهناء والأمن والعدل؛ إلا أنها عرفت غزواً من طرف النصاري؛ الذين اعتدوا على جربة والمهدية؛ فعاثوا بهما فساداً. هذا بالإضافة إلى عبث الأعراب، واستبدادهم بالقرى، والبوادي. ومن جهة أخرى طمع في الاستيلاء على الدولة؛ الأمير أبي زكرياء ابن السلطان أبي إسحاق؛ الذي اقتطع قسنطينة، وبجاية.

<sup>1</sup> الفارسية، ص: 139.

— ثم مسلم بن سعيد التملي المصمودي (توفي بغرناطة سنة 698هـ/1298م)؛ كان من عامة الناس؛ فتمكن بذكائه ودهائه وكفايته من التقرب إلى سلطان بني نصر محمد بن محمد بن يوسف؛ ثاني ملوكهم؛ فأسند إليه خطة الحفازة؛ وهي التي ينظر صاحبها في عموم الجبايات، وجمع الأموال، ومعاينة المتهاونين، والمتحايين؛ فعظم شأنه، واشتدت سطوته؛ ونمت ثروته؛ فصاهر البيوتات الكبيرة، أضحى من عظماء خدام الدولة. ويبدو أن ولي العهد كان يحقد عليه؛ لشيء في نفسه منه. فكان ينتظر فرصة وصوله إلى سدة الحكم؛ لي يشفي غليله منه؛ ولكن شاءت الظروف أن يموت مسلم قبل تملكه. فلما اعتلى السرير — بعد مدة — نبش قبر مسلم، واحرق رفاته. وبذلك أطفأ نار حقه.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاقي المصمودي (توفي ببجاية سنة 700هـ/1300م)؛ كان قد نجى إلى تلمسان أيام أبي عمارة؛ فتمكن من الاستيلاء على بجاية، وقسنطينة وتشيد إمارة بهما؛ فقسم الدولة إلى دولتين. ثم حاول الاستيلاء على تونس؛ ولكنه فشل. كان حكمه في إمارته

محمودا؛ إذ عرف بحسن السيرة، والعدل بين الناس، والبعد عن المنكرات.

— ثم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاقي المصمودي (ت: سنة 709هـ/1309م)؛ حاول استعادة قسنطينة — بعد اعتلائه سدة الحكم — ولكنه أخفق. وفي وقته هدد النصارى تونس؛ ثم عادوا من حيث أتوا.

— ثم أبو عبد الله محمد بن محمد المزدوري الهنتاقي المصمودي (كان حيا سنة 711هـ/1311م)؛ وهو من أعيان الموحدين؛ كان شيخا لدولة زكرياء بن اللحياني؛ وكان له دور كبير في وصول ابن اللحياني إلى الحكم. يبدو أنه كان ينظم شيئا من الشعر؛ إذ أورد له التجاني بيتين من الرجز؛ قالهما عندما اضطر لسكنى بلد بين سفاقص وطرابلس؛ يسمى عيون وذرف:

هَذِي عَيْونُ وَذَرْفِ دَعِ الْعُيُونَ تَذَرْفِ  
بَدَلْتُ مِنْ أَرْضِي بِهَا وَأَسْفِي وَأَسْفِي

— ثم أبو يحيى زكرياء بن أحمد بن اللحياني الحفصي الهنتائي المصمودي (توفي بمصر سنة 728هـ/1327م)؛ استولى على الحكم بعد عودته من الحج؛ فوجد البلاد قد تغلبت عليها قبائل الأعراب؛ من بني هلال وسليم. بالإضافة إلى الانشقاقات بين أفراد العائلة المالكة؛ لذا فقد حدث له ما سبق أن أحدثه هو لغيره؛ إذ خرج عليه أمير بجاية وقسنطينة؛ فلم يمهله طويلاً؛ حتى استولى على دولته. فلجأ بأمواله، وذخائره إلى مصر؛ أين توفي بها. وكان إلى جانب مرتبته السلطانية فقيهاً، وأديباً، وله منظومات شعرية.

— ثم أبو بكر بن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتائي المصمودي (ت: سنة 747هـ/1346م)؛ زحف من قسنطينة — مسقط رأسه — إلى تونس؛ حيث افتك الحكم من اللحياني؛ واعتلى سدة الحكم بها. عرفت فترة حكمه حروبا شديدة؛ بينه وبين بني عبد الواد؛ الذين تمكنوا من احتلال تونس لبعض الوقت. ولكنه استرجعها؛ بدعم من بني مرين. كما استطاع التكيف — بذكاء — مع الوضع المردي في إفريقية؛ بسبب تغلب الأعراب على أغلب جهاتها.

— ثم أبو العباس أحمد بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي (توفي قتيلا سنة 747هـ/1346م)؛ كان وزير في الدولة الحفصية.

— ثم أبو محمد عبد الله بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي (توفي بتونس سنة 766هـ/1364م)؛ وهو الحاجب الوزير بالدولة الحفصية؛ ذاع صيته، واستفحل أمره؛ حتى أضحى نفوذه يفوق نفوذ السلطان الحفصي نفسه.

— أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي هلال الهنتاقي المصمودي (كان حيا سنة 769هـ/1367م)؛ كان وزيرا في الدولة الحفصية.

— ثم عامر بن محمد بن علي الهنتاقي المصمودي (توفي مقتولا سنة 771هـ/1369م)؛ وهو من كبار زعماء هنتاكة؛ ترعرع في ظل الدولة المرينية؛ إذ كان أباه، وعمه في خدمة الدولة؛ منذ قيامها؛ فتوليا الجباية. ولما كبر عامر هذا؛ التزم بخدمة السلطان أبي الحسن؛ فأخلص له، وتفانى في الحفاظ على أمواله، وأبنائه. وقد وصفه ابن الخطيب، بصفات جليلة؛ كما أورد ابن خلدون جملة من أخباره؛ التي تدل على منزلته الرفيعة بين بني مرين.

— ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاقي المصمودي (ت: سنة 796هـ/1393م)؛ كان أميراً على بجاية وقسنطينة؛ فزحف على تونس، وأحتلها بالقوة؛ ثم اعتلى سدة الحكم بها. وقد أعاد الاستقرار إلى الدولة؛ بفضل حزمه، وحنكته. كما استرجع الأمصار التي تغلبت عليها قبائل بني هلال؛ فثاروا عليه؛ ولكنه أخضعهم بالمطاوله. وفي وقته هجمت جيوش جنوة على المهديّة؛ ففشل مسعاهم.

— إبراهيم ابن الكاتب أبي يعقوب يوسف ابن القائد إبراهيم الغماري المصمودي (ت: سنة 798هـ/1395م)؛ وهو فقيه، وكاتب بيلاط الدولة الحفصية؛ كما ولي في بعض المهام السامية في الدولة.

— ثم أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي الهنتاقي المصمودي (ت: سنة 837هـ/1433م)؛ افتتح عهده بمواصلة ما شرع فيه والده؛ من تمهيد الدولة، وتعزيز سلطانهما. وبالفعل فقد تمكن من استعادة بعض الهيبة إليها. كما حاول غزو مالطة؛ إذ قام جيشه بحصارها؛ دون جدوى، ثم غزا صقلية؛

فغنم جيشه منها بعض المغانم، وعاد. وتوفي بالقرب من ونشريس؛ وهو في طريقه لحرب سلطان تلمسان.

— ثم محمد بن الحسن بن محمد الحفصي الهنتاقي المصمودي (كان حيا سنة 981هـ/1573م)؛ وهو آخر السلاطين الحفصيين. سار على نهج بعض أسلافه؛ في التحالف مع الأسبانيين؛ ضد إرادة مواطنيه. فأنتهى عهده بانتهزامه أمام العثمانيين؛ برفقة حلفائه الأسبان؛ والهجرة معهم إلى أسبانيا؛ في السنة المذكورة.

\*\*\*

— مواطنهم: تمتد مواطن مصمودة من منطقة الريف شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا. ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى تخوم تامسنا، ودكالة جنوبا. وتشمل جبال الأطلس الكبير؛ حيث تنتهي عند سفوحها المتصلة بإقليم السوس. ومنها تتجه حدودهم شرقا مع اتجاه السلسلة الجبلية؛ حتى بداية جبال الأطلس الأوسط؛ على مشارف تازة، وتادلا. وهناك

تجاوزهم قبائل صناكة (صنهاجة) السابقة  
الذكر.<sup>1</sup>

É É É

## 10 - هسكورة:

وهم - كما سبق ذكره - من أبناء  
تصكي العرجاء. ولا يعرف لهم أب. اندرجوا -  
في عهد الموحيدين - ضمن حلف مصمودة؛  
بانتمائهم إلى الدعوة الموحدية؛ مع أن أغلبهم - في  
بداية الدعوة - كانوا معادين لها؛ ثم التحقوا  
بها لاحقاً؛ بعد فتح مراكش؛ حاضرة الدولة  
المرابطية. وقد قسم صاحب كتاب الأنساب في  
معرفة الأصحاب هسكورة إلى قسمين؛ هما:  
هسكورة القبلة، وهسكورة الظل. وذكر من  
أفخاذ القسم الأول سبعة أفخاذ؛ هم: ايزمراون  
(زمرارة)، وايفسفيسن (فسفيسة)، واكرنان  
(كرنانية)، وايمغران (مغرانة)، وايونيلن (نيلة)،  
وآيت ووارت (بنو واوارت)، وآيت يلفتن (بنو  
يلفتن). أما القسم الثاني فأحدى عشر فخذاً؛  
هم: ايزمراون (زمرارة)، ايسايوين (سايوية)،  
ايساد (صادة)، ايجدامن (عجدامة)، ايتيفت

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 428 . 436 . 460 — 462.



(هنتيفة)، آيت سكور (بنو سكور)، اين سيد (لسيدة)، اين ماصوص (ماصوصة)، آيت مصطاو (مصطاوة)، اين ميمونة (ميمونة)، اين ولتان (هلتانة).<sup>1</sup>

أما ابن خلدون فقال أن هسكورة بطونا عديدة، وواسعة؛ أهمهم:<sup>2</sup> نتيفت وبنو رسكونت وزمراوة وغجرامة وفطواكة ومصطاوة وبنو نفال. وقد برزت منهم أحياء: انتيفت وفطواكة وبنو نفال. فالرئاسة في انتيفت محصورة في أسرة أولاد هنو؛ ومنهم يوسف بن كنون؛ صاحب حصن تاقيتوت، وأولاده هم: علي ومخلوف وهلال بن مخلوف. وكانت لأنتيفت مواقف مضطربة تجاه الدولة؛ تميل إلى الطاعة أحيانا، وتجنح إلى العصيان أحيانا أخرى. أما فطواكة فهم أوسع بطون هسكورة، وأكبرها؛ وعليه فرئاستهم في هسكورة هي الأعظم والأهم؛ ولرؤسائهم ميزة الاجتماع، والاتصال بملوك الدولة؛ الذين يرجعون إليهم عندما يتعلق الأمر ببطون هسكورة كلها. كانت رئاستهم أيام المأمون (سلطان بني عبد المؤمن)،

<sup>1</sup> ص: 44.

<sup>2</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 420 — 424. 552 — 556.

وابنه الرشيد؛ ممثلة في شخص عمر بن وقاريط الهسكوري؛ ثم خلفه على رئاسة القبيلة مسعود بن كلداسن. وقال ابن خلدون أن الأسرة التي تترأس فطواكة، ومن ورائها هسكورة كلها؛ هي أسرة بني خطاب؛ الذين ينتسبون إلى جدهم مسعود بن كلداسن. وكانت فطواكة — بدورها — متقلبة في ولائها للدولة الموحدية. ولما ظهر بنو مرين؛ انحازت فطواكة إليهم؛ فتعزز موقف رؤسائهم (من بني خطاب)؛ داخل قبيلتهم هسكورة. ويبدو أن أبرز المهام التي كانت تسنها الدول المختلفة إلى أولئك الرؤساء؛ هي جمع المغارم، والجباية، داخل قبائلهم، ثم حشد المقاتلين؛ ووضعهم في خدمة الدولة.

ومع هذا يرى ابن خلدون بأن هسكورة كانت في منعة من قهر الدولة؛ إذ يقول: ((واعتصم هسكورة هؤلاء بمقلهم، واعتزوا فيه بمنعتهم؛ فلم يغمسوا في خدمتهم يدا، (الكلام هنا عن بني مرين) ولا أعطوهم مقادا، ولا رفعوا بدعوتهم راية؛ إنما هي منابذة لأمرهم، وامتناع عليهم سائر الأيام. فإذا زحفت الحشود، وقرست بهم العساكر؛ دافعوا

بطاعة معروفة، وإتاوة غير ملزمة؛ ورئيسهم مع ذلك يستخلص جبايتهم لنفسه، ويدفعهم في المضايق لحمايته؛ وربما تخطاهم إلى بعض قبائل الجبل، ومن قاربه من أهل بسائط (السوس)<sup>1</sup>. أما بنو نفال؛ فهم — كذلك — ممن حاول مقاومة نفوذ الدولة؛ ولكنهم أذعنوا لقوتها، وغلبتها. وقد انحصرت الرئاسة فيهم ضمن أسرة أولاد تروميت؛ ومنهم علي بن محمد؛ الذي ترأس عليهم في عهد أبي سعيد، وابنه أبي الحسن المريني.

! ! !

— أعيانهم: من أعلام هسكورة، وعلمائها الأعيان:

— أبو عبد الله بن شعيب الهسكوري (توفي بتونس سنة 664هـ/1265م)؛ وهو من العلماء الزهاد.

— ثم أبو محمد صالح الهسكوري (توفي بفاس قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه؛ من أهل الزهد، والورع.

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص ص: 552 — 553.

— ثم أبو محمد عبد الله الهسكوري (ت: سنة 716هـ/1316م)؛ فقيه.

— ثم أبو عمران موسى بن يموين بن باكرين بن ياسين بن العلم بن زيري الهسكوري المعروف بالبخاري (كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ كان من أقدر الناس — في وقته — على الحفظ؛ فكان يستظهر كتاب سيويه، ومتون في الفقه. عرف بصلابته، وحبه لإظهار المخالفة.

— ثم أبو محمد عبد الحق الهسكوري (كان حيا سنة 770هـ/1368م)؛ فقيه؛ تصدر للتدريس بفاس.

\*\*\*

— **مواطنهم:** تتواجد مواطن هسكورة بـجبال درن، ومنها إلى تادلا من الجهة الشرقية؛ ثم إلى درعة من ناحية الجنوب. وهذا نص لابن خلدون يصف فيه حال هسكورة، ومواطنها: ((وأما هسكورة فكان لهم بين الموحدين مكان، واعتزاز؛ بكثرتهم، وغلبهم؛ إلا أنهم كانوا أهل بدو، ولم يخالطوهم في ترفهم، ولا أنعموا في نعيمهم. وكان جبلهم الذي أوطنوه

من حاله؛ دون القنة منها، والذروة. واعتصموا  
 منه بالآفاق الفدد، واليفاع الأشم، والطود  
 الشاهق؛ قد لمس الأفلاك بيده، ونظم النجوم  
 في مفرقه، وتلفع بالسحاب في مروطه، وآوى  
 الرياح النجوم في مفرقه، وتلفع بالسحاب في  
 مروطه، وآوى الرياح العواصف الدجوة، وألقى  
 إلى خبر السماء بإذنه، وأظّل على النجوم في  
 مفرقه، وتلفع بالسحاب في مروطه، وآوى الرياح  
 العواصف الدجوة، وألقى إلى خبر السماء  
 بإذنه، وأظّل على البحر الأخضر بشماريخه،  
 واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره،  
 وأقام سائر سائر جبال درن في حجره<sup>1</sup>.

É É É

<sup>1</sup> العبر، مج: 6، ص: 552.

## إضافة

هذا ما أمكن إثباته في هذا الكتاب؛  
 بخصوص القبائل الأمازيغية؛ التي كانت معروفة  
 في العصر الاسلامي. ولكن ثمة معلومات أخرى  
 متفرقة تشير إلى بعض الأعلام؛ من الأمازيغ وإلى  
 نشاطاتهم؛ دون أن تنسبهم إلى قبيلة تذكر؛ وقد  
 اكتفت المصادر بذكر الجذم أو الشعب الذي  
 يرجعون إليه؛ فاستعملت عبارة: البرنسي، أو  
 البربري؛ دون تخصيص. وعليه فلا مانع من  
 ذكر بعض الأعيان على هذه الصورة؛ لما  
 لهم من أهمية، وت فوق في المجالات العلمية،  
 والأدبية، والسياسية. ومن هؤلاء:

— رزين البرنسي (من أعلام النصف الثاني  
 من القرن الأول للهجرة)؛ ربما كان هو الجد  
 الأول لبني رزين الهواريين؛ قبل انتقالهم إلى  
 السهلة؛ المعروفة بهم؛ خاصة وأن هواره من  
 البرانس. وفي القرون المتقدمة؛ كان اسم الجذم  
 (برنس أو أبتري) هو البارز، والمهيمن؛ حيث  
 كان ينتسب إليه أبناؤه مباشرة. و نقل ابن  
 حيان عن الرازي خبرا مفاده؛ أن رزين هذا  
 هو أول من اختط منية الرصافة بقرطبة؛ وليس

عبد الرحمن الداخل كما اشتهر. ومما قاله: ((وكانت خطة منية الرصافة هذه في الإسلام لرزين البرنسي؛ أحد أكابر رجال البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق؛ وإليه ينسب البلاط الذي بها، والزيتون الذي بازائها؛ فكان المخطط للرصافة. ولرزين هذا آثار كثيرة بقرطبة وغيرها؛ منها المسجد المنسوب إليه بالربض الغربي؛ وينسب إليه أيضا الجنان التي تجاور عين قُبَّش بذلك الربض. وانتقلت الرصافة عن ورثتها؛ فاشتراها الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية)).<sup>1</sup>

— ثم أبو عبد الله عكرمة البربري مولى ابن عباس رضي الله عنه (ت: سنة 105هـ/723م)؛ قال فيه المالكي: ((كان كثير الرواية عن مولاه، وعليه معتمده، وروى عن عبد الله ابن عمر بن العاص، وعن أبي هريرة؛ وروى عنه خلق يطول ذكرهم. أدخله مالك في موطنه؛ وكفى عن اسمه فقال: "أخبرني مخبر عن ابن عباس؛ وهو عكرمة... وقيل لسعيد ابن جبير: "تعلم أحدا أعلم منك؟" قال:

<sup>1</sup> المقتبس؛ تحقق مكّي، ص: 234.

"نعم؛ عكرمة". قال قتادة: "أعلم الناس بالتفسير عكرمة". قال أبو بكر: وقد اختلف بالحديث في عكرمة؛ فممن وثقه وأثنى عليه يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو الحسن الكوفي، وإسماعيل القاضي؛ وضعفه غيرهم؛ ولكنهم متفقون على حفظه، ومعرفته بالعلم، وتفسير القرآن الكريم". دخل عكرمة إفريقية، وأقام بالقيروان، وبث بها العلم؛ وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة. [قال] أبو العرب: "ذكر أحمد بن صالح أن أصل عكرمة من بربر إفريقية؛ وذكر غيره أنه من سبي إفريقية. اشتراه (أي باعه) [ولد] ابن عباس. ف قيل له: "أتبيع علم أبيك؟" فاسترده، وأعتقه... توفي هو وكثير عزة في يوم واحد؛ وصلي عليهما جميعاً؛ ف قيل: "مات أشعر الناس، وأعلم الناس".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> رياض النفوس، ج: 1، ص ص: 145 — 146.



— ثم ميمون بن سعد البربري مولى الوليد ابن عبد الملك (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية سنة 138هـ/755م. وولاه عبد الرحمن على طليطلة. وهو الذي قتل يوسف الفهري.

— ثم حبيب البرنسي (كان حيا سنة 236هـ/850م)؛ ثار في السنة المذكورة بالجزيرة الخضراء على عبد الرحمن بن الحكم؛ فاجتمع إليه عدد كبير من الثوار؛ ولما نهض الأمير عبد الرحمن إليه؛ سبقه جمع من البربر؛ إلى ملاقاته الثوار، وقمعوا ثورتهم؛ ولكن قائدهم حبيب البرنسي هذا تمكن من النجاة؛ ثم اختفى ذكره نهائيا.

— ثم داود بن ميمون بن سعد البربري (من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ لم يتجه نحو دروب الحكم، والسلطان؛ مثلما كان أبوه؛ ولكنه وانغمس في العبادة، والزهد؛ فأضحى بذلك مثالا صادقا للزهد والنسك والورع.

— ثم أبو القاسم عباس بن فرناس التاكري  
البربري (ت: سنة 274هـ/887م)؛ كان شاعرا  
فحلا، وعالما في الهندسة، والكيمياء، والحكمة،  
والتنجيم؛ فكان بذلك موسوعة يجمع علومها،  
وفنونها عديدة. ومما قاله فيه صاحب المغرب:  
((ذكر ابن حيان أنه نجم في عصر الحكم  
الربضي؛ ووصفه بأنه حكيم الأندلس؛ الزائد  
على جماعتهم بكثرة الأدوات، والفنون. وهو  
مولى بني أمية، وبيتته في برابر تَاكُرُنَا. وكان  
فيلسوفاً حاذقاً، وشاعراً مُفْلَقاً؛ مع  
علم التنجيم. وهو أول من استنبط بالأندلس  
صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك  
بها كتاب العروض للخليل؛ وكان صاحب  
نَيْرُنَجَات؛ كثير الاختراع والتوليد، واسع  
الجيل؛ حتى نسب إليه السحر، وعمل  
الكيمياء؛ وكثر عليه الطعن في دينه. واحتال  
في تطيير جثمانه؛ فكسا نفسه الريش على  
سَرَق الحرير؛ فتهيأ له أن استطار في الجو؛  
من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء؛ فحلق  
فيه حتى وقع على مسافة بعيدة. وقال فيه  
مؤمن [بن سعيد]:

يَطُمُّ عَلَى الْعَنْقَاءِ فِي طَيْرَانَهَا  
إِذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيشَ قَشَعَمٍ

وتوفي في أعقاب أيام محمد بن عبد الرحمن سنة أربع وسبعين ومائتين. فتداول صلبة السلاطين الثلاثة؛ مدحهم أجمعين؛ وعمل المنقاة؛ لمعرفة الأوقات، ورفعها للأمير محمد<sup>1</sup>). أما المقري فيقول فيه: ((ومن حكاياتهم في الذكاء، واستخراج العلوم، واستنباطها؛ أن أبا القاسم عباس ابن فرناس؛ حكيم الأندلس؛ أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل، وأول من فك الموسيقى... وطار في الجو مسافة بعيدة؛ ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه؛ فتأذى في مؤخره؛ ولم يدر أن الطائر إنما يقع على زَمَكِهِ؛ ولم يعمل له ذباً... وصنع في بيته هيئة السماء؛ وَخَيَّلَ للناظر فيها النجوم، والغيوم، والبروق، والرعود. وفيه يقول مؤمن ابن سعيد أيضاً:

<sup>1</sup> المغرب في حلى المغرب، ج: 1، ص: 333.

سَمَاءُ عَبَّاسٍ الْأَدِيبِ أَبِي الْـ  
قَاسِمِ نَاهِيكَ حُسْنُ رَائِقِهَا<sup>1</sup>.

كما يعد عباس بن فرناس من الشعراء  
الممتازين في بلاد الأندلس؛ وهذه عينات من  
شعره؛ وهي قصيدة هنا بها الأمير محمد بن  
عبد الرحمن بالخلافة؛ جاء فيها:

مَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أَشْرَقَ الْقَمَرُ  
مُحَمَّدٌ فَارْتَضَاهُ اللَّهُ وَالْبَشَرُ  
يَا لَيْلَةَ أَسْفَرَتْ قَبْلَ الصَّبَاحِ عَنِ الْـ  
مَهْدِيٍّ يَفْدِيكَ مِنِّي السَّمْعُ وَالْبَصَرُ  
لَتُطَبِّقَنَّ عَلَى الدُّنْيَا خِلَافَتَهُ  
سَمَاءَ جَوْدٍ لَهَا مَاءُ اللَّهِى مَطَرُ  
وَيَهْلِكُ الشَّرْكُ فِي أَقْصَى مَدَاحِلِهِ  
حَتَّى يَغِيبَ فَلَا يُدْرَى لَهُ أَثَرُ  
بِذَاكَ تُخْبِرُنَا غُرُّ النُّجُومِ كَمَا  
أَوْحَى إِلَيْهَا بِذَاكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وقال بعد إتمام توسيع المسجد الجامع:  
مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مُسْتَرْعَى وَمُؤْتَمِنٌ  
لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً حَيْثُمَا كَانُوا

<sup>1</sup> نفح الطيب، ج: 3، ص: 374.

بَنَى لَهُمْ مَسْجِدًا جَلَّتْ عَجَائِبُهُ  
 لَوْلَا السَّمَاءُ لَمَا ضَاهَاهُ بُيُوتَانُ  
 كَذَا يَكُونُ الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى أَبَدًا  
 أَقْوَى صَبَابَاتِهِ تَقْوَى وَإِيمَانُ  
 وَعِنْدَ إِنْجَازِ الْأَعْمَالِ الْإِضَافِيَةِ لِمَنِيَةِ الرِّصَافَةِ  
 أَعَدَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً؛ نَذَرَ مِنْهَا:  
 وَأَعْرَافُهُ الشُّمُّ الَّتِي لَاحَ دُونَهَا  
 نُجُومُ الثَّرَيَا وَالسَّمَائِكَيْنِ وَالْعَفْرِ  
 إِذَا بَلَغَ النَّضْرُ الْمَكْثَرُ فَرَعَهَا  
 وَصَوَّبَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى الْأَرْضِ فِي شَهْرِ  
 لَهَا الْعُرْفُ الْبَيْضُ الَّتِي يَضْحَكُ الضُّحَى  
 وَتُلْحِفُهَا مِنْ نُورِهَا فِي سَنَةِ الْعُرِّ  
 كَأَنَّ قُصُورَ الْأَرْضِ بَعْدَ تَمَامِهِ  
 تُتَوُّ الذَّرَى أَخْفَى شُخُوصًا مِنَ الذَّرِّ  
 وَتَنْتَشِرُ الْأَبْصَارُ مِنْهَا إِلَى مَدَى التَّ  
 نَزَّهُ بِالْأَطْيَارِ وَالْوَحْشِ وَالزَّهْرِ  
 وَأَعْجَبُ مَنْ أَفْيَأَتْهَا الْعُرَرُ الَّتِي  
 يَقِيلُ بِهِنَّ الْبَرْدُ فِي غُرَةِ الْحَرِّ  
 يَنِمُّ بِأَخْفَى سِرِّهَا غَيْرَ كَاتِمٍ  
 صَدَاهَا فَأَخْفَى السِّرَّ فِيهَا مِنَ الْجَهْرِ  
 كَأَنَّ الَّذِي يُخْفِي الْحَدِيثَ بَنَجُوهَا  
 عَلَى أَخْفَى الْأَصْوَاتِ يَشْدُو عَلَى وَثْرِ

نَوْمُ الضُّحَى ضَافِي الْعُلَى سَجَسَجُ السَّنَا  
 تُضِيءُ بِلَا شَمْسٍ عَلَيْهَا وَلَا بَدْرٍ  
 وَيَا حَبَّذَا أَنْبَأَتْهَا الْخُضْرُ حَوْلَهَا  
 وَأَنْهَارُهَا الْبَيْضُ الَّتِي تَحْتَهَا تَجْرِي  
 تَرَى الْبَاسِقَاتِ النَّاشِرَاتِ فُرُوعَهَا  
 مَوَائِسَ فِيهَا مِنْ مُزَاوَلَةِ الْوَفْرِ  
 كَأَنَّ صِبَاغًا صَيَّغَ فَوْقَ غُصُونِهَا  
 مِنَ الذَّهَبِ النَّارِيِّ عَرَّاجِينَ مِنْ تَمَرٍ  
 تَبَدَّلْنَ حَالَاتٍ ثَلَاثًا لَهْنٌ فِي  
 مَصْبُوغِ الْحَلَى شَكْلٌ وَفِي الْجَوْهَرِ النَّضْرِ  
 نَشَتْ لَوْلُؤًا ثُمَّ اسْتَحَالَتْ زُمُرْدًا  
 يَعُودُ إِلَى الْعِقْيَانِ بَعْدَ جَنَى الْبُسْرِ  
 وَقَدْ يُشْتَهَى مِنْهَا شَرَابٌ أَلَذُّ مِنْ  
 تَضَرُّعِ مُشْتَقٍ إِلَى عَاشِقِ الْكِبَرِ  
 وَمِنْ أَرْجَاتٍ فِي الْغُصُونِ كَأَنَّهَا  
 خُدُودٌ عَذَارَى فِي مَقَانِعِهَا الْخُضْرِ

إلى أن يقول:

يُغَرِّدُ فِيهَا كُلُّ مُخْتَضِبِ الشَّوَى  
 مُوَشَّى الْقَرَأَانِي الطُّلَى أَخْضَرَ الصَّدْرِ  
 إِلَى كُلِّ سَلْتَاءٍ أَضَاعَتْ خِضَابَهَا  
 مُدَبَّجَةً الْكَشْحَيْنِ وَالْبَطْنِ وَالظَّهْرِ

إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ فِي شَجِيٍّ غِنَائِهَا  
يُنْسِيكَ تَرْجَاعَ الْيَرَاعِ بِلاَ زَمْرِ

ثم يقول:

وَكُلُّ بَدِيعٍ فِيهِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ  
مِنَ الطَّيْرِ وَالنِّينَانِ وَالْتَّمْرِ وَالْقُمْرِي  
وِرَاثَةِ آبَاءٍ تَوَلَّوْا خَلَائِفَ  
بِهَالِيلِ أَمْلاكَ خَضَارِمَةٍ زُهْرٍ

ولما صنع المنقانة (الساعة) نقش فيها  
أبياتاً من نظمه؛ هي:

أَلَا إِنِّي لِلدِّينِ خَيْرُ أَدَاةٍ  
إِذَا غَابَ عَنْكُمْ وَقْتُ كُلِّ صَلَاةٍ  
وَلَمْ تُرْ شَمْسٌ بِالنَّهَارِ وَلَمْ تُنَرِ  
كَوَاكِبُ لَيْلٍ حَالِكِ الظُّلُمَاتِ  
يُؤْمِنُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ  
تَجَلَّتْ عَنِ الْأَوْقَاتِ كُلِّ صَلَاةٍ

ومن مقطوعاته الشعرية التي كان يعدها  
للتلحين والغناء؛ هذه الأبيات التي كتبها  
بالذهب على تفاحة؛ ثم قدمها إلى الأمير  
محمد؛ الذي أمر أن تغنى:

تُفَاحَةٌ مُصَنَّفَةٌ الْبَعْضِ  
 بِخَوْفِهَا مِنْ أَلَمِ الْعَضِّ  
 أَمْتَهَا ذَاكَ وَكَتَبَتْهَا  
 حُسْنًا بِذَا مِنْ ذَهَبٍ مَحْضِ  
 وَقُلْتُ فِيهَا الْحَقَّ مِنْ بَعْدِ ذَا  
 وَمَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْ نَقْضِ  
 "مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ مُسْتَخْلَفٍ  
 مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ"

وفي أخرى يقول:  
 تَحَفَّظُ مِنَ الْهَجْرَانِ إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ  
 يَمُوتُ الْفَتَى فِي حُبِّهِ حِينَ يَهْجُرُ  
 فَأَمَّا إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ حَبِيبُهُ  
 فَلَا شَكَّ فِيهِ: ذَلِكَ الْيَوْمَ يُقْبَرُ  
 رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا  
 وَفِي وَجْهِهِ بَدْرُ الْمَجَرَّةِ يُبْصَرُ  
 هُمَامٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ تُلْقِي شُعَاعَهَا  
 عَلَى الْخَلْقِ مِنْهُ حِينَ يَبْدُو وَيَظْهَرُ

وقال مادحا:  
 وَمُخْتَلِفِ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلِفِ الزَّخْفِ  
 لَهُومِ الْفَلَاحِ عِبَلِ الْقَنَابِلِ مُتَلَفٍ



إِذَا أَوْمَضَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلْتَهَا  
 بُرُوقاً تَرَأَى فِي الْجِهَامِ وَتَسْتَخْفِي  
 كَأَنَّ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي سِيلَانِهِ  
 قَرَأَقِيرُ يَمُّ قَدْ عَجَزْنَ عَنِ الْقَذْفِ  
 وَإِنْ طَمَحَتْ أَرْكَائُهُ كَانَ قُطْبُهُ  
 حِجَى مَلِكٍ نَجْدٍ شَمَائِلُهُ عَفٌّ  
 سَمِيٍّ خِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ  
 إِذَا وُصِفَ الْأَمْلاكُ جَلَّ عَنِ الْوَصْفِ  
 فَمِنْ أَجَلِهِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غَدَوَةٌ  
 وَقَدْ نَقَضَ الْإِصْبَاحُ جُلَّ عُرَى السَّجَفِ  
 بَكَى جَبَلاً وَادِي سَلِيْطٍ فَأَعْوَلَ  
 عَلَى النَّفْرِ الْعُبْدَانِ وَالْعُصْبَةِ الْعُلْفِ  
 دَعَاهُمْ صَرِيخُ الْحَيْنِ فَاجْتَمَعُوا لَهُ  
 كَمَا اجْتَمَعَ الْجُعْلَانُ لِلْبَعْرِ الْقُفِّ  
 يُرِيدُونَ إِرْعَابَ الْأَمِيرِ جَهَالَةً  
 بَسَعَرِ كِلَابِ الْحَرْبِ فِي حَشْوَةِ الْعَصْفِ  
 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِيَعْضِهَا  
 فَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابٍ مَهْزَلَةٍ كُشِفِ  
 كَأَنَّ مَسَاعِيرَ الْمَوَالِي عَلَيْهِمْ  
 زَمَامِيْجُ حَادَتْ لِلْغَرَائِقِ بِالنَّشْفِ  
 بِنَفْسِي تَنَانِينَ الْوَعْيِ حِينَ صَمَمَتْ  
 إِلَى الْجَبَلِ الْمَشْحُونِ صَفَاً عَلَى صَفٍّ

يَقُولُ ابْنُ بَلْشُوشٍ لِمُوسَى وَقَدْ دَنَا  
 أَرَأَى الْمَوْتَ قُدَّامِي وَتَحْتِي وَمِنْ خَلْفِي  
 قَتَلْنَاهُمْ أَلْفًا وَأَلْفًا وَمِثْلَهَا  
 وَأَلْفًا وَأَلْفًا بَعْدَ أَلْفٍ إِلَى أَلْفٍ  
 سِوَى مَنْ طَوَاهُ النَّهْرُ فِي مُسَلْحِهِ  
 فَأَغْرَقَ فِيهِ أَوْ تَذَهَّدَهُ مِنْ جُرْفٍ  
 لَقَدْ نَعِمْتَ فِيهِ غَزَاةً نُسُورِنَا  
 وَسَمِعْتَ الذُّؤْبَانَ قَصْفًا عَلَى قَصْفٍ

ويقول أيضا:

يَا بْنَ الْخَلَائِفِ يَا مُحَمَّدُ يَا  
 مَنْ سَيْفُهُ فِي رَاحَةِ النَّصْرِ  
 مَا إِنْ تَقُومَ لِحُرِّ بَأْسِكَ فِي الْـ  
 لُدُنِّيَا مُحَصَّنَةً مِنَ الدَّهْرِ  
 أَضَحَتْ طُلَيْطَلَةٌ مُعْطَلَةٌ  
 مِنْ أَهْلِهَا فِي قَبْضَةِ الصَّقْرِ  
 تَرَكْتَ بَلَاءَ أَهْلِ تَوْهَلُّهَا  
 مَهْجُورَةً الْأَكْنَافِ كَالْقَبْرِ  
 مَا كَانَ يُبْقِي اللَّهَ قَنْطَرَةً  
 أَضَحَتْ سَبِيلَ كَتَائِبِ الْكُفْرِ

وقال مهنتا بالنصر، وعيد الفطر معا:  
 إِنَّ الْقُفُولَ الَّذِي أَوْفَى بِعِيدَيْنِ  
 مُكْرَمَيْنِ عَلَى الدُّنْيَا عَزِيزَيْنِ  
 قُدُومُ أَكْرَمٍ مَنْ فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً  
 قُدُومُ فِطْرٍ، فَكَأَنَّا خَيْرَ عِيدَيْنِ  
 طَابَا كَتَفًا حَتَّى حَدَّيْ مُنْعَمَةٍ  
 تَوَرَّدَا فِي بَيَاضٍ بَيْنَ صَدَغَيْنِ  
 مُعَقَّرَيْنِ كُنُونِي كَاتِبٍ نُقْطًا  
 فَقَابَلَا مِنْ مِدَادِ الْمِسْكِ رَائَيْنِ  
 أَوْ مُقْلَتِي رَشَاءً فِي طَرْفِهِ حَوْرُ  
 مَكْحُولَتَيْنِ بِسِحْرِ الْبَابِلِيِّينِ  
 أَوْ لِكَاجِتِمَاعِ الْهَوَى وَالْوَصْلِ فِي قَرْنٍ  
 لِعَاشِقٍ حَارٍّ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْيَيْنِ  
 دَلَّ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الْأَرْبَعَاءِ عَلَى  
 هَلَاكِ سِبْطَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ  
 مِنْ الْعَبَاشِمَةِ الْغُرِّ الْأَلَى كَرَهُوَا  
 فَمَا شَرَى اللَّهُ بَيْعَ النَّقْدِ بِالْذِّينِ

— ثم أبو القاسم مطرف بن فرج بن علي  
الماردي البربري (توفي ببطليوس سنة  
322هـ/933م)؛ فقيه، وراوي؛ من حفاظ المسائل.

— ثم أبو الأحوص معن بن محمد بن معن  
البربري (توفي بسرقسطة سنة 330هـ/641م)؛ ولاء  
الناصر على قضاء سرقسطة؛ وبقي في منصبه  
حتى وفاته. قال فيه ابن الأبار: ((وكان  
حصيف العقل، معروفا بالدهاء، حاضر  
الجواب، حسن الرد؛ له فهم وإدراك. ولا  
ينسب إليه فقه، ولا علم)).<sup>1</sup>

— ثم أبو رزين هشام بن محمد بن أبي  
رزين الشذوني البربري (توفي بشريش سنة  
336هـ/947م)؛ وهو من حفاظ المسائل؛ وهو  
المفتي بشذونة وما يتبعها؛ كان يروي المدونة،  
ويرحل الناس إليه للسمع منه.

— ثم ملحان بن عبد الله بن ملحان بن  
سالم القرطي البربري (من أعلام النصف الأول  
من القرن الرابع للهجرة)؛ اشتغل مؤدبا، ثم  
أصبح كاتباً لعيسى بن فطيس؛ كاتب عبد  
الرحمن الناصر. وكان نحويًا، وعروضيًا، وراويًا  
للأشعار.

<sup>1</sup> التكملة، ج: 2، ص: 729.

— ثم عبد الله بن مطاهر بن أصبغ بن هانئ بن قيس القرطبي البربري (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من القراء المجودين.

— ثم أبو إسحاق إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري المعروف بابن العطار (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ من أهل العلم، وطلبه؛ وهو والد سهل بن إبراهيم الآتي ذكره.

— ثم إسماعيل بن تاجيت الجياني البربري (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

— ثم محمد بن تاجيت الجياني البربري (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

— ثم أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري المعروف بابن العطار (توفي بالبيرة سنة 387هـ/997م)؛ وهو من العلماء الحفاظ؛ مستوعب لمعاني القرآن الكريم، والحديث؛ وكان بصيرا بالمذهب، ومتحكما في

الإعراب، والحساب. وكان من أهل الفضل،  
والزهد.

— ثم أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي  
سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن  
يوسف بن سعيد القرطبي البربري المعروف  
بابن القزاز ويلقب بلحية الذئبل (ت: سنة 394 أو  
395هـ/1003 أو 1004م)؛ وهو من علماء اللغة. قال  
فيه ابن الفرضي: ((وكان أبو عثمان هذا  
حافظا للغة والعريية؛ حسن القيام بها؛ ضابطا  
لكتبه؛ متقنا في نقله. وله كتاب في الرد على  
صاعد ابن الحسن اللغوي البغدادي ضيف  
محمد بن أبي عامر في مناكير كتابه في النوادر  
والغريب المسمى بالفصوص؛ وأكثر التحامل  
عليه فيه. وكانت له عناية بالحديث، ورواية  
عالية عن قاسم بن أصبغ وغيره؛ وكان  
ثقة. وكان من أجل أصحاب أبي علي  
البغدادي؛ ومن طريقه صحت اللغة بالأندلس  
بعد أبي علي)).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الصلاة، ج: 1، ص ص: 208 — 210.

— ثم يحيى بن أيوب بن خيار بن خطاب ابن مقسم الجياني البربري (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ قال فيه ابن الفرضي: ((كان عالما بالرأي؛ متفننا، حاذقا بالكلام في المسائل؛ عاقدا للشروط. وألف في ذلك كتابا)).<sup>1</sup>

— ثم أم العلاء بنت يوسف الحجازية البربرية (من أعلام القرن الخامس للهجرة)؛ كانت شاعرة متميزة؛ قال فيها صاحب المسهب: ((أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلها)). ومن شعرها:

كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ حَسَنُ  
وَبَعْلِيَاكُمْ يُحَلِّي الزَّمَنُ  
تَعْكُفُ الْعَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ  
وَبَذِكْرَاكُمْ تَلَدُّ الْأُذُنُ  
مَنْ يَعْشُ دُونَكُمْ فِي عُمْرِهِ  
فَهُوَ فِي نَيْلِ الْأَمَانِي يُغْبَنُ

ولها أيضا:

أَفْهَمُ مَطَارِحَ أَحْوَالِي وَمَا حَكَمْتُ  
بِهِ الشَّوَاهِدُ وَأَعْذُرْنِي وَلَا تَلَمَّ

<sup>1</sup> تاريخ علماء الأندلس، ج: 2، ص: 183.

وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ عُذْرٍ أَبِينَهُ  
 شَرُّ الْمَعَاذِيرِ مَا يَحْتَاجُ لِلْكَلِمِ  
 وَكُلُّ مَا جِئْتُهُ مِنْ زَلَّةٍ فَبِمَا  
 أَصْبَحْتُ فِي ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكَرَمِ

ومن شعرها كذلك:  
 لِلَّهِ بُسْتَانِي إِذَا  
 يَهْفُؤُ بِهِ الْقَصَبُ الْمُنْدَى  
 فَكَأَنَّمَا كَفُّ الرِّيَا  
 حَ قَدْ أَسْنَدَتْ بَنَدًا فَبَنَدًا

وفي ردها على رجل أشيب قالت:  
 الشَّيْبُ لَا يُخْدَعُ فِيهِ الصَّبَا  
 بِحِيلَةٍ فَاسْمَعْ إِلَىٰ نُصْحِي  
 فَلَا تَكُنْ أَجْهَلَ مَنْ فِي الْوَرَى  
 يَبِيتُ فِي الْجَهْلِ كَمَا يُضْحِي

وتقول أيضا:  
 لَوْلَا مُنَافَرَةُ الْمُدَامَةِ لِلصَّبَابَةِ وَالْغِنَا  
 لَعَكَفْتُ بَيْنَ كُؤُوسِهَا وَجَمَعْتُ أَسْبَابَ الْمُنَى



— ثم أبو سعيد خلوف بن خلف الله البربري (توفي بفاس سنة 515هـ/1121م)؛ فقيه؛ ولي قضاء غرناطة في عهد المرابطين، ثم ولي قضاء فاس حتى وفاته.

— ثم أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله ابن أبواب اللنتي البربري (توفي بالمريّة سنة 515هـ/1121م)؛ فقيه.

— أبو عمر عثمان السلالجي البربري (ت: سنة 564هـ/1168م)؛ وهو من كبار أئمة المغرب في علم الاعتقاد.

— ثم أبو الحكم أحمد بن علي بن هردوس البربري (توفي بمراكش سنة 572 أو 573هـ/1176 أو 1177م)؛ ستمته بعض المصادر باسم هرودس؛ ويبدو أن الاسم الصحيح هو هردوس؛ فهذه الكلمة بالأمازيغية تعني الفحولة. وكان ابن هردوس هذا كاتباً لحاكم غرناطة عثمان بن عبد المؤمن. وهو من الشعراء المجيدين؛ تناول في شعره ألواناً مختلفة؛ أبرزها الموشحات. ومن شعره هذه الأبيات التي بعثها إلى أحمد بن عبد الملك ابن سعيد:

يَا سَمِيّ فِي عِلْمٍ مَجْدُكَ مَا يَحـ  
تَجُ فِيهِ هَذَا النَّهَارُ الْمَطِيرُ

نَدَفَ الثَّلْجُ مِنْهُ قُطْنًا عَلَيْنَا  
 فَعَدَوْنَا بِعَدْلِكُمْ نَسْتَجِيرُ  
 وَالَّذِي أَبْتَغِيهِ فِي اللَّحْظِ مِنْهُ  
 وَرَضَاهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَسِيرُ  
 يَوْمٌ قَرَّ يَوْدُ مَنْ حَلَّ فِيهِ  
 لَوْ تَبَدَّى لِمُقَلَّتِيهِ سَعِيرُ

وله أيضا:

لِي مِنْ وَجْهِكَ بَدْرٌ قَصَّرَتْ عَنْهُ الْبُدُورُ  
 أَيُّ أَفْقٍ لَحْتَ فِيهِ جُنْحَ لَيْلٍ لَا يُنِيرُ  
 لَيْسَ إِلَّا بِكَ يَا مَوْ لَايَ يُحْتَلُّ السُّرُورُ

ومن شعره كذلك:

إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ فَوَلٌّ عَنْهَا  
 وَسِرٌّ فِي الْأَرْضِ وَاخْتَبِرِ الْعِبَادَا  
 وَلَا تَمْسِكْ رَحَالَكَ فِي بِلَادٍ  
 غَدَوْتَ بِأَهْلِهَا خَبْرًا مُعَادَا

— ثم أبو علي سالم بن سلامة السوسي  
 التاروداني البربري (ت: سنة 579هـ/1183م)؛ وهو  
 من فقهاء المالكية؛ تصدر لتدريس الفقه بفاس.

— ثم عبد الله بن محمد بن علي  
الفندلاوي البربري (ت: سنة 598هـ/1201م) وكان  
من أئمة العلم في المغرب.

— ثم أبو محمد عبد الله بن محمد بن  
حجاج البربري المعروف بابن الياسمين (توفي  
قتيلا بمراكش سنة 600هـ/1203م)؛ وهو عالم  
بالحساب، ومن الكتاب في بلاط الدولة. اكتفت  
المصادر بالقول أنه بربري؛ دون ذكر القبيلة.  
هذا وقد توفي بمزله ذبيحا. ومن مؤلفاته:  
أرجوزة في الجبر والمقابلة؛ مع شرح عليها  
لسبط المارديني.

— ثم أبو علي الحسن بن عبد الله بن  
بختيار المغربي البربري (توف بالقاهرة سنة  
685هـ/1286م)؛ وهو فقيه وأستاذ؛ تصدر للإقراء  
بالقاهرة.

— ثم أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أبي  
محمد صالح بن ينصارن البربري (توفي بأسفي  
سنة 687هـ/1288م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ.

— ثم أبو عبد الله البوغاغي البربري (توفي  
قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له  
كتاب منار العلم.

— ثم أبو الحسن بن سعيد البربري المعروف بابن تامسري (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ كان فقيها مالكيا؛ وولي القضاء بتونس.

— ثم أبو علي الحسن بن علي بن حسون المجري البربري الكفيف (توفي باسفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومحدث؛ من أهل الحفظ، والتقى. له كتاب الترجيح والتنقيح في النسخ والمنسوخ.

— ثم أبو محمد عبد الجليل بن موسى البربري (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب الشعب.

— ثم أبو القاسم التازغدري (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو فقيه مالكي.

— ثم أحمد بن عمر المزجلدي (توفي بفاس سنة 864هـ/1459م)؛ وهو من فقهاء المالكية. كان من حفاظ المدونة؛ ومرجعاً لها.

— ثم أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتي المعروف بجلولو القروي (كان حياً سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي، والأئمة الحفاظ؛ ولي القضاء بطرابلس. من مؤلفاته: شرحان على مختصر خليل؛ أحدهما كبير والآخر صغير، وشرحان

على جمع الجوامع؛ صغير وكبير أيضا، واختصار لفتاوى الإمام البرزلي؛ وصفه القرافي بالجيد.

— ثم أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المعروف بزروق (توفي قرب طرابلس سنة 899هـ/1493م)؛ وهو فقيه مالكي؛ من أهل الصلاح. له مؤلفات عديدة؛ منها: شرحان على رسالة أبي زيد، وشرح مختصر خليل، وشرح الوغليسية، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، وأكثر من عشرين شرحا على الحكم، وكتاب الجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وتعليق على البخاري، وكتاب في علم الحديث.

È È È

## كلمة أخيرة

هذا ما تيسر ذكره — في هذا المجال —  
 فيما يخص القبائل الأمازيغية؛ سواء كان ذلك  
 عن أدوارها، وحركاتها عبر التاريخ، أو عن  
 مواطنها الأولى، وما استوطنته — لاحقاً — من  
 بلاد، ومواطن جديدة. كما اكتفيت بما بين  
 يدي من مصادر؛ للإشارة إلى أعيان القبائل  
 الأمازيغية؛ تاركاً لغيري إكمال الباقي؛ لأن هذا  
 الموضوع لا يتسع له كتاب واحد؛ بل يتطلب  
 مجالا واسعا؛ قد يتجاوز حيزه مجلدات عديدة.  
 ومع هذا فقد حرصت على إبراز عينات  
 كهذه؛ لكي تكون منطلقاً لغيري، كما تكون  
 رسالة صريحة للذين يشككون، أو يتجاهلون  
 الثروة العلمية، والثقافية العظيمة التي انبثقت  
 من بلاد المغرب؛ وسطع نورها على البلاد  
 الإسلامية غرباً وشرقاً؛ حيث أضافت إلى سجل  
 التراث الإسلامي صفحات ذهبية؛ أفادت أجيال،  
 وأجيال ولكنها تمت في صمت غريب؛ سببه  
 التواضع، ونكران الذات، من جهة؛ ومن جهة  
 أخرى يبدو أنهم كانوا ضحية سحابة صمت

وتجاهل؛ مبعثهما الغرور الزائف؛ الذي كان يشوب أوساط ثقافية إسلامية أخرى.

غير أن هذا الاعتقاد لا يكفي لتفسير تلك الظاهرة الغريبة؛ التي حجت هؤلاء العظماء من أبناء المغرب الإسلامي؛ إذ هناك ظاهرة أخرى أكثر غرابة؛ وإثارة للعجب...!! وهي المتمثلة في القوة الخفية الطاردة؛ لكل عبقرية تظهر في بلاد المغرب — باستثناء الأندلس — فتجبرها أخيرا على الهجرة إلى بلاد أخرى.

وهنا يحق لنا التساؤل: هل تكون بلاد المغرب بمثابة المشتلة؛ التي تنبت فيها العبقریات؛ ولكن شيئا ما في تلك البيئة يمنع نمو العبقریات المذكورة...؟ بل وربما ماتت لو بقيت؛ فتضطر إلى الهجرة إلى بيئة أخرى قابلة للنمو، والازدهار. فإن كان هذا غير صحيح؛ فماذا نفسر انتقال عباقرة هذه الديار وهجرتهم؛ بمجرد ظهور بوادر النبوغ الأولى عليهم...؟!!

يبدو أن للزعة القبلية دورا خطيرا في هذه الظاهرة السلبية. فالمحيط القبلي عاجز — على ما يبدو — على احتضان العبقریات المستنيرة؛ حتى ولو كان ميلادها داخل النظام القبلي؛ الذي يهملها — بعد ذلك — ويعجز عن

تطويرها، وتنميتها. بل يحدث في أحيان تناقض، وتضارب في النظر للحياة. وعليه يشعر العلماء، والعظماء بضيق داخل وسطهم القبلي؛ فيهجرونه نهائيا إلى أوساط أخرى متحضرة، ومتقدمة اجتماعيا.

وهذا هو التفسير الراجح في وجود مجتمعات جاذبة للعبقريات، والعلماء من كل الجهات، ومجتمعات أخرى طاردة لها؛ على الرغم من منيتها فيها.

وقبل الختام وجدت أنه من واجبي - كمتبع للتراث الثقافي المغربي - لفت النظر إلى هذا الكم الهائل من المؤلفات، والنصوص الأدبية والفلسفية والدينية؛ التي تزخر بها مئات المجلدات، والتي كتبت جميعها باللغة العربية، ومن طرف علماء أمازيغ؛ حملوا على عاتقهم مهام جلية، وثقيلة؛ لكي يرفعوا الثقافة العربية الإسلامية إلى مراتب سامية بين الثقافات الإنسانية؛ فكان لهم ما سعوا إليه.

É É É



## □ أهم المصادر والمراجع

### المصادر والمراجع العربية:

- إبراهيمي؛ ك: — تهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.
- ابن الأبار؛ محمد بن عبد الله البلنسي (ت: 658 أو 659 هـ/1260م): — التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد 1956م.
- ابن أبي زرع؛ علي بن عبد الله، أو عبد الحليم بن صالح: — الأنيس المطرب بروض القرطاس، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة؛ تحقّق كارل يوحنا تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسال بالسويد، 1359 هـ/1943م.
- ابن أبي الضياف؛ أحمد بن عمر (ت: 1291 هـ/1845م): — إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، والدار التونسية للنشر، 1396 هـ/1976م.

— ابن الأثير؛ علي بن أبي المكارم الجزري (ت: 630هـ/1332م): — الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي بيروت، 1403هـ-1983م.

— ابن الأحمر؛ إسماعيل بن يوسف (ت: 807هـ/1406م): — روضة النسرين في أخبار بني مرين؛ تحقيق جورج مارسلي، وغوثي بوعلي بارييس 1336هـ/1917م. ثم كتاب نشر فرائد الجمال في نظم فحول الزمان؛ تحقيق محمد رضوان الدايدة، دار الثقافة بيروت 1967م.

— ابن بسام؛ علي الشنترياني الأندلسي (ت: 542هـ/1147م): — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة؛ تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1395هـ/1975م — 1399هـ/1979م.

— ابن بشكوال؛ خلف بن عبد الملك (ت: 578هـ/1182م): — كتاب الصلاة، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

— ابن بطوطة؛ محمد بن عبد الله اللواتي (ت: 779هـ/1377م): — تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار؛ تحقيق علي المنتظر الكتاني، مؤسسة الرسالة بيروت، 1395هـ/1975م.

— ابن بكار؛ محمد بلهاسمي الغريسي: —  
مجموع النسب والحسب والتاريخ والأدب،  
المطبعة الخلدونية بتلمسان، 1381هـ/1961م).

— ابن تاويت؛ محمد الطنجي، وعفيفي؛ محمد:  
الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني بيروت،  
1389هـ/1969م.

— ابن تَغْرِي بَرْدِي؛ أبو المحاسن يوسف  
الأتابكي (ت: 874هـ/1469م): — النجوم الزاهرة في  
ملوك مصر والقاهرة، المسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1383هـ/1963م.

— ابن تومرت؛ محمد بن عبد الله المهدي  
(ت: 424هـ/1129م): — أعز ما يطلب؛ تحقيق عمار  
طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر،  
1406هـ/1985م.

— ابن حزم؛ علي بن أحمد الأندلسي (ت:  
456هـ/1063م): — جبهة أنساب العرب؛ تحقيق  
عبد السلام محمد هارون، ثم كتاب المفصل  
في الملل والأهواء والنحل، ج: 1، 1317هـ، ج: 2 — 3،  
1320هـ، المطبعة الأدبية بمصر، ج: 4، 1321هـ، مطبعة  
التمدن بمصر، ج: 5، 1321هـ، مطبعة الموسوعات  
بمصر.

— ابن حماد الصنهاجي؛ محمد بن علي (ت: 626هـ/1230م): — أخبار ملوك بني عبيد؛ تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1405هـ/1984م.

— ابن حيان؛ حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت: 479هـ/1076م): — المقتبس من أنباء أهل الأندلس؛ وهي القطعة التي حققها محمود علي مكي، دار الكتاب العربي ببيروت 1393هـ/1973م. ثم القطعة الثانية وهي بعنوان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس؛ تحقيق عبد الرحمن علي حجي، دار الثقافة ببيروت 1965م.

— ابن خاقان؛ الفتح بن محمد الإشبيلي (ت: 529هـ/1134م): — قلائد العقيان في محاسن الأعيان، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.

— ابن الخطيب لسان الدين؛ محمد السلماني (ت: 776هـ/1374م): — أعمال الأعلام في من بويق قبل الاحتمام من ملوك الإسلام (القسم المخصص لتاريخ إسبانيا الإسلامية)؛ تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف ببيروت، 1956م. ثم (القسم الثالث المخصص لتاريخ المغرب العربي)؛ تحقيق أحمد العبادي، ومحمد الكتاني، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1884هـ/1964م. ثم الإحاطة في أخبار

غرناطة؛ تحقيق محمد عنان، مكتبة الخانجي بمصر، ج: 1، 1393هـ/1973م، ج: 2، 1394هـ/1974م، ج: 3، 1395هـ/1975م، ج: 4، 1397هـ/1977م. ثم الملحمة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق ببيروت، 1978م.

— ابن خلدون؛ عبد الرحمن (ت: 808هـ/1405م):  
— العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ببيروت، مج: 1، 1967م، ومج: 2، 3، 1977م، ومج: 4، 1968م، ومج: 5، 6، 7، 1968م. ثم التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا؛ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، 1370هـ/1958م. ثم مقدمة ابن خلدون؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ج: 1، 1384هـ/1965م، وج: 2، 1386هـ/1966م، وج: 3، 1387هـ/1967م، وج: 4، 1388هـ/1968م.

— ابن خلدون؛ يحيى (ت: 780هـ/1378م): — بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ تحقيق ألفرد بل، والغوثي أبو علي، مطبعة فطنانة الشرقية بالجزائر، ج: 1، 1321هـ/1903م، وج: 2، 1328هـ/1910م، والنسخة المحققة للجزء الأول من طرف عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، 1400هـ/1980م. أما الجزء الثاني فحققه

بوزياني الدراجي؛ برعاية وزارة الثقافة الجزائرية،  
وإنجاز دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع  
بالجزائر سنة 2006م.

— ابن خلكان؛ أحمد بن محمد (ت: 681هـ/1282م):  
— **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ تحقيق  
إحسان عباس، دار صادر بيروت. ج: 1، 1968م، ج: 2،  
1969م، ج: 3، 1970م، ج: 4، 5، 6، 1971م، ج: 7، 8، 1972م.

— ابن رشيقي؛ حسن القيرواني (قد تكون  
وفاته في سنة 456هـ/1063م): — **أنموذج الزمان في  
شعراء القيروان**؛ تحقيق محمد العروسي المطوي  
وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر بتونس،  
والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1406هـ/1986م.  
— ابن الزبير؛ أحمد بن إبراهيم الأندلسي (ت:  
708هـ/1308م): — **صلة الصلة، مكتبة خياط  
بيروت.**

— ابن سعيد؛ علي بن موسى: (ت: 685هـ/1274م)  
— **كتاب الجغرافيا**؛ تحقيق إسماعيل العربي،  
ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1403هـ/1982م.  
ثم المغرب في حلى المغرب، بمشاركة آخرين؛  
تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر،  
1384هـ/1964م.

— ابن سودة؛ عبد السلام: — دليل المؤرخ في المغرب الأقصى، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1380هـ/1960م.

— ابن شاكر؛ محمد بن أحمد الكتبي (ت: 764هـ/1362م): — فوات الوفيات والذيل عليها؛ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت 1973 — 1974م.

— ابن صاحب الصلاة؛ عبد الملك (كان حيا سنة 594هـ/1198م) — تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم من الوارثين، وظهور المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة أمير المؤمنين وأخيرا (بعض) الخلفاء الراشدين؛ تحقيق عبد الهادي التازي، ج: 2، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت 1383هـ/1964م.

— ابن عبد الحكم؛ عبد الرحمن بن عبد الله: (ت: 257هـ/871م): — فتوح مصر والمغرب؛ تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1961م.

— ابن عذاري؛ محمد المراكشي (ت: 669هـ/1272م): — البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،

تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1967م.

— ابن العماد؛ عبد الحي الحنبلي (ت: 1089هـ/1678م): — شذرات الذهب في من أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.

— ابن عميرة؛ محمد: — دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.

— ابن فرحون؛ إبراهيم بن علي المالكي؛ (ت: 799هـ/1396م): — الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ تحقيق محمد الأحدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة 1972م.

— ابن الفرضي؛ عبد الله بن محمد الأزدي (ت: 403هـ/1012م): — تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

— ابن القاضي؛ أحمد بن محمد المكناسي (ت: 1025هـ/1616م): — درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان)؛ تحقيق محمد الأحدي أبو النور، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970 — 1971م.



- ابن القنفذ؛ أحمد بن الحسين (ت: 810هـ/1406م): — **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ثم **كتاب الوفيات**؛ تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة ببيروت 1403هـ/1983م.
- ابن مرزوق؛ محمد (الرابع) بن أحمد (ت: 781هـ/1379م): — **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**؛ تحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.
- ابن مريم؛ محمد الشريف (كان حيا سنة 1025هـ/1611م): — **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**؛ تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية بالجزائر، 1326هـ/1908م.
- ابن منصور؛ عبد الوهاب: — **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية بالرباط، 1388هـ/1968م.
- أبو حمو الثاني، موسى بن يوسف الزياني (ت: 791هـ/1388م): — **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية بتونس، 1279هـ/1862م.

— أبو رزاق؛ أحمد بن محمد: — الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1979م.

— أبو زكرياء؛ يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت: 471هـ/1078م): — كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1405هـ/1984م.

— أبو ضيف؛ أحمد عمر: — القبائل العربية في المغرب (في عصر الموحدين وبني مرين)، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1403هـ/1982م.

— أبو العرب؛ محمد بن أحمد القيرواني (ت: 333هـ/944م): — طبقات علماء إفريقية وتونس؛ تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني الدار التونسية للنشر 1968م.

— إحسان عباس؛ — تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة ببيروت 1978م.

— الإدريسي؛ محمد بن عبد الله الحمودي السبتي (يكون قد توفي سنة 560هـ/1164م) — مقتبس من نزهة المشتاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس) تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م.

- اسماعيل؛ العربي — دولة الأدارسة ملوك  
تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات  
الجامعية بالجزائر 1983م، ثم كتاب دولة بني  
حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية  
للنشر وتوزيع بالجزائر 1980م، ثم كتاب المدن  
المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.
- الأصفهاني؛ محمد بن محمد (ت: 597هـ/1200م): —  
خريدة القصر وجريدة العصر (قسم المغرب  
والأندلس)؛ تحقيق محمد المرزوقي، وآخرين،  
الدار التونسية للنشر بتونس، والشركة الوطنية  
للنشر والتوزيع بالجزائر 1971 — 1972 — 1973م.
- ألفرد؛ بل: — الفرق الإسلامية في الشمال  
الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم؛ ترجمة  
عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي  
بيروت 1181م.
- أماري؛ ميخائيل: — المكتبة العربية الصقلية  
(نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم  
والمراجع)، مكتبة المثنى ببغداد و PRESSO F. A.  
BROCKHAUS Libraio Della Societa LIPSIA. 1857.
- الأوسي المراكشي (ت: 703هـ/1303م)؛ محمد ابن  
محمد الأنصاري: الذيل والتكملة لكتابي  
الموصول والصلة؛ تحقيق إحسان عباس، دار  
الثقافة بيروت 1965م.

— باجية؛ صالح — الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع بتونس، 1976م.

— الباروني؛ سليمان (ت: 1359هـ/1940م): — مختصر تاريخ الإباضية.

— البكري؛ عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م): — المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)؛ تحقيق ماك قوكين دي سلان MAC GUCKIN DE SLANE، مكتبة أمريكا والشرق بباريس Librairie D'Amérique et D'Orient, Paris، 1965م.

— البلاذري؛ أحمد بن يحيى (ت: 279هـ/892م): — كتاب فتوح البلدان؛ تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

— بورويبة؛ رشيد: — ابن تومرت؛ ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1982م، ثم — كتاب الدولة الحمادية وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، والمركز الوطني للدراسات التاريخية.

— بوزياني؛ الدراجي: — نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية 1993م.

— بونار؛ رابح: — المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969م.

— البيذق؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي: — كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحيدين؛ تحقيق ليفي بروفنسال E. Lévi-Provençal، مكتبة المستشرقين Librairie Orientaliste بباريس 1928م. ثم نسخة أخرى بتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1394هـ/1974م.

— بيضون؛ إبراهيم: — الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1980م. — التجاني؛ محمد عبد الله (كان حيا سنة 717هـ/1317م): — رحلة التجاني؛ الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1981م.

— التنسي؛ محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 899هـ/1493م): — نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم مما مضى من الزمان، مخطوط، الخزانة العامة بالرباط، ثم نسخة مطبوعة تحت عنوان تاريخ بني زيان ملوك

تلمسان؛ بتحقيق محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية  
للكتاب بالجزائر 1405هـ/1985م.

— الجزائري؛ محمد بن عبد القادر: — تحفة  
الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، دار  
اليقظة العربية ببيروت 1384هـ/1964م.

— جودت؛ عبد الكريم: — العلاقات الخارجية  
للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب  
بالجزائر 1984م.

— جوليان؛ شارل أندري: — تاريخ إفريقيا  
الشمالية؛ ترجمة محمد مزالي و البشير بن  
سلامة، الدار التونسية للنشر بتونس والشركة  
الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1978م — 1983م.

— الجيلالي؛ عبد الرحمن: — تاريخ الجزائر  
العام، دار الثقافة ببيروت 1400هـ/1980م، ثم تاريخ  
المدن الثلاث: الجزائر، لمدينة، مليانة، مطبعة  
صاري بدر الدين وأبنائه بالجزائر 1392هـ/1972م.

— حاجات؛ عبد الحميد: — أبو حمو موسى  
الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر  
والتوزيع بالجزائر، 1394هـ/1974م.

— حجاب؛ محمد فريد: — المهدي المنتظر بين  
العقيدة الدينية والمضمون السياسي، المؤسسة  
الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.

— حركات؛ إبراهيم: — المغرب عبر التاريخ، مطبعة دار السلمي بالدار البيضاء بالمغرب 1384هـ/1965م، ثم كتاب النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء.

— الحميدي؛ محمد بن أبي نصر الأزدي (ت: 488هـ/1095م): — جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

— الحميري؛ محمد بن عبد المنعم (ت: 727هـ/1326م): — الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام)؛ تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت 1975م.

— خوجة؛ حسين بن علي (ت: 1145هـ/1732م): — ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان؛ تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1975م.

— خوجة؛ حمدان بن عثمان الجزائري (ت: 1255هـ/1840م): — المرأة (لحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)؛ تحقيق محمد ابن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة بيروت 1972م، ونسخة أخرى بعنوان: امرأة الجزائر؛ حققها رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ/1974م.

— دبور؛ محمد علي: — تاريخ المغرب الكبير، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه بالقاهرة 1963م — 1974م.

— الدرجيني؛ أحمد بن سعيد (ت: 670هـ/1271م): — طبقات المشائخ بالمغرب؛ تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث بقسنطينة 1394هـ/1974م.

— دوزي؛ رينهارت: — تاريخ مسلمي إسبانيا (ج: 1، الحروب الأهلية)؛ ترجمة حسن حبشي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م.

— الرصاع؛ محمد الأنصاري (ت: 894هـ/1488م): — فهرست الرصاع؛ تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة بتونس 1967م.

— الرقيق القيرواني؛ إبراهيم بن القاسم (ت: بعد 417هـ/1026م): — تاريخ افريقية والمغرب؛ تحقيق المنجي الكعبي، نشر رقيق السقطي بتونس 1968م.

— الزركشي؛ محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (كان حيا سنة 894هـ/1488م). — تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية؛ تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.

— الزركلي؛ خير الدين: — الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب



والمستعربين والمستشرقين)، مطبعة كوستا توماس  
وشركاه (1373هـ/1954م — 1378هـ/1959م).

— السراج؛ محمد بن محمد الأندلسي (ت: 1149هـ/1736م): — الحلل السنديّة في الأخبار  
التونسية؛ تحقيق محمد الحبيب الهيل، الدار  
التونسية للنشر بتونس 1970 — 1973م.

— سعد الله؛ أبو القاسم: — تاريخ الجزائر  
الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14هـ، الشركة  
الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر 1401هـ/1981م.

— سعدي؛ عثمان: — عروبة الجزائر عبر  
التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر  
1982م.

— السلاوي؛ أحمد بن خالد الناصري  
(ت: 1315هـ/1897م): — الإستقصاء لأخبار دول  
المغرب الأقصى؛ تحقيق جعفر الناصري ومحمد  
الناصري، دار الكتاب بالدار البيضاء بالمغرب،  
1954 — 1956م.

— السّلفي؛ أحمد بن محمد (ت: 576هـ/1180م): —  
أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم  
السّفر للسّلفي)؛ تحقيق إحسان عباس، دار  
الثقافة ببيروت 1963م

- شاوش؛ محمد بن رمضان: — الدر الوقاد  
من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة  
العلوية بمستغانم 1385هـ/1966م.
- شعيرة؛ محمد عبد الهادي: — المرابطون  
تاريخهم السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة.
- شكري؛ فيصل: — المجتمعات الإسلامية في  
القرن الأول (نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي  
والأدبي): دار العلم للملايين بيروت 1966م.
- الشهرستاني؛ محمد بن عبد الكريم (ت:  
548هـ/1153م): — الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة  
والنشر بيروت 1395هـ/1975م.
- الضبي؛ أحمد بن يحيى بن عميرة (ت:  
599هـ/1202م): — بغية الملتبس في تلخيص رجال  
أهل الأندلس، مكتبة المثنى ببغداد، وطبع  
بمطبعة روخس بمدريد 1884م.
- الطالبي؛ محمد: — الدولة الأغلبية (التاريخ  
السياسي)؛ ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب  
الإسلامي بيروت 1985م.
- الطبري؛ محمد بن جرير (ت: 310هـ/923م): —  
تاريخ الأمم والملوك، مكتبة خياط بيروت.
- الطمار؛ محمد بن عمرو: — تلمسان عبر  
العصور (دورها في السياسة وحضارة الجزائر،

المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1984م، ثم كتاب الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1404هـ/1983م.

— العامري؛ محمد الهادي: — تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع بتونس 1974م.

— العبادي؛ أحمد مختار: — دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

— العبدري؛ محمد بن محمد البلمسي (كان حيا سنة 688هـ/1289م): — ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة الى بلاد المشرق (الرحلة المغربية)؛ تحقيق أحمد بن جدو، كلية الآداب، بالجزائر.

— عبد الوهاب؛ حسن حسني: — ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار بتونس 1966 – 1972م.

— العدوي؛ إبراهيم: — بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة 1970م.

— علام؛ عبد الله: — الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر 1971م.

— عنان؛ محمد عبد الله: — دولة الإسلام في الأندلس (العصور: الأول، والثاني، والثالث، والرابع)، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1380هـ/1960م — 1389هـ/1969م.

— عويس؛ عبد الحليم: — دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الشروق بيروت 1400هـ/1980م.

— الغبريني؛ أحمد بن أحمد (ت: 714هـ/1315م): — عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية؛ تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر ببيروت 1969م.

— الغزالي؛ علي مصطفى: — تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة 1378هـ/1959م.

& & &

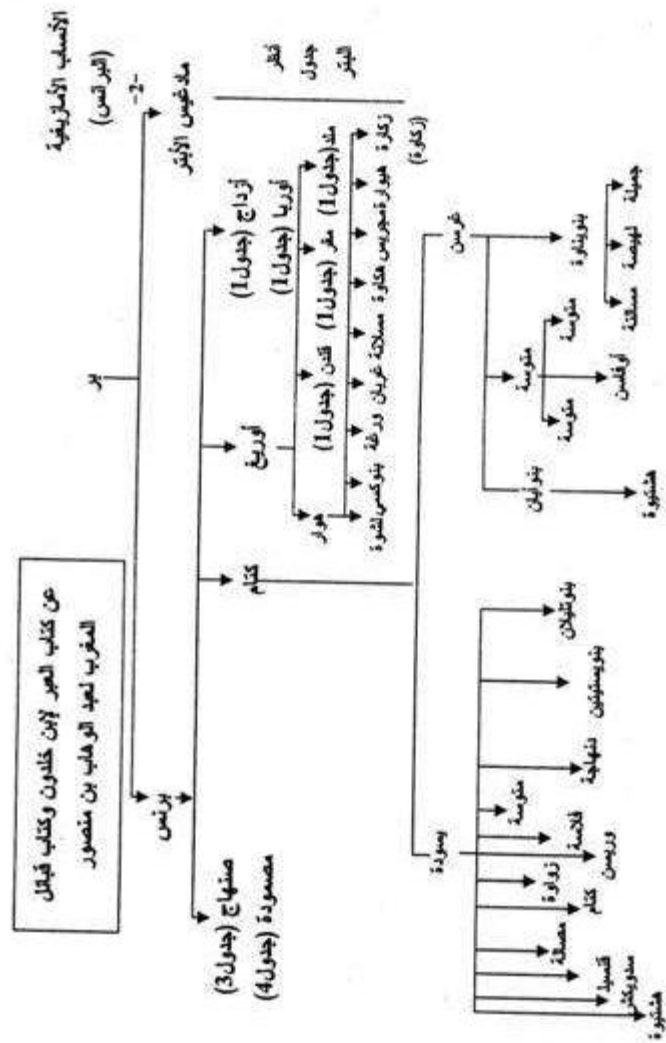
## المراجع باللغة الأجنبية:

- ABOU OBEID EL-BEHRI: - **Description de l'Afrique septentrionale**. Traduit par MAC GUCKIN de Slane. Librairie D'Amérique et D'Orient ADRIEN- MAISONNEUVE, PARIS, 1965.
- BEL - ALFRED: - **La religion musulmanes en Berbérie** (Esquisse d'histoire et de sociologie religieuses ), PARIS, 1938.
- BOURDIEU. PIERRE: - **Sociologie de L'Algérie**. Presses Universitaires de Paris, 1970.
- BOUSQUET (G.H.): - **Les Berberes**. Presses Universitaires de France 1967.
- BRAHIMI; (C): - **Initiation a la Préhistorique de L'Algérie**. S. N. E. D. Alger, 1978.
- BREMOND. C.R (Général): - **Berbères et Arabes**, Payot, Paris, 1950.
- BRUNSCHVIG ROBERT: - **La Berbérie Orientale Sous Les Hafsides** (Des Origines à la fin du XVème siècle) Librairie D'Amérique et D'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1982. et - **Deux Récits de voyage inédits en Afrique du Nord**. (Abdelbasit Ben Khalil et Adorne), Paris, 1936.
- DHINA ATALLAH: - **Les Etats De L'Occident Musulman (Aux XIIIème, XIVème, XVème siècles)**. Office des Publications Universitaires, Alger, 1984. et - **Le Royaume Abdelouadide à l'époque D'Abou Hammou Moussa 1er, et D'Abou Tachfin 1er**, Office des Publications Universitaires, Alger, 1985.
- GAUTIER. (EMILE .F.): - **Le Passé de L'Afrique du Nord. (les Siècles Obscures)** Payot , Paris, 1952.
- IDRIS. Hady Roger: - **La Berbérie Orientale .Sous les Zirides (Xème - XIIème Siècles)**. Librairie D'Amérique et D'Orient Adrien - Maisonneuve , Paris, 1981.
- JEAN LEON LAFRICAIN: - **Description de L'Afrique**. Librairie d'Amérique et D'Orient Maisonneuve, Paris 1981.
- KADDACHE; MAHFOUD: - **L'Algérie Medievale**. S. N. E. D. Alger. 1982.
- LEVI-PROVENCAL: - **Documents inédits. D'Histoire Almohade**, Librairie Orientaliste. 1928. et - **LE Musnad D'ibn Marzuk**. Emile Larose Editeur, Paris. 1925.
- MARCAIS GEORGES: - **La Berbérie Musulmane et L'Orient Au Moyen Age**, Editions Montaigne , Paris. 1946. et - **Les Arabes en Berbérie**, (du XIème - au XIVème siècle). Constantine et Paris. 1913.
- ROBER MONTAGNE: - **Les Berbères et Le Makhzen Dan Le Sud Du Maroc**. Librairie Félix Alcan. 1930.

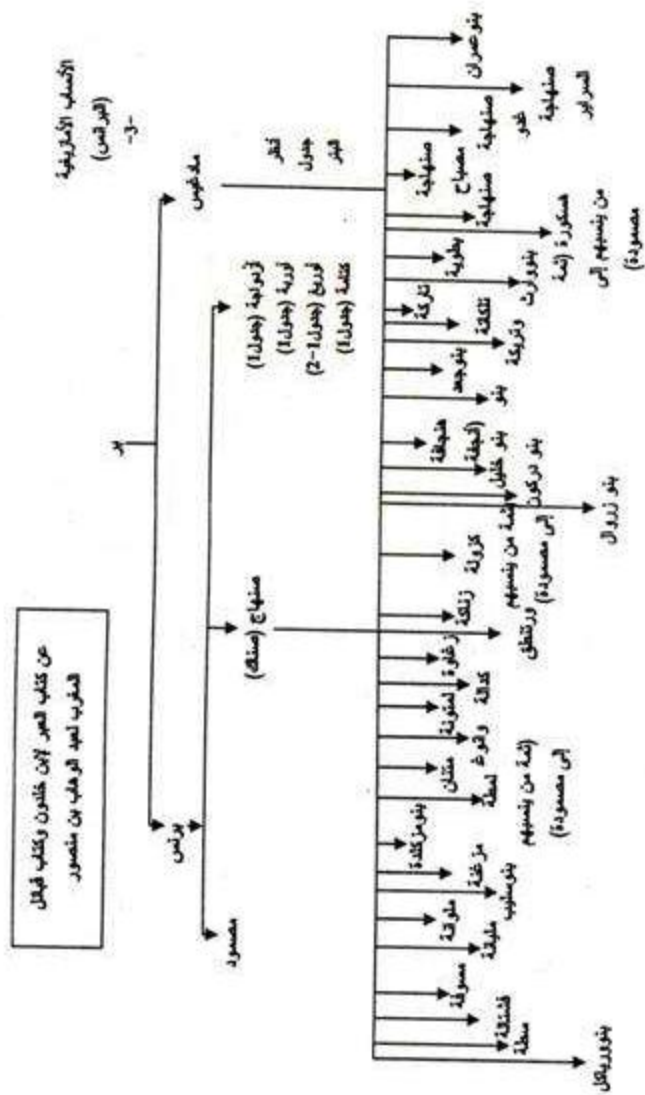
# لوائح توضيحية

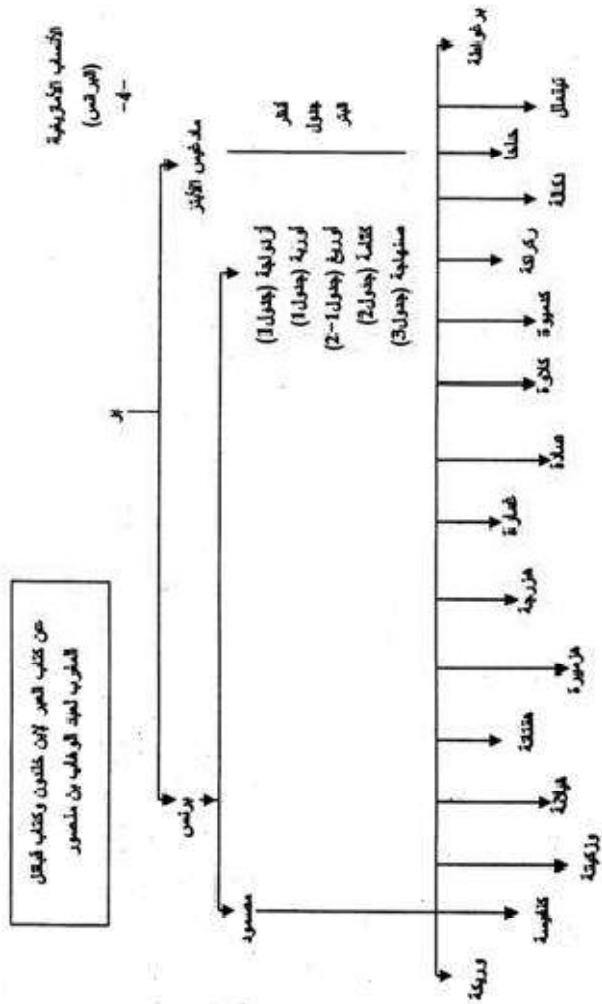
.....  
.....  
.....  
.....  
.....  
.....  
.....  
.....  
.....











## فهرس المحتويات

|     |                   |
|-----|-------------------|
| 3   | القبائل البرنسية: |
| 5   | ازداجة:           |
| 7   | أعيانهم:          |
| 9   | مواطنهم:          |
| 10  | أوربة:            |
| 12  | أعيانهم:          |
| 16  | مواطنهم:          |
| 18  | أوريغة:           |
| 20  | أعيانهم:          |
| 72  | مواطنهم:          |
| 74  | صنهاجة:           |
| 82  | أعيانهم:          |
| 181 | مواطنهم:          |
| 184 | عجيسة:            |
| 186 | أعيانهم:          |
| 205 | مواطنهم:          |

|     |                      |
|-----|----------------------|
| 206 | كتامة:               |
| 215 | أعيانهم:             |
| 254 | مواطنهم:             |
| 255 | كزولة:               |
| 256 | أعيانهم:             |
| 261 | مواطنهم:             |
| 261 | لمطة:                |
| 262 | أعيانهم:             |
| 267 | مواطنهم:             |
| 268 | مصمودة:              |
| 280 | أعيانهم:             |
| 333 | مواطنهم:             |
| 334 | هسكورة:              |
| 337 | أعيانهم:             |
| 338 | مواطنهم:             |
| 340 | إضافة:               |
| 364 | كلمة أخيرة:          |
| 367 | أهم المصادر المراجع: |
| 388 | لوائح توضيحية:       |
| 393 | فهرس المحتويات:      |

تحميل كتب ومجلات

[abbassa.wordpress.com](http://abbassa.wordpress.com)